المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

الواسطة بين الله وخلقه

عند أهل السنة وأهل الأهواء وأثرها في العقيدة

إعداد الطالب/

المرابط محمد يسلم المجتبى

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية العالية
(الدكتوراه)

الجزء الثاني

إشراف

فضيلة الشيخ الدكتور/ عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر

العام الجامعي ١٤٢٢-١٤٢٣ هـ

الفصل الثاني: الواسطة بين ا لله وخلقه عند الفلاسفة ومن تبعهم وبيان شبهتهم والرد عليهم.

وفيه ثلاثة مباحث:ـ

المبحث الأول: بيان مقالة الفلاسفة في الواسطة.

المبحث الثاني: صورة الواسطة البدعية عند الفلاسفة.

المبحث الثالث: بيان شبهة الفلاسفة والرد عليهم.

المبحث الأول: بيان مقالة الفلاسفة في الواسطة.

اعلم أن كل من اتخذ شريكا مع ا لله تعالى فذلك الشريك إما أن يكون جسما وإما أن لا يكون كذلك، والذين اتخذوا شريكا جسمانيا فذلك الشريك إما أن يكون من الأجسام السفلية أو الأجسام العلوية، والذين اتخذوا الشركاء من الأجسام العلوية فهم الذين يعبدون الشمس والقمر، وسائر الكواكب، ويضيفون إليها السعادة، والنحوسة، وهم الفلاسفة، ومعظم المنجمين، والصابئة، ومن هؤلاء من يقول: إن الملائكة عبارة عن الأرواح الفلكية، التي هي واسطة عندهم بين ا لله والعالم، ولكل إقليم روح معين من الأرواح الفلكية يدبره، ويدير شؤونه، ولكل نوع من أنواع هذا العالم روح فلكي يدبره، ويتخذون لتلك الأرواح صورا، وتماثيل، ويعبدونها، وهؤلاء هم عبدة الملائكة، والكواكب[1].

وقد نشأت عبادة الكواكب عند هؤلاء الفلاسفة من الصابئة[2]، ومن تبعهم من المنجمين، نشأت بسبب تعلقهم بالملائكة واعتقدوا أنهم واسطة بين ا لله وخلقه في العبادة والدعاء والتضرع والرجاء، وأن ا لله أوكل إليهم تصريف شؤون هذا العالم، ثم اعتقدوا أن الأفلاك، والكواكب أقرب الأجسام المرئية إلى الخالق جل وعلا، واعتقدوا أنها حية ناطقة مدبرة للعالم، وزعموا أنها هياكل حلت فيها الملائكة «الأرواح»، فالكواكب بالنسبة للملائكة كالجسد للروح، وهي - عندهم - متصفة بصفات مخصوصة، ولوجود هذه الصفات استحقت أن تكون واسطة تعبد، كما

---

(١) **انظر** تفسير الفخر الرازي١/٢٤٥، ورسائل إخوان الصفا١/١٤٥، والتنجيم والمنجمون للمشعبي ص٤٣.

(٢) يقال: صبأ الرجل إذا خرج من دين إلى دين، والصبوة في مقابل الحنيفية، والصابئة جنس من أهل الكتاب. **انظر** مختار الصحاح ص٣٥٤ مادة (ص ب أ)، والملل والنحل٢/٥، والصابئون لرشدي عليان ص٢٥.

تعبد الآلهة، فكانوا يتقربون إلى الكواكب (الهياكل) تقربا إلى الملائكة (الروحانيات) وبتقربهم إلى الروحانيات يزعمون أنهم يتقربون إلى الخالق تعالى، وهؤلاء يسمون أصحاب الهياكل[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:(لكن قالوا: لكن نحن إذا توجهنا إلى هؤلاء بالدعاء، والسؤال منهم؛ بل والعبادة لهم، فاض علينا ما يفيض منهم، وفاض عليهم ما يفيض من جهة الله)[2].

وقد بين الشهرستاني مقالتهم بقوله:(فقالوا: الروحانيات هم الأسباب المتوسطون في الاختراع، والإيجاد، وتصريف الأمور من حال إلى حال، وتوجيه المخلوقات من مبدأ إلى مبدأ كما يستمدون القوة من الحضرة الإلهية القدسية ويفيضون الفيض على الموجودات السفلية، فمنها مدبرات الكواكب السبع السيارة في أفلاكها، وهي هياكلها، ولكل روحاني هيكل، ولكل هيكل فلك، ونسبة الروحاني إلى ذلك الهيكل الذي اختص به نسبة الروح إلى الجسد، فهو ربه، ومدبره، ومديره، وكانوا يسمون الهياكل أربابا، وربما يسمونها آباء، والعناصر أمهات ففعل الروحانيات تحريكها على قدر مخصوص ليحصل من حركاتها انفعالات في الطبائع، والعناصر، فيحصل من ذلك تركيبات، وامتزاجات في المركبات، فيتبعها قوى جسمانية، ويركب عليها نفوس روحانية...ثم قد تكون التأثيرات كلية صادرة عن روحاني كلي، وقد تكون جزئية صادرة عن روحاني جزئي.. ومنها مدبرات الآثار العلوية الظاهرة.... ومنها متوسطات القوى السارية في جميع الموجودات)[3].

---

(١) انظر الملل والنحل٢/٢٩، وانظر دمعة على التوحيد ص٩٤، والتنجيم والمنجمون ص٣٥، والصائبون حرانيين ومندائيين لرشدي عليان ص٣٤

(٢) الرد على المنطقيين ص١٠٥.

(٣) الملل والنحل٢/٧.

ولما رأوا أن أكثر هذه الكواكب يختفي في النهار، وفي بعض الليل بسبب التقلبات الجوية من الغيوم والضباب، ونحو ذلك قالوا: ينبغي أن ننصب لهذه الكواكب أصناما، وتماثيل على هيئة الكواكب السبعة:(الشمس، والقمر، والزهرة، والمشتري، وعطارد، والمريخ، وزحل)، حتى لا تغيب عن أذهاننا، ولكي نتقرب إليها بالعبادة، فكل تمثال يقابل هيكلا، وزعموا أن التقرب إلىهذه الأصنام هو الوسيلة إلى الهياكل (الكواكب) التي هي واسطة بيننا وبين الله تعالى، وهؤلاء يسمون أصحاب الأشخاص[1].

وهذا من الأسباب التي دعت مشركي مكة إلى اتخاذ الأصنام، والأوثان، وعبادتها من دون الله، وادعائهم أنها واسطة تقربهم من الله تعالى زلفى.

---

(١) **انظر** الملل والنحل٢/٢٨، وتفسير الفخر الرازي١/٢٤٥، والتنجيم والمنجمون للمشعي ص٤٣، ودمعة على التوحيد ص٩٥.

المبحث الثاني: صورة الواسطة عند الفلاسفة.

تتبين صورة الواسطة عند هؤلاء الفلاسفة ومن تبعهم بتصريحهم بأن المستشفع إذا وقف، وعكف بقلبه، وخاطره متوجها إلى بعض الكواكب العلوية التي يسمونا الروحانيات، وأحيانا العقول، والنفوس فإنه يتصل بذلك المعظم المستشفع به؛ فإذا فاض على ذلك ما يفيض من جهة الرب فاض على المستشفع من جهة شفيعه، هذا قول أصحاب الهياكل، وأصحاب الأشخاص[1].

أما أصحاب الهياكل فقالوا: (إن طريقنا في التوسل إلى حضرة القدس ظاهر، وشرعنا معقول؛ فإن قدماءنا في الزمان الأول لما أرادوا الوسيلة عملوا أشخاصا في مقابلة الهياكل العلوية على نسب، وإضافات راعوا فيها جوهرا، وصورة، وعلى أوقات، وأحوال، وهيئات أوجبوا على من يتقرب بها إلى ما يقابلها من العلويات: تختما، ولباسا، وتبخرا، ودعاءً، وتعزيما، فتقربوا إلى الروحانيات، فتقربوا إلى رب الأرباب، ومسبب الأسباب)[2].

وقال الشهرستاني:(اعلم أن أصحاب الروحانيات لما عرفوا أن لابد للإنسان من متوسط، ولابد للمتوسط من أن يرى، فيتوجه إليه، ويتقرب به، ويستفاد منه فزعوا إلى الهياكل التي هي السيارات السبع، فتعرفوا أولا: بيوتها، ومنازلها، وثانيا: مطالعها، ومغاربها، وثالثا: اتصالاتها على أشكال الموافقة، والمخالفة مرتبة على طبائعها، ورابعا: تقسيم الأيام والليالي، والساعات عليها، وخامسا: تقدير الصور والأشخاص، والأقاليم، والأمصار عليها، فعملوا الخواتيم، وتعلموا العزائم، والدعوات، وعينوا ليوم زحل - مثلا - يوم السبت، وراعوا فيه ساعته الأولى، وتختموا بخاتمه المعمول على

---

(١) أصحاب الهياكل: هم عبدة الكواكب، وأصحاب الأشخاص: هم عبدة الأوثان.

(٢) الملل والنحل ٣٢/٢.

صورته وهيئته، وصنعته، ولبسوا اللباس الخاص به، وتبخروا ببخوره الخاص، ودعوا بدعواته الخاصة به، وسألوا حاجتهم منه: الحاجة التي تستدعى من زحل، من أفعاله، وآثاره الخاصة به، فكان يقضي حاجتهم، ويحصل ـ في الأكثر ـ مرامهم، وكذلك رفع الحاجة التي تختص بالمشتري في يومه، وساعته، وجميع الإضافات التي ذكرنا إليه، وكذلك سائر الحاجات إلى الكواكب، وكانوا يسمونها أربابا آلهة، والله تعالى هو رب الأرباب، وإله الآلهة، ومنهم من جعل الشمس إله الآلهة، ورب الأرباب، وكانوا يتقربون إلى الهياكل تقربا إلى الروحانيات، تقربا إلى الباري تعالى)[1].

ثم إن أصحاب الأشخاص قالوا أيضا:(إذا كان لابد من متوسط يتوسل به، وشفيع يتشفع إليه، والروحانيات ـ وإن كانت هي الوسائل ـ لكنا إذا لم نرها بالأبصار، ولم نخاطبها بالألسن لم يتحقق التقرب إليها إلا بهياكلها، ولكن الهياكل قد ترى في وقت، ولا ترى في وقت؛ لأن لها طلوعا وأفولا، وظهورا بالليل، وخفاء بالنهار، فلم يَصْفُ لنا التقرب بها، والتوجه إليها، فلابد لنا من صور، وأشخاص موجودة قائمة منصوبة نصب أعيننا، نعكف عليها، ونتوسل بها إلى الهياكل، فنتقرب بها إلى الروحانيات، ونتقرب بالروحانيات إلى الله سبحانه وتعالى، فنعبدهم:﴿**ليقربونا إلى الله زلفى**﴾[2]، فاتخذوا أصناما، أشخاصا، على مثال الهياكل السبعة، كل شخص في مقابلة هيكل، وراعوا في ذلك جوهر الهيكل؛ أعني الجوهر الخاص به من الحديد، وغيره، وصوروه بصورته على الهيئة التي تصدر أفعاله عنه، وراعوا في ذلك الزمان، والوقت، والساعة، والدرجة، والدقيقة، وجميع الإضافات النجومية، من اتصال محمود، يؤثر في نجاح المطالب، التي تُستدعى منه، فتقربوا إليه في

---

(١) الملل والنحل ٢/٤٩.

(٢) سورة الزمر الآية٣.

يومه، وساعته، وتبخروا بالبخور الخاص به، وتختموا بخاتمه، ولبسوا لباسه، وتضرعوا بدعائه، وعزموا بعزائمه، وسألوا حاجتهم منه، فيقولون: إنه كان يقضي حوائجهم، بعد رعاية هذه الإضافات كلها، وذلك هو الذي أخبر التنزيل عنهم أنهم عبدة الكواكب، والأوثان.

فأصحاب الهياكل هم عبد الكواكب: إذ قالوا بإلهيتها ـ كما شرحنا ـ وأصحاب الأشخاص هم عبدة الأوثان؛ إذ سموها آلهة في مقابلة الآلهة السماوية[1]، وقالوا: ﴿**هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾[2])[3].

وقد عبر الفلاسفة عن الواسطة بوجه ذكره الفخر الرازي رحمه الله[4] في تفسيره موضحا أن الفلاسفة قالوا في بيان الواسطة: إن واجب الوجود تعالى عام الفيض، تام الوجود، وحيث لا يحصل فإنما هو لمانع القابل، وعدم استعداده للقبول، ومن الجائز أن لا يكون الشيء مستعدا لنيل الفيوض بنفسه، لكنه صالح لأن ينالها بوسيط. قالوا: ومثال ذلك في المحسوس أن الشمس الوهاجة تشع بضيائها بسخاء واسع، ولكن لمن عاينها، وتعرض لها، وجها لوجه، وهو شرط لقبول الضوء المباشر، أما الواقف تحت ظلال تحجبه عن الضياء بسبب كثافة السقف الحاجز؛ فإنه مع ذلك صالح للاستضاءة بضوء الشمس، لكن غير المباشر، وذلك بواسطة، مثل المرآة المجلوَّة تعكس عليها

---

(١) لعله يقصد بالآلهة السماوية ـ الكواكب العلوية عند هؤلاء الفلاسفة والصابئة ـ وأما في الاعتقاد الصحيح فليس في السماء، ولا في الأرض إله غير الله سبحانه وتعالى.

(٢) سورة يونس الآية١٨.

(٣) الملل والنحل٢/٥٠.

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، فخر الدين الرازي الإمام المفسر، قال عنه الحافظ ابن حجر: (والفخر كان من أئمة الأصول، وكتبه في الأصلين شهيرة سائرة، وله ما يقبل، وما يرد...رأس في الذكاء، والعقليات، لكنه عري من الآثار) ولد الرازي سنة٥٤٤هـ وتوفي سنة ٦٠٦هـ. **انظر** ترجمته في لسان الميزان لابن حجر٤/٤٢٦، وترجم له باسم (الفخر بن الخطيب)، **وانظر** العبر٣/١٤٢، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء للخزرجي٢/٢٣، والأعلام للزركلي٧/٢٠٣.

الشمس أشعتها، وكلما كانت الواسطة أجلى كان الانعكاس أشد وأبين. ثم قالوا: وأرواح الأنبياء لشدة صفائها كانت وسائط تعكس أشعة الفيوض الربانية إلى الخلائق في عموم البركات، وشمول الخيرات، كما كانوا وسائط في إبلاغ الشرائع، والأحكام[1].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض بيانه للواسطة عند الفلاسفة والرد عليهم: أن الفلاسفة الذين يؤمنون بالنبوات يطلقون على الملائكة العقول العشرة، والنفوس، والجواهر العالية، ويقولون: إن العقل الفعال هو رب كل ما سوى الرب عندهم. فإذا توجه المستشفع عندهم إلى من يعظمه من الجواهر العالية كالعقول والنفوس، والكواكب، والشمس، والقمر؛ فإنه يتصل بذلك المعظم المستشفع به، فإذا فاض على ذلك ما يفيض من جهة الرب، فاض على المستشفع من جهة شفيعه. ثم يقولون نحن إذا توجهنا إلى هؤلاء بالدعاء لهم والسؤال منهم؛ بل والعبادة لهم فاض علينا ما يفيض منهم، وفاض عليهم ما يفيض من جهة الله تعالى[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:(فالمشركون من الفلاسفة القائلين بقدم العالم هم أعظم شركا، وما يدعونه من الشفاعة لآلهتهم أعظم كفرا من مشركي العرب؛ فإنهم لا يقولون إن الشفيع يسأل الله، والله يجيب دعوته كما يقوله المشركون الذين يقولون إن الله خالق بقدرته، ومشيئته، فإن هؤلاء عندهم أنه لا يعلم الجزئيات، ولا يحدث شيئا بمشيئته، وقدرته، وإنما العالم فاض عنه، فيقولون: إذا توجه الداعي إلى من يدعوه ـ كتوجهه إلى الموتى عند قبورهم، وغير قبورهم، وتوجهه إلى الأرواح العالية ـ فإنه يفيض عليهم ما يفيض من ذلك المعظم الذي دعاه، واستغاث به، وخضع له، من غير فعل من ذلك الشفيع، ولا سؤال منه لله تعالى، كما يفيض شعاع الشمس

(١) **انظر** تفسير الفخر الرازي٣/٧٥ وما بعدها.

(٢) **انظر** الرد على المنطقيين ١٠٢ وما بعدها بتصرف.

على ما يقابلها من الأجسام الصقيلة، كالمرآة وغيرها، ثم ينعكس الشعاع من ذلك الجسم الصقيل إلى حائط أو ماء، وهذا قد ذكره غير واحد من هؤلاء، ويزورون القبور الزيارة المنهي عنها، فمقصودهم بها طلب الحوائج من الميت أو الغائب؛ إما أن يطلب الحاجة منه، أو يطلب منه أن يطلبها من الله، وإما أن يقسم على الله به، ثم كثير من هؤلاء يقولون: إن ذلك المدعو يطلب تلك الحاجة من الله، أو إن الله يقضيها بمشيئته، واختياره، للإقسام على الله بهذا المخلوق، وأما أولئك الفلاسفة فيقولون: بل نفس التوجه إلى هذه الروح يوجب أن يفيض منها على المتوجه ما يفيض، كما يفيض الشعاع من الشمس، من غير أن تَقْصُد هي قضاء حاجة أحد، ومن غير أن يكون الله يعلم بشيء من ذلك على أصلهم الفاسد، فتبين أن شرك هؤلاء وكفرهم أعظم من شرك مشركي العرب، وكفرهم، وأن اتخاذ هؤلاء الشفعاء الذين يشركون بهم من دون الله أعظم كفرا من اتخاذ أولئك)[1].

---

(١) الرد على المنطقيين ص٥٣٥، **وانظر** ما قاله الغزالي في المضنون به على غير أهله مطبوع ضمن رسائل القصور العوالي٢/١٥١، وإغاثة اللهفان١/٢٢٤.

المبحث الثالث: بيان شبهة الفلاسفة والرد عليهم.

يثير الفلاسفة ومن تبعهم من الصابئة والمنجمين،والطبـائعيين شـبهات يدافعـون بهـا عن مذهبهم الفاسد في الواسطة، وإدعائهم أن الكواكب العلوية، والسـيارات الفلكيـة هي الواسطة بين ا لله تعالى وخلقه.

ومن تلك الشبهات التي يتعلقون بها مناظرة إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصـلاة والسلام للنمرود الواردة في التـنزيل حيـث قـالوا: إن الخليـل لما اسـتدل علـى إثبـات الصانع تعالى بقوله:﴿**ربي الـذي يحيـي ويميـت**﴾[1]، قـال النمـرود أتدعـي أنـه يحيـي ويميت بواسطة الطبائع، والعناصر، أو بغير واسطة هـذه الأشـياء؟ فـإن زعمـت الأول فذلك محال؛ لأن كل ما يحدث في هذا العالم فإنمـا يحـدث بواسـطة العنـاصر الأربعـة، وحركات السيارات الفلكية، وإن ادعيت الأمر الثـاني فمثـل هـذا الإحيـاء، والإماتـة حاصل فيَّ، ومن كل أحد فإن الرجل قد يكون سـببا في إيجـاد الولـد؛ لكـن بواسـطة تمزيج الطبائع، وتحريك الكواكب العلوية، وقد يكــون سببا في مـوت آخـر بقتلـه في الحال، فثبت أن الخليل اعتمد في معرفة ثبوت الصانع علـى الدلائـل الفلكيـة، وأنـه لم ينازع الخصم في اعتبار أن الحوادث الأرضية مرتبطة بحركـات الوسـائط الفلكيـة مـن الكواكب أو السيارات العلوية، أو « النفوس » أو « العقول المدبرة »[2].

وقد أبطل إبراهيم الخليل على نبينـا وعليـه الصـلاة والسـلام مذهـب الفلاسـفة في الواسطة، وكسر شبهتهم بما قص ا لله تعالى علينا من خبره في التنزيل[3]، ففـي إبطالـه لمذهـب أصحـاب الهيـاكل، قـال ا لله تعـالى:﴿**وكذلـك نـري إبراهيـم ملكـوت**

---

(١) سورة البقرة الآية٢٥٨.

(٢) **انظر** تفسير الفخر الرازي٧/٢٧، ونقله عن الرازي ابن القيم في مفتاح دار السعادة٢/١٨٧، **وانظر** التنجيم والمنجمون ص٢١٧.

(٣) **انظر** الملل والنحل٢/٥١.

السماوات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريئ مما تشركون﴾[1].

وفي إبطاله لمذهب أصحاب الأشخاص قال الله تعالى:**﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون﴾**[2].

وبهذا يتضح أن بين شرك قوم إبراهيم وشرك قوم نوح على نبينا وعليهما الصلاة والسلام تشابها، فكان شرك قوم نوح يرجع إلى مظاهر الصلاح في البشر، وشرك قوم إبراهيم ينحو منحى العقل، والفلسفة لأسرار الطبيعة، وسير الكواكب العلوية، فشرك قوم نوح شرك تقريب وشفاعة، وشرك قوم إبراهيم كان شرك أسباب، وإعانة، فإذا اتخذ قوم إبراهيم أصناما ـ كما هو فعل أصحاب الأشخاص ـ كان شرك تقريب، وشفاعة، ومن شرك هاتين الأمتين تفرعت أصناف الشرك في الناس بعد ذلك، فمقل من الشبهات ومستكثر، فبعث الله تعالى الرسل يدعون الناس إلى التوحيد، ويحذرونهم من عواقب الشرك بأصنافه ووسائله[3].

وتتلخص شبهة الفلاسفة في اعتقادهم أن الكواكب، أو الروحانيات، أو العقول

---

(١) سورة الأنعام الآيات(٧٥-٧٨).

(٢) سورة الأنبياء الآيات(٥١-٥٨).

(٣) **انظر** هذه مفاهيمنا ص٩٧.

المدبرة هي الواسطة بين الله والناس في زعمهم أن الإنسان العادي مكبل بالذنوب، وملطخ بالمعاصي، فهو غير مهيأ، ولا صالح لمناجاة الرب سبحانه وتعالى[1]، قالوا: فالواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله: والبحث عن متوسطات تقربنا إليه زلفى، وهؤلاء الوسائط هم الروحانيون، المطهرون، المقدسون جوهرا، وحالة، وحتى لا تغيب هذه الوسائط عن أعيننا ينبغي أن نعمل لكل كوكب تمثالا ونشخصه على هيئته، وحالته، ونتوجه إليه بالعبادة، والالتجاء، والتضرع، والدعاء.

يقول الشهرستاني:(ومذهب هؤلاء أن للعالم صانعا، فاطرا، حكيما مقدسا عن سمات الحدثان، والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه، وهم الروحانيون، المطهرون، المقدسون، جوهرا، وفعلا، وحالة، فهم المقدسون عن المواد الجسمانية المبرأون عن القوى الجسدانية، المنزهون عن الحركات المكانية، والتغيرات الزمانية، قد جبلوا على الطهارة، وفطروا على التقديس، والتسبيح:﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾[2].... فنحن نتقرب إليهم، ونتوكل عليهم، وهم أربابنا، وآلهتنا، ووسائلنا، وشفعاؤنا عند الله، وهو رب الأرباب، وإله الآلهة رب كل شيء، ومليكه. فالواجب علينا أن نطهر نفوسنا عن دنس الشهوات الطبيعية، ونهذب أخلاقنا عن علائق القوى الشهوانية، والغضبية، حتى تحصل مناسبة ما بيننا وبين الروحانيات، فحينئذ نسأل حاجاتنا منهم، ونعرض أحوالنا عليهم، ونصبو في جميع أمورنا إليهم، فيشفعون لنا إلى خالقنا، وخالقهم، ورازقنا ورازقهم. وهذا التطهير، والتهذيب ليس يحصل إلا باكتسابنا، ورياضتنا، وفطامنا أنفسنا عن دَنِيَّات الشهوات باستمداد من جهة الروحانيات،

---

(١) ومن الملاحظ أن هذه الشبهة سرت إلى عقائد الرافضة والصوفية كما سيأتي في ص: ٥

(٢) سورة التحريم الآية:٦.

والاستمداد هو التضرع، والابتهال بالدعوات، وإقامة الصلوات، وبذل الزكوات، والصيام عن المطعومات، والمشروبات، وتقريب القرابين، والذبائح، وتبخير البخورات، وتعزيم العزائم، فيحصل لنفوسنا استعداد، واستمداد من غير واسطة؛ بل يكون حكمنا، وحكم من يدعي الوحي على وتيرة واحدة)[1].

الرد عليهم:

لقد تبين أن تعلق الفلاسفة، ومن تبعهم بالعقل، ومعارضتهم للشرائع، والديانات قد جعلهم يتيهون في دروب مظلمة، ويتقلبون في تصورات خاطئة، واعتقادات باطلة؛ لأنهم لم يستضيئوا بنور الوحي، و لم يصدقوا الواسطة الصحيحة في التبليغ من الأنبياء، الذين كانوا يأتون بخبر السماء، صباحا، ومساء، من أجل ذلك كانت شبهتهم في الواسطة معارضة للوحي، والتنزيل، ومدعاة للزيغ والتضليل، أما أتباع الرسل، والمصدقون بالوحي فهم يؤمنون بأن الملائكة خلق من مخلوقات الله تعالى، ميزهم الله بأن جعلهم أجساما نورانية، وجبلهم على طاعته، وأسكنهم سماواته؛ لكنهم لا يملكون شيئا من القدرة، ولا يستطيعون شيئا من التشكل بالقوة إلا بإذن الله تعالى، ومشيئته، وأنهم - مع ذلك- لا يملكون شيئا من خصائص الربوبية والألوهية، قال تعالى:**﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾**[2].

وإذا كان الله عز وجل قد كلف بعض الملائكة بالقيام بأعمال مخصوصة في الكون كتبليغ الوحي إلى الأنبياء، وإنزال المطر، وتقسيم الأرزاق، وقبض الأرواح، وغير ذلك مما مضى بيانه في حديثنا عن الواسطة من الملائكة، وبيان الأعمال المنوطة بهم،

(١) الملل والنحل٢/٦.

(٢) سورة آل عمران الآية٧٩.

-إذا كان الأمر كذلك - فليس معناه أن هؤلاء الملائكة واسطة في الدعاء، والتضرع، والعبادة، والالتجاء، كما هو تصور هؤلاء الفلاسفة، وأن هؤلاء الملائكة أرواح، وعقول، ونفوس، قد تحل في أجسام، وهياكل الكواكب السيارة، وأن المرء يعلق قلبه، ويربط نفسه بهذه العلويات الروحانية حتى تتوسط له عند ربه سبحانه وتعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على الفلاسفة في هذا التصور الباطل: (فبين سبحانه أن من اتخذ الملائكة والنبيين أربابا فهو كافر - مع أن المشركين إنما كانوا - يتخذونهم شفعاء، ويتقربون بهم إلى الله زلفى؛ فإذا كان هؤلاء الذين دعوا مخلوقا، ليشفع لهم عند الله، كما يشفع المخلوق عند المخلوق، فيسأله، ويرغب إليه بلا إذنه، وقد جعلهم الله مشركين، كفارا مأواهم جهنم؛ فكيف بشرك هؤلاء الفلاسفة، وما يثبتونه من الشفاعة؟؛ فإنهم يجوزون دعاء الجواهر العلوية - الشمس، والقمر، والكواكب - وكذلك الأرواح التي يسمونها « العقول »، و« النفوس »، ويسميها من انتسب إلى أهل الملل « الملائكة »، وهؤلاء المشركون قد تنزل عليهم أرواح تقضي بعض مطالبهم، وتخبرهم ببعض الأمور، وهم لا يميزون بين الملائكة، والجن، بل قد يسمون الجميع « ملائكة »، و« أرواحا »، ويقولون: روحانية الشمس، وروحانية عطارد، وروحانية الزهرة، وهي الشيطان، والشيطانة التي تضل من أشرك بها؛ كما أن لنفس الأصنام، وهي التماثيل المصنوعة على اسم الوثن من الأنبياء والصالحين، أو على اسم كوكب من الكواكب، أو روح من الأرواح، والأصنام أيضا لها شياطين تدخل فيها، وتكلم أحيانا بعض المشركين، وقد تتراءى أحيانا، فيراها بعض الناس من السدنة وغيرهم، فالمشركون من الفلاسفة، القائلين بقدم العالم هم أعظم شركا، وما يدعونه من الشفاعة لآلهتهم أعظم كفرا من مشركي العرب؛ فإنهم لا يقولون: إن الشفيع يسأل الله، والله يجيب دعوته - كما يقوله المشركون الذين يقولون: إن الله خالق بقدرته، ومشيئته - فإن هؤلاء عندهم أنه لا يعلم

الجزئيات، ولا يحدث شيئا بمشيئته، وقدرته، وإنما العالم فاض عنه.... ويقولون: بل نفس التوجه إلى هذه الروح يوجب أن يفيض منها على المتوجه ما يفيض، كما يفيض الشعاع من الشمس.... فتبين أن شرك هؤلاء، وكفرهم أعظم من شرك مشركي العرب، وكفرهم، وأن اتخاذ هؤلاء الشفعاء، الذين يشركون بهم من دون ا لله أعظم كفرا من اتخاذ أولئك)[1].

وقرر العلامة ابن القيم أن الفلاسفة ومن تبعهم في اعتقادهم في الكواكب العلويات وقعوا في الشرك، حيث جعلوا هذه الوسائط أربابا مدبرة لأمر هذا العالم، فضارعوا بذلك عباد الشمس، وعباد النار، وغيرهم[2].

وجملة القول: إن هذه الكواكب العلوية ما هي إلا أجرام فضائية تسير بأمر ا لله ﷻ وتدبيره وتقديره، وأنها آيات كونية من آيات ا لله ﷻ، لا تضر ولا تنفع، وليس لها من خصائص الألوهية شيء، وإنما هي كواكب مثل كوكب الأرض الذي نعيش عليه، وقد أثبتت الدراسات الكونية المعاصرة أن هذه الكواكب تحمل خصائص كوكب الأرض، فمن زعم أنها تتوسط له عند ا لله ﷻ حال الدعاء، والتضرع، والرجاء، فقد كذب على ا لله ﷻ، وادعى ما لا دليل عليه، وبانت لأهل العقول منزلته، واتضحت للناس سخافته، وا لله تعالى أعلم.

---

(١) الرد على المنطقيين ص٥٣٥.

(٢) انظر الجواب الكافي ص ١٩٥.

الفصل الثالث: الواسطة بين الله وخلقه عند الرافضة وبيان شبهاتهم والرد عليهم.

وفيه أربعة مباحث:-

المبحث الأول: نظرة الرافضة للرسول صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: عقيدة الرافضة في الملائكة الكرام عليهم السلام.

المبحث الثالث: نظرة الرافضة لأئمتهم "وسائطهم".

المبحث الرابع: بيان شبهات الرافضة والرد عليها.

المبحث الأول: نظرة الرافضة للرسول صلى الله عليه وسلم.

تؤمن الرافضة -في الجملة- بالنبي ﷺ وبرسالته، وأنه خاتم النبيين[1]، إلا أنه بحكم الغلو الزائد في الأئمة من آل البيت الذي تقول به الرافضة فسرعان ما ينقضون هذا الإيمان ويقعون في تنقيص هذا النبي الخاتم ﷺ والحط من قدره، والطعن في رسالته، ومن ذلك قول طائفة الغرابية[2] من غلاتهم: (إن عليا أشبه بمحمد من الغراب بالغراب، والذباب بالذباب فاشتبها على جبرائيل فبلغ الرسالة إلى محمد، وكانت لعلي)[3]. ويقول شاعرهم في ذلك:-

غلط الأمين فجازها عن حيدر تا الله ما كان الأمين أمينا

وهناك طائفة يقال لها: الذمية[4] سموا بذلك لذمهم محمدا ﷺ بأن عليا ﷺ بعثه لدعوة الناس إليه بالعبودية فدعا الناس إلى نفسه وقال بعضهم بإلهيتهما واختلفوا في التقديم، والتأخير، والذين يقدمون عليا يقالهم: العينية، والذين يقولون بتقديم محمد ﷺ يقال لهم: الميمية[5].

ومن غلاتهم: فرقة الإسماعيلية[6] تزعم أن عليا هو الله - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - وأن عليا هو الذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالرسالة[7].

ومما يستدل به على ما تقدم أن مؤلف كتاب وسائل الشيعة ومستدركاتها أورد

---

(١) **انظر** الكافي للكليني كتاب الحجة ١٦٨/١، وإحياء الشريعة في مذهب الشيعة لمحمد مهدي الكاظمي ص٥٢، وعقائد الإمامية لمحمد رضا المظفر ص٢٨، ودائرة المعارف للأعلمي ٢٤٢/١٨.

(٢) سبق التعريف بها **انظر** ص٣٦ ٥ .

(٣) اليمانيات المسلولة ص١٦٩.

(٤) سبق التعريف بها **انظر** ص٣٦ ٥ .

(٥) **انظر** المقالات والفرق للقمي ص١٩١، والملل والنحل ١٧٥/١، والمواقف ص٤٩٠.

(٦) سبق التعريف بها، **انظر** ص٣٧ ٥ .

(٧) **انظر** تلبيس إبليس ص٩٥.

أول حديث في أركان الإسلام فقال: عـن زرارة[1] عـن أبـي جعفـر أنـه قـال: (بـني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة، والزكاة، والحـج، والصـوم، والولايـة) قـال زرارة: (فقلت: وأي شيء من ذلك أفضـل؟ قـال: الولايـة أفضـل؛ لأنهـا مفتـاحهن، والوالي هو الدليل عليهن)[2].

فحذفوا في هذه الرواية الركن الأول من أركان الإسلام وهو شـهادة أن لا إلـه إلا ا لله، وأن محمـدا رسـول ا لله ﷺ ووضعـوا بـدلا منـه الركـن السـادس الـذي ابتدعتـه الرافضة، وهو الولاية، مع العلم أنه ذكر بعد ذلك أحـاديث في هـذا البـاب اشـتملت على ذكر الشهادتين[3].

وبمـا أن عليـا ﷺ ابـن عـم الرسـول ﷺ، وزوج ابنتـه رضـي ا لله عنهـا، وصفيـه، وخليفته من بعده -كما يزعمون- كان طبيعيا أن يكون الغلو في الرسـول ﷺ ابتـداء وسيلة وواسطة للغلو في علي ﷺ، والأئمة من بنيه؛ لذلك نجد غلاة الرافضـة يدعـون أزلية وجود الرسول ﷺ وأسبقيته على الكون، وأنه مخلوق من نور؛ ليتوصلوا بذلـك إلى ادعاء وصول ذلك النور بطريق التسلسل إلى علي ﷺ، والأئمة من ذريته رحمهـم ا لله[4]. ويرون أن النبي ﷺ حي في قبره بعد موته، وأنه يسمع الكلام، ويرد الجـواب، كما كان في حياته الدنيوية؛ غير أن ا لله تعالى حبس الناس عن سماع كلامه إلا قليـلا من خواصهم[5]، فتراهم يفصلون في نوع هذه الحياة التي أثبتها الشـارع لخـاتم النبيـين ﷺ، وسكت عن كيفيتها، وسـنرى عنـد بيـان شـبهات الصوفيـة، والـرد عليهـا -أن

(١) هو أبو علي وقيل أبو الحسن عبد ربه -وزرارة لقب له - بن أعين، وكان أعين بن سنسن راهبا روميـا، ثم عبدا لرجل من بني شيبان، كان زرارة أول أمره من خواص الصادق، ثم حال بينهمـا الغلـو فطرده الصادق وتبرأ منه، ولعنه ثلاثا، **انظر** الفهرست لابن النديم ص٢٧٦، ومعرفة أخبـار الرجـال ص٩٩، ورجال الشيعة في الميزان لعبد الرحمن الزرعي ص٣٨.

(٢) وسائل الشيعة ومستدركاتها لمحمد آية ا لله الشيرازي ص٥.

(٣) **انظر** المرجع نفسه ص١٠.

(٤) **انظر** محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع ص١٦٢.

(٥) **انظر** كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب لمحمد الأمين العاملي ص١٠٩.

الصوفية وافقت الرافضة في هذا المعتقد[(١)]

ومن صور التنقيص الذي تطفح به كتب الرافضة التأكيد على رفع رتبة علي ﷺ فوق رتبة النبي ﷺ ولا ندري أيهما الأصل في الفضل، هل هو النبي ﷺ أم علي ﷺ؟. إلا أننا نرى أن الرافضة لا تجعل النبي ﷺ أصلا يعظم، ويحترم علي لأجله؛ بل إنهم يحترمون النبي ﷺ ويعظمونه من أجل علي ﷺ؛ لأنه أخذ ابنته، وجعله قريبه، وحبيبه، وعلى هذا اخترعوا تلك الرواية العجيبة الغريبة المكذوبة، وهي: أن النبي ﷺ قال: (أعطيت ثلاثا، وعلي مشاركي فيها، وأعطي علي ﷺ ثلاثا و لم أشاركه فيها، فقيل: يا رسول الله، وما الثلاث التي يشاركك علي فيها؟ قال: لواء الحمد لي، وعلي حامله، والكوثر لي، وعلي ساقيه، والجنة، والنار لي، وعلي قسيمهما، وأما الثلاث التي أعطي علي، و لم أشاركه فيها، فإنه أعطي شجاعة، و لم أعط مثلها، وأعطي فاطمة الزهراء زوجة، و لم أعط مثلها، وأعطي ولديه الحسن، والحسين، و لم أعط مثليهما)[(٢)].

وهذه الرواية تبين حقيقة معتقد الرافضة، ونظرتهم للرسول ﷺ حيث يعدون عليا هو الأصل والنبي ﷺ هو الفرع، وهذا ظاهر لا لبس فيه، وغلو، وإفراط في حق علي ﷺ، وتنقيص، وتفريط في جناب النبي ﷺ[(٣)].

وقد بينا في مبحث سابق[(٤)] مقالة الرافضة في تنقيص الواسطة الصحيحة، وذكرنا نماذج كثيرة توضح نظرة الرافضة للرسول ﷺ.

---

(١) **انظر** ص٥٤٣ .

(٢) أمالي الصدوق (٢١٩) نقلا عن الشيعة وأهل البيت ص ١٩١، **وانظر** بحار الأنوار٣٩/٩٠، والأنوار النعمانية ص٥٣٦ .

(٣) **انظر** الشيعة وأهل البيت ص١٩١، وكسر الصنم نقض كتاب أصول الكافي للبرقعي ص٢٠١، والعقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ص٣٧٥، وأصول مذهب الشيعة عرض ونقد للدكتور ناصر القفاري٢/٧٤٣.

(٤) **انظر** ص٥٣٦ .

المبحث الثاني: عقيدة الرافضة في الملائكة الكرام عليهم السلام.

تقدم معنا -في الباب الأول- الحديث عن الملائكة، والتعريف بهم، والإشارة إلى الأعمال المنوطة بهم، وبينا هنالك -كونهم واسطة بين الله تعالى، وخلقه في تبليغ أوامره إلى خلقه، على تفصيل أوردناه هنالك[(١)].

والذي يهمنا في هذا المبحث هو بيان معتقد الرافضة في واسطة التبليغ هذه من الملائكة، فنقول:-

لقد نال هذا الركن من أركان الإيمان نصيبه من التحريف عند الرافضة، فقد تطاولوا على مقام الملائكة المقربين، وأنكروا وظائفهم، وخصائصهم التي شرفهم الله بها، ولعنوا بعضهم، ومن أجل إثبات ركن الولاية عندهم -فإن لهم روايات غريبة، ومبالغات محجوجة تطفح بالكذب على الملائكة عليهم السلام، وهي في الحقيقة أقرب ما تكون إلى إنكارهم أصلا[(٢)]، فإذا تحدثوا عن الأصل الذي خلق منه الملائكة قالوا: (خلق الله الملائكة من نور علي)[(٣)]، وأحيانا تجدهم يقولون: (خلق الله من نور علي بن أبي طالب سبعين ألف ملك يستغفرون له، ولمحبيه إلى يوم القيامة)[(٤)].

ومن غلاتهم فرقة الغرابية[(٥)] يلعنون الواسطة من الملائكة بين الله ورسله في إبلاغ الوحي: جبريل عليه السلام الروح الأمين، وسيد الملائكة، ويذمونه ويدعون بأن عليا كان أشبه بالنبي ﷺ من الغراب بالغراب، والذباب بالذباب، وأنهما بسبب ذلك أشتبها على جبريل عليه السلام، فغلط في أداء الرسالة فبلغها إلى محمد ﷺ وكانت

---

(١) انظر ص١٤٥.

(٢) انظر أصول مذهب الشيعة للدكتور ناصر القفاري٢/٧٠٥.

(٣) المعالم الزلفى في بيان أحوال النشأة الأولى والأخرى لهاشم البحراني ص٢٤٩ نقلا عن أصول فرق الشيعة٢/٧٠٦.

(٤) بحار الأنوار للمجلسي٢٣/٣٢٠.

(٥) تقدم التعريف بها، انظر ص٣٦٥.

لعلي ﷺ، ويلمزون هذا الملك الكريم ويلقبونه صاحب الريش[1] ويقول شاعرهم - مدعيا أن جبريل خان الأمانة-:-

غلط الأمين فجازها عن حيدر   تا الله ما كان الأمين أمينا

ووقف المستشرق جولد تسيهر على قدح آخر وتنقيص لهذه الواسطة من الملائكة تزعمه الرافضة، فقال: (وذهبوا في إحدى خرافاتهم إلى أن الحسن والحسين كانا يحملان تعويذتين حشوهما من زغب[2] جناح الملك جبريل)[3].

ويصفونهم بالخصام، والشجار، وهم الذين لا يعصون الله ما أمرهم من أجل إثبات فضيلة لعلي ﷺ فقد نقل البرسي عن كتاب المقامات: (عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ في بيتي؛ إذ طُرق الباب فقال لي: قومي، وافتحي الباب لأبيك يا عائشة، فقمت، وفتحت له فجاء، فسلم، وجلس، فرد السلام، ولم يتحرك له، فجلس قليلا، ثم طُرق الباب، فقال: قومي، وافتحي الباب لعمر، فقمت،
فظننت أنه أفضل من أبي، فجاء فسلم، وجلس، فرد عليه، ولم يتحرك له، فجلس قليلاً،
وفتحت الباب ثم طُرق الباب فقال: قومي، وافتحي الباب لعثمان، فقمت، وفتحت له، فدخل، وسلم، فرد عليه، ولم يتحرك له فجلس، فطرق الباب فوثب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفتح الباب، فإذا علي بن أبي طالب قد دخل، وأخذ بيده، وأجلسه، وناجاه طويلا، ثم خرج فتبعه إلى الباب، فلما خرج، قلت: يا رسول الله دخل أبي فقمت له، ثم جاء عمر، وعثمان، فلم توقرهما، ولم تقم لهما، ثم جاء علي، فوثبت إليه قائما، وفتحت له الباب، فقال: يا عائشة؛ لما جاء أبوك كان جبرائيل بالباب، فهممت أن أقوم، فمنعني، فلما جاء علي وثبت الملائكة تختصم على فتح الباب له فقمت، وأصلحت بينهم، وفتحت له الباب، وأجلسته، وقربته عن أمر

---

(١) **انظر** اعتقادات فرق المسلمين للرازي ص٩٠، والتعريفات ص١٦٢، وخطط المقريزي٢/٣٥٣، ومختصر التحفة الاثني عشريةص١٣.

(٢) الزغب بفتحتين الريش، وأصله الشعيرات الصفر على ريش الفرخ. **انظر** مختار الصحاح ص٢٧٢ مادة (ز غ ب).

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام ص٢٢٠، **وانظر** أصول مذهب الشيعة٢/٧٠٨.

الله)[1].

ويزعمون أن من ملائكة الرحمن من لا وظيفة لهم إلا البكاء على قبر الحسين رضي الله عنه، والتردد على قبره؛ لزيارته، قالوا: (وكل الله بقبر الحسين أربعة آلاف ملك شعث غبر يبكونه إلى يوم القيامة)[2].

وقد روى الكليني في سبب ذلك قصة، وهي: أن الملائكة الكرام سألت الله عز وجل أن يأذن لها في نصرة الحسين رضي الله عنه والقتال معه، فأذن الله لها، فمكثت تستعد للقتال، وتتأهب للدفاع عن سبط النبي ﷺ وفي أثناء تأهب الملائكة للنزول كان الحسين رضي الله عنه قد خرج للقتال، وقتل رضي الله عنه، فلما نزلت الملائكة ووجدت الأمر قد انتهى بقتل الحسين رضي الله عنه حزنت، وشكت ذلك إلى الله تعالى، فأوحى الله إليهم: أن الزموا قبره حتى يخرج من قبره في الرجعة في زمان القائم، فالملائكة حول قبره قائمة تبكي تعزيا، وحزنا على ما فاتها من نصرته وحمايته رضي الله عنه[3].

فزيارة قبر الحسين رضي الله عنه هي أمنية أهل السماء، قالوا: (وليس شيء في السموات إلا وهم يسألون الله أن يأذن لهم في زيارة الحسين، ففوج ينزل، وفوج يعرج)[4].

وتزعم الرافضة أن أئمة أهل البيت قالوا: (إن الملائكة لخدامنا، وخدام محبينا. وفي رواية أخرى عنهم أنهم قالوا: (إن جبريل دعا أن يكون خادما للأئمة، قالوا: فجبريل خادمنا)[5].

ويروون عن علي بن الحسين رحمه الله(أنه رآه شخص يجمع شيئا من الأرض

---

(١) مشارق أنوار اليقين ص١٩٧.

(٢) فروع الكافي ٣٢٥/١، نقلا عن أصول مذهب الشيعة٧٠٦/٢.

(٣) **انظر** أصول الكافي -كتاب الحجة- ٢٨٣/١.

(٤) بحار الأنوار٣٣٥/٢٧، **وانظر** علل الشرائع للصدوق ص١٣.

(٥) علل الشرائع ص٢٥، وبحار الأنوار٣٤٤/٢٦، **وانظر** دائرة المعارف للأعلمي الشيعي٣٤٧/١.

فسأله ماذا تجمع؟ فقال: ريشة الملائكة نصنع منها منشفة لأولادنا)[1].

ويزعمون أن الأئمة كانوا أنوارا حول العرش، فهم الذين علموا الملائكة التسبيح، والتهليل، والتحميد، ويروون عن الحسين بن علي السبط رضي الله عنه أنه سئل: أي شيء كنتم قبل أن يخلق الله آدم عليه السلام؟ فقال: (كنا أشباح نور، ندور حول عرش الرحمن فنعلم الملائكة التسبيح، والتهليل، والتحميد)[2].

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية من خلال رده على الرافضة أن في تسميتهم لجبريل عليه السلام خادما كثيرا من القدح، والتنقيص لهذا الملك الكريم، فقال: (فتسميته جبريل رسول الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم خادما عبارة من لا يعرف قدر الملائكة، وقدر إرسال الله لهم إلى الأنبياء)[3].

ويقول ابن أبي العز: (إن بعض الجاهلين يسيئون الأدب بقولهم: كان الملك خادما للنبي ﷺ، أو أن بعض الملائكة خدام لبني آدم....ونحو ذلك من الألفاظ المخالفة للشرع المجانبة للأدب)[4].

ويزعمون أن الملائكة تضع أجنحتها تحت أقدام الأئمة، وتتنزل عليهم في رحالهم، وتتقلب في فرشهم، وتحضر موائدهم، وتأتيهم بخبر ما يحدث على وجه الأرض، فيروون عن بعض الأئمة أنه قال: (إن الملائكة لتتنزل علينا في رحالنا، وتتقلب في فرشنا، وتحضر موائدنا، وتأتينا من كل نبات في زمانه، رطب، ويابس، وتقلب أجنحتها على صبياننا، وتمنع الدواب أن تصل إلينا، وتأتينا في وقت كل صلاة لتصليها معنا، وما من يوم يأتي علينا، ولا ليل إلا وأخبار أهل الأرض عندنا، وما يحدث فيها، وما من ملك يموت في الأرض، ويقوم غيره إلا تأتينا بخبره، وكيف

---

(١) كسر الصنم ص٢٧٤.

(٢) علل الشرائع للصدوق ص٢٣.

(٣) منهاج السنة النبوية٢/١٥٨.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٠٢، **وانظر** مجموع الفتاوى٤/٣٥٠.

كانت سيرته في الدنيا؟!)[1].

ويروى عن علي بن الحسين أنه شاجره رجل من أهل السوق، فقال له علي: يا هذا لو صرت إلى منازلنا لأريتك آثار جبريل في رحالنا[2].

والملائكة في التراث الرافضي مكلفة بمسألة الولاية؛ لكن الرافضة تزعم أنه لم يستجب لهذا الأمر إلا طائفة المقربين[3].

ويزعمون أن أحد الملائكة عوقب بكسر جناحه بسبب رفضه ولاية أمير المؤمنين، ولم ينجبر كسره إلا حينما عفّر جناحه بتراب قبر الحسين رضي الله عنه[4].

وقالوا: (إذا أمر الله ملكا بأمر، فإن ذلك الملك يأتي إلى الإمام ويعرض عليه الأمر قبل أن يعمل به)[5]. ويزعمون أن حياة الملائكة موقوفة على ذكر الأئمة، والصلاة عليهم، وإذا سئلوا لماذا؟ قالوا: لأنه (ليس لهم طعام، ولا شراب إلا الصلاة على علي ابن أبي طالب، ومحبيه، والاستغفار لشيعته المذنبين)[6].

ومن حماقاتهم في هذا الباب: زعمهم أن الملائكة تعتزل الرافضي إذا ناجى رافضيا مثله فيقولون: (إذا التقى الشيعيان يتساءلان، قالت الحفظة: اعتزلوا بنا فإن لهما سرا، وقد ستره الله عليهما)[7].

ويؤولون أسماء، وألقاب الملائكة في القرآن بالأئمة، وبهذا الاعتقاد عقد المجلسي في كتابه بابا بعنوان: (باب أنهم رحمهم الله الصافون، والمسبحون، وصاحب المقام

---

(١) بحار الأنوار٢٦/٣٥٦، **وانظر** الحكومة الإسلامية للخميني ص١٤١، والرد الكافي على مغالطات الدكتور واني لإحسان إلهي ظهير ص١٤٥.

(٢) **انظر** تبديد الظلام لإبراهيم الجبهان ص٣٦٥.

(٣) **انظر** بحار الأنوار٢٦/٣٤٠.

(٤) **انظر** المرجع السابق٢٦/٣٤١.

(٥) كسر الصنم ص٢٧٥.

(٦) بحار الأنوار ٢٦/٣٤٩.

(٧) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة لمحمد بن الحسن العاملي٨/٥٦٣، نقلا عن أصول مذهب الشيعة٢/٧٠٨.

المعلوم، وحملة عرش الرحمن، وأنهم السفرة الكرام البررة)[1].

وجملة القول: إن دعاوى الرافضة في الملائكة الكرام -عليهم السلام- كثيرة تطفح بالطعن، والتنقيص لهذه الواسطة الملكية الكريمة، بدعوى إثبات منقبة للأئمة، وكأن وظيفة الملائكة مقصورة على شئون الأئمة، أو كأنهم ملائكة الأئمة، لا ملائكة الله![2].

---

(١) بحار الأنوار٢٤/٨٧.

(٢) انظر أصول مذهب الشيعة٢/٧٠٩.

المبحث الثالث: نظرة الرافضة لأئمتهم "وسائطهم".

تقدم معنا في تعريف الرافضة للواسطة[1] أنهم يعتقدون أن الأئمة من آل البيت رحمهم الله هم الواسطة بين الله، والناس في تبليغ الشريعة، وواسطة بين الخلق والخالق حال الاضطرار، وهجوم الحوادث، والأخطار، وأن الدعاء لا يثمر إلا إذا كان بواسطتهم، والاستغاثة والاستعانة لا تصح إلا إذا كانت بهم، فإليهم يفزع الملهوف، ونحوهم يمم المضطر، فلا فيض إلا من جهتهم، ولا مدد إلا بواسطتهم، كما نقلنا عنهم في مبحث التنقيص[2] أنهم حينما يتحدثون عن الأئمة المعصومين[3] -بزعمهم- فإنهم ينسون أو يتناسون مقام النبي ﷺ ومرتبة الرسالة؛ وذلك بالغلو الزائد في الأئمة، ومساواتهم لمقام النبي ﷺ، بل ورفع درجاتهم فوق درجته صلى الله عليه وسلم مما أوقعهم في التنقيص الفاضح والطعن المشين في خاتمة الوسائط من النبيين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه.

والذي يهمنا في هذا المبحث هو بيان نظرتهم -عموما- لهؤلاء الأئمة، والوسائط عندهم تلك النظرة التي ميزت الرافضة بين الطوائف والفرق بالغلو الزائد، والتقديس المرفوض شرعا للمخلوقين، وفيما يلي إجمال لنظرتهم لأئمتهم ووسائطهم.

١- زعمهم أن الأئمة خلقوا من نور:

يقول الخميني -مدعيا أن النبي ﷺ والأئمة خلقوا من نور، وأنهم سبقوا الكون في الوجود: (...فإن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، والأئمة رحمهم الله كانوا قبل هذا العالم أنوارا فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة،

---

(١) انظر ص٤١.

(٢) انظر ص٥٣٦.

(٣) وهولاء الأئمة عند الاثني عشرية هم: المرتضى، والمجتبى، والشهيد، والسجاد، والباقر، والصادق، والكاظم، والرضا، والتقي، والنقي، والزكي، والحجة القائم المنتظر -بزعمهم- انظر الملل والنحل١/١٧٣، والأئمة الاثنا عشر لابن طولون ص٤١.

والزلفى مالا يعلمه إلا الله)[1].

ووردت روايات كثيرة في الكافي تثبت أن الأئمة خلقوا من نور[2]. وروى الكليني عن أبي عبد الله رحمه الله أنه خطب يوما فقال: (إن الله تبارك وتعالى نصب الإمام علما لخلقه، وجعله حجة على أهل مواده، وعالمه، وألبسه الله تاج الوقار، وغشاه من نور الجبار بسبب إلى السماء لا ينقطع عنه مواده، ولا ينال ما عند الله إلا بجهة أسبابه، ولا يقبل الله أعمال العباد إلا بمعرفته، فلم يزل الله تبارك وتعالى يختارهم لخلقه من ولد الحسين رضي الله عنه من عقب كل إمام، يصطفيهم لذلك ويجتبيهم، ويرضى بهم لخلقه، ويرتضيهم، كلما مضى منهم إمام نصب لخلقه من عقبه إماما، علما بينا، وهاديا نيرا، وإماما قيما، وحجة عالما، أئمة من الله يهدون بالحق وبه يعدلون، حجج الله، ودعاته، ورعاته على خلقه، يدين بهديهم العباد، وتستهل بنورهم البلاد....فالإمام هو المنتخب المرتضى، والهادي المنتجى[3]، والقائم المرتجى، اصطفاه الله بذلك، واصطنعه على عينه في الذر حين ذرأه، وفي البرية حين برأه)[4].

والأئمة سبقوا آدم في الوجود؛ لأنهم كانوا يدورون حول العرش قبل خلق آدم يعلمون الملائكة التسبيح، والتهليل. رووا عن الحسين بن علي السبط رضي الله عنهما أنه سئل: أي شيء كنتم قبل أن يخلق الله آدم عليه السلام؟ فقال: (كنا أشباح نور ندور حول عرش الرحمن، فنعلم الملائكة التسبيح، والتهليل، والتحميد)[5].

---

(١) الحكومة الإسلامية ص٥٢.

(٢) انظر تلك الروايات، والرد على المؤمنين بها في كسر الصنم لآية الله البرقعي ص٢٧١.

(٣) في حاشية الكافي ١/٢٠٤ أي صاحب السر.

(٤) الكافي ١/٢٠٤.

(٥) علل الشرائع للصدوق ص٢٣.

٢- زعمهم أن الجزء الإلهي حل في الأئمة:

تدعي الرافضة لإثبات غلوها في الأئمة أن جزءا من النور الإلهي حل في علي ﷺ والأئمة من بنيه رحمهم الله، فمن رواياتهم في ذلك أن أبا عبد الله قال: (ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا)[١]، وفي رواية أخرى عنه قال: (...ولكن الله خلطنا بنفسه)[٢].

وورد عن غلاتهم أن الله خلق روح علي، وأولاده وفوض العالم إليهم فخلقوا هم الأرضين والسموات، قالوا: من أجل ذلك نقول في الركوع: سبحان ربي العظيم، وفي السجود: سبحان ربي الأعلى؛ لأن الإله الأعلى هو علي وأولاده، وأما الإله الأعظم فهو الذي فوض إليهم العالم[٣].

وبين الشهرستاني أن غلاة الشيعة غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود المخلوقية وحكموا فيهم بأحكام الإلهية، وربما شبهوا واحدا من الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق، وأنهم على طرفي الغلو، والتقصير[٤].

وتلتقي نظرة الرافضة لعلي ﷺ والأئمة من ذريته مع أقوال النصارى في عيسى بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام حيث جعلوه ابنا لله تعالى، وادعوا فيه الإلهية[٥].

وقد فطن لهذا الغلو بعض المستشرقين، فقال: (إن الشيعة إنما يخلعون على الأئمة

---

(١) أصول الكافي ٤٤٠/١.

(٢) المرجع نفسه ٤٤١/١.

(٣) **انظر** اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص٥٧، والصلة بين التصوف والتشيع للشيبي ٤٠١/١.

(٤) **انظر** الملل والنحل ١٧٣/١، واليمانيات المسلولة ص١٦٠، والغلو في الدين لعلي الشبل ص٧٦، ومقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها لجابر بن إدريس رسالة دكتوراه غير منشورة ص١٥٢.

(٥) **انظر** الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص٣٠٤، ومختصر التحفة الاثني عشرية ص١٠٠.

صفات الله تعالى)[1].

وقال آخر: (إن نبي الإسلام كان قد جعل الوحي -أي القرآن- واسطة بين الله، والإنسان؛ ولكن الشيعة حولوا هذه الواسطة إلى شكل الإنسان، يعني الإمام، ولقد زاد الشيعة في كلمة الإيمان...كلمة أخرى، وهي: إنني آمنت بالإمام الذي اختاره الله تعالى، وهو يشارك صفات الألوهية، وهو منقذ للإنسانية)[2].

وفرقة السبئية[3] التي تفرع عنها باقي الغلاة من الرافضة تؤمن بألوهية علي ﷺ وتزعم أنه لم يمت، وسيرجع، وإنما قتل ابن ملجم[4] شيطانا تصور بصورته، وإنه في السحاب، والرعد صوته، والبرق سوطه، وعند سماع الرعد يقولون: عليك السلام يا أمير المؤمنين[5].

(١) صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة لأبي الحسن الندوي ص٧٨، **وانظر** الشيعة في الميزان للدكتور محمد يوسف النجرامي ص٥٥.

(٢) صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة لأبي الحسن الندوي ص٧٨، **وانظر** العقيدة والشريعة في الإسلام لجولد تسيهر ص١٨٢.

(٣) نسبة إلى مؤسسها اليهودي عبد الله بن سبأ، ويقال له: ابن السوداء من غلاة الزنادقة كان يهوديا فتظاهر بالإسلام ليخرق صفوف المسلمين فاندس في الشيعة وسرت سمومه بين الرافضة هلك عام ٤٠هـ **انظر** عنه وعن السبئية فرق الشيعة للنوبختي ص٢٢، والمقالات والفرق للقمي ص١٩، والشيعة في التاريخ ص٣٨، والبدء والتاريخ١٢٩/٥، ومعرفة أخبار الرجال للكشي ص٧٠، وتهذيب تاريخ ابن عساكر٤٢٨/٧، ومقالات الإسلاميين٨٦/١، والملل والنحل١٧٤/١، ومنهاج السنة النبوية٤/٢ **وانظر** محاضرة بعنوان: (عبد الله بن سبأ حقيقة لا خيال) للدكتور سعدي الهاشمي ضمن كتاب محاضرات الجامعة الإسلامية في موسمها الثقافي عام ٩٨-١٣٩٩هـ ص ٢٠١.

(٤) هو عبد الرحمن بن ملجم بفتح الجيم المرادي التدؤلي الحميري أدرك خلافة عمر ﷺ قرأ على معاذ بن جبل، وكان من شيعة علي قد شهد معه صفين ثم خرج عليه، قتل في اليوم الثالث لمقتل علي ﷺ سنة ٤٠هـ **وانظر** ترجمته في الكامل في التاريخ لابن الأثير١٩٥/٣، ومروج الذهب للمسعودي٤٥٧/٢، وتاريخ ابن خلدون٦٤٥/٢، وفرق الشيعة ص٢٠.

(٥) **انظر** الملل والنحل١٧٤/١، والبرهان في عقائد أهل الأديان للسكسكي ص٦٥، واليمانيات المسلولة ص١٦٧.

وقد سخر منهم أحد الشعراء بقوله[1]:-

برئت من الخوارج لست منهم — من الغزّال منهم وابن باب

ومن قوم إذا ذكــروا عـليا — يردون السلام على السحاب

٣- ادعاؤهم عصمة الأئمة:

ويرون أن أئمتهم معصومون من الكبائر، والصغائر مثل الأنبياء -عليهــم السـلام- تماما، حتى ما يقع منهم الخطأ على سبيل النسيان، والسهو، والتأويل من سن الطفولة إلى حين انتهاء الأجل[2].

يقول محمد رضا المظفر[3]: (ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصومـا مـن جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطـن مـن سـن الطفولـة إلى المـوت عمـدا وسهوا كما يجب أن يكون معصوما من السهو، والخطأ، والنسيان)[4].

ولعلنا نلمس أن أول رافضي قال بعصمة الأئمة هو هشـام بـن الحكـم الكـوفي[5]؛

---

(١) البيتان لإسحاق بن سويد العدوي انظر الفرق بين الفرق ص١١٩، والبيان والتبيـين للجـاحظ١/٢٣، والكامل للمبرد٢/١٤٢.

(٢) انظر بحار الأنوار٢٥/١٠٢، والحكومة الإسلامية ص١٩، والعقيـدة في أهـل البيـت بـين الإفـراط والتفريط ص٣٦٩.

(٣) هو محمد رضا بن محمـد بـن عبـد الله آل مظفر النجفي المتوفى سنة١٣٨٣هـ قـال عنه أغا بـرزك الطهراني: كان عالما جليلا، وأديبا معروفا وهو من أفاضل أهل العلم وأشـراف أهـل الفضـل، والأدب ساهم في الحركة الفكرية في النجف.

انظر نقباء البشر في القرن الرابع عشر٢/٧٧٢.

(٤) عقائد الإمامية ص١٠٤، وانظر الرد عليه في بطلان عقائد الشيعة للتونسوي ص٢٣.

(٥) هو أبو محمد هشام بن الحكم مولى كندة أصله من الكوفـة، ومولـده ومنشـأه بواسـط، كـانت تجارتـه ببغداد في الكرخ، هلك أيام نكبة البرامكة مستترا بالكوفة عام ١٩٠هـ وقيل غير ذلك. وذكـر الكشـي أنه كان على مذهب الجهمية، ثم رجع عنه إلى مذهب غلاة الرافضة، وصار من متكلميهم، أعاذنا الله من حاليه. انظر الفهرست ص٢٢٣، ومعرفة أخبار الرجـال ص١٦٥، وسمـط الـلآلي في شـرح أمـالي القالي للوزير البكري٢/٨٥٥، والبدء والتاريخ٥/١٣٢.

حيث رأى بوصفه متكلما أن الإمام أحوج إلى العصمة من النبي؛ لأن الثاني يوحى إليه فيسدده الله، وأما الأول فلا يوحى إليه؛ ولذلك احتاج إلى العصمة[1]!!

وأدى القول بعصمة الأئمة -عند الرافضة- أن ظهرت طريقة صوفية قريبة الصلة بالتشيع، ألا وهي الطريقة البكتاشية وهي تطرد القول بعصمة جميع الأطفال، فبالإضافة إلى أن أصحاب هذه الطريقة يعتقدون عصمة الأئمة الاثني عشر عند الإمامية -مع النبي ﷺ- وفاطمة، وخديجة رضي الله عنهما فإنهم يعتقدون عصمة أربعة عشر آخرين تنفرد بهم هذه الطريقة ويعتبرون الإقرار لهم بهذه الصفة شرطا لا يتم تخرج الدرويش إلا به؛ بل زعموا أن كل الأطفال -عندهم- معصومون؛ لأن ما يرتكبونه لا يعتبر كذلك لقصورهم عن الإدراك[2].

٤- زعمهم أن الوحي ينزل على الأئمة[3]:

يزعمون أن الأئمة يرون الملائكة وأنها تأتيهم بالوحي، وهناك ملك اسمه الروح أعظم خلقا من الملائكة مختص بالنزول على الأئمة[4] ويتأولون عليه قوله تعالى: ﴿**تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر**﴾[5]. وهناك ملك كان ينزل بالوحي بعد رسول الله ﷺ على فاطمة الزهراء رضي الله عنها وكاتب هذا الوحي هو علي رضي الله عنه، ولم يزل هذا الملك يأتيها بالوحي حتى اكتمل مصحف فاطمة رضي الله عنها[6]. ومع اعتقاد نزول الملائكة على الأئمة فإن مصنفيهم وعلمائهم المعتبرين

---

(١) **انظر** مقالات الإسلاميين ١/١٢١، والصلة بين التصوف والتشيع للشيبي ١/٤١٤.

(٢) **انظر** الصلة بين التصوف والتشيع ٢/٣٤٣.

(٣) راجع المبحث السابق (عقيدة الرافضة في الملائكة الكرام -عليهم السلام-).

(٤) **انظر** الكافي ١/٢٨٣، ومقالات الإسلاميين ١/١٢٣.

(٥) سورة القدر الآية ٤.

(٦) **انظر** الكافي ١/١٣٨، ومسألة التقريب ١/٢٤٦، والشيعة وتحريف القرآن لمحمد مال الله ص١٧، وموقف الرافضة من القرآن الكريم لمامادو كارامبيري رسالة ماجستير غير منشورة ص٣٠.

من قال: (إن من يدعي الوحي للإمام قد خرج عن الإسلام)[1].

وتتحدث بعض رواياتهم عن أنواع الوحي الذي يحصل للأئمة، فتقول: قال جعفر الصادق رحمه الله: (إن منا لمن ينكت في أذنه، وإن منا لمن يؤتى في منامه، وإن منا لمن يسمع صوت السلسلة تقع على الطشت[2]، وإن منا لمن تأتيه صورة أعظم من جبريل وميكائيل)[3].

والمقصود أن ادعاءهم نزول الوحي على الأئمة، ونزول مصحف فاطمة رضي الله عنها أن ذلك كله (أداة -عندهم- لاستطلاع ما يحدث في هذا الكون، ولو كان شيء من ذلك لتغير وجه التاريخ، ولما حصل للأئمة ما حصل مما تصوره كتب الشيعة من المحن، ولما غاب منتظرهم، واختفى خوفا من القتل، ولما كان للتقية أدنى حاجة؛ إذ بمعرفة أسباب وقوع المكروه يتقون المكروه، وبمعرفة أسباب المرغوب، والمحبوب يفوزون بالمحبوب)[4].

٥- توسل الأنبياء بالأئمة:

لما كان غلو الرافضة في الأئمة غلوا لا حدود له كما تقدم فإن من اليسير عليهم أن يفضلوهم على أنبياء الله تعالى ورسله[5]، وعلى الملائكة المقربين[6]، ومن صور ذلك التفضيل، والغلو الفاحش زعمهم أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يتوسلون

---

(١) كسر الصنم ص١٧٥، وهذا قول شيخهم المفيد.

(٢) هكذا في رواياتهم (الطشت) بالشين المعجمة، ووجدت بعض الباحثين يخطئهم فيها بينما وجدت في القاموس المحيط١/١٥٨ مادة (الطشت) أنه بالسين المهملة، وحكي بالشين المعجمة أيضا.

(٣) بحار الأنوار٢٦/٣٥٨، **وانظر** بصائر الدرجات الكبرى للصفار ص٦٣، وكشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار للسيد حسين الموسوي ص٧٦.

(٤) أصول مذهب الشيعة٢/٧١٦.

(٥) وذكروا في كتب تراجمهم أن المدعو هاشم البحراني صنف كتاب تفضيل الأئمة على الأنبياء. **انظر** روضات الجنات ص١٨١.

(٦) **انظر** مقالات الإسلاميين١/١٢٠، والعقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ص٣٧٥.

بالأئمة رغم تأخر الأئمة عن زمان الأنبياء، فمن رواياتهم في ذلك: أن أبا عبد الله قال: (والله ما استوجب آدم أن يخلقه الله بيده، وينفخ فيه من روحه إلا بولاية علي ﷺ وما كلم الله موسى تكليما إلا بولاية علي ﷺ ولا أقام الله عيسى ابن مريم آية للعالمين إلا بالخضوع لعلي ثم قال: أجمل الأمر: ما استأهل خلق من الله النظر إليه إلا بالعبودية لنا، وقال أمير المؤمنين: إن الله عرض ولايتي على أهل السموات، وعلى أهل الأرض أقر بها من أقر بها وأنكرها من أنكرها، أنكرها يونس فحبسه الله في بطن الحوت حتى أقر بها، وكذلك أيوب لما شك في ملك علي قال له الله: فوعزتي لأذيقنك من عذابي، أو تتوب إلي بالطاعة لأمير المؤمنين)[1].

وروا عن الرضا رحمه الله أنه قال: (لما أشرف نوح عليه السلام على الغرق دعا الله بحقنا فمنع الله عنه الغرق، ولما رمي إبراهيم في النار دعا الله بحقنا فجعل الله النار عليه بردا، وسلاما، وإن موسى لما ضرب طريقا في البحر دعا الله بحقنا، فجعله يبسا، وإن عيسى عليه السلام لما أراد اليهود قتله دعا الله بحقنا فنجي من القتل، فرفعه إليه)[2].

٦- جعل الأئمة نصب العين عند الصلاة:

ومن صور الغلو الذي تطفح به كتب القوم دعوتهم الصريحة إلى التعلق بهؤلاء الوسائط بزعمهم وربط القلوب بهم أكثر من التعلق بالله سبحانه وتعالى حتى عند القيام بشعيرة الصلاة لله عز وحل، وفي هذا المقام ينسبون إلى الرضا رحمه الله أنه كان يأمر الشيعي عند تكبيرة الإحرام بقوله: (تذكر رسول الله ﷺ واجعل واحدا من الأئمة نصب عينيك)[3][4].

---

(١) بحار الأنوار٢٦/٢٩٣.

(٢) بحار الأنوار٢٦/٣٢٥.

(٣) وسنرى فيما بعد أن هذا الاعتقاد ظهر أيضا عند الصوفية في صورة الواسطة البدعية عندهم في ⇐

ويقول الحافظ البرسي -وهو يخاطب الأئمة-[1]:-

وأنتمْ عند الصلاة قبلتي إذا وقفت نحوكم أُيَممُ

يا سادتي وِسَادتي أعتابكم بجفن عيني لثراها ألثمُ

منوا على الحافظ عند فضلكم واستنقذوه في غد فأنتمُ

٧- وللمختفي في السرداب نظرة خاصة:

فكلما ورد ذكره يضعون أيديهم على رؤوسهم تعظيما له[2]، ويزعمون أن الطفل إذا بكى من غير ألم، وإذا ضحك من غير عجب؛ فذلك بسبب الغائب المنتظر؛ لأن الطفل إذا رأى الإمام المنتظر فإنه يضحك معه ويناجيه؛ وإذا اختفى عنه وغاب بكى الطفل لتلك الغيبة[3].

ورأيت بعض متأخري الرافضة يؤقت لخروج الغائب المنتظر، وذلك حسب زعمه إذا تطابق عيد النيروز مع يوم عاشرواء، ويتم ذلك كل ٣٦ سنة، ومن المتوقع أن يتفقا عام ٢٠٠٢م -بزعمهم- فيكون خروج المهدي[4] الخرافة، والخيال.

ومن أدعيتهم: (يا محمد، يا علي، يا علي، يا محمد اكفياني فإنكما كافيان، وانصراني فإنكما ناصران، يا مولانا، يا صاحب الزمان الغوث، الغوث أدركني، أدركني، أدركني، الساعة، الساعة، العجل، العجل، العجل، يا أرحم

الأموات. **انظر** ص٦٨٧.

(٤) الصلة بين التصوف والتشيع للشيبي١/٤٦٥، **وانظر** الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري للشيبي ص٣٥.

(١) **انظر** مشارق أنوار اليقين ص٢٢٩.

(٢) **انظر** صراط النجاة للخوئي ص٤٦٥.

(٣) **انظر** علل الشرائع لابن بابويه الصدوق ص٥٨٤.

(٤) **انظر** صراط النجاة ص٤٦٤، والشيعة وأهل البيت لإحسان إلهي ظهير ص٢٤٤.

الراحمين، بحق محمد وآله الطاهرين)[1].

وعموما فإن المهدي الواسطة يتعلقون به أكثر من غيره، والرافضي مشغول به دائما في سفره، وفي حضره، كما أنشدوا[2]:-

نزيلك ما حططت من الركاب وضيفك حيث كنت من البلاد

٨- الحج إلى مشاهد الأئمة:

ويرون أن الحج إلى قبور الأئمة، ومشاهدهم، والصلاة عندها، والتوسل، والاستشفاع بهم ذلك عندهم أفضل من الحج إلى بيت الله الحرام[3] حتى ألف بعض شيوخهم في ذلك كتابا وسماه: "مناسك حج المشاهد"[4]، ويزعمون أن كربلاء[5] التي بها مراقد الأئمة أصبحت بتلك المشاهد أعلى رتبة؛ حتى من الكعبة المشرفة، ومن كلامهم في ذلك قول شاعرهم[6]:-

ومن حديث كربلا والكعبة لكربلا بان علو الرتبة

وغيرها من سائر المشاهد أمثالها بالنقل ذي الشواهد

ونقل أبو المعالي الآلوسي عن والده أن الرافضة عند زيارتهم للأئمة في قبورهم ينادي أحدهم عند الباب إذا وصل المشهد: أأدخل يا أمير المؤمنين؟ أو يا ابن بنت رسول الله صلى الله وآله وسلم؟ أو نحو ذلك، ويزعمون أن علامة الإذن التي يعرفها الزائر أن يشعر برقة في قلبه، ويرى دمعة تسيل من عينه، وهذه الصفة في الزيارة

---

(١) كليات مفاتيح الجنان ص١١٦ لعباس القمي.

(٢) **انظر** المرجع نفسه ص٩٧.

(٣) **انظر** كشف الأسرار للخميني ص١١، ومسألة التقريب ١/٣٠٢.

(٤) **انظر** تلخيص كتاب الاستغاثة ١/١٦٦.

(٥) كربلاء: الموضع الذي قتل فيه الحسين بن علي رضي الله عنهما -في طرف البرية عند الكوفة. **انظر** معجم البلدان ٤/٤٤٤.

(٦) **انظر** كليات مفاتيح الجنان ص٣٠٩.

انتقلت بهيئتها وشرائطها إلى الصوفية[1].

ويرون أن زيارة قبر الحسين ﷺ أفضل ما يكون من الأعمال، وأن الملائكة تقابل زواره، وتناجيهم، وتبلغهم سلام الله عليهم[2]، ولم يكتفوا بهذا القدر من الكذب، ومجاوزة الحد في الغلو، بل زعموا أن الله تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا يزور قبر علي ﷺ.

تقول أخبارهم: إن أحد الروافض قال: (دخلت المدينة فأتيت الصادق رحمه الله فقلت: جعلت فداك أتيتك، ولم أزر قبر أمير المؤمنين، قال: بئس ما صنعت؛ لولا أنك من شيعتنا ما نظرت إليك؛ ألا تزور من يزوره الله تعالى مع الملائكة، ويزوره الأنبياء مع المؤمنين!!)[3].

وكل هذه الخرافات تستسيغها عقول الرافضة التي تعيش في تيه مظلم من الجهل، وحالة مزرية من الضياع[4]، ويدعون أن إجابة الدعاء عند قبور الأئمة متحققة.

وفي ذلك قال شاعرهم -وهو يوصي بالالتصاق بالقبور والصلاة خلف المقبورين[5]:-

وراع فيهن اقتراب الرمس	وآثر الصلاة عند الرأس
وصل خلف القبر فالصحيح	كغيره في ندبها صريح
والفرق بين هذه القبور	وغيرها كالنور فوق الطور
فالسعي للصلاة عندها ندب	وقربها بل اللصوق قد طلب

(١) **انظر** كليات مفاتيح الجنان ص ٣١١، وغاية الأماني٢/٣١٤.

(٢) **انظر** بحار الأنوار١٠١/٤٩.

(٣) دائرة المعارف للأعلمي الشيعي١/١٨٩.

(٤) **انظر** بروتوكولات آيات قم للدكتور عبد الله الغفاري ص١٣٠.

(٥) **انظر** كليات مفاتيح الجنان ص٣٠٩.

وقال آخر في مشهد أحد الأئمة[1]:-

وما بدا من بركات مشهده في كل يوم أمسه مثل غده

وكشفا الغُمي والمرضى به إجابة الدعاء في أعتابه

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الرافضة تتخذ قبور أئمتهم أوثانا تعبد فجرهم ذلك إلى الاستهزاء بما هو من توحيد الله تعالى وعبادته وتراهم يعظمون هؤلاء الذين اتخذوهم وسائط وشفعاء من دون الله (حتى إن طوائف منهم يستخفون بحج البيت وبمن يحج البيت، ويرون أن زيارة أئمتهم، وشيوخهم أفضل من حج البيت، وهذا موجود في الشيعة المنتسبين إلى السنة، وآخرون يستخفون بالمساجد، وبالصلوات الخمس فيها، ويرون أن دعاء شيخهم أفضل من هذا، وهذا موجود في الشيعة...حتى ينشدون:-

تعالوا نخرب الجامع ونجعل فيه خمّاره

ونكسر خشب المنبر ونجعل منه طنباره[2]

ويحلف أحدهم اليمين الغموس كاذبا، ولا يجترئ أن يحلف بشيخه اليمين الغموس كاذبا، ومنهم من يقول: كل رزق لا يرزقه إياه شيخه لا يريده، ومنهم من يذبح الشاة، ويقول: باسم سيدي، ومنهم من يقول: إن شيخه أفضل من الأنبياء، والمرسلين، ومنهم من يعتقد فيه الإلهية كما تعتقده النصارى في المسيح...ويقولون: نحن غلمان الملك، وبسمون المسجد اصطبل البطالين، ويقرأون: وما أرسلناك إلا رحمة للمدمنين، وألوان من هذا الجنس الذي فيه استهزاء بالله، وآياته، ورسوله مع

(١) **انظر** المرجع نفسه ص١٥٠.

(٢) الطنباره لعلها آلة العود، قال صاحب القاموس المحيط: الطنبار بالكسر معرب شبه بألية الحمل، **انظر**٢/٨١ مادة (الطنبور).

تعظيمهم شيخهم، وغلوهم فيه، وكذلك النصيرية[1]، والإسماعيلية[2]، ونحوهم وكثير من طوائف متعددة يرى أحدهم أن استغاثته بالشيخ الميت إما عند قبره وإما عند قبر غيره أنفع له من أن يدعو الله تعالى في المسجد عند السحر، ويستهزئ بمن يعدل عن طريقته إلى التوحيد)[3].

٩- (من عرف الإمام فليصنع ما شاء)[4]:

هذه قاعدة من قواعد الغلو في أئمتهم، وصورة من صور الزندقة التي تطفح بها كتبهم، وقال بعض غلاتهم أيضا: (الرسالة لا تنقطع أبدا[5]، وإن الجنة رجل أمرنا بموالاته، والفرائض أيضا رجال كذلك، والنار رجل أمرنا بمعاداته، والمحرمات أيضا رجال كذلك)[6].

قال الشهرستاني: (وإنما مقصودهم من حمل الفرائض، والمحرمات، والجنة، والنار على أسماء رجال هو أن من ظفر بذلك الرجل، وعرفه فقد سقط عنه التكليف؛ إذ قد وصل إلى الجنة، وبلغ الكمال)[7].

---

(١) نسبة إلى المبتدع محمد بن نصير النميري، ولذلك قد يطلق عليها أيضا النميرية. **انظر** في شأنها: فرق الشيعة ص٩٤، والمقالات والفرق ص١٠٠، والأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري٢/٢٤١، والملل والنحل١/١٨٨، ومختصر التحفة الاثني عشرية ص١٤، وفي حاشية هذه الصفحة علق محب الدين الخطيب رحمه الله بقوله: (ولهذه الطائفة بقية في ديار الشام بين حمص واللاذقية، وحلب، ويتسمون الآن "العلويين") **انظر** اليمانيات المسلولة ص١٨٩، والشيعة والتشيع لإحسان إلهي ظهير ص٢٢٥.

(٢) سبق التعريف بها. **انظر ص٦٣٥** .

(٣) تلخيص كتاب الاستغاثة٢/٦٧٠.

(٤) فرق الشيعة للنوبختي ص٣٢، والأنوار النعمانية٢/٣٤، ومقالات الإسلاميين١/١٢٢.

(٥) وسنرى أن هذا الاعتقاد تسرب إلى الصوفية. **انظر ص٨٠٧** .

(٦) الملل والنحل١/١٤٧، **وانظر** اليمانيات المسلولة ص١٧٣.

(٧) الملل والنحل١/١٤٧.

وقال بعض الغلاة من فرقهم أيضا: (الدين طاعة رجل)[1].

وقد علق الشهرستاني على هذه القاعدة الخطيرة التي تحصر الدين في طاعة الواسطة بقوله: (ومن اعتقد أن الدين طاعة رجل، ولا رجل له، فلا دين له نعوذ بالله من الحيرة، والحور بعد الكور)[2][3].

١٠- يزعمون أن الميت يعاين الأئمة عند الاحتضار[4]:

ومن ادعاءاتهم في هذا الباب أن المحتضر يعاين الأئمة عند الموت، فيروون عن أبي عبد الله رحمه الله أنه قال: (لا يموت موال لنا مبغض لأعدائنا إلا ويحضره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين، والحسن، والحسين رضي الله عنهم فيرونه، ويبشرونه، وإن كان غير موال لنا يراهم بحيث يسوءه، والدليل على ذلك قول أمير المؤمنين ﷺ:

يا حَارِ همدان من يمتْ يرني   من مؤمن أو منافقٍ قِبَلَا[5])

ويزعمون أن رؤيا الأئمة المنامية وحي في الحقيقة؛ كما هو الحال في رؤيا الأنبياء عليهم السلام؛ لأن منامات الأئمة جارية مجرى الوحي، ولا تكون إلا حقا، وصدقا[6]، ويبشرون من رأى الأئمة في منامه بالبشرى؛ لأنه قد رآهم على الحقيقة

---

(١) الملل والنحل١/١٤٧. **وانظر** الصلة بين التصوف والتشيع للشيبي١/٣٩٣.

(٢) الحور: النقص، والرجوع، والكور: الزيادة من كار العمامة: أي لاثها، وكل (دور كور).
انظر مختار الصحاح ص١٦١، ولسان العرب٥/١٥٥.
والمعنى: نعوذ بالله من النقصان بعد الزيادة والاستقامة، وقد روي عن النبي ﷺ أنه كان يتعوذ من الحور بعد الكور. **انظر** لسان العرب٥/١٥٥.

(٣) الملل والنحل١/١٤٧.

(٤) وسنرى في الفصل الآتي أن الصوفية تزعم أن المريد يعاين شيخه ساعة الاحتضار. **انظر** ص٧١٥.

(٥) حياة الأرواح للاستربادي نقلا عن دائرة المعارف للأعلمي الشيعي٧/٩٤.

(٦) **انظر** دائرة المعارف للأعلمي الشيعي٦/١٤٢.

مساواة بمن رأى خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم[1].

١١ - شفاعة الأئمة يوم القيامة:

يرى بعض الروافض أن رسول الله ﷺ يشفع يوم القيامة لجماعة من مرتكبي الكبائر من أمته، وأن عليا رضي الله عنه يشفع في أصحاب الذنوب من شيعته، وأن الأئمة من آل محمد ﷺ يشفعون كذلك وينجي الله بشفاعتهم كثيرا من الخاطئين[2].

ويروون أيضا عن علي رضي الله عنه أنه قال: إن للجنة ثمانية أبواب: باب يدخل منه النبيون، وباب يدخل منه الصديقون، وباب يدخل منه الشهداء، والصالحون، وأما الخمسة الباقية فيدخل منها شيعتنا، ومحبونا، فلا أزال واقفا على الصراط، أدعو، فأقول: رب سلم شيعتي، ومحبي، وأنصاري، ومن تولاني في الدنيا، حتى يأتي النداء من قبل العرش: قد أجبت دعوتك، وشُفِّعْتَ في شيعتك[3].

ويعلل الدكتور الشيبي الشيعي لادعاء الرافضة أن الأئمة يشفعون شفاعة تضارع وتضاهي شفاعة خاتم النبيين ﷺ بقوله: (وذلك آت من أن عليا وأولاده من الأئمة ماهم إلا استمرار للنبي، وأن عصمتهم وسموهم الروحي هما اللذان بوآهم هذا المقام، ومن هنا يروى عن محمد الباقر وجعفر الصادق قولهما: والله لنشفعن، والله لنشفعن، والله لنشفعن في المذنبين من شيعتنا حتى يقول أعداؤنا إذا رأوا ذلك فمالنا من شافعين!)[4].

وهذا ما شجع أحد المستشرقين أن يقول: (إن الوساطة والشفاعة تتجاوز

---

(١) انظر صراط النجاة للخوئي ص٤٦٨.

(٢) انظر أوائل المقالات للمفيد ص٤٧، نقلا عن الصلة بين التصوف والتشيع للشيبي/١/ ٤٠١.

(٣) انظر دائرة المعارف٧/١٢٤، والحياة الآخرة للدكتور علي العواجي١/٣٥٩.

(٤) الصلة بين التصوف والتشيع١/٤٢٨.

حدودها وعلى الأخص بالنسبة إلى الحسين)[1].

وعموما فإن هذه الأقوال التي مر ذكرها في بيان نظرة الرافضة لأئمتهم يجمعها أمر واحد، ألا وهو الغلو الزائد في حق الأئمة، ذلك الغلو الذي تطرف كثيرا حتى خرج عن دائرة المدح، ودخل في دائرة القدح، والتنقيص لهؤلاء الأجلة رحمهم الله، ولنستمع إلى قول الحافظ البرسي وهو يخاطب عليا رضي الله عنه[2]:-

أنت المعاد لدى المعاد وأنت لي — إن ضاق بي رحب البلاد الفاسح

وإلى قوله[3]:-

أنت الصراط المستقيـــ — م قسيم جنات الأرائك

والنار مفزعها إليـــــ — ك وأنت مالك أمر مالك

ويقول آخر -واصفا عليا رضي الله عنه بالربوبية والعياذ بالله[4]:-

تقبلت أفعال الربوبية التي — عذرت بها من شك أنك مربوب

وقال آخر وهو من المتأخرين يخاطب عليا رضي الله عنه[5]:-

أبا حسن أنت عين الإله — وعنوان قدرته الساميه

وأنت المحيط بعلم الغيوب — فهل تعزب عنك من خافيه

وأنت مدير رحى الكائنات — ولك أبحارها الساميه

لك الأمر إن شئت تحيي غدا — وإن شئت تسفع بالناصيه

وجملة القول: في نظرة الرافضة لأئمتهم، ووسائطهم أقول: إن كل رافضي سواء

---

(١) عقيدة الشيعة لهحرونيه ص٥٣٥ نقلا عن الصلة بين التصوف والتشيع ١/٤٢٨.

(٢) **انظر** مشارق أنوار اليقين ص٢٢٩.

(٣) **انظر** المرجع نفسه ص٢٣٩.

(٤) **انظر** المرجع بعينه ص٤٠، **وانظر** نماذج من تلك الأشعار الغالية في تبديد الظلام للجبهان ص٣٧.

(٥) هذه الأبيات لشيخهم المتأخر إبراهيم العاملي. **انظر** كتاب "من عقائد الشيعة" لعبد الله بن محمد السلفي ص٢٦.

كان عالما، أو عاميا فإنه سوف يعصب عينيه بعصابة سوداء، ثم يقول في الواسطة من الأئمة ما يشاء؛ لأن مذهبهم أسس بنيانه على الغلو الزائد في الإمام، والنظرة الخرافية البعيدة عن الحقيقة والواقع لمسألة الإمامة.

ولعلنا ندرك بعد هذه النقول سبب ادعاء الرافضة أن الأئمة هم الواسطة بين الله والناس، وأنه لا خير إلا خيرهم، ولا فيض يصل إلى أحد من الناس إلا بواسطتهم. ويكفي لتأييد ما قدمناه من مناحي الغلو، والخرافات التي نسجتها الرافضة حول الأئمة؛ لادعاء وساطتهم يكفي أن نشير إلى بعض العناوين التي بوب بها الكليني بعض أبواب كتابه "الكافي"[1] حيث يقول: (كتاب الحجة -باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة، والأنبياء، والرسل صلوات الله وسلامه عليهم)[2]، (باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم)[3]، (باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء)[4]، (باب أن الأرض كلها للإمام)[5].

ويستخلص المستشرق جولد تسيهر الحكم على تصور الرافضة لأئمتهم بأنه يبدو أن هذه المبالغات الشيعية في تجسيد الجوهر الإلهي في أئمة أهل البيت قد أفسح المجال في هذه البيئات إلى ظهور عقائد، وتصورات موغلة في التشبيه، والتجسيم، فالشيعة كانت على وجه الدقة، البيئة التي نبتت فيها جراثيم السخافات التي حاولت القضاء على نظرية الألوهية في الإسلام[6].

---

(١) واعلم أن هذا الكتاب مقدس عندهم وهو بمنزلة صحيح البخاري عند أهل السنة والجماعة.

(٢) الكافي ١/٢٥٥.

(٣) المرجع نفسه ١/٢٥٨.

(٤) الكافي ١/٢٦٠.

(٥) المرجع نفسه ١/٤٠٧.

(٦) **انظر** العقيدة والشريعة في الإسلام ص١٨٥.

ولعل من نافلة القول أن نذكر أن أئمة أهل البيت رحمهم الله بريئون من هذا الغلو الفاحش، والتنقيص المشين الذي تدعيه الرافضة فيهم، وأن أقوالهم في التبرؤ من هذه الادعاءات، والرد على أقوال الغلاة فيهم كثيرة، سنأتي على بعضها في بيان شبهات الرافضة، والرد عليها، وذلك في المبحث الآتي.

المبحث الرابع: بيان شبهات الرافضة والرد عليها.

إذا تقرر أن الواسطة بين ا لله وخلقه عند الرافضة هم الأئمة من أهل البيت رحمهم ا لله تعالى كما مر معنا[1] ورأينا كيف يجيزون التعلق بالأئمة، والتوسل بهم ودعاء ا لله تعالى بهم تارة، وتارة أخرى يدعون بكل صراحة إلى الاستغناء بالأئمة والاستغاثة بهم، والاستمداد منهم؟

إذا تقرر ذلك، فإن هذا المسلك المنحرف، والاعتقاد الفاسد في الأئمة رحمة ا لله عليهم سببه ركام من الشبهات الواهية التي تتمثل في روايات باطلة، وأخبار مختلقة ملأ بها مصنفو الرافضة كتبهم وتلقاها خلفهم عن سلفهم، وصغيرهم عن كبيرهم بالقبول، والتسليم، وتراهم يدافعون عنها دفاع المستميت،وهي أوهى من بيت العنكبوت رغم أنها خالفت جميع الشرائع، والعادات، وأنكرتها عقول جميع المخلوقات، والذي يهمنا في هذا المبحث هو بيان الشبهات التي تتعلق بالأئمة، واعتبارهم واسطة عند الرافضة.

١ – شبهة العصمة[2]:

إذا كان مذهب الشيعة عموما، والرافضة على الخصوص يقوم على قضية الإمامة، فإن مسألة عصمة الإمام من أكبر الشبهات، وأهم المسائل التي يقوم عليها دين الرافضة، وكيانهم العقدي[3].

يقول محمد باقر المجلسي: (إن أصحابنا الإمامية أجمعوا على عصمة الأئمة رحمهم ا لله من الذنوب الصغيرة، والكبيرة، عمدا، وخطأ، ونسيانا من وقت ولادتهم إلى أن

---

(١) **انظر** ص٤١ .

(٢) راجع أقوالهم في العصمة في المبحث السابق (نظرة الرافضة لأئمتهم ووسائطهم).

(٣) **انظر** أصول مذهب الشيعة٢/٩٤١، والإمامة عند الشيعة الاثني عشرية لجلال الدين صالح رسالة ماجستير غير منشورة ص٢٤٠.

يلقوا الله عز وجل)[1]. وقد تقدم معنا قول محمد رضا المظفر في العصمة[2].

ويستدلون على العصمة بقول الله تعالى:﴿**وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين**﴾[3]. حيث استدل بها صاحب بحار الأنوار[4]، وأصل الشيعة وأصولها[5] بأن المراد بالعهد في الآية الإمامة، ولا يناله إلا من كان معصوما من القبائح؛ لأن الله سبحانه وتعالى نفى أن ينال الإمامة ظالم، ومن ليس بمعصوم فهو لا محالة ظالم لنفسه، أو ظالم لغيره[6].

الرد عليهم:

إن تفسير السلف للعهد في الآية قيل المراد به النبوة، وقيل الإمامة، وقيل الأمان، وقيل المراد بالعهد الدين[7] فالآية ليست في مسألة الإمامة أصلا، كما هو قول أكثر أهل العلم، ومن فسر العهد بالإمامة قصد إمامة العلم، والصلاح، والقدوة الحسنة، لا الإمامة، والعصمة بالمفهوم الرافضي، ولو سلمنا -جدلا- بأن الآية في الإمامة فالاستدلال بها على القول بالعصمة أمر باطل؛ إذ لا يسلم أن غير الظالم معصوم، لا يخطئ، ولا يسهو[8].

واستدلوا أيضا بقول الله تعالى:﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**

---

(١) بحار الأنوار٢٥/٣٥٠.

(٢) **انظر** ص٦٠٠.

(٣) سورة البقرة الآية ١٢٤.

(٤) **انظر**٢٥/١٩١.

(٥) **انظر** ص٥٩.

(٦) مجمع البيان للطبرسي١/٢٠١ نقلا عن أصول مذهب الشيعة٢/٩٥٢، **وانظر** بحار الأنوار٢٥/١٩١.

(٧) **انظر** تفسير الطبري٢/٢٠، وتفسير البغوي١/١١٢، وتفسير ابن كثير١/١٤٧، وتفسير السعدي١/٦٥، وأضواء البيان١/٦٩.

(٨) **انظر** أصول مذهب الشيعة٢/٩٥٣.

وأولي الأمر منكم﴾[1] حيث يروون عن جابر الجعفي[6] أنه قال: (لما نزلت هذه الآية قلت: يا رسول الله، عرفنا الله ورسوله، فمن أولي الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال صلى الله عليه وسلم: خلفائي يا جابر، وأئمة ثبتت إمامتهم، وعصمتهم، واتفقت الأمة على علو مرتبتهم، ومنزلتهم)[2].

واستدلوا أيضا بقول الله تعالى:﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾**[3] قالوا: هذه الآية نزلت في أهل الكساء وهم: (النبي صلى الله عليه وسلم، وفاطمة، وعلي، والحسن، والحسين) ويؤخذ منها عصمتهم، وكون إجماع الأئمة بعدهم حجة[4].

الرد عليهم:

إن زوجات النبي ﷺ أمهات المؤمنين داخلات في الآية؛ لأنهن من أهل البيت، ولسن بمعصومات -اتفاقا- فكذلك بقية أهل البيت ليسوا معصومين[5]. (فالأمة معصومة بكتاب ربها، وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم، ولا تجمع الأمة على ضلالة، وعصمة الأمة مغنية عن عصمة الإمام، وهذا مما ذكره العلماء في حكمة عصمة الأمة. قالوا: لأن من كان من الأمم قبلنا كانوا إذا بدلوا دينهم بعث الله نبيا يبين الحق، وهذه الأمة لا نبي بعد نبيها، فكانت عصمتها تقوم مقام النبوة، فلا يمكن أحد منهم

(١) سورة النساء الآية ٥٩.

(٢) نقله السويدي عن يوسف الأوالي الرافضي في رده عليه. **انظر** الصارم الحديد في عنق صاحب سلاسل الحديد، تحقيق الدكتور فهد بن ضويان السحيمي رسالة دكتوراه غير منشورة ص٥١٩، **وانظر** الصواعق المحرقة للهيتمي ص٧٥.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٣.

(٤) **انظر** حديث الكساء بطوله وزيادات الرافضة فيه في كليات مفاتيح الجنان للقمي ص٦١٢، والصارم الحديد للسويدي ص٥١٨.

(٥) **انظر** الصواعق المحرقة للهيتمي ص٥٧.

(٦) هو أبو محمد جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي الكوفي تابعي من فقهاء الشيعة قال عنه الحافظ ابن حجر: ضعيف رافضي مات بالكوفة سنة ١٢٨ هـ. انظر الفهرست للطوسي ص٧٠، وميزان الاعتدال ١/٣٧٩ وتهذيب التهذيب ٢/٤٦.

أن يبدل شيئا من الدين إلا أقام الله من يبين خطأه فيما بدله)[1].

وكل من غلا في طائفة من الناس، أو شخصا من الأشخاص فطريقة الرد عليه: أن تذكر له من هو أعلى منه منزلة، وتبين له أن الأعلى منزلة لا يجوز الغلو فيه، فكيف يجوز الغلو في الأدنى؟! كما قال بعض الرافضة لشيخ من شيوخ أهل السنة: تقول مولانا أمير المؤمنين علي ما كان معصوما؟ فقال له السني: أبوبكر، وعمر-عندنا- أفضل منه، وما كانا معصومين، وهذا باب مطرد في الرد على أهل الغلو[2].

وذكر الشيخ صالح المقبلي[3] رحمه الله أنه جادل أحد علماء الرافضة في إيجابه العصمة للواسطة من الأئمة، فقال: (قلت لبعضهم: فهل المعصوم حاضر أبدا عند المكلف لكلما عرض عليه، كي يصونه عن الخطأ؟ قال: لا؛ بل لا بد من واسطة غير معصوم، قلت: فإذا ذلك مسلم، والمعصوم موجود هو النبي ﷺ ولم يدل هذا الدليل مع تسليمه إلا على معصوم واحد؛ لا على ثلاثة عشر معصوما!! فانقطع)[4].

وقد ذهب طوائف من غلاة الرافضة إلى وجوب القول بعصمة كل من يتعلق طرف من مصالح الإمامة به حتى طردوا ذلك في ساسة الدواب، والمستخدمين في الأمور المستحقرة، من الخدام، والعبيد، (ومن انتهى تجرؤه إلى هذا فقد كشف جلباب الحياء عن وجهه، وتعلق بما هو حري بأن يعد من السخرية، والهزء، والتلاعب بالدين..... وأقدار هؤلاء تقل عن الازدياد على هذا المبلغ في ذكر

(١) أصول مذهب الشيعة٢/٩٥٩، **وانظر** هذه نصيحتي إلى كل شيعي للشيخ أبي بكر الجزائري ص٢٩.

(٢) **انظر** تلخيص كتاب الاستغاثة٢/٤٦٦.

(٣) هو صالح بن المهدي بن علي بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن عبدالله بن سليمان بن أسعد المقبلي اليمني الزيدي، ولد بقرية المقبل باليمن سنة ١٠٤٧هـ، وقيل: غير ذلك، وانتقل إلى صنعاء، ثم سكن مكة المكرمة، اشتغل بالتفسير وعلوم الحديث، واللغة، والفقه، توفي بمكة سنة ١١٠٨هـ.

انظر: البدر الطالع١/٢٨٨، والأعلام٣/٢٨٣.

(٤) العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ ص٢٢٧.

قبائحهم، وبث فضائحهم)[1].

والحق أن إيجاب العصمة للأئمة من أكاذيب الرافضة على أهل البيت، وافتراءاتهم حيث لم يدل عليها دليل من كتاب، ولا سنة، ولا إجماع، ولا يوافقها عقل سليم، ولعل الذي دعاهم إلى القول بإيجاب العصمة للأئمة أنهم لما ادعوا فيهم ادعاءات باطلة، ولفقوا على ألسنتهم إجابات باطلة، وقَعَّدوا قواعد فاسدة، وأسندوها إليهم، لما فعلوا ذلك -ولا قبل لهم بالدليل- بادروا إلى القول بعصمتهم، حتى يكمموا الأفواه عن السؤال، ويعصبوا العيون عن رؤية الحق.

يقول محب الدين الخطيب: (إن الشيعة يدعون لأئمتهم الاثني عشر ما لا يدعيه هؤلاء لأنفسهم من علم الغيب، وأنهم فوق البشرية، وأيضا قد سجل الكليني نعوتا، وأوصافا للأئمة الاثني عشر رفعهم من منزلة البشر إلى منازل معبودات اليونان[2] في العصور الوثنية)[3].

ولعل ادعاء الرافضة العصمة للأئمة كان درجة صعدوا منها إلى القول بعد ذلك بكون الجزء الإلهي حل فيهم[4].

يقول ابن خلدون: وقد (تجاوزوا حد العقل، والإيمان في القول بألوهية هؤلاء الأئمة، إما على أنهم بشر اتصفوا بصفات الألوهية، أو أن الإله حل في ذاته البشرية، وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصارى في عيسى -صلوت الله عليه)[5].

---

(١) الغياثي لأبي المعالي الجويني ص٩٥.

(٢) هذا في اعتقاد اليونان، وإلا فهذه المعبودات ليس لها منازل؛ لأنها لا تملك نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا.

(٣) الخطوط العريضة ص١٥.

(٤) راجع نظرة الرافضة لأئمتهم ووسائطهم ص٩٦ من هذه الرسالة، وانظر العصمة عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية لعلي البار ماجستير غير منشورة ص٢٩٦.

(٥) مقدمة ابن خلدون ص١٩٢.

وبالجملة فلا عصمة لغير الأنبياء عليهم السلام.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وإنما يخالف في ذلك الغالية من الرافضة وأشباه الرافضة من الغالية في بعض المشايخ، ومن يعتقدون أنه من الأولياء، فالرافضة تزعم أن الاثني عشر معصومون من الخطأ، والذنب، ويرون هذا من أصول دينهم، والغالية في المشايخ قد يقولون: إن الولي محفوظ، والنبي معصوم، وكثير منهم إن لم يقل ذلك بلسانه فحاله حال من يرى أن الشيخ، والولي لا يخطئ، ولا يذنب، وقد بلغ بالطائفتين إلى أن يجعلوا بعض من غلوا فيه بمنزلة النبي، وأفضل منه، وإن زاد الأمر جعلوا له نوعا من الإلهية، وكل هذا من الضلالات الجاهلية المضاهية لضلالات النصرانية، فإن في النصارى من الغلو في المسيح، والأحبار، والرهبان ما ذمهم الله عليه في القرآن، وجعل ذلك عبرة لنا؛ لئلا نسلك سبيلهم)[1].

٢- شبهة الوحي:

تقدم معنا -سابقا- في بيان نظرة الرافضة لأئمتهم وسائطهم أنهم يدعون أن الوحي لم ينقطع عنهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن هناك كتبا إلهية اكتملت عن طريق هذا الوحي -المزعوم- فكانت خاصة بهم[2]، وهذه الدعوى شبيهة بادعاءات المتنبئين على مر العصور بأن الوحي يأتيهم، ويهذون بكلمات يعارضون بها القرآن الكريم، ولنأخذ هذه الرواية -مثالا لروايات الوحي الكثيرة عندهم- التي ينقلها الكليني عن مصحف فاطمة الزهراء رضي الله عنها -كما يزعمون- تقول الرواية: (إن الله تعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله وسلم - دخل على فاطمة من وفاته من الحزن مالا يعلمه إلا الله عز وجل، فأرسل الله إليها

(١) مجموع الفتاوى١١/٦٧.

(٢) انظر ص٦٠ من هذه الرسالة.

ملكا يسلي غمها، ويحدثها فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه، فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته بذلك، فجعل أمير المؤمنين رضي الله عنه يكتب كل ما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفا...أما إنه ليس فيه شيء من الحلال، والحرام؛ ولكن فيه علم ما يكون)[1].

وهذه الشبهة قد تضمنت أمورا في غاية الخطورة -كما يقول الدكتور ناصر القفاري- (منها: أن الوحي لم ينقطع، والنبوة لم تختم، وأن الأئمة بمنزلة الأنبياء، أو أعظم، فهم تتنزل عليهم الكتب المتعددة من السماء، وهذا ما لم يتحقق للرسول صلى الله عليه وسلم ومنها: تضليل الصحابة، والأئمة جميعا بأنها ردت الكتب المنزلة، وهذه الدعوى إحدى المعالم الواضحة على أن هذا المذهب قد ابتلي بشرذمة من الكذابين الذين لا يتورعون عن أي كذب، فهم كذبوا على رسول الله ﷺ بوضع الأحاديث ـ وكذبوا على الله سبحانه بوضع هذه الكتب!!)[2].

٣- شبهة النص على الأئمة:

ويدعون أن هؤلاء الوسائط من الأئمة -رحمهم الله- نزلت صحيفة من السماء فيها ذكر عددهم، وأسمائهم، وأوصافهم، ثم يؤكدون النص بقولهم: نص الرسول صلى الله وسلم على علي رضي الله عنه ونص علي على الإمام من بعده، وهكذا كان كل إمام ينص على الذي بعده.

يقول أحد أئمتهم: (نعتقد أن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان رسوله، أو لسان الإمام المنصوب بالنص إذا أراد أن ينص على الإمام من بعده، وحكمها في ذلك حكم النبوة بلا فراق)[3]، ولهذا جعل مصنف كتاب "

(١) أصول الكافي١/٢٤٠، وانظر بحار الأنوار٢٦/٤٤.

(٢) أصول مذهب الشيعة٢/٧٣٤.

(٣) عقائد الإمامية لمحمد رضا المظفر ص٦٠.

المعارف الحسينية" فصلا عنونه بقوله: (فصل في بيان ما ورد عن النبي ﷺ من تعيين عدد الأئمة، وذكره صلى الله عليه وسلم لأسمائهم، وأن المهدي هو الثاني عشر ابن الحسن العسكري)[1].

وهذه الشبهة امتداد لشبهة العصمة، فلما كانوا يعتقدون عصمة الأئمة، وتفضيلهم على الأنبياء، والملائكة عليهم السلام جرهم ذلك إلى القول بأنه لا يعقل أن يكون من هذه منزلته مجهولا لا يعرف بالوصف، والنص؛ لأن الإمامة -عندهم- صنو النبوة، أو أعظم، فمن لم يؤمن بهؤلاء الأئمة فهو أشد كفرا من اليهود، والنصارى[2]، وبلغ بهم الأمر في تكفير الأمة أن أعلنوا انفصالهم عن أمة الإسلام بسبب مسألة الإمامة، فقالوا: (لم نجتمع معهم على إله ولا نبي، ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد صلى الله عليه وسلم نبيه، وخليفته بعده أبوبكر، ونحن لا نقول بهذا الرب، ولا بذلك النبي؛ بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبوبكر ليس ربنا، ولا ذلك النبي نبينا!!)[3].

٤- قياسهم الإمامة على النبوة[4]:

تعتقد الرافضة العصمة في الأئمة بناء على أنهم خلفاء المعصوم، ويدعون أنهم أفضل من الأنبياء، والرسل بناء على أنهم أوصياء، ونواب لأفضل الأنبياء، والمرسلين، وبسبب هذه المعتقدات الغالية، والتصورات البعيدة عن الحق، والموغلة في الخرافة التي تصور بها الرافضة أئمة أهل البيت وتضفيها على الإمامة نجد أنها لا تعارض

(١) المعارف الحسينية ص١٧٩.

(٢) انظر الشيعة في التاريخ ص١٨، والفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة ص٤٣، وانظر الرد القوي الذي رد به عليهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالة في الرد على الرافضة ص٦، وأصول مذهب الشيعة٢/٨٦٦.

(٣) الأنوار النعمانية٢/٢٧٩، وقرره أيضاً الخميني في كتابه الأسرار.

(٤) انظر الصارم الحديد بتحقيق الدكتور فهد السحيمي ص٥٦٨.

الإعجاب، والحب للنبي ﷺ فحسب؛ بل إنها تضاده، وتتصادم معه، فبسبب الصبغة النفسية، والعواطف المعلنة من ناحية الرافضة لحب أهل البيت -بزعمهم- وتعظيم الأئمة شغلوا بتلك العواطف كل فراغ في نفوسهم، وعواطفهم، وعقولهم؛ حتى رأيناهم يهدمون كثيرا من حقوق النبوة التي هي مصدر كل خير، وسعادة، وينالون من شخصية الرسول الأعظم ﷺ الذي نال به أهل البيت الشرف، واستحقوا الحب، والإجلال حتى جعلوا الإمامة منافسة للنبوة، أو مشاركة لها في كثير من الصفات[1].

ومن أقوالهم في هذا القياس الفاسد: (من مات، و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)[2].

وقال عالمهم محمد رضا المظفر: (نعتقد أنها [أي الإمامة] كالنبوة لطف من الله تعالى، فلا بد أن يكون في كل عصر إمام هاد، يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح، والسعادة، في النشأتين، وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس لتدبير شئونهم، ومصالحهم...فالإمامة استمرار النبوة، والدليل الذي يوجب إرسال الرسل، وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضا نصب الإمام بعد الرسول.... ولا يجوز أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى)[3].

وقال آخر: (الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فكما أن الله يختار للنبوة من يشاء، فكذلك يختار للإمامة من يشاء، ويأمر نبيه بالنص عليه)[4].

واعلم أن بطلان هذا القياس يعرف من لفظ الإمام " (فالإمام -عندهم- هو

---

(١) **انظر** صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الإمامية ص٨٣.

(٢) الكافي ١/١٨١، **وانظر** عقائد الإمامية لمحمد رضا المظفر ص٥٦.

(٣) عقائد الإمامية ص٤٩.

(٤) أصل الشيعة وأصولها لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء ص٩٨.

المعصوم المفترض الطاعة الموحى إليه، وحيا باطنيا، وهذا هو معنى النبي، فمذهبهم يستلزم إنكار النبوة)[1].

٥- شبهة الروايات المختلقة، والأخبار المكذوبة:

اعلم أن للرافضة رواتها، وأخبارييها الذين تنقطع بالرواية عنهم عن باقي رواة المسلمين على مر العصور الإسلامية، ولا تقبل إلا ما يروى على ألسنة أهل البيت رحمهم الله فأصبحت لهم مكتباتهم التي يقبع داخلها كل تلك الروايات المختلقة، والأخبار المكذوبة، والأسانيد الغريبة.

يقول ابن خلدون: (يرون أن عليا ﷺ هو الذي عينه -صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها، ويؤولونها على مقتضى مذهبهم، لا يعرفها جهابذة السنة، ولا نقلة الشريعة؛ بل أكثرها موضوع، أو مطعون في طريقه، أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة)[2].

وقال بعض أئمة أهل البيت النبوي، والعترة[3] الطاهرة في الرد على الغلاة فيهم: (وقد تأملت كلماتهم فرأيت قوما أعمى الهوى بصائرهم، فلم يبالوا بما ترتب على مقالاتهم من المفاسد)[4].

وتعد الروايات المكذوبة، والأخبار الملفقة دين الرافضة؛ لأنه لا قبل لهم بالدليل الشرعي على مسألة الإمامة، واعتبار الإمام واسطة بين الله تعالى، وخلقه، وما يترتب على ذلك من القول بعصمته، والغلو الذي لا ينتهي، حتى التفاسير التي تنقلها

(١) صورتان متضادتان ص٨٢.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص١٩٦.

(٣) عترة الرجل: نسله، ورهطه الأدنون. **انظر** مختار الصحاح ص٤١٠ مادة (ع ت ر)، والمراد بالعترة: قرابة النبي ﷺ.

(٤) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ص٧٧، **وانظر** رسالة الشرك ومظاهره للميلي ص٣٠٠.

الرافضة عن أهل البيت أكثرها مكذوب؛ لأنهم نقلوها عن أئمة أهل البيت بواسطة كذابين مفترين أمثال هشام بن الحكم، وزرارة بن أعين، وأمثالهما ممن ثبت نفاقهم، وزندقتهم بشهادة الأئمة أنفسهم[1].

ولقد حرق علي رضي الله عنه بالنار من ادعى فيه الألوهية، وسخط محمد بن الحنيفية[2] على المختار بن أبي عبيد[3] لما بلغه مثل ذلك عنه فصرح بلعنته، والبراءة منه، وكذلك فعل جعفر الصادق رحمه الله بمن بلغه مثل ذلك عنه[4].

وروى الكليني عن سدير[5] أنه قال: (قلت لأبي عبد الله رحمه الله إن قوما يزعمون أنكم آلهة يتلون بذلك علينا قرآنا: **﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾**[6]، فقال: يا سدير: سمعي، وبصري، ولحمي، ودمي، وشعري، من هؤلاء براء، وبرئ الله عنهم، ما هؤلاء على ديني، ولا على دين آبائي، والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم، قال: قلت وعندنا قوم يزعمون أنكم رسل يقرأون علينا بذلك قرآنا: **﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم﴾**[7]، فقال: يا سدير سعمي، وبصري، وشعري، وبشري، ولحمي، ودمي من هؤلاء براء وبرئ الله منهم، ورسوله، ما هؤلاء على ديني، ولا على دين

---

(١) **انظر** الصواعق المحرقة للهيتمي ص٧٥، والصارم الحديد في عنق صاحب سلاسل الحديد ص٥٧٠.

(٢) تقدمت ترجمته. **انظر** ص١١٣

(٣) هو أبو إسحاق المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، ولد عام الهجرة، وليست له صحبة، كان من زعماء الثائرين على بني أمية، أظهر الاهتمام بتتبع قتلة الحسين رضي الله عنه، وادعى النبوة ونزول الوحي، قتله مصعب بن الزبير سنة ٦٧هـ. **انظر** معرفة أخبار الرجال ص٨٤، وتاريخ الطبري٦/٩٣، و رجال الشيعة في الميزان ص١٣٧.

(٤) **انظر** الملل والنحل١/١٧٤، ومقدمة ابن خلدون ص١٩٢، واليمانيات المسلولة ص١٦٦.

(٥) لم أقف على ترجمته.

(٦) سورة الزخرف الآية ٨٣.

(٧) سورة المؤمنون الآية ٥١.

آبائي، والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم....)[1].

ومن الأدعية التي تنقلها الرافضة عن الأئمة رحمهم الله وفيها التوحيد الخالص، والاعتراف بالعبودية والتنصل من الذنوب أدعية السجاد رحمه الله[2].

ومن ذلك قول الباقر رحمه الله: (والله ما نتقرب إلى الله تبارك وتعالى إلا بالطاعة، وما معنا براءة من النار من كان لله مطيعا فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصيا فهو لنا عدو، وما تنال ولا يتنا إلا بالعمل والورع)[3].

وهذا الكلام الرائع يوافق معتقد أهل السنة والجماعة الذي هو معتقد أئمة أهل البيت رحمهم الله، وهذا هو المظنون بأن يخرج من أفواه هؤلاء الأئمة، الأجلة، كما قال الشاعر:

فإن هذا هو الظن المفيد بكم   وما سواه فعنكم غير مظنون

فليت الرافضة يعطون مجالا لعقولهم المغلفة بالغفلة حتى يفهموا هذا الكلام الذي ينقلونه عن الأئمة، فيعقلونه، ويعتقدونه!!

وإذا كانوا يزعمون أنهم يتبعون عليا ـ ﷺ ـ فلماذا يخالفونه في قوله:(إن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل)[4]، فيجعلون بينهم وبين الله تعالى ـ حال الدعاء والتضرع، والالتجاء ـ واسطة من ذوات الأئمة المعصومين -بزعمهم-؟!.

ولا أجد شيئا أقوى في الرد على الرافضة في ادعائهم العصمة للأئمة رحمهم الله من أقوال الأئمة أنفسهم، فهذا أبو عبد الله يقول: (إنا لنذنب، ونسيء، ثم نتوب

---

(١) الكافي ١/٢٦٩.

(٢) انظر الصحيفة السجادية ص٦٩

(٣) مجلة الهادي الشيعية العدد الرابع ص٣١.

(٤) سجع الحمام في حكم الإمام لعلي الجندي،وآخرين ص١٠٣.

إلى الله متابا)[1]. ورووا عنه -أيضا- أنه قال: (فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا، واصطفانا ما نقدر على ضر، ولا نفع، وإن رحمنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، والله مالنا على الله حجة، ولا معنا من الله براءة، وإنا لميتون، ومقبورون، ومنشورون، ومبعوثون، وموقوفون، ومسئولون، ويلهم! مالهم لعنهم الله، فقد آذوا الله، وآذوا رسوله ﷺ في قبره، وأمير المؤمنين، وفاطمة، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي رضوان الله عليهم....أشهدكم أني أمرؤ ولدني رسول الله ﷺ وما معي براءة من الله! إن أطعته رحمني، وإن عصيته عذبني عذابا شديدا)[2].

وأدعية الأئمة في التبري من الحول، والقوة، والاعتراف بالذنوب أمر يصعب حصره[3]؛ ولهذا نعلم من طريق العقل، والنقل -أن عليا رضي الله عنه - والأئمة من ذريته -رحمهم الله- ما كانوا يدعون لأنفسهم العصمة، والتبري من الذنوب؛ بل كانوا يعترفون بها سرا وعلانية، ويتضرعون إلى الله مستغفرين خاضعين منيبين إليه؛ ليقيلهم من تلك المعاصي، والعثرات؛ فإن وافق الرافضة على هذا وصدقوا تلك الأقوال فذلك الحق، وإن تكن الأخرى فقد اعترفوا بوقوع الكذب من الأئمة، وهذا في غاية المعارضة للعصمة[4].

على أننا نجد من مصنفي الرافضة من يجادل بغير الحق، ويحاول تأويل ما يصدر عن هؤلاء الأئمة تأويلا باطلا[5]، وما من شك في أن الذي تستدل به الرافضة على جواز

---

(١) بحار الأنوار٢٥/٢٠٧.

(٢) معرفة أخبار الرجال للكشي ص٢٢٥، **وانظر** كسر الصنم ص١٧٤.

(٣) **انظر** الصحيفة السجادية ﷺ، وكليات مفاتيح الجنان ص٢٧١، ومسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة١/٣٢٩.

(٤) **انظر** الغياثي ص٩٣، والشيعة والتصحيح للموسوي ص١١٣.

(٥) **انظر** الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري١/٢٥٩، وبحار الأنوار للمجلسي٢٥/٣٥١، وأصول مذهب الشيعة٢/٦٣٠.

الغلو في الأئمة، واعتبارهم واسطة تارة، والاستغناء بهم، ودعائهم، والانقطاع إليهم تارة أخرى[1] معظمه يقوم على دعوى عصمة الأئمة، وهذا النوع من الأدلة أدلة غير شرعية فاسدة الأصل، والدلالة، وكذلك أدلة سائر أهل الأهواء، واستدلالهم هذا داخل في البدع الحقيقية[2].

والمقصود أن هذه الروايات المختلقة، والأخبار المكذوبة مدارها على أخباريي الرافضة المجروحين والمعروفين بالكذب، وهذا جعفر الصادق رحمه الله يقول: (إن الناس أولعوا بالكذب علينا، وذلك أنهم لا يطلبون بحديثنا، وبحبنا ما عند الله، وإنما يطلبون الدنيا، وكل يحب أن يدعى رأسا)[3].

وقد سئل الإمام مالك عن الرواية عن أخباريي الرافضة فقال: (لا تكلمهم، ولا ترو عنهم، فإنهم يكذبون)[4].

وقال الإمام الشافعي: (ما من أهل الأهواء أشد بالزور من الرافضة وكان إذا ذكرهم عابهم أشد العيب)[5].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد اتفق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف، والكذب فيهم قديم؛ ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بكثرة الكذب)[6].

---

(١) **انظر** الغدير لعبد الحسين الأميني٧/٧٠، والعقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ص٣٦٩.

(٢) **انظر** حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد بن ناصر الغامدي٢/٨، وتبديد الظلام ص٣٢.

(٣) معرفة أخبار الرجال ص٩٠، **وانظر** كسر الصنم ص١٧٦.

(٤) رواه أبو حاتم الرازي، **انظر** منهاج السنة النبوية١/٦٠، ولمعرفة موقف الإمام مالك من الرافضة، **انظر** منهج الإمام مالك في العقيدة للدكتور سعود بن عبد العزيز الدعجان ص٤٩٠.

(٥) الصواعق المحرقة للهيتمي ص٦٩، **وانظر** رسالة في الرد على الرافضة لأبي حامد المقدسي ص٢٠٠.

(٦) منهاج السنة النبوية١/٥٨.

وكان المغيرة بن سعيد العجلي[1] قد اشتهر في عصره، وعند علماء الرافضة بالكذب فقد رووا عن أبي الحسن الرضا رحمه الله[2] أنه قال: (كان المغيرة بن سعيد يكذب على أبي جعفر رحمه الله تعالى فأذاقه الله حر الحديد)[3].

كما لعن الصادق زعيم المعمرية[4] معمر بن خيثم الشعيري[5]، وقال: (إنه شيطان ابن شيطان، خرج من البحر، فأغوى أصحابي)[6].

كما لعن الصادق أيضا زرارة بن أعين -فيمن لعن من الغلاة - وذلك لما أظهر غلوه في الصادق، فتبرأ منه الصادق، ولعنه، ودعا عليه بقوله: (لا يموت زرارة إلا تائها)[7]. فكيف يستقيمُ لهؤلاء الضالين مذهب، ويثبتُ لهم اعتقاد؟ ما داموا يروون

---

(١) هو أبو عبد الله المغيرة بن سعيد العجلي الرافضي الكذاب، كان ينتقص أبابكر وعمر رضي الله عنهما، وكان ساحرا مخرقا، حكى عنه الشعبي أنه كان يقول: لو أردت أن أفني عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا لفعلت، وبلغ أمره خالد بن عبد الله القسري فأمر بالقصب والنفط، ثم أجج نارا فأحرقه، ومن معه؛ وذلك في سنة ١١٩هـ **انظر** معرفة أخبار الرجال للكشي ص١٤٦، والمنتظم لابن الجوزي٧/١٩٣، والكامل لابن الأثير٤/٢٣٠، والنجوم الزاهرة١/٢٨٣، ولسان الميزان٦/٧٥.

(٢) هو أبو الحسن علي بن موسى بن جعفر الملقب بالرضا ثامن الأئمة عند الرافضة، ولد بالمدينة سنة ١٥٣هـ أحبه المأمون، وزوجه ابنته، وعهد إليه بالخلافة من بعده، وضرب اسمه على الدينار، والدرهم؛ لكنه مات في حياة المأمون بطوس سنة ٢٠٣هـ **انظر** ميزان الاعتدال٣/١٥٨، وتهذيب التهذيب٧/٣٨٦، والأعلام للزركلي٥/٢٦.

(٣) معرفة أخبار الرجال للكشي ص١٤٦.

(٤) فرقة من غلاة الرافضة، **انظر** في شأنها فرق الشيعة للنوبختي ص٤٤، والمقالات والفرق للقمي ص٥٤، والملل والنحل١/١٨٠، ومختصر التحفة الاثني عشرية ص١٣.

(٥) هو أبو بشار معمر بن خيثم الشعيري، وفي المقالات والفرق معمر بن الأحمر بياع الشعير، كان من جملة الغلاة الذين لعنهم الصادق فيمن لعن، **انظر** معرفة أخبار الرجال ص٢٥٢، ومقالات الإسلاميين١/٧٨، والمقالات والفرق ص٥٣.

(٦) معرفة أخبار الرجال ص٢٥٢.

(٧) معرفة أخبار الرجال ص٩٩، **وانظر** كسر الصنم ص١٩٣، والحجج الباهرة في إفحام الطائفة الكافرة الفاجرة للدواني ص٣٤٢.

في كتبهم المعتبرة -عندهم- أشياء تناقض اعتقاداتهم، مصرحين بها في مقالاتهم، وما أسرع ما ينتقض مذهب يقوم في أساسه على الروايات المختلقة التي يرويها هؤلاء الكذابون المجروحون؟ وما أحسن ما قيل[1]:-

ما مشكل أن القيود تكون غل الأرجل

إن القيود على العقول فذاك كل المشكل

والله تعالى أعلم.

(١) انظر الوشيعة في نقد عقائد الشيعة ص٢٣٢.

الفصل الرابع: الواسطة بين الله وخلقه عند الصوفية وبيان شبهاتهم والرد عليهم.

وفيه ستة مباحث:-

المبحث الأول: نظرة الصوفية للرسول صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: مقام النبوة والولاية عند الصوفية.

المبحث الثالث: صورة الواسطة البدعية عندهم في الأحياء.

المبحث الرابع: صورة الواسطة البدعية عندهم في الأموات.

المبحث الخامس: نظرة الصوفية لشيوخهم "وسائطهم".

المبحث السادس: بيان شبهات الصوفية والرد عليها.

المبحث الأول: نظرة الصوفية للرسول صلى الله عليه وسلم.

لقد حصل الغلو الزائد في الرسول ﷺ عند الصوفية بسبب كونهم نظروا إلى جانب التعظيم للنبي ﷺ وأهملوا جانب التوحيد وسد الذرائع المفضية إلى الشرك، فنظروا نظرة جزئية قاصرة لنصوص الشرع دون جمع النصوص بعضها إلى بعض حتى تكتمل الصورة، وتتم النظرة، ومن ثم يصح الحكم؛ لكن الصوفية بحكم جهلهم بمقاصد الشريعة في هذا الباب وعدم التقيد بالكتاب والسنة في الورود، والصدور مع غلبة الهوى، والبعد عن نور الوحي وقعوا في هذا الغلو المنهي عنه، وهذا هو السبب الذي أوقعهم وأوقع أهل الأهواء عموما فيما وقعوا فيه[1]، فجعلوه واسطة في الدعاء والالتجاء، ثم تفاقم عندهم الغلو حتى دعوه من دون الله تعالى

يقول الإمام الشاطبي: (ومدار الغلط في هذا الفصل إنما هو على حرف واحد، وهو الجهل بمقاصد الشرع، وعدم ضم أطرافه بعضها لبعض؛ فإن مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها، وجزئياتها المترتبة عليها، وعامها المترتب على خاصها، ومطلقها المحمول على مقيدها، ومجملها المفسر بينها إلى ما سوى ذلك من مناحيها... فشأن الراسخين تصور الشريعة صورة واحدة يخدم بعضها بعضا كأعضاء الإنسان، وشأن متبعي المتشابهات أخذ دليل ما، أي دليل كان عفوا، وأخذا أوليا، وإن كان ثم ما يعارضه من كلي، أو جزئي، فكان العضو الواحد لا يعطي في مفهوم الشريعة حكما حقيقيا،

---

(١) انظر محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع ص١٥٢.

فمتبعه متبع متشابه، ولا يتبعه إلا من في قلبه زيغ كما شهد الله به:﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾[1][2].

وبما أن نظرة الصوفية للرسول ﷺ خرجت بها عن حدود الشريعة وذهبت بها مذاهب شتى من الغلو الزائد الذي يطفح بعبارات الكفر، ومعاني الزندقة؛ إلا أننا سنجمل تلك النظرة في النقاط التالية:-

أولا: ما يسمى بالحقيقة المحمدية: وهي أكذوبة من أكاذيب الصوفية تصادم الشرع، والعقل معا، وقالوا بها لتبرير ما زعموه من وساطة النبي في الدعاء والعبادة، ومؤداها: (أن الله سبحانه وتعالى عما يصفون عند ما أراد أن يجعل قسما من ذاته متعينا بشكل مخلوقات، كان أول شيء فعله هو أنه قبض قبضة من نور وجهه، وقال لها: كوني محمدا، فكان محمد هو أول التعينات، وهذه القبضة من النور هي التي يطلقون عليها اسم(الذات المحمدية) ومن هذه الذات المحمدية انبثقت السماوات والأرض والدنيا والآخرة التي يسمونها فيما يسمونها (تعينات) فهي كلها تصدر عن الذات المحمدية، ثم تعود إليها، وهذا هو ما يسمونه (الحقيقة المحمدية))[3].

يقول قائل منهم عن هذه الأكذوبة: (اعلم أنه لما تعلقت إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره ثم سلخ منها العوالم كلها، علوها، وسفلها، ثم أعلمه بنبوته...ثم انبجست منه صلى الله عليه وسلم عيون الأرواح، فهو الجنس العالي على جميع الأجناس، والأب الأكبر لجميع الموجودات، ولما انتهى الزمان بالاسم

---

(١) سورة النساء الآية ١٢٢.

(٢) الاعتصام١/٢٤٤.

(٣) الكشف عن حقيقة الصوفية لمحمود القاسم ص ٢٨٠، **وانظر** هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل ص٧٤، والفكر الصوفي لعبد الرحمن عبد الخالق ص١١٦.

الباطن في حقه ﷺ إلى وجود جسمه، وارتباط الروح به انتقل حكم الزمان إلى الاسم الظاهر، وظهر محمد ﷺ بكليته جسما وروحا)[1].

ويصرح الحلاج بالمراد بالحقيقة المحمدية في قوله: (طس، سراج من نور الغيب بدا، وعاد، وجاوز السراج، وساد....ما أخبر إلا عن بصيرته، ولا أمر بسنته إلا عن حق سيرته، حضر فأحضر، وأبصر فخبر..أ نوار النبوة من نوره برزت، وأنوارهم من نوره ظهرت، وليس في الأنوار نور أنور، وأظهر، وأقدم من القدم سوى نور صاحب الكرم...همته سبقت الهمم، ووجوده سبق العدم، واسمه سبق القلم؛ لأنه كان قبل الأمم، ما كان في الآفاق، وراء الآفاق، ودون الآفاق أظرف وأشرف، وأعرف، وأنصف، وأرأف، وأخوف، وأعطف من صاحب هذه القضية، وهو سيد البرية الذي اسمه أحمد، ونعته أوحد، وأمره أوكد، وذاته أوجد، وصفته أمجد، وهمته أفرد...يا عجبا ما أظهره، وأنظره، وأكبره، وأشهره، وأنوره، وأقدره، وأبصره، لم يزل كان مشهورا قبل الحوادث، والكوائن، والأكوان، و لم يزل كان مذكورا قبل القبل، وبعد البعد، والجواهر، والألوان... هو الدليل، وهو المدلول... بالحق موصول غير مفصول، ولا خارج عن المعقول.. العلوم كلها قطرة من بحره.... والأزمان كلها ساعة من دهره، الحق، وبه الحقيقة، هو الأول في الوصلة، وهو الآخر في النبوة، والباطن بالحقيقة، والظاهر بالمعرفة.... الحق ما أسلمه إلى خلقه؛ لأنه هو، وإني هو، وهو هو...)[2].

فهذا النص يدور حول النور المحمدي، وأنه هو المصدر الأول للمخلوقات العلوية، والسفلية، وأن كل نبي، أو رسول قبل النبي ﷺ، وكل ولي من الأولياء بعده قد

(١) الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ليوسف النبهاني ص٩.

(٢) أخبار الحلاج ص٨٢. نقلا عن الكشف عن حقيقة الصوفية ص٢٦٣.

استمد من هذا النور المحمدي، ويؤكد الحلاج كما هو واضح من هذا النص قدم وجود النبي ﷺ وأنه سبق وجود جميع ما في هذا الكون، وبناء على نظرة الحلاج هذه للرسول ﷺ فإننا نجد في كلامه ما يفهم منه إنكار الوحي؛ حيث زعم أن الرسول ﷺ جاء بالرسالة من ذاته، وأخبر بها عن بصيرته (فهو الدليل وهو المدلول)[١].

(فالحلاج ومن تابعه من الحلوليين يرون أن محمدا ﷺ هو المظهر الذي حل فيه الإله أو الناسوت الذي حل فيه اللاهوت، ولم يكن هذا الحلول خاصا بالرسول؛ بل تعدى إلى الأولياء من بعده، وهذا كفر أشنع من كفر النصارى؛ لأن النصارى خصوا الحلول بعيسى، أما الحلاج فقد عممه في الأنبياء، والأولياء على السواء)[٢].

ويعتبر الحلاج أول صوفي غلا في الرسول ﷺ بما يخرجه عن حقيقتهالبشرية، وذلك انطلاقا من مذهبه في الحلول، وتبعه في هذا الغلو وهذه الخرافة ابن عربي الطائي الذي بنى للصوفية من بعده مذهبهم الصوفي الفلسفي المصادم لكثير مما جاء به الرسول ﷺ في رسالته السماوية الخالدة. فقال بأزلية محمد ﷺ أو بعبارة أخرى بأزلية النور المحمدي (فالحقيقة المحمدية) أو (النور المحمدي) أو (الكلمة المحمدية) وهذا هو تعبير ابن عربي الصوفي عنها في فصوص الحكم[٣] فهو لا يقصد بذلك محمدا الرسول عليه الصلاة والسلام وإنما يقصد الحقيقة المحمدية التي يعدها أكبر مجلى خلقي ظهر فيه الحق؛ بل يعده الإنسان الكامل، والخليفة الكامل بأخص معانيه، ويرى أنه قد انفرد بأنه مجلى للأسماء، والصفات، وهو الاسم الأعظم الذي هو الله)[٤].

---

(١) **انظر** محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع ص١٧٣.

(٢) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع ص١٧٤، **وانظر** التصوف بين الحق والخلق لمحمد شقفة ص٧٧.

(٣) ص ٢١٤.

(٤) **انظر** التعليقات على فصوص الحكم لأبي العلا عفيفي ص٣١٩.

ويبدو أن في هذا الوصف الإجمالي لما يسميه ابن عربي (الكلمة المحمدية) أو (الحقيقة المحمدية) عناصر مختلفة مستمدة من الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، والفلسفة المسيحية، واليهودية، مضافا إلى ذلك بعض أفكار من مذهب الإسماعيلية الباطنية، والقرامطة، فمزج جميع تلك العناصر على طريقته الخاصة، فضيع بذلك معالم الأصول التي أخذ عنها، وخرج على العالم بنظرية في طبيعة الحقيقة المحمدية، لا تقل في خطرها، وأهميتها في تاريخ الأديان عن النظريات التي وضعها المسيحيون في طبيعة المسيح، أو النظريات اليهودية، أو الرواقية، أو اليونانية)[1].

ولهذا نجد غلاة الصوفية يعرفون الحقيقة المحمدية بأنها (هي الذات مع التعين الأول، وهو الاسم الأعظم)[2].

ويرى بعض التجانية أن الحقيقة المحمدية في حقيقة أمرها لا تدرك، ولا تعقل[3].

ويقول صوفي آخر: (اعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش، وفرش، وسماوات، وأرضين، وجنات وحجب، وما فوقها، وما تحتها، إذا جمعت كلها وجدت بعضا من نور النبي، وأن مجموع نوره لو وضع على العرش لذاب، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت، ولو جمعت المخلوقات كلها، ووضع ذلك النور العظيم عليها لتهافتت، وتساقطت)[4].

---

(١) المرجع السابق ص٣٢١.

(٢) التعريفات للجرجاني ص١٢٢، **وانظر** المراد بلفظ النور في معجم ألفاظ الصوفية لحسن الشرقاوي ص٢٧٦.

(٣) **انظر** ميزاب الرحمة الربانية ص١٠٨.

(٤) الإبريز ص٢٧٢، **وانظر** جواهر المعاني٢/٢٣٣.

ويقول صوفي آخر من الطريقة التجانية: (لما خلق النور المحمدي جمع في هذا النور المحمدي جميع أرواح الأنبياء، والأولياء جميعا جمعا أحديا، قبل التفصيل في الوجود العيني؛ وذلك في مرتبة العقل الأول)[1].

فنظرة الصوفية للرسول ﷺ من هذا الجانب تتمثل في كونه (عين الوجود وواسطة عقده، أخذ من أنوار الحق تعالى بقدر صفوه، فالآخذ من الله تعالى بواسطته صلى الله عليه وسلم ولله المثل الأعلى ولرسوله في القوى كآخذ الضوء من الشمس بواسطة الزجاجة، وهذا تشريف لهذه الأمة، وأي تشريف؛ لأنهم الآخذون بواسطته، والآخذ من الله تعالى من غير واسطته صلى الله عليه وسلم كآخذ الشيء من الشمس من دون واسطة الزجاجة، وذلك لأن الرسول ﷺ هو النور الذي قبضه الله من قبضة نوره.... والحق تعالى هو سمعه، وبصره، وقلبه إلى آخره، فكله صلى الله عليه وسلم نور مع أنه متحيز في بشريته، وفي عبوديته، والحق تعالى مطلق في كبريائه، وفي ملكوته، فلرسول الله ﷺ وجهتان وجهة إلى الحق تعالى، وهو المقام الذي قال تعالى فيه:﴿**والله ورسوله أحق أن يرضوه**﴾[2] فأعاد الضمير بصيغة الإفراد...فهو صلى الله عليه وسلم أقرب الكون إلى الله؛ بل فوق العرش الحجب سبعون حجابا ما بين كل حجاب وحجاب مسافة سبعين ألف سنة، وغلظ كل حجاب سبعون ألف سنة، وفوق ذلك فضاء لا يعلم قدر مسافته إلا الله سبحانه وتعالى، وهو الذي يقال له عالم الرقا، وهو مظاهر أسماء الله، وهو فوق العرش، والكرسي، ووراء هذا كله نور سيد الكونين، والثقلين..وله صلى الله عليه وسلم وجهة إلى الخلق...وجعله المرسل، والمرسل إليه...فهو صلى الله عليه وسلم حقيقة الكون، كما أن الشجرة لها

(١) رماح حزب الرحيم١/١٤، **وانظر** بغية المستفيد ص٢٢٥، **وانظر** الرد عليهم في التجانية للدكتور علي بن محمد آل دخيل الله ص١٦٤.

(٢) سورة التوبة الآية ٦٢.

ورق، وغصون، وفروع، وعروق، وجذوع، وزهر، وثمر، وحقيقة الكل شجرة...فمن صفا قلبه من أمته صلى الله عليه وسلم وتوجه به إلى الله بواسطة رسول الله ﷺ تفجر من قلبه ينابيع الحكمة، وأخذ قلبه أنوار العلم الإلهي، فقوي بقوة قابلية الواسطة صلى الله عليه وسلم)[1]

ويقول شاعرهم -مدعيا أن النبي ﷺ خلق من نور رب العالمين، وأنه وجد قبل خلق آدم عليه السلام، وأن الأشياء خلقت منه[2]:-

أنشاك نورا ساطعا قبل الورى فردا لفرد والبرية في عدم

ثم استمد جميع مخلوقاته من نورك السامي فيا عظم الكرم

فلذا إليك الخلق تفزع كلهم في هذه الدنيا وفي اليوم الأهم

وإذا دهتهم كربة فرجتها حتى سوى العقلاء في ذاك انتظم

ومن صلواتهم المشهورة ما ذكره صاحب دلائل الخيرات من قوله: (اللهم صل على سيدنا محمد بحر أنوارك..إنسان عين الوجود، والسبب في كل موجود، عين أعيان خلقك المتقدم من نور ضيائك...)[3]، وقوله: (اللهم صل على سيدنا محمد نور الذات وسره الساري في جميع الأسماء والصفات)[4].

ويقولون أيضا شعرا[5]:-

محمد رويت بالنور طينته محمد لم يزل نورا من القدم

---

(١) العقد النفيس في نظم جواهر التدريس لأحمد بن إدريس المغربي ص١٨٦ وما بعدها (بتصرف).

(٢) دلائل الخيرات ص٨٧.

(٣) دلائل الخيرات ص٩٩.

(٤) المرجع نفسه ص٢١٤.

(٥) انظر أنوار الحق في الصلاة على سيد الخلق لعبد المقصود سالم ص٨٢.

ويقول عبدالسلام ابن مشيش[1] -في صلاته المعروفة عند الطريقة الشاذلية (بالصلاة المشيشية) (اللهم صل على من منه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق، وله تضاءلت الفهوم، فلم يدركه منا سابق، ولا لاحق، فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة، وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة، ولا شيء إلا وهو به منوط؛ إذ لولا الواسطة لذهب -كما قيل الموسوط... اللهم إنه سرك الجامع الدال عليك، وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك...)[2].

ويقولون في صلاة أخرى: (اللهم إني أسألك بنير هدايتك الأعظم، وسر إرادتك المكنون من نورك المطلسم، مختارك منك لك، قبل كل شيء،ونورك المجرد بين مسالك اللقى، كنزك الذي لم يحط به سواك، وأشرف خلقك الذي بحكم إرادتك كونت من نوره أجرام الأفلاك، وهياكل الأملاك فطافت به الصافون حول عرشك تعظيما وتكريما)[3].

ونتج عن ادعاء الصوفية هذا أن أصل مادة النبي ﷺ التي خلق منها نور نتج عن هذا الغلو زعمهم أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن له ظل في شمس، ولا قمر، وعلل

---

(١) هو أبو محمد عبدالسلام بن مشيش ـ قيل في ضبط اسم أبيه بشيش بالموحدة، ثم اشتهر بمشيش بالميم **انظر** الأعلام للزركلي٤/٩ ـ بن أبي بكر بن منصوره بن علي الإدريسي الحسني، تخرج على يده أبو الحسن الشاذلي مؤسس الطريقة الشاذلية، صوفي مغربي اشتهر برسالته ((الصلاة المشيشية)) وفيها غلو زائد في حق الرسول ﷺ، وقد احتفت بها الصوفية، وشرحها كثير منهم، ولد بثغر تطوان، وقتل فيه على يد أحد السحرة سنة ٦٢٢هـ. **انظر** جامع كرامات الأولياء٢/٦٩، والنبوغ المغربي لعبدالله كنون ١/١٦٠، والأعلام للزركلي٤/٩.

(٢) دلائل الخيرات ص٢٥٩، **وانظر** شرحها بإعظام وإكرام وتزويق وتنميق في الإبريز ص٢٦٨ وما بعدها، **وانظر** الرد عليها في الكشف عن حقيقة الصوفية ص٢٦٥، والتصوف في ميزان البحث والتحقيق لعبد القادر السندي ص٤١٠.

(٣) نقل هذه الصلاة النبهاني عن سيدي محمد البكري في شواهد الحق ص٣٤٦.

كثير منهم -متقدمون ومتأخرون- ذلك بأن الأنوار الشفافة لا يكون لها ظل، ونجد التصريح بهذا المعتقد الباطل جليا عند طائفة البريلوية التي صنف إمامها عدة كتب أصّل فيها هذه النظرة الغالية في حق الرسول ﷺ وأنه نور لا بشر، ولا ظليل، وأنه جسم شفاف، ومن تلك الكتب[1]:-

١- قمر التمام في نفي الظل عن سيد الأنام صلى الله عليه وسلم.

٢- وصلاة الصفا في نور المصطفى ﷺ الذي يقول فيه: (اللهم لك الحمد يا نور، يا نور النور، يا نور قبل كل نور، ونور بعد كل نور، يا من له النور، وبه النور، ومنه النور، وإليه النور، وهو النور، صل وسلم، وبارك على نورك المنير الذي خلقته من نورك، وخلقت من نوره الخلق جميعا)[2].

فالنبي ﷺ في نظر البريلوية نور كله وجميع أعضائه نور، وليس له ظل؛ لأن النور لا يوجد له ظل[3].

ولغلاة الصوفية المدافعين عن هذه النظرة الغالية في حق نبينا محمد ﷺ روايات لأحاديث يستدلون بها على تقدمه على الكون في الخلق، وكونه مخلوقا من نور إلى غير ذلك من الخرافات التي مرت الإشارة إليها، وكل تلك الروايات كذب واضح على صاحب الرسالة ﷺ، فمن الغلاة من ينسب إلى النبي ﷺ أنه قال: (من قال إني كلي بشر فقد كفر، ومن قال: لست ببشر فقد كفر)، وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم بالحديث[4].

---

(١) **انظر** جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية٢/٧١٩.

(٢) صلاة الصفا ص٣ نقلا عن جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية٢/٧٢٠.

(٣) **انظر** نفي الفيء للبريلوي ص٦ نقلا عن جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية٢/٧٢١.

(٤) **انظر** الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح٢/٢٠١.

وكذلك قولهم إنه عليه الصلاة والسلام قال: (كنت نبيا، ولا آدم، ولا ماء ولا طين)[1].

وهذا الحديث أيضا لا أصل له كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[2]، ومما قاله في رده: (هذا مما لا أصل له، لا من نقل، ولا من عقل؛ فإن أحدا من المحدثين لم يذكره، ومعناه باطل؛ فإن آدم لم يكن بين الماء والطين قط؛ فإن الطين ماء، وتراب، وإنما كان بين الروح، والجسد، ثم هؤلاء الضلال يتوهمون أن النبي ﷺ كان حينئذ موجودا، وأن ذاته خلقت قبل الذوات، ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة مثل حديث فيه (أنه كان نورا حول العرش فقال: يا جبريل، أنا كنت ذلك النور)[3].

ومن تلك الروايات حديث: (كنت أول النبيين في الخلق، وآخرهم في البعث، فبدئي قبلهم)[4].

ومنها حديث النور المنسوب إلى مصنف عبد الرزاق عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء؟ قال: (يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى، و لم يكن في ذلك الوقت لوح، ولا قلم، ولا جنة، ولا نار، ولا ملك، ولا سماء، ولا أرض، ولا شمس، ولا قمر، ولا جني، ولا إنسي، فلما أراد أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء:-

١- فخلق من الجزء الأول: القلم.

---

(١) فصوص الحكم لابن عربي الصوفي ص٦٤.

(٢) انظر الرد على البكري ص٩، ومجموع الفتاوى٢/٢٣٨.

(٣) الرد على البكري ص٩، ومجموع الفتاوى٢/٢٣٨.

(٤) وهذا الحديث منكر الإسناد والمتن معا أيضا. انظر السلسلة الضعيفة٢/١١٥.

٢- ومن الثاني: اللوح.

٣- ومن الثالث: العرش.

٤- ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء.

(أ) فخلق من الجزء الأول: حملة العرش.

(ب) ومن الثاني: الكرسي.

(ج) ومن الثالث: باقي الملائكة.

(د) ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء:

١- فخلق من الأول: السماوات.

٢- ومن الثاني: الأرضين.

٣- ومن الثالث: الجنة والنار.

٤- ثم قسم الرابع أربعة أجزاء:-

(أ) فخلق من الأول: أبصار المؤمنين.

(ب) ومن الثاني نور قلوبهم، وهي المعرفة با لله تعالى.

(ج) ومن الثالث: نور أنسهم، وهو التوحيد، لا إله إلا الله محمد رسول الله)[1].

وتفرع عن هذه النظرة الغالية للرسول ﷺ وأنه خلق من نور أن بعض الصوفية يرى أنه مرسل إلى الملائكة النورانيين واسطة من الله تعالى إليهم.

يقول علي الخواص[2]: (وهل الأمر للملائكة بواسطة رسول أم من الله بلا واسطة؟ الذي أعطاه الكشف أن ذلك بواسطة رسول الله ﷺ لعموم رسالته في عالم الأرواح،

---

(١) الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص١٣، وهذا الحديث مكذوب لا أصل له، وينسب كذبا إلى مصنف عبد الرزاق كما أنه لا يوجد في كتب السنة المعتمدة. **انظر** رسالة تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق لمحمد أحمد عبد القادر الشنقيطي، **وانظر** كشف الخفاء للعجلوني ١/١١٣.

(٢) هو علي البرلسي الخواص شيخ الشعراني الصوفي، ذكرت له عدة كرامات منها أنه أعطي التصريف في ثلاثة أرباع مصر وقراها، ومنها أنه كان يلقب بالنسابة عند الأولياء، لأنه كان ينسب كل حيوان إلى جده الأول لذلك الجنس. انظر جامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢/٣٧١.

وعالم الأجسام، فأرسل إلى ملائكة السماوات بالأمر فقط، وإلى ملائكة الأرض بالأمر والنهي كالثقلين)[1].

وبعد أن رأينا ما يحتج به الصوفية لبيان (الحقيقة المحمدية) والتأكيد على أزلية النور المحمدي يتبدى لنا أن هذه الروايات كلها ساقطة، وأنه لا زمام لهذا المذهب، ولا خطام لهذه النظرة الغالية في حق خاتم النبيين ﷺ والمخالفة لنصوص الكتاب والسنة التي بينت بوضوح الأصل الذي خلق منه الإنسان والجان، فقال تعالى:﴿**خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار**﴾[2]، كما أنها أكدت بأساليب لم تدع مجالا لسريان الغلو في العقيدة على أن النبي ﷺ بشر خلق مما خلق منه باقي البشر، قال تعالى:﴿**قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا**﴾[3] إلى غير ذلك من الآيات المحكمة، والأحاديث الثابتة[4].

ونحن حين ننفي ما تدعيه الصوفية من أن محمدا ﷺ نور ليس معنى ذلك أننا نعارض ما جاء في القرآن الكريم من وصفه ﷺ بأنه نور، كما قال تعالى:﴿**يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا**﴾[5]، وقال تعالى في الآية الأخرى مخاطبا أهل الكتاب:﴿**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين**﴾[6].

قال الإمام ابن جرير في تفسير هذه الآية: (يقول جل شأنه لهؤلاء الذين خاطبهم من أهل الكتاب: قد جاءكم يا أهل التوراة، والإنجيل من الله نور؛ يعني بالنور محمدا

---

(١) الجواهر والدرر مطبوع بهامش الإبريز ص١٩٢.

(٢) سورة الرحمن الآيتان (١٤-١٥).

(٣) سورة الإسراء الآية ٩٣.

(٤) راجع ما سبقت مناقشته في مبحث الحكمة في كون الواسطة من البشر ص١٩.

(٥) سورة الأحزاب الآيتان (٤٥- ٤٦).

(٦) سورة المائدة الآية ١٥.

ﷺ الذي أنار الله به الحق، وأظهر به الإسلام، ومحق به الشرك، فهو نور لمن استنار به، يبين الحق)[1].

فنبينا صلى الله عليه وسلم نور كما وصفه القرآن بذلك، ورسالته التي بعثه الله بها نور يبدد ظلام المعمورة، فهو صلى الله عليه وسلم هاد لمن اتبعه منير له طريق الهداية ومضيء له سبيل الرشاد بإذن ربه[2]، وهذا المعنى هو الذي قصده الشاعر كعب بن زهير رضي الله عنه في قوله بحضور النبي صلى الله عليه وسلم[3]:-

إن الرسول لسيف يستضاء به   مهند من سيوف الله مسلول

فالنبي ﷺ نور بالمعنى القرآني؛ لا كما تزعم الصوفية بالنور الخرافي المصادم لحقيقته البشرية

ثانيا: اعتقادهم أن الكون خلق من أجل النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا الاعتقاد حصل نتيجة لنظرتهم السابقة للرسول ﷺ فكما أنه صلى الله عليه وسلم -في نظرهم- قبضة من نور الله، وأنه أسبق الكون وجودا، وأن مظاهر هذا الكون بأجمعها انبجست من نوره عليه الصلاة والسلام بعد التعين، فالنتيجة أن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون من أجل محمد ﷺ، ولولا محمد ﷺ ما خلقت الدنيا، ولا دحيت أرض، ولا رفعت سماء، ولا أضاءت شمس، ولا قمر، ولا خلق الله بشرا، ولا بعث إليهم رسلا، ولا أنزل وحيا[4]، فإذن يجب طلب المدد من النبي ﷺ؛ لأنه الواسطة والأصل الذي يستمد منه، واسمع إلى شاعرهم يقول[5]:-

---

(١) تفسير الطبري٤/١٠٤ على أن هناك من العلماء من يرى أن قوله تعالى﴿ نور ﴾ في هذه الآية هو وصف للقرآن الكريم. **انظر** تفسير ابن كثير٢/٣٥، وتفسير السعدي٢/١٢٦.

(٢) **انظر** محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع ص١٩١.

(٣) **انظر** قصيدة البردة لكعب بن زهير رضي الله عنه شرح ابن الأنباري ص٧٨.

(٤) **انظر** جواهر البحار في فضائل النبي المختار للنبهاني٣/٣٠٤.

(٥) ذكره عنهم صاحب تنبيه الحذاق ص٢٧.

لولاه ما خلقت شمس ولا قمر ولا نجوم ولا لوح ولا قلم

ويقول آخر من فصيلته وعلى شاكلته(١):-

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم؟!

ويقول أيضا(٢):-

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

ويستدل هؤلاء الغلاة على معتقدهم الفاسد في النبي ﷺ بأحاديث موضوعة، وأخبار مكذوبة منها حديث: (لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك) وهو حديث موضوع(٣).

وأمثال هذا الحديث من الأحاديث الموضوعة لا يعول عليها، ولا يستند عاقل في معتقده عليها مع العلم أنها مصادمة للشرع، ومخالفة للعقل؛ لأن الذي تدل عليه النصوص الشرعية من الكتاب والسنة أن الله عز وجل إنما خلق خلقه إنسه وجنه لغاية ذكرها في القرآن الكريم، وهي العبادة، فقال تعالى:﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾(٤).

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (معنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب)(٥). وقال تعالى:﴿**وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان**

---

(١) **انظر** ديوان البوصيري ص٢٤٠.

(٢) **انظر** قصيدة البردة في آخر كتاب دلائل الخيرات ص٢٦١.

(٣) **انظر** الأحاديث الموضوعة للصغاني ص٧، وكشف الخفاء٢/٢٢٢، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ص٣٢٦، وسلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني برقم ٢٨٢.

(٤) سورة الذاريات الآية ٥٦.

(٥) تفسير ابن كثير٤/٢٥٥، **وانظر** تفسير الشيخ السعدي٨/٣٠.

عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾[1]، فصرح الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة بالحكمة من خلق الخليقة أولا، وبعثهم ثانيا، وهي امتحانهم، وابتلاؤهم ليميز المحسن فيجازى بإحسانه، ويتبين المسيء فيؤاخذ بإساءته[2].

ومن غلوهم الزائد في الرسول ﷺ ادعاؤهم أنه كان لا ينام كقول بعضهم[3]:-

قم قم يا حبيبي كم تنام خالق الخلق لا ينام

قم قم يا حبيبي كم تنام محمد رسول الله لا ينام

ثالثا: دعواهم جواز صرف شيء من أنواع العبادة له صلى الله عليه وسلم[4].

وقد تفنن الغلاة في هذه النظرة، فمن قائل إنه يستغاث به في كل ما يستغاث فيه بالخالق جل وعلا؛ بمعنى أنه يطلب منه كما يطلب من الخالق (ومن جعل الرسول ﷺ يطلب منه الناس ما يطلبونه من الله تعالى فقد آذى الرسول ﷺ وأساء في حقه، وسلط عليه العامة على اختلاف أغراضهم؛ هذا يطلب منه إنزال المطر، وهذا يطلب منه غفران الذنوب، وهذا يطلب منه النصر على الأعداء، وهذا يطلب منه أن يتزوج، وهذا يطلب منه الولد، وهذا يطلب منه المعيشة، وهذا يطلب منه الملك، وهذا يطلب منه الولاية... وهذا يطلب منه قضاء دينه.... فنزلوا المخلوق منزلة الإله، وطلبوا منه من جلب المنافع، ودفع المضار ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى)[5].

---

(١) سورة هود الآية ٧.

(٢) **انظر** أضواء البيان٣/١٠.

(٣) **انظر** الوظائف كتاب أدعية وسور قرآنية لمحمدي آبيري البنجلاديشي ص٩٦.

(٤) وهذا الاعتقاد نتيجة لما سبق من ادعائهم أنه ﷺ نور قبضه الله من نوره، وأن الموجودات خلقت من نوره ﷺ، وأن هذا الكون بمظاهره خلق من أجله، فهو الواسطة الذي يجب التعلق به، والاستنجاد به، والاستمداد منه.

(٥) تلخيص كتاب الاستغاثة٢/٦٤٦.

يقول البوصيري[1] في البردة التي يترنم بها الملايين في العالم الإسلامي[2]:-

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي ... إذا الكريم تجلى باسم منتقم

فإن لي ذمة منه بتسميتي ... محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم

إن لم يكن في معادي آخذا بيدي ... فضلا وإلا فقل يا زلة القدم

فنفى أن يكون له ملاذ إذا حلت به مصيبة إلا النبي ﷺ وليس ذلك إلا الله وحده لا شريك له، فهو الذي ليس للعباد ملاذ إلا إياه، وهذا في حقيقة الأمر شرك في الألوهية[3].

ومن شعر بعضهم قوله[4]:-

ما ذا تعامل يا شمس النبوة من ... أضحى إليك من الأشواق في كمد

فامنع جناب صريع لا صريخ له ... ناء المزار غريب الدار مبتعد

حليف ودك واه الصبر منتظر ... لغارة منك يا ركني ويا عضدي

أسير ذنبي وزلاتي ولا عمل ... أرجو النجاة بـه إن أنت لم تجد

ثم تراكم الغلو في قلبه حتى طفح على لسانه فقال:-

وحل عقدة كربي يا محمد من ... هم على خطرات القلب مطرد

أرجوك في سكرات الموت تشهدني ... كيما يهون إذِ الأنفاس في صعد

---

(١) هو أبو عبدالله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن الصنهاجي البوصيري، صوفي ناظم من مصنفاته ((قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية)) المعروفة بالبردة، توفي سنة ٦٩٤هـ.
انظر شذرات الذهب ٤٢٨/٥، ومعجم المؤلفين ٢٨/١٠.

(٢) **انظر** قصيدة البردة مطبوعة في آخر كتاب دلائل الخيرات ٢٦١.

(٣) **انظر** تيسير العزيز الحميد ص٢٢٢، وصيانة الإنسان ص٨٥، وتقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ١٥/٢.

(٤) **انظر** ديوان البرعي ط٦ ١٤

وإن نزلت ضريحا لا أنيس به ... فكن أنيس وحيد فيه منفرد

وارحم مؤلفها عبد الرحيم ومن ... يليه من أهله وانعشه وافتقد

وإن دعا فأجبه واحم جانبه ... من حاسد شامت أو ظالم نكد

وقال من قصيدة أخرى[1]:-

يا سيدي يا رسول الله يا أملي ... يا موئلي يا ملاذي يوم تلقاني

هبني بجاهك ما قدمت من زلل ... جودا ورجح بفضل منك ميزاني

واسمع دعائي واكشف ما يساورني ... من الخطوب ونفس كل أحزاني

فأنت أقرب من ترجى عواطفه ... عندي وإن بعدت داري وأوطاني

إني دعوتك من نيا بتي برع ... وأنت أسمع من يدعوه ذو شان

فامنع حماي وأكرمني وصل نسبي ... برحمة وكرامات وغفران

ويقول البكري[2] من قصيدة له[3]:-

ما أرسل الرحمن أو يرسل ... من رحمة تصعد أو تنزل

في ملكوت الله أو ملكه ... من كل ما يختص أو يشمل

إلا وطه المصطفى عبده ... نبيه مختاره المرسل

واسطة فيها وأصل لها ... يعلم هذا كل من يعقل

ولذ به في كل ما ترتجي ... فإنه المأمن والمعقل

وناده إن أزمة أنشبت ... أظفارها واستحكم المعضل

---

(١) انظر ديوان البرعي ص٨٣.

(٢) سبقت ترجمته، انظر ص٢٧.

(٣) انظر شواهد الحق ص٣٨٩، وأورد هذه القصيدة محمد بن علوي المالكي في الذخائر المحمدية ١/١٥٨ وقال إنها مجربة لقضاء الحوائج وتقرأ آخر الليل مكرراً البيت الأخير ثلاثا وسبعين مرة، نقلا عن محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ص١٩٩.

يا أكرم الخلق على ربه وخير من فيهم به يسأل
قد مسني الكرب وكم مرة فرجت كربا بعضه يعضل
فبالذي خصك بين الورى برتبة عنها العلا تنزل
عجل بإذهاب الذي أشتكي فإن توقفت فمن أسأل

وهذه النظرة الغالية غالبا ما توجد في أشعار المادحين لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم[١] الذين جاوزوا الحد في مدحه عليه الصلاة والسلام وعصوه في نهيه من الغلو فيه، وإطرائه كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، وصار حظهم منه صلى الله عليه وسلم هو مدحه بالأشعار والتغني بالقصائد الغالية، والإطراء الزائد مع عصيانهم له في أمره، ونهيه ، وهذا بعينه هو الذي ادعته النصارى في عيسى عليه السلام؛ إلا أن أولئك أطلقوا عليه اسم الإله، وهؤلاء لم يطلقوه عليه؛ لكنهم أتوا بلباب نظرتهم، وخلاصتها، وتركوا الاسم؛ إذ في الاسم نوع تمييز، فرأى الشيطان أن الإتيان بالمعنى دون الاسم أقرب إلى ترويج الباطل، وقبوله عند ذوي العقول السخيفة؛ إذ كان متقررا عند أمة محمد ﷺ أن دعوى النصارى في عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام كفر، فلو أتاهم بدعوى النصارى اسما ومعنى لردوه، وأنكروه، فأخذ المعنى، وأعطاه هؤلاء الشعراء، وترك الاسم للنصارى، وإلا فما ندري ماذا أبقى هؤلاء الشعراء بهذا الغلو الزائد للخالق تعالى وتقدس من سؤال مطلب، أو تحصيل مأرب، فالله المستعان[٣].

---

(١) ومن أراد أن يقف على كومة من هذا الغلو المرفوض شرعا فلينظر في كتاب شواهد الحق للنبهاني فإنه جمع عدة قصائد من هذا النوع، انظر ص ٣٥٠.

...

(٣) انظر تيسير العزيز الحميد ص٢٢٥، وحقوق النبي ﷺ على أمته للدكتور التميمي٢/٧١٨.

وينقل النبهاني عن أحد شيوخه أنه سئل عن الاستغاثة بالأنبياء، والأولياء فقال: (ربما جعل الله تبارك وتعالى لهم التصريف في قبورهم بحسب صدق من توجه إليهم... وقد استدارت أبواب جميع الأولياء رضي الله تعالى عنهم لتغلق، وما بقي مفتوحا إلا باب سيد المرسلين ﷺ وزاده فضلا، وشرفا لديه، فمن كان له حاجة فليصل على النبي ﷺ ألف مرة بتوجه تام يسأله في قضاء حاجة؛ فإنها تقضى إن شاء الله تعالى)[1].

ويقول صاحب المواهب اللدنية: (وينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء، والتضرع، والاستغاثة، والتشفع، والتوسل، والتوجه به صلى الله عليه وسلم فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه؛ فإن كلا من الاستغاثة، والتوسل، والتشفع، والتوجه للنبي ﷺ...واقع في كل حال قبل خلقه، وبعده، في مدة حياته في الدنيا، وبعد موته في مدة البرزخ، وبعد البعث في عرصات القيامة)[2].

ثم استمع إلى النبهاني -وهو يقرر ويوجه مسألة الاستغاثة بالنبي ﷺ فيقول:(فقد ظهر من هذا أن استغاثة المستغيثين به صلى الله عليه وسلم تجيء على معنيين: **أحدهما**: أن يسأل المستغيث الله تعالى بالنبي ﷺ، أو بجاهه، أو بحقه، أو ببركته أن يقضي حاجته، فالمستغيث على هذا هو الذي يدعو الله تعالى ويجعل واسطة القبول عنده عز وجل نبيه الأعظم، وحبيبه الأكرم صلى الله عليه وسلم، والمعنى **الثاني**: أن يسأل المستغيث النبي ﷺ ليدعو الله تعالى وليسأله قضاء حاجته؛ لأنه حي في قبره كما يسأله الناس الشفاعة يوم القيامة فيشفع لهم، وكما سأله الناس في حياته الدنيوية

---

(١) شواهد الحق ص١٤٩.

(٢) الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص٦٠٤.

الدعاء بالاستسقاء، وغيره فدعا لهم بالسقيا، وغيرها فاستجاب الله له، وجميع الاستغاثات الواقعة في كتابي هذا لا تخلو عن هذين المعنيين)[1].

ويقول محمد بن علوي المالكي: (فإن قالوا: إن الممنوع إنما هو سؤال الأنبياء، والصالحين من أهل القبور في برازخهم؛ لأنهم غير قادرين، وقد سبق رد هذا الوهم مبسوطا وإجماله: إنهم أحياء قادرون على الشفاعة، والدعاء، وحياتهم حياة برزخية لائقة بمقامهم يصح بها نفعهم بالدعاء، والاستغفار، والمنكر لذلك أخف أحواله أنه جاهل بما كاد يلحق بالمتواتر من سنته عليه الصلاة والسلام الدال على أن موتى المؤمنين لهم في حياتهم البرزخية العلم، والسماع، والقدرة على الدعاء، وما شاء الله من التصرفات، فما الظن بأكابر أهل البرزخ من النبيين، وسائر الصالحين؟!)[2].

ومن غلاة الصوفية من يرى أن زيارة قبر النبي ﷺ أفضل من الحج إلى بيت الله الحرام، وأن الاستغاثة به أنجع، وأنفع من الاستغاثة بالله تعالى، ودعائه[3].

ومنهم من يقول: (إن النبي ﷺ لا يخلو منه زمان ولا مكان) ومرادهم بذلك أنه ما من زمان إلا وهو فيه موجود، ولا من مكان إلا وهو فيه موجود[4].

ويدعون أنه صلى الله عليه وسلم يحضر كل مجلس، أو مكان أراد بجسده، وروحه، وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض، وفي الملكوت، وهو بهيئته

(١) شواهد الحق ص١٤١، **وانظر** الرد عليه في غاية الأماني٢/٣٨، ٢٧٣، ٣٤١.

(٢) مفاهيم يجب أن تصحح ص١٨٠، وراجع ص ١٦٨، **وانظر** الرد عليه في هذه مفاهيمنا ص١٢٣، وحوار مع المالكي ص٨٠.

(٣) **انظر** تلخيص كتاب الاستغاثة٢/٦٧٣.

(٤) **انظر** غاية الأماني١/٤٨.

التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء، فإذا أراد الله أن تراه عين رفع عنه الحجاب فيراه على هيئته التي كان عليها[1].

ويقول زعيم البريلوية: (إن كل مفاتيح الكون في يد رسول الله ﷺ وهو مالك الكل، والنائب الأكبر للقادر وهو الذي يملك كلمة كن..وهو المبرئ من السقم، والآلام، والكاشف عن الأمة كل خطب، وهو المحيي،وهو الدافع عن[2] المعضلات، والنافع للخلق، والرافع للمراتب، وهو الحافظ، والناصر، وهو دافع البلاء، أيضا وهو الذي أبرد على الخليل النار، وهو الذي يهب، ويعطي، وحكمه نافذ، وأمره جار في الكونين)[3].

ومن شعره في النبي صلى الله عليه وسلم قوله[4]:-

منه الرجا منه العطا منه المدد   في الدين والدنيا والاخرى للأبد

ويزعم أيضا أن النبي ﷺ متصرف في الكون، وأنه يوجد في كل مكان، وأن اسمه مكتوب على العرش؛ ليعلم أن العرش ملكه[5]... إلى غير ذلك من الكفر الواضح، والاعتقاد الفاضح.

ومن الغلاة من يقول في قول الله تعالى:﴿**إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا با لله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا**﴾[6]، يقول إن

---

(١) **انظر** رماح حزب الرحيم للفوتي ٢١٩/١ مطبوع بهامش جواهر المعاني لعلي حرازم، **وانظر** الرد عليه في مشتهى الخارف الجاني لمحمد الخضر الجكني الشنقيطي ص٩١.

(٢) هكذا في النص، ولعل الأنسب للسياق (الدافع للمعضلات).

(٣) الاستمداد على أجيال الارتداد للبريلوي ص٢٩، وما بعدها نقلا عن البريلوية لإحسان إلهي ظهير ص٦٨.

(٤) **انظر** الأمن والعلى للبريلوي ص١٠٥ نقلا عن البريلوية لإحسان إلهي ظهير ص٦٨.

(٥) **انظر** مواعظ نعيمية ص٢٧ نقلا عن البريلوية لإحسان إلهي ظهير ص٦٩، **وانظر** المهند على المفند لخليل أحمد إلياس ص١٤.

(٦) سورة الفتح الآيتان (٨-٩).

الرسول ﷺ هو الذي يسبح بكرة وأصيلا. ومنهم من يقول: اسقط الربوبية، وقل في الرسول ما شئت، كما قال قائلهم[1]:-

دع ما ادعته النصارى في نبيهم   واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

ومنهم من يقول: نحن نعبد الله ورسوله، فيجعلون الرسول ﷺ معبودا[2]، ولم يقف الغلاة عند هذا الحد حتى اعتقدوا أنه الله ذاتا وصفة[3].

واسمع إلى أحدهم يقول: (شأن محمد في جميع تصرفاته شأن الله، فما في الوجود إلا محمد، لا يدرى لحقيقته غاية، ولا يعلم لها نهاية، فهو من الغيب الذي نؤمن به، ولما كانت بشريته صلى الله عليه وسلم نورا محضا كانت فضلاته مقدسة طاهرة، ولم يكن لجسمه ظل كالأجسام الكثيفة، وهذا النور المحمدي هو المعني بروح الله المنفوخ في آدم، فروح الله نور محمد)[4].

وهكذا يفعل الغلو بصاحبه؛ فإنه ما يزال ينحدر به حتى يوقعه في مستنقع الشرك وجحيم الكفران، وهذا بعينه هو ما حصل لغلاة الصوفية في نظرتهم لرسول الله ﷺ فإنهم تجاوزوا تعظيمه صلى الله عليه وسلم التعظيم الشرعي إلى التوسل به توسلا بدعيا، ثم لم يكتف منهم إبليس بهذا القدر حتى زين لهم دعاءه في الملمات، وطلبوا منه قضاء الحاجات، فلم يكتفوا بالدعاء بالواسطة مع ما فيه حتى دعوا الواسطة نفسها؛ من أجل ذلك بالغوا (في تعظيمه صلى الله عليه وسلم حتى رأوا أن الطواف بقبره، والتمسح بترابه،والسجود له من القربات التي يتقرب بها إلى الله عز وجل، واعتقدوا أنه ينفع،ويضر، ويعطي، ويمنع، وأنه يفرج الكربات، وأنه يشفع فيمن

---

(١) **انظر** قصيدة البردة للبوصيري مطبوعة في آخر كتاب دلائل الخيرات ص٢٤٢.

(٢) **انظر** تلخيص كتاب الاستغاثة ٤٢٨/١.

(٣) **انظر** هذه هي الصوفية ص٧٥.

(٤) النفحات الأقدسية للبيطار ص٩ نقلا عن هذه هي الصوفية ص٧٧.

يشاء، ويدخل الجنة من يشاء، وهذا غلو منهم، ومبالغة ممقوتة تؤدي بصاحبها إلى الشرك، والانسلاخ الكامل من الدين إن لم يتب منها)[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (والله تعالى لم يأذن لنا أن نسأل ميتا حاجة؛ لا نبيا، ولا غيره، ولا نطلب منه جلب منفعة، ولا دفع مضرة، ولا أن نقصد بزيارة قبره إجابة دعائنا، بل شرع لنا الإيمان بهم، وبما جاءوا به، والسلام عليهم، فالذي شرع لنا في حق الرسل فيه تحقيق توحيد الله وحده، وتحقيق طاعتهم، وفيه مزيد الرحمة لهم، ورفعة الدرجة، والرضوان لنا ولهم، والأنبياء لا ينقص عند الله جاههم بموتهم، بل هم في مزيد كرامة الله، وإحسانه إليهم، ورفع الدرجات لهم عند الله، وليس في هذا ما يوجب أن نطلب منهم الحاجات بعد الموت كما كانت تطلب منهم في الحياة، ولا أن يؤمروا، وينهوا، ونحو ذلك؛ إذ قد علم بالاضطرار انقطاع هذا الحكم عن جميع الأموات، فيظن هؤلاء الجهال الضلال أن مسألتهم، والطلب منهم هو من باب رفع قدرهم، وكذبوا، ليس الأمر كذلك، وإنما ذلك من باب التكليف لهم، وهم يثابون على ذلك، والمكلف لهم المؤذي يتضرر بذلك، ويعذب به، وإذا طلب سائلهم منهم حاجته لم يكن ذلك سببه جاههم؛ فإن ذلك يطلب ممن لا جاه له عند الله)[2].

وبعد أن بينا نظرة الصوفية للرسول ﷺ ونقلنا من كتبهم المعتمدة عندهم هذه المقولات التي تطفح بالغلو، وترشح بالشرك، والعياذ بالله نقول: إن العوام في زماننا هذا قد تأثروا بما سطرته الصوفية في كتبهم، ومن يأت قبر النبي ﷺ وينصت للواقفين حوله يسمعْ من ذلك الكلام أقوالا، وير من أولئك الواقفين أحوالا تذكرنا بالنصوص

---

(١) مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية ص١٤٧.

(٢) تلخيص كتاب الاستغاثة ١/٢٢٩.

المنقولة عن غلاة الصوفية آنفا، والتي توضح بجلاء نظرتهم الغالية لخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم[1]، وزعمهم أنه واسطة في الدعاء، والرجاء، وسائر أنواع العبادات.

---

(١) وقد لاحظ ذلك وشاهده محمد بن سلطان المعصومي الحنفي فألف رسالته " المشاهدات المعصومية عند قبر خير البرية" **انظر** ص ٧٣.

المبحث الثاني: مقام النبوة والولاية عند الصوفية.

توطئة:

النبوة: خبر خاص يكرم الله به من يصطفيه من عباده ليطلعه على شريعته بما فيها من الأوامر، والنواهي، والوعظ، والإرشاد، والوعد، والوعيد[1].

وهذه الرسالة سفارة العبد بين الله تعالى وبين ذوي الألباب من خلقه ليصلح بها مناحي حياتهم، ومصالحهم الدنيوية، والأخروية[2].

أما الولاية فهي: (مرتبة في الدين عظيمة، لا يبلغها إلا من قام بالدين ظاهرا وباطنا)[3].

وقيل: الولاية في الشرع هي: الإيمان والتقوى[4].

وللولاية الصحيحة جانبان:

أ - جانب يتعلق بالعبد، وهو قيامه بأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، ثم التدرج في مراقي العبودية بالنوافل، وشتى صور العبادات.

ب - وجانب يتعلق بالله سبحانه وتعالى، وهو محبة هذا العبد، ونصرته، وهدايته، وتثبيته على الهداية.

---

(١) **انظر** المنهاج في شعب الإيمان للحليمي١/٢٣٩، وشعب الإيمان للبيهقي١/١٥٠.

(٢) **انظر** بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي٥/١٥، ومقدمة تحقيق دلائل النبوة لقوام السنة تحقيق مساعد الحميد١/١٩ / ومعارج القبول٢/٤٩١.

(٣) مقدمة تحقيق كرامات أولياء الله عز وجل للالكائي تحقيق فضيلة شيخنا الدكتور أحمد سعد حمدان الغامدي ص٧.

(٤) **انظر** إلى التصوف يا عباد الله للشيخ أبي بكر الجزائري ص٣٦، والإنصاف في حقيقة الأولياء للصنعاني ص٩.

قال تعالى:﴿**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾[1]، هذه من جانب الرب سبحانه وتعالى،:﴿**الذين آمنوا وكانوا يتقون**﴾، وهذه من جانب العبد[2].

وذكر الإمام ابن كثير أن الأولياء هم الذين جمعوا بين الإيمان، والتقوى، كما فسرهم ربهم، فكل من كان تقيا كان لله وليا[3]؛ ولهذا قال الإمام الشافعي: (إذا لم يكن العلماء أولياء فليس لله تعالى ولي)[4].

وقد نظم هذا المعنى المختار بن بونة الجكني رحمه الله[5] في كتابه الوسيلة، فقال[6]:-

والأولياء المؤمنون الأتقياء   فالعلماء العاملون أولياء

فكل من اتقى الله تعالى مؤمنا فهو من أولياء الله تعالى، وقد دخل في الآية، وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الولي[7]. فالولي الذي يوالي عبادته، وطاعته تجري من غير أن يتخللها عصيان مقصود من شروطه:

١- أن يكون عالما بأصول الدين حتى يفرق بين الخالق والمخلوق، وبين النبي، والمتنبئ.

---

(١) سورة يونس الآية ٦٢.

(٢) **انظر** مقدمة تحقيق كرامات أولياء الله عز وجل ص٨.

(٣) **انظر** تفسير ابن كثير٢/٤٣٨.

(٤) مشتهى الخارف الجاني ص٤٨٩.

(٥) هو المختار بن بونة الجكني تاج العلماء في عصره في بلاد شنقيط، لا يوجد عالم بعده إلا وله الفضل عليه، كان لا يجارى في النحو والكلام، من أنفع ما ألف نظمه الذي سمّاه ((الاحمرار على الألفية))، كان حيا في أوائل القرن الثالث عشر الهجري. **انظر** الوسيط في تراجم أدباء شنقيط لأحمد بن الأمين الشنقيطي ص٢٧٧.

(٦) **انظر:** الفوائد الكفيلة بمعرفة الوسيلة لمحمد بن الحسن الخديم ص٣١.

(٧) **انظر** مشتهى الخارف الجاني ص٤٦٥.

٢- وأن يتصف بالأخلاق الحميدة التي دل عليها الشرع، والنظر في الورع عن المحرمات؛ بل والمكروهات، وامتثال الأوامر الشرعية، وإخلاص العمل لله تعالى.

٣- وأن لا يتعلق قلبه بما سوى الله تعالى.

٤- وأن يكون حسن المتابعة للنبي ﷺ والاقتداء بسنته في كل صغيرة، وكبيرة.

٥- وأن يلازمه الخوف أبدا. [illegible]، وأن ينظر إلى الخلق بعين الرحمة، والنصيحة، وأن يبذل جهده في مراقبة محاسن الشريعة وتطبيقها، ومطالعة عيوب النفس وآفاتها، والوجل من سوء الخاتمة[1].

يقول العلامة شهاب الدين الآلوسي: (وأحسن ما يعتمد عليه في معرفة الولاية اتباع الشريعة الغراء، وسلوك المحجة البيضاء، فمن خرج عنها قيد شبر بعد عن الولاية بمراحل، فلا ينبغي أن يطلق عليه اسم الولي، ولو أتى بألف ألف خارق، فالولي الشرعي اليوم أعز من الكبريت الأحمر، ولا حول ولا قوة إلا بالله:

أما الخيام فإنها كخيامهم   وأرى نساء الحي غير نسائها)[2]

ومهما بلغ الولي -الولاية الشرعية- من الصلاح، والفلاح، ومهما ترقى في منازل الولاية حتى يبلغ ذروتها فإنه لا يبلغ منزلة النبوة، ولا يقاربها، ولا يزاحمها.

وإذا كان الصوفية يؤمنون بالنبوة حسب تعريفنا السابق في الجملة؛ فإنهم نظروا إلى الولاية نظرة مخالفة للشرع، ومصادمة للنص، فجعلوها دائرة يدخل فيها التقي، وغير التقي، فكل من ظهر على يديه أمر خارق للعادة، أو زعموا أن فيه سرا إلهيا أو انتسب إلى سلسلة المشايخ، أو أرباب الطرق فهو الولي عندهم الذي تولى الله تعالى أمره وجعل فيه سره، فهو مطلع على ملكوت السموات، مشاهد للأفعال،

---

(١) **انظر** لوامع الأنوار٢/٣٩٧، ومشتهى الخارف الجاني ص٤٨٢، وولاية الله والطريق إليها ص١٠٩.

(٢) روح المعاني١١/١٤٩.

والصفات؛ ولهذا عرفوا الولاية بأنها (قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، والولي: هو من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان، أو من يتوالى عليه إحسان الله، وإفضاله، وهو العارف بالله، وصفاته، بحسب ما يمكن المواظب على الطاعات، المجتنب عن المعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات، والشهوات)[1].

وقد سئل شيخ الطريقة التجانية عن الولي فقال: (الولي: من تولى الله أمره بالخصوصية، مع مشاهدة الأفعال، والصفات)[2].

وهذا التعريف الغامض للولي ما هو سره؟ (السر في غموض تعريف القوم للولي هو احتكارهم للفضائل كي لا تكون لغيرهم من سائر المؤمنين، والمسلمين، وبذلك تختص الولاية بمشايخ الطرق، المأذون لهم في إعطاء الورد، والتربية الخلوية، ومن هنا كان الولي عند الصوفية لا يعرفه إلا الخواص، أما عامة المسلمين فلا سبيل لهم إلى معرفة الولي، يشهد لهذه الحقيقة ويقررها ما يلي: سئل التجاني عن الله تعالى، وعن الولي أيهما معرفته أصعب؟ فقال: معرفة الولي أصعب من معرفة الله تعالى.

وأبعد المرسي[3] -وهو من أئمة الصوفية- في تعريف الولي حتى قال: إن الولي لو كشف للناس لعبدوه؛ لأن حقيقة الولي أنه يسلب من جميع البشرية ويتحلى

(١) التعريفات للجرجاني ص٣٢٩، **وانظر** الرسالة القشيرية ص٣٥٩، ومعجم مصطلحات الصوفية لعبد المنعم حنفي ص٢٦٩.

(٢) إلى التصوف يا عباد الله ص٣٦.

(٣) هو أبو العباس أحمدبن عمر شهاب الدين المرسي الصوفي، تلميذ شيخه الشاذلي الصوفي، أصله من مرسية في الأندلس، وعاش في الإسكندرية، وللمصريين فيه اعتقاد عظيم، ومن أقواله الشنيعة قوله:((لو كان الحق سبحانه وتعالى يرضيه خلاف السنة لكان التوجه في الصلاة إلى القطب الغوث الواسطة أولى من التوجه إلى الكعبة))مات سنة ٦٨٦هـ. **انظر** طبقات الشعراني٢/١٢، والأعلام١/١٨٦.

بالأخلاق الإلهية ظاهرا وباطنا، ولذا لو كشف الولي للعبد لعبده، وقالوا: إن دائرة الولي أوسع من دائرة النبي، وهذا تفضيل منهم للولي على النبي بأسلوب خفي)[1].

وتراهم يعظمون من شأن الولاية ويهولون من أمر الولي حتى قالوا: (من ادعى أنه ولي يموت كافرا -والعياذ بالله- والحكاية التالية تكشف لنا عن مدى بعد الولاية في اعتقاد القوم واحتكارهم لمنصبها ومقامها.

قال الشيخ أحمد التجاني في رجل لا يمشي إلا ساترا وجهه - قال: ولعله بلغ مرتبة الولاية؛ فإن من بلغها يصير كل من رأى وجهه لا يقدر على مفارقته طرفة عين، وإن فارقه، وانحجب عنه مات لحينه، وحسبك -أخي المسلم- بهذا التعريف للولي من تعريف إنه سخرية وهزء بعقول المؤمنين)[2].

ويروون عن الشيخ البدوي أنه كان يلقب بذي اللثامين؛ لأنه كان يتلثم بلثامين، فقال له رجل من مريديه: أرني وجهك، فقال له البدوي: كل نظرة برجل! فقال: أرنيه، ولو مت، فكشف البدوي وجهه فمات الرجل لحينه[3].

ويقول السرهندي مبينا مقام النبوة والولاية عندهم، وأنه يصح أن يشارك الولي النبي فيصبح لابسا للوشاحين، ومتربعا فوق المقامين فيقول: (ينبغي أن يعلم أنه يصح أن يصل شخص من طريق قرب الولاية إلى قرب النبوة، ويكون شريكا في كلتا المعاملتين، ويعطى محلا هناك -أيضا- بتطفل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ويجعل معاملة كلا الطرفين مربوطة به.

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

---

(١) إلى التصوف يا عباد الله ص٣٧.

(٢) إلى التصوف يا عباد الله ص٣٧.

(٣) **انظر** شذرات الذهب ٥/٣٤٦.

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)[1]. إذن لم يقف الصوفية عند تعظيم الأولياء، وادعاء الحفظ لهم، والعصمة، بل زادوا في الخرافة، وتنقيص الأنبياء، فادعوا أن مرتبة الولاية أعلى من مرتبة النبوة. وفي هذا يقول ابن عربي[2]:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

وقال أيضا[3]:

بين الولاية والرسالة برزخ فيه النبوة حكمها لا يجهل

ويصرح ابن عربي بهذا المعتقد -وهو اعتقاد غلاة الصوفية- فيقول: (ولما مثل النبي صلى الله عليه وسلم النبوة بالحائط من اللبن، وقد كمل سوى موضع لبنة، فكان صلى الله عليه وسلم تلك اللبنة غير أنه صلى الله عليه وسلم لا يراها كما قال -لبنة واحدة، وأما خاتم الأولياء فلا بد له من هذه الرؤيا، فيرى ما مثل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرى في الحائط موضع لبنتين، واللبن من ذهب، وفضة، فيرى اللبنتين اللتين تنقص الحائط عنهما، وتكمل بهما لبنة ذهب، ولبنة فضة، فلا بد أن يرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبنتين، فيكون خاتم الأولياء تينك اللبنتين، فيكمل الحائط!)[4].

---

(١) المنتخبات من المكتوبات ص٢٢٦.

(٢) **انظر** مجموع الفتاوى٢/٢٢١، وشرح العقيدة الطحاوية ص٤٩٣.

(٣) **انظر** الفتوحات المكية٢/٢٥٢، **وانظر** الرد عليه في شرح العقيدة الطحاوية ص٤٩٢، وفي رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي تحقيق د. موسى الدويش ص٦١.

(٤) فصوص الحكم ص٦٣، وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن ابن عربي متأثر -فيما ذهب إليه- بالفلاسفة. **انظر** الرد على المنطقيين ص٣٠٢.

ويقول التجاني: (إن لنا منزلة عند الله تناهت في العلو عند الله تعالى إلى حد يحرم ذكره)[1].

فالولاية -عند الصوفية- أعظم قدرا، وأعلى شأنا من النبوة، وخاتم الأولياء هو الذي يستمد منه سائر الأولياء، وحتى الأنبياء، والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء؛ لأن ولاية الرسول أعلى من نبوته، فالرسول من حيث هو ولي أتم من حيث هو نبي رسول؛ لأن النبوة، والرسالة منقطعة، وأما الولاية فلا تنقطع أبدا.

يقول ابن عربي: (واعلم أن الولاية هي الفلك المحيط العام؛ ولهذا لم تنقطع ولها الإنباء العام، وأما نبوة التشريع، والرسالة فمنقطعة...، والرسول عليه السلام من حيث هو ولي أتم من حيث هو نبي رسول)[2].

ويرى بعض غلاة الصوفية أن كلمة (الولاية) قد تعني الربوبية، ويستدل على هذا الرأي بقول الله تعالى:﴿**هنالك الولاية لله الحق**﴾[3][4].

فخاتم الأولياء يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك[5]؛ بل (خاتم الأولياء مثل خاتم الأنبياء، وقد يفضله؛ لأنه الولي الرسول، النبي، وخاتم الأولياء)[6].

---

(١) جواهر المعاني٢/٩٣، **وانظر** الرد عليه في مخازي الولي الشيطاني مطبوع في نهاية مشتهى الخارف الجاني ص٦١١، وهذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل ص١١١.

(٢) فصوص الحكم ص١٣٤، **وانظر** جلاء العينين ص١٣٦، والصوفية في نظر الإسلام ص١٧٦.

(٣) سورة الكهف الآية ٤٤.

(٤) **انظر** الحركة الصوفية في الإسلام للدكتور محمد أبي ريان ص٣٠٩.

(٥) **انظر** فصوص الحكم ص٣٦، **وانظر** الرد عليه في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص٣٩، ومجموع الفتاوى٢/٢٢٠.

(٦) معجم مصطلحات الصوفية ص٨٧، **وانظر** العلم الشامخ للمقبلي ص٢٤٠.

وتبدو الولاية كاملة في نظر الصوفية -عند ما تصبح قوى الكون مسخرة للولي بقوة روحانية فيصبح قادرا على الإتيان بالمعجزات، والخوارق، والإخبار بالمغيبات، والتلقي من الهواتف، والنطق بالسريانية دون تعلم، ويرى الولي نفسه في منزلة، أو مقام لا يمتنع فيه عليه عسير، ولا يستحيل أمام إرادته أمر؛ حتى إنه يقول للشيء: (كن فيكون!). وطريق الوصول إلى مقام الولاية هو العلم اللدني الذي يزعمون أن الولي يتلقاه عن الله تعالى بلا واسطة[1]. ويزعمون أن من الكرامة أن تفاض على الولي جميع الأسرار، والعلوم فيضا[2].

ومن موازناتهم بين الرسالة، والنبوة، والولاية، أو القطبانية -كما يسمونها- قول بعضهم: (فليس يظهر الكمال صورة، ومعنى، وحسا، بريئا من النقص بكل وجه، وبكل اعتبار إلا في ثلاث مراتب فقط، لا ما عداها، وهي: الرسالة لمن دخل حضرتها، والنبوة لمن دخل حضرتها، والقطبانية لمن دخل حضرتها، فإن هذه الثلاثة لا صورة للنقص فيها...فإذا عرفت هذا فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيه صلى الله عليه وسلم في التعظيم، والمحبة، والاستمداد، والانقطاع إليه بالقلب، فلا يعادل به غيره في هذه الأمور، ولا يشرك معه غيره)[3].

ولعل السبب في هذه النظرة الخرافية لمقام الولاية، والغلو الزائد في الولي هو تهيئة الشيخ الصوفي لمنصب الخلافة الربانية، وتجويز جعله واسطة بينهم، وبين الله تعالى؛ لأن من سمت منزلته وعلا مقامه فوق منزلة النبوة، ومقام الرسالة -من كان هذا شأنه- كيف لا يكون واسطة؟ وكيف لا يتوجه إليه المذنبون، والخاطئون،

---

(١) انظر الصوفية في نظر الإسلام ص١٦٨.

(٢) انظر مجلة المنار٤/٦٨٠.

(٣) ميزاب الرحمة الربانية ص٣٣.

والمحتاجون، يستمدون منه الفيوضات، ويسترفدون منه الهدايا، والأعطيات؟! من أجل ذلك كله جعلوا هؤلاء الأولياء واسطة بينهم، وبين الله تعالى.

يقول أحمد التجاني -شيخ الطريقة التجانية-: (اعلم أن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقا في جميع الوجود جملة، وتفصيلا، حيثما كان الرب إلها كان هو خليفة في تصريف الحكم، وتنفيذه في كل من عليه ألوهية الله تعالى، ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق والخلق، فلا يصل إلى الخلق شيء كائنا من كان من الحق إلا بحكم القطب، وتوليه، ونيابته عن الحق في ذلك، وتوصيله كل قسمة إلى محلها، ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود جملة وتفصيلا، فترى الكون كله أشباحا لا حركة لها، وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلا)[1].

وهذا القطب -الخرافة- له (ثلاثمائة وست وستون ذاتا إحداها[2] بمكة المشرفة لا يبرح منها ما دام حيا، والذات الترابية حيث أراد الله تعالى من البلاد....وفرق في هذه الذوات باعتبار ما يختص به كل منها، وأي ذات اختصت بشيء من الترقيات، والتجليات، والفتوحات، والأسرار وغيرها في بلد، فذلك الاختصاص سار لجميعها)[3].

والأولياء -عموما- ترد عليهم أحوال يشاهدون فيها ملكوت السموات والأرض، وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات[4].

---

(١) جواهر المعاني٢/٨١، **وانظر** معجم ألفاظ الصوفية ص٢٣٥، والرد عليهم في تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي١/٩٤.

(٢) في بغية المستفيد (أحدها) -على التذكير- والذات مؤنثة.

(٣) بغية المستفيد ص١٨٦.

(٤) **انظر** المرجع السابق ص٢١٢.

والأولياء عند الصوفية بعضهم أعلى من بعض، وفي صراع دائم على القطبية، والبرزخية، والخلافة العظمى، والختمية، فشيخ التجانية لما سمع المقالة الشهيرة عن الشيخ عبد القادر الجيلاني،وهي أنه قال: (قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى) نهض وكان متكئا، فاستوى جالسا، ومد رجليه، وقبض عليهما بيديه.

وقال: الشيخ عبد القادر قال ذلك في أولياء زمانه، وأنا أقول: (قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله تعالى من لدن آدم عليه السلام إلى النفخ في الصور).

وسبب ذلك كما يقول أحد مريديه وأتباعه: أن جميع الكمالات، والكرامات، والخصائص التي نالها أحد من العارفين المقربين فقد أعطاها الله تعالى لهذا الولي التجاني، ومنه تفيض على سائر أولياء الله تعالى من أجل ذلك خضعت له من جميع الأولياء الأعناق، وأذعنوا لمقامه في عوالم الغيب بالإطباق، فهو القطب المكتوم،وهو الواسطة بين الأنبياء، والأولياء، فكل ولي لله تعالى من لدن آدم إلى النفخ في الصور لا يتلقى فيضا، ولا يجد مددا من حضرات الأنبياء إلا بواسطته من حيث لا يشعرون، ومدده الخاص يتلقاه من خاتم النبيين ﷺ، ولا اطلاع لأحد على فيضه الخاص[1].

وعند مقارنة قول الجيلاني، والتجاني في قيادة الأولياء نجد أن الجيلاني قيد الحكم بأولياء زمانه ومع ذلك قيل إنه ندم عند وفاته على هذا القول، ووضع خده على الأرض[2]، أما التجاني فقد أطلق الحكم، وادعى ما لا دليل عليه من الشرع أو الطبع[3].

---

(١) **انظر** بغية المستفيد ص٢٢٤.

(٢) **انظر** الجواهر والدرر للشعراني مطبوع بهامش الإبريز ص١٤٢.

(٣) **انظر** الرد عليه في مشتهى الخارف الجاني ص٥٣٥.

ولبيان حقيقة النبوة، والولاية عند الصوفية نجد أنهم لم يجعلوا إدراك حقيقة النبوة مقصورا على الأنبياء وحدهم؛ بل يرون أن أي إنسان يملك أنموذجا من خاصية النبوة، وهو ما يدرك أثناء النوم.

يقول الغزالي[1]: (وأما ما عدا هذا من خواص النبوة فإنما يدرك بالذوق من سلوك طريق التصوف)[2].

ويذهب الغزالي إلى أن الأولياء يدركون خاصية النبوة في تلقي الوحي والإلهام مثل سائر الأنبياء، حيث يقول: (بل قد تتمثل للأنبياء، والأولياء في اليقظة والصحة صورة جميلة محاكية لجوهر الملائكة وينتهي إليهم الوحي والإلهام فيتلقون من أمر الغيب في اليقظة ما يتلقاه غيرهم في النوم، وذلك لشدة صفاء باطنهم)[3].

هكذا يرى الغزالي -وهو الإمام الحجة عند الصوفية- أن مقام الولاية مزاحم لمقام النبوة؛ ولذلك نجده كثيرا ما يقرن اسم الأولياء مع الأنبياء فيما يتعلق بالوحي والإلهام والكشوفات[4].

(ولعلك تلحظ -بعد كل ما ذكرته لك- أن ما يدعيه الغزالي من الكشوفات الصوفية إنما هو انتقاص من مرتبة النبوة، ودعوة عامة للجميع إلى تسلقها، وارتقائها، وهذا الرأي له خطورته التي تفوق خطورة الرأي الباطني القائل بفيضان العلوم الموحاة إلى الإمام المعصوم؛ حيث إن عدد الأئمة الموحى إليهم -عند الباطنية- لا يتعدى اثني

---

(١) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي، قال عنه ابن كثير: كان من أذكياء العالم في كل ما يتكلم فيه، له مصنفات منتشرة في فنون عديدة منها:((فضائح الباطنية)) و((إحياء علوم الدين))، كانت وفاته سنة ٥٠٥هـ. **انظر** البداية والنهاية١٢/١٧٣، وسير أعلام النبلاء١٩/٣٢٢.

(٢) المنقذ من الضلال للغزالي ص٧٢.

(٣) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ص١٣.

(٤) **انظر** أبو حامد الغزالي والتصوف لعبد الرحمن دمشقية ص١٦٩.

عشر إماما؛ أما عدد الأولياء الذين يتلقون العلوم الكشفية فإنه لا حصر له ألبتة؛ إذ باب الوحي مفتوح على مصراعيه، وما عليك إلا أن تصفي قلبك من الكدورات، وتنقيه من المعاصي، ثم تخلو بنفسك في زاوية، وتفتح عين الباطن جاعلا قلبك في عين الملكوت حتى تنفتح لك تلك الطاقة، وتظهر لك أرواح الملائكة، والأنبياء، والصور الحسنة الجميلة الجليلة، فينكشف لك ملكوت السموات والأرض، وترى مالا يمكن وصفه ولا شرحه)[١].

ومع ذلك فإن الصوفية لا يسمحون بفتح باب الولاية لكل أحد؛ بل يجعلون الدخول من هذا الباب لصفوة خاصة من الناس مختارة.

يقول المستشرق نيكو لسون[٢]: (ولكن ليس معنى هذا أن جميع الصوفية أولياء؛ فإن الأولياء ليسوا في الحقيقة إلا طائفة قليلة من خواص أهل الله من الرجال، والنساء الذين وصلوا إلى أعلى مراتب الأحوال الصوفية، وهم من حيث صلتهم بالله بمثابة المرايا التي تنعكس عليها صورة الذات الإلهية، أو المجالي التي يتجلى الله فيها للخلق)[٣].

وللأولياء عند الصوفية حكومة باطنة تتصرف في الكون وتحفظ عليه نظامه، ويتزعمها القطب، وتحته: النقباء، والأوتاد، والأبرار، والأبدال، أو البدلاء، ويزداد

(١) المرجع السابق ص١٧٣، انظر الصوفية في نظر الإسلام لسميح عاطف ص١٧٣.

(٢) هو رينولد ألين نيكولسون، مستشرق إنجليزي، ولد سنة ١٨٦٨م، تعلم العربية والفارسية في انجلترا وألمانيا، وقام بالتدريس في جامعة كيمبردج، وتخصص في اللغات الشرقية وآدابها، وفي عام١٩٢٦م صار كبير محاضري اللغة العربية والفارسية وآدابها، وكان اعتناؤه منصبا على الجانب التصوفي عند المسلمين، من مؤلفاته:((الصوفية في الإسلام)) و((فكرة الشخصية في التصوف)) و((في التصوف الإسلامي)) وغيرها، مات سنة ١٩٤٥م. انظر الموسوعة العربية الميسرة بإشراف محمد شفيق غربال٢/١٨٦٨.

(٣) في التصوف الإسلامي لنيكولسون ص١٥٧.

كل صنف من هذه الأصناف بحسب درجة بعدهم من القطب، وهذا التصور لمقام الأولياء ربما أخذته الصوفية عن الشيعة، أو الإسماعيلية[1].

ويرى المستشرق نيكو لسون أن المعتدلين من الصوفية يعتقدون أن النبي محمدا ﷺ فوق كل ولي مهما سمت درجته، وعلت مكانته، أما غلاتهم القائلون بوحدة الوجود، والصوفية الذين ينكرون الوحي، ويكفرون بالأديان السماوية فيرون أن مقام الولاية أرفع قدرا، وأعلى شأنا من مقام النبوة[2].

وما ذكره هذا المستشرق وجدنا من الصوفية من يصرح به، فالسرهندي من علماء الصوفية -صرح بالمقام الصحيح للولاية حيث ذكر أنه ينبغي أن يعلم أنه ما من مسألة اختلف فيها العلماء، والصوفية، ولوحظ فيها حق الملاحظة إلا وجد الحق فيها في جانب العلماء، وسر ذلك: أن نظر العلماء بواسطة متابعة الأنبياء عليهم السلام نافذ إلى كمالات النبوة، وعلومها، ونظر الصوفية مقصور على كمالات الولاية ومعانيها؛ فلا جرم إذن أن يكون العلم المأخوذ من مشكاة النبوة أصوب، وأصفى، وأصح من العلم المأخوذ من مرتبة الولاية، والمجاهدة، ثم أعلن قائلا: (فلاح من هذا التحقيق أنه لا يبلغ ولي قط درجة نبي من الأنبياء عليهم السلام بل يكون رأس الولي تحت قدم نبي على الدوام)[3].

ويقول الدباغ: (وقد غلط بعض الأولياء من أهل الفتح فظن أن الولي العارف الكبير قد يبلغ مقام النبي في المعرفة، وإن كان في الدرجة لا يصله، وهذا الذي ظنوه

(١) انظر المرجع السابق ص٨١، والإنصاف في حقيقة الأولياء للصنعاني ص١٣.

(٢) انظر في التصوف الإسلامي ص١٥٨.

(٣) المنتخبات من المكتوبات ص٨٢.

غلط مخالف لما في نفس الأمر، والصواب أن الولي، ولو بلغ في المعرفة ما بلغ لا يصل إلى ما ذكروه، ولا يقرب منه أصلا)[1].

وهذا من الحق الذي نطق به هذان الصوفيان وبمقارنته مع ما سبق نقله عن الصوفية وبيان رفعهم لمقام الولاية وتنقيصهم للأنبياء عليهم السلام وخدشهم لمقام النبوة نستخلص أن مناهجهم مضطربة، وأقوالهم متناقضة بسبب بعدهم عن الكتاب والسنة وعدم التقيد بهما، وكل منهج لا يستمد قواعده من الوحي فالاضطراب صفة ذاتية من صفاته، والتناقض سمة بارزة من سماته، والتخبط نتيجة حتمية من نتائجه؛ إذ كيف يعد كل من ظهرت منه مكاشفات أو تصرفات شيطانية يعد بمجرد ذلك وليا من أولياء الله تعالى؟ (فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله؛ مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي ﷺ باطنا وظاهرا؛ بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة، أو يعتقد أن لأولياء الله طريقا إلى الله غير طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أو يقول: إن الأنبياء ضيقوا الطريق، أو هم على قدوة العامة دون الخاصة، ونحو ذلك مما يقوله بعض من يدعي الولاية، فهؤلاء فيهم من الكفر ما يناقض الإيمان، فضلا عن ولاية الله عز وجل، فمن احتج بما يصدر عن أحدهم من خرق عادة على ولايتهم كان أضل من اليهود والنصارى)[2].

فالصوفية عند ما نظروا إلى الأولياء نظرة غالية، وادعوا أنهم واسطة بينهم وبين الله تعالى لزم هذا الادعاء أمران: **أحدهما**: رفع مقام الولاية فوق مقام النبوة، والغلو في الولي، واعتباره محفوظا، أو معصوما إلى غير ذلك. **وثانيهما**: خدش مقام النبوة،

---

(١) الإبريز ص٢٧٧.

(٢) الفرقان لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٢٢، **وانظر** مشتهى الخارف الجاني ص٤٨٣.

والحط من منزلة الرسالة، وتنقيص الأنبياء، وجعل الأولياء في رتبة الأنبياء، وربما فضلوا خاتم الأولياء على جميع الأنبياء، والرسل عليهم الصلاة والسلام[١].

ولعل السبب في شيوع هذا المفهوم الخاطئ لمقام الولاية بين الصوفية على تعدد طرقها هو أن (مقالة الزنادقة هذه كثيرا ما يسعى في ترويجها الفساق من المدعين للولاية، حتى يجدوا مسرح الشهوات واسع المجال بعيد ما بين الجوانب، وانسحبت على ذلك الأغبياء فلم يزنوا سيرة المدعي للولاية بميزان الشريعة، كمسألة التجاني التي تركت الشريعة البيضاء غير محصورة يمكن كل من أراد الإحداث فيها من المنتسبين إلى الطريقة الصوفية إحداث ما شاء إلى يوم القيامة، أن المنتسبين للعلم يهابون التعرض لكل من ادعى الولاية بحالة أو مقالة، وما ذلك إلا من ضعف البصيرة، وقلة الرسوخ في العلم، وعدم التحقق بحقائق الدين التي يضمحل أمامها كل باطل، وتسقط تجاهها كل دعوى كاذبة كما كان عليه سلف هذه الأمة، وخلفها من الإنكار على كل من أدخل في دين الله تعالى ما ليس منه؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون)[٢].

ولانتشار الطرق الصوفية في ربوع العالم الإسلامي -إلا ما رحم ربي- أصبح مفهوم الولي عند عامة الناس اليوم (هو إما من انتصب للإذن بالأوراد الطرقية ولو كان في جهله بدينه مساويا لحماره، وإما من اشتهر بالكهانة وسموه -حسب اصطلاحهم- مرابطا ولو تجاهر بترك الصلاة، وأعلن شرب المسكرات، وإما من انتمى إلى مشهور بالولاية، ولو كان إباحيا لا يحرم حراما، وحق هؤلاء الأولياء الجزم بولايتهم، وعدم التوقف في دخولهم الجنة، ثم الطاعة العمياء، ولو في معصية الله،

---

(١) راجع المبحث السابق (تنقيص بعض أهل الأهواء لمقام الواسطة الصحيحة) لتقف على نماذج من تلك التنقيصات الفاضحة، والزندقة الواضحة ص٥٣ من هذه الرسالة.

(٢) مشتهى الخارف الجاني ص١٢٨.

وبذل المال لهم، ولو أخل بحق زوجته، وصبيته، والثقة بهم، ولو خلوا بالخُرَّدِ العِين، وَبَعْدُ فَهُمُ المطلوبون في كل شدة، ولكل محتم بهم عدة، وهم حماة للأشخاص، والقرى، والمدن، كبيرها، وصغيرها، حاضرها، وباديها، فما من قرية بلغت ما بلغت في البداوة، أو الحضارة إلا ولها ولي تنسب إليه فيقال: سيدي فلان هو مولى البلد الفلاني، ويجب عند هؤلاء الناس -أن يكون علماء الدين خدمة لهؤلاء الأولياء، مقرين لأعمالهم، وأحوالهم، غير منكرين لشيء منها، وإلا أوذوا بضروب السباب، ومستقبح الألقاب)[1].

ومظاهر الولاية -عند الصوفية- تعتمد على قذارة الثياب، واختيار لون خاص من الألوان، وإطالة شعر الرأس، ولباس الخرقة، والمرقعة، والتشرد في الأرض، وذهول الولي عن نفسه، وفساد نفسه، ونكران وجوده[2].

فتبين -من هذا التحقيق- أن الصوفية نظروا إلى الولاية نظرة ذوقية، غالية، بعيدة عن نظرة الشرع، فرفعوا من مقامها إلى حد لا يعتقده العاقل، ثم تناهوا في الرفع من شأنها، ومقامها حتى جعلوها فوق مقام النبوة، ومنزلة الرسالة؛ ليبنوا على ذلك معتقدهم الفاسد في الأولياء، وجعلهم واسطة في دعاء الله تعالى، وندائه، ورجائه، وربما انقطعوا عن الله تعالى إلى هؤلاء الوسائط من الأولياء، استمدادا، واسترفادا، واستغاثة، واستعانة. وإذا ما وزنا نظرة الصوفية هذه بميزان الشرع وجدناها باطلة؛ لأنها بنيت على باطل. والله تعالى أعلم.

---

(١) رسالة الشرك ومظاهره للميلي ص١٢٢، وتقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ١/٥٦.

(٢) انظر الصوفية في نظر الإسلام ص١٧٢، والسنن والمبتدعات للشقيري ص٣٣٧.

المبحث الثالث: صورة الواسطة البدعية عندهم في الأحياء.

يأمر الصوفية الأتباع المريدين بالتعلق الشديد بأوليائهم من المشايخ، وأرباب الطرق المتبوعين؛ وذلك عن طريق العقد الذي يكون بين المريد، والشيخ، ويلتزم بموجبه المريد اتصاله بالشيخ الواسطة والانقطاع إليه، والاستمداد منه، والارتباط به حيا وميتا، وهذا العقد يعرف بـ"العهد" و "الميثاق"، وصورته: (أن يتعهد الطرف الأول: وهو الشيخ بأن يخلص المريد من كل شدة، ويخرجه من كل محنة متى ناداه، مستغيثا به، كما يشفع له يوم القيامة في دخول الجنة، ويتعهد الطرف الثاني: وهو المريد بأن يلتزم بالورد وآدابه، فلا يتركه مدى الحياة، كما يلتزم بلزوم الطريقة، وعدم استبدالها بغيرها من سائر الطرق)[1].

ولنستمع إلى أحدهم وهو يبين فلسفتهم في ربط قلب المريد بالشيخ -الواسطة- فيقول: يشترط (ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد، والاستمداد على وصف التسليم، والمحبة، والتحكيم، فيكون اعتقاده أن هذا المظهر هو الذي عيَّنه الحق سبحانه للإفاضة عليه، وأنه لا يحصل له الفيض إلا بواسطته دون غيره، ولو كانت الدنيا مملوءة بالمشايخ، ومتى ما يكون في باطن المريد تطلع إلى غير شيخه لم يفتح باطنه إلى الحضرة الواحدية؛ فالإنسان في الجهة، وله بدن، وروح، والله تعالى منزه عن الجهة، فحكمته اقتضت الاستفاضة ممن في الجهة عن الفياض الحق الذي ليس في الجهة....ومن هنا يعرف أن المناسبة بين المفيض، والمستفيض فيما يتعلق بالاستفاضة شرط، وقد ورد في بعض الأحاديث على ما أثبت المشايخ في كتبهم أن الشيخ في قومه كالنبي في أمته، فلا بد للمريد أن يتوجه إلى شيخه بربط قلبه معه، ويتحقق أن الفيض لا يجيء إلا بواسطته، وإن كان الأولياء كلهم هادين مهتدين يعتقد كلهم،

---

(١) إلى التصوف يا عباد الله ص١١، **وانظر** هذه هي الصوفية للوكيل ص٩٩.

ويدعو لهم؛ لكن استمداده الخاص، واستفاضته تكون من روحانية شيخه وحده، ويعلم أن استمداده من شيخه استمداده من النبي ﷺ فإن شيخه متعلق، مستمد من شيخه، وشيخه من شيخه أيضا، وهكذا إلى رسول الله ﷺ فهو مستمد بالحقيقة من رسول الله ﷺ، وهو من الحق جل وعلا..فربط القلب بالشيخ أصل كبير في الاستفاضة؛ بل هو أصل الأصول)[1].

وقد بين الغزالي صورة الواسطة البدعية في الأحياء بوجه ذكره في بعض كتبه؛ حيث يرى أن المتأله الذي صفا قلبه يشرق عليه النور من الحضرة الإلهية بغير واسطة، وأما المتبع للرسول المقتدي بالوحي فهذا يحتاج إلى واسطة.

يقول الغزالي: (من استولى عليه التوحيد فقد تأكدت مناسبته مع الحضرة الإلهية، فأشرق عليه النور من غير واسطة، ومن استولت عليه السنن، والاقتداء بالرسول، ومحبة اتباعه، ولم ترسخ قدمه في ملاحظة الوحدانية لم تستحكم مناسبته إلا مع الواسطة، فافتقر إلى واسطة في اقتباس النار)[2].

ثم ضرب لذلك مثالا محسوسا، وهو أن الحائط الذي ليس مكشوفا للشمس يحتاج إلى واسطة الماء المكشوف للشمس حتى يقتبس من أشعتها وضيائها، وهذه حقيقة الشفاعة في الدنيا، فالوزير صاحب الحظوة الممكن في قلب السلطان المخصوص بالعناية قد يغضي السلطان عن هفوات أصحاب هذا الوزير الذي يعفو عن زلاتهم، لا لمناسبة بين السلطان، وأصحاب وزيره، وإنما لمناسبتهم للوزير الذي يناسب السلطان، ففاضت العناية عليهم بواسطة الوزير؛ لا بأنفسهم، ولو ارتفعت الواسطة وحجب الوزير لم تشملهم العناية أصلا[3].

(١) بغية المستفيد لمحمد العربي السائح التجاني ص٢٩٩.

(٢) المضنون به على غير أهله مطبوع ضمن رسائل القصور العوالي٢/١٥١.

(٣) **انظر** المرجع السابق والصفحة نفسها.

ولعل الغزالي -في بيانه لصورة الواسطة هذه متأثر بالفلاسفة الذين مثلوا لمفهوم الواسطة عندهم بالمرآة المجلوة التي تنعكس عليها أشعة الشمس[1].

ويرى بعض الصوفية أن المشايخ على علم دائم بالأحوال الباطنية لمريديهم، مما يجعل العلاقة حميمة بين الشفيع والمشفوع له.

يقول المستشرق نيكو لسون: (ولكن أولياء الصوفية يدعونها أي [الشفاعة] لأنفسهم باعتبارها جزءا مما ورثوه عن النبي عليه السلام؛ ولذا ترونهم يتنافسون في الدعوة التي يقطعونها أمام كل من أحبوهم، أو أسدوا إليهم معروفا؛ بل وكل من رآهم، بأن الله تعالى سيغفر لهؤلاء جميعا من أجلهم، وفي هذا على أقل تقدير لعلاقة شخصية بين الشفيع والمشفوع له)[2].

ولعل أجلي ما تتضح به معالم تعلق المريد بالواسطة البدعية في حال الحياة أن يصرح المتبوعون من المشايخ، والأولياء لأتباعهم ومريديهم أن بيدهم الخلاص، والفلاح لمن توجه إلى الله تعالى بواسطتهم، وتعلق بهم، وآوى إلى جنابهم، ودخل في ساحتهم، ومن تلك النماذج: قول بعضهم لمريده متبجحا، ومصرحا بأنه الواسطة في هذا الكون لحصول المدد، والغياث، والخلاص من الضيق[3]:

نحن الغياث لمن ضاقت مذاهبه   فاهتف بنا إن تضق أو إن تكن تضم

نحن الذين لهذا الكون ذو مدد   يناله من رآنا أو نأى فعمي

وقال الجيلي[4]:

وأمري بأمر الله إن قلت كن يكن   وكل بأمر الله فاحكم بقدرتي

---

(١) راجع صورة الواسطة عند الفلاسفة ص

(٢) في التصوف الإسلامي ص١٦٤.

(٣) **انظر** السنن والمبتدعات للشقيري ص٢٦٤.

(٤) **انظر** جواهر المعاني٢/٨٠.

وكقول ولي آخر: (يا رياح اسكني عليهم بإذني)[1].

ومثل ذلك المقالة المشهورة عن معروف الكرخي أنه قال لتلامذته: (إن كانت لكم إلى الله حاجة فأقسموا عليه بي، فإني الواسطة بينكم وبينه الآن)[2].

وذكر الآلوسي ما يروى عن أبي الحسن الشاذلي أنه قال لأحد أتباعه: (إذا عرضت لك إلى الله تعالى حاجة فاقسم عليه بي)[3].

ومما يروى عن أبي يزيد البسطامي[4] أنه قال لأحد مريديه: (وقع في خاطري أني أشفع لك إلى ربي عز وجل فأجابه المريد: يا أبا يزيد لو شفعك الله في جميع المخلوقين لم يكن ذلك كثيرا؛ إنما هم قطعة من طين!!)[5].

وذكر الشعراني[6] في ترجمة الشيخ مدين الأشموني[7] أن امرأة جاءته فقالت: هذه ثلاثون دينارا بشرط أن تضمن لي على الله الجنة، فقال لها الشيخ مدين -مباسطا- هذه الدنانير ما تكفي، فقالت: لا أملك غيرها، فضمن لها على الله دخول الجنة، ثم

(١) المرجع نفسه والموضع بعينه.

(٢) **انظر** جلاء العينين ص٦٧.

(٣) جلاء العينين ص٦٧.

(٤) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي الصوفي، كان جده مجوسيا ثم أسلم، له أقوال متناقضة بعضها مقبول وبعضها فيه زندقة، لأتباعه فيه غلو فاحش في تعظيمه، ولد سنة ١٨٨هـ، وتوفي سنة ٢٦١هـ. **انظر** ترجمته في الرسالة القشيرية ص٣٩٥، وسير أعلام النبلاء ٨٦/١٣، وطبقات الشعراني ٧٦/١، وشذرات الذهب ١٤٣/٢.

(٥) الطبقات الكبرى للشعراني ١٠٢/٢.

(٦) هو: عبدالوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد الشعراني الشاذلي، الصوفي، الشافعي، من مصنفاته ((الطبقات الكبرى في تراجم الأولياء)) و((الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم، توفي سنة ٩٧٣هـ. **انظر**: شذرات الذهب ٣٧٢/٨، ومعجم المؤلفين ٢١٨/٦.

(٧) هو مدين بن أحمد الأشموني، عدّه الشعراني من شيوخه المعظمين، وصوّره بصورة خرافية، ونسب إليه كثيرا من الكرامات، والأعاجيب على عادة الصوفية، مات سنة ٨٦٢هـ.

انظر طبقات الشعراني ١٠١/٢، وجامع كرامات الأولياء للنبهاني ٤٦٢/٢.

ماتت المرأة فبلغ ورثتها ذلك فجاءوا يطلبون من الشيخ الدنانير، وقالوا: هذا الضمان لا يصح، فجاءتهم في المنام، وقالت لهم: اشكروا لي الشيخ على تفضله، فقد دخلت الجنة، فتركوا مطالبة الشيخ بالدنانير[1].

وينقلون عن السيد البدوي أنه كان يأتيه الرجل في حياته فينظر إليه نظرة واحدة فيمتلئ قلب الرجل هداية، وتقوى، ومعرفة (فكان . . يصنع الرجال، ويصوغ الأبطال بنظرة واحدة من نظراته الثاقبة، فيحولهم بقدرته الربانية، وقوته الروحانية من أشباح آلية إلى أرواح نورانية، ومن صور آدمية إلى حقائق إنسانية، فيصبح الواحد منهم بعد أن كان آليا، وشبحا آدميا يزن أمة برأسها[2] ويملأ البلاد بحذافيرها علما، وهديا، ونورا مبينا، هكذا كان يصنع الرجال، ويصوغ الأبطال، يأتي إليه خليفته بالرجل العادي، وهو قائم على السطوح فينظر إليه نظرة واحدة فيمتلئ بها هداية وتقوى، ومعرفة، ويأمره بالانصراف... ويعرف هؤلاء المصابيح بالسطوحية)[3].

ويذكرون عنه أنه قال: (إن الفقراء كالزيتون وفيهم الصغير والكبير، ومن لم يكن له زيت فأنا زيته! أساعده في جميع أموره، وقضاء حوائجه، لا بحولي، ولا بقوتي، ولكن ببركة النبي صلى الله عليه وسلم)[4].

وذكروا أن من عادات السيد البدوي حب التوسل في حياته؛ أي أنه يحب أن يسأله الناس، ويتوسلوا به، وفي تعليل هذه العادة يقول أحدهم: (أي: أنه يحب أن

---

(١) انظر الطبقات الكبرى للشعراني ٢/١٠٢.

(٢) هكذا المطبوع، ولعله يقصد (بأسرها).

(٣) العظة والاعتبار آراء في حياة السيد البدوي لأحمد حجاب ص١٠٣، وانظر شذرات الذهب لابن العماد ٥/٣٤٦.

(٤) العظة والاعتبار ص٩٦.

يسأله الناس وهذه سنة من سنن الله تعالى، فالله يحب أن يسأله الناس، ويغضب إذا تركوا سؤاله، وكل متخلق بأخلاق الله تعالى يحب -لكرم طبعه وخلوص نفسه، وعلو همته- أن يسأله الناس، ويحب أن يسعى لهم في قضاء مصالحهم)[1].

فإذا كان المقصود بهذه العادة أن السيد البدوي يحب أن يشفع للخلق، ويسعى في قضاء مصالحهم الدنيوية، ويبذل لهم ما في وسعه، ووجاهته، ويدعو الله لهم، فهذا أمر مطلوب شرعا؛ لقول الله تعالى:﴿**من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها**﴾[2]. ولقول نبيه ﷺ: (اشفعوا تؤجروا)[3]، وأما إن كان المراد أنه يحب أن يجعله المريدون واسطة بينهم وبين الله تعالى في دعائهم، وندائهم واستعانتهم، واستغاثتهم بالله تعالى لجلب محبوب، أو دفع مكروه، فهذا هو الضلال بعينه الذي نحن بصدد الرد على القائلين به.

وإذا كان الشيخ -الواسطة- يستطيع أن يدخل من يشاء الجنة بغير حساب ولا عقاب -بزعمه- ويحط عن الخاطئين جبال الذنوب كما يقول الشيخ التجاني: (ليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب، ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي)[4]، إذا كان الشيخ يصرح بهذا الادعاء وهو حي يرزق فلا نستبعد من المريدين الجاهلين المنغمسين في المعاصي الذين لم يستضيئوا بنور الوحي، ولم ينقادوا لعلماء الشرع أن يتهافتوا -

---

(١) المصدر السابق١٥٧.

(٢) سورة النساء الآية ٨٥.

(٣) رواه البخاري **انظر** صحيح البخاري مع الفتح كتاب الزكاة باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها٣/٢٩٩ حديث١٤٣٢، ومسلم **انظر** صحيح مسلم بشرح النووي كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام١٦/١٤٦.

(٤) جواهر المعاني٢/١٧٦.

كالفراش- على أدعياء الولاية، والوساطة ظانين بربهم ظن السوء وأن بيد هؤلاء الأولياء من شيوخ الزوايا خلاصهم، وفي سوحهم، وحماهم مناصهم.

ومن الدعاية لهذا الاعتقاد في الشيخ الحي، وأنه واسطة بين الله، والناس قول بعضهم:(لأنهم يعني الشيوخ أبواب رحمة الله تعالى دنيا وأخرى، وعلى أيديهم تنزل الرحمة من الرحمن إلى كل مرحوم، وهم الوسائل، ولولاهم لهلك الكل، كما قيل: لولا الواسطة لذهب الموسوط، وعن قول الله تعالى:﴿**وتعاونوا على البر والتقوى**﴾[1] يقول: هو طاعة الأكابر من السادات والمشايخ)[2].

فهذه دعوة إلى وجوب الاستمداد من المشايخ، وتوسيطهم في كل ما ينتاب الإنسان؛ لكن بأسلوب غير مباشر؛ لأنهم إذا كانوا هم أبواب رحمة الله وكانوا هم المقصودين من قول الله تعالى:﴿**وتعانوا على البر والتقوى**﴾ فيتحتم أن تكون النتيجة المترتبة على هذا الادعاء وجوب استمطار الرحمات منهم، والدعاء لرفع البلاءات بتوسيطهم، ووجوب الطاعة لهذا الأمر الرباني الذي لم يصرفه صارف عن الوجوب، وهو ما أشارت إليه الآية السابقة[3].

ويقول أحد أتباع الطريقة الرفاعية -بعد أن ذكر مقدورات شيخه الخارقة من قطع مسافة في مدة مائة عام بخطوة واحدة، وأنه يعرف ألسنة الطيور إلى غير ذلك من الخرافات- يقول مبينا صورة جعله واسطة في حال الحياة (تعلق بأذياله وكن من أهل مجلسه، ولا تفارق محياه، وتشفع به إلى الله تعالى؛ فإن الله لا يرد شفاعتك به؛ لأنه من أكرم أهل البيت....إلى أن قال: إن أكابر الرجال، وفحول الأبطال...علموا أن

---

(١) سورة المائدة الآية ٢.

(٢) رماح حزب الرحيم مطبوع مع جواهر المعاني ١/١٧.

(٣) **انظر** تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ١/٣٤٧.

طريقته طريق النجاح، والأمان، وأن محبته من أعظم الأسباب المقربة إلى الرحمن؛ ولذلك ألزموا أنفسهم، وأهلهم الأخذ بعهده، والتمسك ببيعة طريقته)[1].

وذكروا عن شيخهم الرفاعي أنه كان ينشد لنفسه[2]:-

أنا الرفاعي طبولي في السما ضربت   والأرض في قبضتي والأوليا خدمي

كل المشايخ يأتوا باب زاويتي   وفوق هاماتهم حاز العلا علمي

فالجأ بأعتاب عزي والتمس مددي   وطف ببابي وقف مستمطرا نعمي

وإن تعجب لجرأة هؤلاء الشيوخ الأولياء من الصوفية في التصريح بكونهم واسطة بين الله تعالى وبين مريديهم في الدنيا فعجب جراءة الدباغ في تسليته لمريده بأنه سيدفع عنه كل ضرر في الدين والدنيا نزل به في الحياة، وأنه سيتكفل عنه سؤال الله تعالى، ومحاسبته بعد الممات.

يقول عنه أحد مريديه: (وشكوت إليه (رحمه الله) ذات يوم أمرا نزل بي فيه ضرر في الدين، والدنيا لا تؤمن غائلته، فقال لي: أما في الدنيا فلا تخش منه أبدا، ولا يقع لك منه شر أصلا، وأما في الآخرة فأنا أتكفل لك على الله تعالى أنك لا تسأل عن هذا الأمر، ولا تحاسب عليه، فكان الأمر في الدنيا كما قال، ونرجو من الله سبحانه أن يكون الأمر في الآخرة كما قال! وما كان (رحمه الله) لأصحابه إلا رحمة محضة يشفع لهم في زلاتهم، ويتكفل لهم بنوائبهم، ويتحمل لهم كلما يخشون عاقبته، ويهتم لأمورهم أكثر ما يهتم لأموره)[3].

ويحدثنا الدباغ عن أحد شيوخه، وأنه بقي يطلب من يدله على الله عز وجل أربعة عشر عاما تنقل خلالها في كثير من البلدان فذكر أنه وجد في العراق رجلا يجتمع

---

(١) قلادة الجوهر ص٤٤٠ بواسطة تقديس الأشخاص١/٣٥٠.

(٢) انظر قلادة الجوهر، نقلا عن الكشف عن حقيقة الصوفية ص٥١٢.

(٣) الإبريز ص٢٥٠.

حوله خلائق لا يحصون، وله طقوس معينة، وهم يتخذونه واسطة لهم، فقال مبينا صورة هذه الواسطة (قد احتمع عليه من الخلائق مالا يحصى عدده، وكانت له زاوية للوارد، والصادر، يطعم فيها كل يوم ما يقرب من مائتي مد من الطعام من كثرة الواردين، واتخذ في زاويته خلوة للعبادة، والركوع، والسجود، بحيث أنه لا يخرج منها إلا في الثلاثة الأيام الأخيرة من الشهر، وأما في السبعة والعشرين يوما فليس إلا الركوع، والسجود، وفي الخلوة طاقة يمد له منها النقيب الطعام الذي يأكله، وجعلوا في الخلوة موضعا للخلاء، والطهارة، وأقاموا له أمرا لخلوة في كل ما يحتاجه حتى لا يحوجه إلى الخروج[1] فيلزم خلوته المدة المذكورة؛ فإذا تمت خرج في الأيام الثلاثة المذكورة، فيتكلم مع الواردين في حوائجهم الأسبق، فالأسبق حتى يفرغ منهم جميعا، فإذا تمت الثلاثة الأيام، واستهل الشهر رجع لخلوته فأقام فيها سبعه وعشرين يوما، هذه عادته في دهره)[2].

ويصور لنا الشيخ رشيد رضا حال أحد هؤلاء الأولياء المدعين من المتأخرين –مبينا طريقة التجاء الأغنياء من المريدين إليه في حياته واعتباره واسطة لهم– فيقول: (في الجيزة[3] شيخ من الذين يعتقد الناس فيهم الولاية وينسبون لهم الكرامات،وهذا الشيخ متهتك مدمن خمر يجلس في الحانات التي في الشوارع العمومية، ويشرب في مجلس واحد أكثر من ثلاثين كأسا، ونقل إلينا أن بعض الأغنياء الموصوفين بالصلاح يتقربون إلى ا لله تعالى وتنزه عن تقربهم– بدفع ثمن الخمرة التي يشربها، ويزعمون أن سؤره من الخمرة فيه شفاء وبركة، فيشربونه بهذه النية...وحزب ولي الجيزة يعتقدون

---

(١) فأين الخروج إلى الجمعة والجماعة، وصلة الرحم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والكد على العيال؟!.

(٢) الإبريز ص٣١١.

(٣) مدينة غربي القاهرة قبالتها. انظر معجم البلدان٢/٢٠٠.

أنه يشرب الخمر فينزل في جوفه جمرا، ولكنه من أحباب الله (حاشا لله) الذين لا يؤاخذهم، ولا يؤاخذ من ينتمي إليهم، ويتصل بهم، وهذا الاعتقاد كفر، وخروج عن ملة الإسلام، بلا خلاف بين الأئمة، وما أوقع الناس فيه إلا الغلو في اعتقاد الكرامات وجعلها صناعة من الصناعات)[1].

ويحكى أن شيخا من شيوخ الطرق الصوفية المعروف عند مريديه بالولاية (كان مع مريديه في سفينة فهاج بهم البحر، وعلت أمواجه، فلجأوا جميعا إلى الله يسألون الفرج، والسلامة، وكان الشيخ منفردا في غرفة يدعو، فلم تنفرج الأزمة، وعادته أن لا يبطأ عليه بالإجابة! فوقع في روعه أنه أتي من قبل أتباعه، لا لنقص فيه يوجب هذا الإعراض عنه، فخرج على أتباعه مغضبا يقول: ما ذا صنعتم في هذه الشدة؟ فقالوا " دعونا الله مخلصين له الدين بلسان المضطرين.... فنكر عليهم اللجوء إلى الله مباشرة، ووبخهم عليه، وعرفهم أن ذلك هو الحائل دون استجابة دعائه، وأنذرهم عاقبة استمرارهم على التوجه إلى ربهم، وأنه الغرق، وعلمهم أن واجبهم هو التوجه إليه، وسؤاله، ثم هو وحده يتوجه إلى الله، فتابوا من دعاء الموحدين، وامتثلوا تعليم الشيخ المخالف لتعليم رب العالمين، وعاد الشيخ إلى غرفته، يدعو متوسطا بين الله ومريديه، فانكشفت الغمة، وسلمت السفينة، وحمد الشيخ ثقته بنفسه،وفقهه سر البطء عن استجابة دعائه، وتفقيهه لأتباعه سر النجاة، وصرفهم إلى الثقة به عن الثقة بالله!!)[2].

ويذكرون أن الشيخ محمداً الحنفي الذي عاش بمصر كان يذهب كل يوم بعد العصر، ينشر سجادته على الماء فيجتاز النيل من الشاطئ الشرقي إلى الغربي مشيا

---

(١) مجلة المنار٤/٦٧٩، **وانظر** الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين لعلي بخيت الزهراني١/٣٦٥.

(٢) رسالة الشرك للميلي ص١٩٦.

على الماء هو، وتلاميذه، ويقول لهم: قولوا: يا حنفي!! فقال واحد منهم: يا الله، فغرق، فأخرجه الحنفي، ووبخه، وأمسك بيده،وقال له: أنت الحنفي تعرفه فكيف با لله؟! فإذا عرفت الله فقل: يا الله يشير إلى أن الوسائط لا بد منهم، ولولا الوسائط لكنا من الوسائط[1].

ويذكرون أن زوجة هذا الولي مرضت، وأشرفت على الموت، فكانت تدعو وتقول: (يا سيدي أحمد يا بدوي خاطرك معي، فرأت سيدي أحمد (رحمه الله) في المنام، وهو ضارب لثامين، وعليه جبة واسعة الأكمام عريض الصدر، أحمر الوجه والعينين وقال لها: لم تناديني، وتستغيثين بي وأنت لا تعلمين[2] أنك في حماية رجل من الكبار المتمكنين، ونحن لا نجيب من دعانا وهو في موضع أحد من الرجال، قولي: يا سيدي محمد يا حنفي يعافيك الله تعالى، فقالت ذلك فأصبحت كأن لم يكن بها مرض!)[3].

ففي هذا النص صورة واضحة للواسطة البدعية في الحياة؛ حيث أن زوجة هذا الولي لما استغاثت بالواسطة من الأولياء الميتين لم يجب دعاءها، و لم يخلصها؛ وإنما أحالها على زوجها الولي الواسطة الحي!! وليس في ربط قلب المريد بالشيخ – الواسطة– في حال الحياة أكثر من هذا؛ ولذلك يقول بعضهم: (من اعتقد شيخا و لم يره كسيدي أحمد البدوي، وغيره، لا يصير بذلك مريدا له؛ إنما هو محب له؛ فإن شيخ الإنسان هو الذي يأخذ عنه، ويقتدي به)[4].

---

(١) **انظر** شواهد الحق ص٤٤٧، ومعارج الألباب للنعمي ص٢١٧، ويحكى مثل هذه القصة عن الجنيد مع أحد أتباعه. **انظر** جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية٣/١٠٥٦.

(٢) وردت هذه الأفعال المضارعة الثلاثة (تنادين تستغيثين تعلمين) في طبقات الشعراني بحذف النون وهذا لحن؛ لأن هذه الأفعال في حالة الرفع.

(٣) الطبقات الكبرى٢/٩٦.

(٤) المصدر السابق٢/٩٩.

ويقول شيخ التجانية: (فمن فزع إلى أهل عصره الأحياء من ذوي الخاصة العليا، وصحبهم، واقتدى بهم، واستمد منهم، فاز بنيل المدد الفائض من الله، ومن أعرض عن أهل عصره مستغنيا بكلام من تقدمه من الأولياء الأموات طبع عليه بطابع الحرمان، وكان مثله كمن أعرض عن نبي زمانه)[1].

إذا تقررت هذه التصريحات السابقة، والادعاءات السامقة[2] من الشيخ الولي الواسطة، في حياته، وأن بيده فلاح المريد وخسرانه، وبواسطته تنزل على المريد من الله الرحمات الواسعة، والفيوضات الدافقة، إذا تقرر ذلك في ذهن المريد، وربط قلبه بشيخه، وشد الوثاق، واستولى الشيخ على قلب مريده، وبصره، وبصيرته، لا نستبعد بعد هذا كله- أن نرى المريدين حول الشيخ -الواسطة- طائعين مخبتين متذللين، ومنهم من ينظر إليه خوفا وطمعا، ومنهم من لا يستطيع أن يملأ عينيه من صورة الشيخ إجلالا وتعظيما وتواضعا، فمن الأصول المتبعة عند الطرق الصوفية: أن يضع المريد(يده في يد الشيخ ويشبك أصابعه في أصابع الشيخ ويغمض عينيه، ويقول له الشيخ: عاهدني على التزام الورد بشروطه، ويلقنه الورد، ومن هذه العملية التقليدية وضعوا كلمات العهد، والبيعة، والتشبيك، والتلقين)[3].

وينتقل السر عند التجانيين من الشيخ الواسطة إلى المريد عن طريق فتح الشيخ فم المريد، ونفثه السر فيه[4].

وهذه الطقوس التي يتبعها الشيخ مع المريد من التلقين وتغميض العين، والنفث، والتشبيك بدعة ظاهرة، والغرض منها -كما يقول الشيخ أبو بكر الجزائري هو

---

(١) جواهر المعاني٢/٩٢.

(٢) أي: المرتفعة العالية. **انظر** القاموس المحيط٣/٢٥٥ مادة (سمق).

(٣) إلى التصوف يا عباد الله ص١٨.

(٤) **انظر** كشف الحجاب ص٣٨١.

(إيجاد ناموس وطقوس خاصة يتم بها التأثير على نفسية العوام لإيقاعهم في شبكة الصيد، وهذه الطريقة لتسخيرهم، والتسلط عليهم باسم الشيخ، والعهد، والطريقة؛ كما أن الورد الذي اشترطت له هذه الشروط من الشيخ المأذون لهالعارف با لله، والعهد، والتلقين، وتغميض العين، والتشبيك ما هو إلا بدعة في شكله، لم يرد عن الشارع، كأكثر أوراد المتصوفة)[1].

ثم ينتقل الأتباع من المريدين بعد ذلك إلى درجة الاستمداد من الشيخ، وانتقال البركة المزعومة عن طريق تقبيل يده، والتمسح بها، أو التبرك بما انفصل منه كالشعر، والريق، والعرق، وشرب ماء وضوئه، أو إفاضته على الجسم، أو الاحتفاظ بملابسه، وأدواته للتبرك بها، ونحو ذلك[2].

ونقل الشعراني في طبقاته أن شيخا من شيوخ الصوفية كان إذا دخل الحمام وحلق رأسه تقاتل الناس على شعره، يتبركون به، ويجعلونه ذخيرة عندهم وبعضهم يأخذ من تراب زاويته، ويجعله في ورق المصاحف للاستشفاء،والبركة[3].

ومن الغرائب في هذا الباب ما يحدث في بعض احتفالات موالد الصالحين عند تغيير عمامة الشيخ لشرائها بأي مبلغ يطلب منهم لاقتنائها، والفوز بها[4].

ثم ينتقل الأتباع من المريدين بعد ذلك إلى درجة الركوع، والسجود للشيخ الواسطة، -والعياذ با لله- وهو ما يسمونه وضع الرأس قدام الشيخ احتراما، وتواضعا، وهذا نوع من الشرك المحرم.

---

(١) إلى التصوف يا عباد الله ص٢٠، **وانظر** معارج الألباب ص٢٠١.

(٢) **انظر** التبرك أنواعه وأحكامه للدكتور ناصر الجديع ص٣٨٢، وتوحيد الألوهية أساس الإسلام ص٣٤٠.

(٣) **انظر** الطبقات الكبرى للشعراني٢/٩٤، والمنتخبات من المكتوبات ص٩٨.

(٤) **انظر** التبرك أنواعه وأحكامه ص٣٨٣، وجهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية٣/١٥٧٩.

يقول العلامة ابن القيم: (ومن أنواع الشرك: سجود المريد للشيخ؛ فإنه شرك من الساجد، والمسجود له، والعجب أنهم يقولون: ليس هذا سجودا؛ وإنما هو وضع الرأس قدام الشيخ احتراما، وتواضعا، فيقال لهؤلاء: ولو سميتموه ما سميتموه فحقيقة السجود وضع الرأس لمن يسجد له، وكذلك السجود للصنم، وللشمس، وللنجم، وللحجر، كله وضع الرأس قدامه...ومن أنواعه حلق الرأس للشيخ؛ فإنه تعبد لغير الله...ومن أنواعه: التوبة للشيخ؛ فإنها شرك عظيم فإن التوبة لا تكون إلا لله)[(١)].

وبما أن السجود من الشعائر التعبدية التي لا تجوز إلا لله عز وجل وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام إلا أن سجود المريد للشيخ عند الصوفية لعله انتقل إليهم عن طريق الرافضة، والقرامطة، فالرافضة أجازت السجود للشاه إسماعيل الصفوي[(٢)].

وقد ألف بعض علمائهم رسالة في تجويز السجود للعبد مسايرة لهذا الغلو في الشاه إسماعيل[(٣)]، وأما القرامطة فإن المريد الجديد إذا أراد الدخول في دعوتهم فإن أكبر النقباء عندهم يقوم بتعليمه البسملة، ثم يقرأ ذكرا على الحاضرين، فإذا مر على ذكر إمام الزمان خروا جميعا له سجدا[(٤)] ولشناعة هذا المسلك فإن بعضا من عقلاء الصوفية نمى إليه أن بعض الشيوخ يسجد له مريده، فأرسل إليه رسالة، ووبخه على هذا الفعل[(٥)].

---

(١) مدارج السالكين١/٣٤٤، **وانظر** العلم الشامخ للمقبلي ص٢٥١.

(٢) هو إسماعيل بن عباس بن إسماعيل الأول بن حيدر بن جنيد ابن الشيخ صفي الدين الأردبيلي الصفوي، ملك العجم في فارس، جعل التشيع دين الدولة الفارسية في عهده، كان مبدأ سلطته سنة ٩٠٦هـ، وهلاكه سنة ٩٣٠هـ. **انظر** الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للغزي٣/٥٣، والكنى والألقاب للقمي٢/٤٢٤، وتاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان ص٤٩٦.

(٣) **انظر** الصلة بين التصوف والتشيع للشيبي٢/٣٧٠.

(٤) **انظر** أربع رسائل إسماعيلية تحقيق عارف تامر ص٧٩.

(٥) **انظر** المنتخبات من المكتوبات للسرهندي ص٤.

فالمبالغة في تعظيم الشيوخ (وتنزيلهم منزلة الأنبياء هو ما ينهى عنه، وقد كان عمر، وغيره من الصحابة، والتابعين رضي الله عنهم يكرهون أن يطلب منهم الدعاء، ويقولون: أنبياء نحن؟ فدل على أن هذه المنزلة لا تنبغي إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكذلك التبرك بالآثار؛ فإنما كان يفعله الصحابة رضي الله عنهم مع النبي ﷺ ولم يكونوا يفعلونه مع بعضهم بعضا ولا يفعله التابعون مع الصحابة مع علو قدرهم، فدل على أن هذا لا يفعل إلا مع الرسول ﷺ مثل التبرك بوضوئه، وفضلاته، وشعره، وشرب فضل شرابه، وطعامه.

وفي الجملة فهذه الأشياء فتنة للمعظم، والمعَظَّم، لما يخشى عليه من الغلو المدخل في البدعة، وربما يترقى إلى نوع من الشرك)[1].

فالتبرك بالذوات لا يكون إلا لمن نص الله تعالى على إعطائه البركة كأنبيائه، ورسله عليهم السلام؛ وأما غيرهم من عباد الله الصالحين من العلماء، والأولياء فبركتهم بركة عمل؛ بمعنى: أنها ناشئة عن علمهم، وعملهم، وعبادتهم، لا عن ذواتهم، فبركة الصالحين تكمن في دعائهم الناس إلى الخير، ودعاء الله لهم، ونفعهم الخلق بالإحسان إليهم بنية صالحة، وبسبب صلاحهم، وإصلاحهم لغيرهم تظهر آثار بركتهم في مجتمعهم، وأما أن يعتقد الناس أن ذواتهم مباركة فيتمسحون بهم، ويشربون سؤرهم ويقبلون أيديهم، فهذا ممنوع في غير الأنبياء[2].

وقدرد الأمير الصنعاني[3] على ما استنبطه بعضهم من تقبيل الحجر الأسود فجوز تقبيل كل من يستحق التعظيم[4].

---

(١) الحكم الجديرة لابن رجب ص٤٦.

(٢) انظر هذه مفاهيمنا ص٢٠٨.

(٣) هو: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد بن الحسين الأمير الصنعاني، إمام عالم، فقيه، من تصانيفه ((سبل السلام شرح بلوغ المرام)) و((تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد))، توفي سنة ١١٨٢هـ.

⇦

فاتخاذ الشيخ واسطة بين المريد وربه في كل ما ينتابه ويحتاج إليه من أمور دينه ودنياه، والانقطاع بسببه عن دعاء الله تعالى، والتوجه إليه والتلذذ بمناجاته من الاعتقاد الفاسد المنتشر بين أوساط الصوفية -كما مر معنا- أما اتخاذ شيخ عارف بالله تعالى، وبالصراط المستقيم المؤدي إلى رضوان الله تعالى من أجل التعلم عنه والاقتداء به في كمالاته الروحية، والأخذ بتربيته الإسلامية، وتطبيق سنن الهدى الثابتة عن المصطفى ﷺ التي يرويها الشيخ عمن تقدمه من أهل العلم المشهود لهم بالإمامة في الدين (فهذا أمر محمود، ومأمور به؛ إذ لا يمكن لأحد أن يعرف الله تعالى، ويعرف محابه، ومساخطه، ويعرف كيف يعبده، ويتقرب إليه إلا إذا تتلمذ لمشايخ العلم، وتعلم منهم، وتربى تحت رعايتهم، وكامل عنايتهم)[1].

وهذا الاعتقاد الفاسد في الشيخ واعتباره واسطة بين الله والناس كما تبين من صورة الواسطة البدعية عندهم في الأحياء لا ينتهي بموت الشيخ وانتقاله إلى عالم البرزخ؛ بل سينسحب عليه الحكم بوساطته بعد موته، ويزداد الحكم توكيدا، وتصبح العلاقة بين المريد وشيخه الميت أكثر حماسة وتوطيدا، بينما الشيخ رفات تحت الثرى بعيدا عن أعين الورى، وهذا ما ستوضحه صورة الواسطة البدعية عندهم في الأموات في المبحث الآتي.

انظر: البدر الطالع٢/١٣٣، والأعلام ٦/٣٨.

(٤) **انظر** الإنصاف في حقيقة الأولياء للصنعاني ص٥٦.

(١) إلى التصوف يا عباد الله ص١٣، **وانظر** جلاء العينين ص٥٦٥.

المبحث الرابع: صورة الواسطة البدعية عندهم في الأموات.

رأينا في المبحث السابق كيف أن الصوفية يأمرون الأتباع المريدين بالتعلق الشديد بالشيخ -الواسطة- في حال حياته، فإذا مات هذا الشيخ وأصبح في عالم البرزخ فإن التعلق به يزداد، واعتقاد وساطته يتمكن من شغاف القلوب؛ حيث يرون أنه أصبح في عالم الأرواح، وأن روحه قد تحررت، وتخلصت من أغلالها الجسمانية، وقيودها البشرية، فهي تطوف في الآفاق، وتحوم حول المريدين وتحوطهم بالعناية دون افتراق، فالشيخ المقبور يتصرف في الكون حيث يشاء؛ من أجل هذا كله اشتهرت دعوة الصوفية إلى التعلق بغير الله تعالى من المقبورين، وغيرهم، والعكوف على المقابر، وهذه السنة أخذتها الصوفية من الرافضة فيما أخذت من العقائد الفاسدة، فالرافضة -كما تقدم معنا-[1] تدعو بكل صراحة، ووقاحة إلى الالتصاق بالقبر، والصلاة خلفه، وأحيانا يستحبون أن تكون عند رأس المقبور.

فانتقلت عدوى القبورية من الرافضة إلى الصوفية، وأصبح التعلق بالمقبورين والعكوف على القبور ديدن الصوفية وشعيرة من أغلى الشعائر التعبدية عندهم، ومن ثم نقل النبهاني عن بعض الصوفية قوله: (ومعلوم أن الأولياء أحياء في قبورهم إنما ينقلون من دار إلى دار...، ومن الأولياء من ينفع مريده الصادق بعد موته أكثر مما ينفعه حال حياته، ومن العباد من تولى الله تربيته بنفسه بغير واسطة، ومنهم من تولاه بواسطة بعض أوليائه، ولو ميتا في قبره، فيربي مريده، وهو في قبره، ويسمع صوته من القبر)[2].

---

(١) انظر ص٦٠٦

(٢) شواهد الحق ص١٥٠.

وقالوا بصراحة: (الولي في الدنيا كالسيف في غمده فإذا مات تجرد منه فيكون أقوى في التصرف)[1].

وأكد الكوثري[2] هذه العقيدة القبورية قائلا: (لا بد لأهل السلوك والرشاد من التوسل، والاستغاثة، والاستمداد بأرواح الأجلة، والسادة الأمجاد؛ إذ هم المالك لأزمة الأمور في نيل ذلك المراد)[3].

ويقول الدباغ: (ومن آداب زائر القبور إذا أراد أن يدعو لصاحب قبر، ويتوسل إلى الله تعالى بولي من أوليائه في إجابة دعوته أن يتوسل إليه تعالى بولي ميت؛ فإنه أنجح لمقصوده، وأقرب لإجابة دعوته)[4].

ونجد أن صورة الواسطة في هذا النص ميت يتوسط لميت!! فالولي -بعد موته- تتعلق روحه بمريده، فيحصل له ببركته أنوار، وفيوضات، ومعارف، وفتوحات.

قال بعض العارفين: (الولي يكون اعتناؤه بقرابته، واللائذين به بعد موته أكثر من اعتنائه بهم في حياته؛ لأنه في حياته كان مشغولا بالتكليف، وبعد موته طرح عنه الأعباء، وتجرد، والحي فيه خصوصية، وبشرية، وربما غلبت إحداهما الأخرى، وخصوصا في هذا الزمان، فإنها تغلب البشرية، والميت ما فيه إلا الخصوصية فقط... إن الأخيار إذا ماتوا لم تفقد منهم إلا أعيانهم، وصورهم، وأما حقائقهم فموجودة، فهم أحياء في قبورهم، وإذا كان الولي حيا في قبره فإنه لم يفقد شيئا من علمه وعقله،

---

(١) إرغام المريد للكوثري ص٢٨، نقلا عن جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية٢/١٠٧٩.

(٢) هو محمد بن زاهد الحسن الكوثري الجركسي الحنفي، كان فقيها جدليا متكلما، وله اشتغال بالأدب، والسير، ويؤخذ عليه تعصبه وعداؤه للدعوة السلفية، من مصنفاته:((مقالات الكوثري))، توفي سنة ١٣٧١هـ. **انظر** الأعلام ٦/١٢٩، ومعجم المؤلفين١٠/٤.

(٣) إرغام المريد ص٥ نقلا عن جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية٢/١٠٦٥، **وانظر** الروحية عند محي الدين ابن عربي للدكتور علي راضي١/٩٠.

(٤) الإبريز ص١٩٤.

معكّي تقادات له جعلا تلميذه أحمد خيري

وقواه الروحانية؛ بل تزداد أرواحهم -بعد الموت- بصيرة، وعلما، وحياة، وروحانية، وتوجها إلى الله تعالى، فإذا توجهت أرواحهم إلى الله تعالى في شيء قضاه سبحانه وتعالى، وأجراه إكراما لهم، وهذا معنى قول بعضهم: إن لهم التصرف)[١].

وقال ابن الحاج: (فإن كان الميت المزار ممن ترجى بركته فيتوسل إلى الله تعالى به، وكذلك يتوسل الزائر بمن يراه ممن ترجى بركته إلى النبي ﷺ؛ بل يبدأ بالتوسل إلى الله تعالى بالنبي ﷺ إذ هو العمدة في التوسل، والأصل في هذا كله، والمشرع له، فيتوسل به ﷺ وبمن تبعه بإحسان إلى يوم الدين... ثم يتوسل بأهل تلك المقابر، أعني بالصالحين منهم في قضاء حوائجه، ومغفرة ذنوبه، ثم يدعو لنفسه، ولوالديه، ولمشايخه، ولأقاربه، ولأهل تلك المقابر، ولأموات المسلمين، وأحيائهم..ويجأر إلى الله تعالى بالدعاء عندهم، ويكثر التوسل بهم إلى الله تعالى؛ لأنه سبحانه وتعالى احتباهم، وشرفهم، وكرمهم فكما نفع بهم في الدنيا ففي الآخرة أكثر، فمن أراد حاجة فليذهب إليهم، ويتوسل بهم فإنهم الواسطة بين الله تعالى وخلقه...وأما عظيم جناب الأنبياء، والرسل -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: فيأتي إليهم الزائر ويتعين عليه قصدهم من الأماكن البعيدة فإذا جاء إليهم فليتصف بالذل، والانكسار، والمسكنة، والفقر، والحاجة، والاضطرار، والخضوع، ويحضر قلبه، وخاطره إليهم وإلى مشاهدتهم بعين قلبه، لا بعين بصره؛ لأنهم لا يبلون ولا يتغيرون، ثم يثني على الله تعالى بما هو أهله، ثم يصلي عليهم، ويترضى عن أصحابهم، ثم يترحم على التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم يتوسل إلى الله تعالى بهم في قضاء مآربه، ومغفرة ذنوبه، ويستغيث بهم، ويطلب حوائجه منهم، ويجزم بالإجابة ببركتهم،

---

(١) تقريب الأصول لتسهيل الوصول لأحمد دحلان نقلا عن شواهد الحق ص١٤٩.

ويقوي حسن ظنه في ذلك؛ فإنهم باب الله المفتوح، وجرت سنته سبحانه وتعالى في قضاء الحوائج على أيديهم، وبسببهم)[1].

فالاستعانة بروحانية المشايخ الأجلة، ووصول الفيوض الباطنية من صورهم، وقبورهم أمر مطلوب، وصحيح على الطريقة المعروفة عند أهلها، وخواصها، وليس أمرا خاصا بما هو شائع عند العوام[2].

وإذا كان الشيخ -الواسطة- يوصي مريديه بالتعلق به في حياته -كما مر معنا في بيان صورة الواسطة البدعية عندهم في الأحياء[3] فإننا وجدنا بعض هؤلاء المتبوعين يأمر أتباعه بالتعلق به، والتوسل به إلى الله تعالى، وإنزال المريدين حوائجهم به بعد موته، ويؤكد لهم أن روحه حاضرة معهم، وعنايته شاملة لهم، وأنه لا يغيب عنهم طرفة عين، ومن ذلك قول الشيخ محمد الحنفي[4] في مرض موته: (من كانت له حاجة فليأت إلى قبري،ويطلب حاجته أقضها له؛ فإن ما بيني وبينكم غير ذراع من تراب، وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل)[5].

وكان هذا الشيخ يقرر لأتباعه عقيدة التعلق بالقبور، والاستنجاد بالمقبور، فيقول: (إذا مات الولي انقطع تصرفه في الكون من الإمداد وإن حصل مدد للزائر بعد الموت، أو قضاء حاجة فهو من الله تعالى على يد القطب، صاحب الوقت، يعطي الزائر من المدد على قدر مقام المزور)[6].

---

(١) المدخل ٢٤٨/١.

(٢) انظر المهند على المفند ص٤٥.

(٣) انظر ص٦٧١

(٤) تقدمت ترجمته، انظر ص٤٩٨.

(٥) الطبقات الكبرى للشعراني ٩٦/٢.

(٦) المرجع السابق ١٠٠/٢.

وذكروا عن الشيخ زروق[1] أنه قال[2]:-

أنا لمريدي جامع لشتاته إذا ما سطا جور الزمان بنكبة

وإن كنت في ضيق وكرب ووحشة فناد بيا زروق آت بسرعة

ويؤكد الدباغ لمريده وساطته،وعنايته به حتى بعد دفنه في التراب، فيقول له موصيا ومسليا (إن ذاتي ليست بمحجوبة في القبر؛ بل هي في العالم كله، عامرة له، ومالئة، وفي أي موضع تطلبني تجدني؛ حتى إنك لو قمت إلى سارية في المسجد، وتوسلت بي إلى الله عز وجل فإني أكون معك حينئذ، ثم أشار إلى العالم كله فقال: وأنا فيه بأجمعه، فحيثما طلبتني وجدتني!)[3].

فهذه التصريحات من المشايخ والأولياء أنفسهم هي التي مهدت لرسوخ هذا الاعتقاد الفاسد في أذهان المريدين.

وأصل صورة الواسطة البدعية عند الصوفية في الأموات مأخوذة عن عباد الأصنام والفلاسفة والصابئة[4].

وقد بين لنا العلامة ابن القيم صورة الواسطة البدعية عند الصوفية في الأموات، والقبورية عموما فقال: (فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيدا، وقد نزلوا عن

(١) هو أبو الفضل أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى شهاب الدين البرلسي الفاسي الصوفي الشهير بزرُّوق، ولد بفاس سنة ٨٦٤هـ، له مقالات شنيعة في دعوة المريدين للتعلق به والاستمداد منه، توفي بطرابلس الغرب سنة ٨٩٩هـ. **انظر** شذرات الذهب(باسم إسماعيل المعروف بزروق) ٣٦٣/٧، ومعجم المؤلفين ٩٨/١.

(٢) **انظر** روض الرياحين لعبد السميع الديوبندي ص٢٠٦ نقلا عن جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ١٠٨٧/٢.

(٣) الإبريز ص٢٤٢.

(٤) راجع صورة الواسطة عند الفلاسفة في ص٥٧ من هذه الرسالة.

الأكوار[1]، والدواب إذا رأوها من مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه، وقبلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتهم بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج، ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج، فاستغاثوا بمن لا يبدي، ولا يعيد، ونادوا؛ ولكن من مكان بعيد حتى إذا دبوا منها صلوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر، ولا أجر من صلى إلى القبلتين، فتراهم حول القبر ركعا سجدا يبتغون فضلا من الميت ورضوانا، وقد ملأوا أكفهم خيبة، وخسرانا، فلغير الله؛ بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات، ويسأل من تفريج الكربات، وإغناء ذوي الفاقات، ومعافاة أولي العاهات، والبليات، ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبيها له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركا وهدى للعالمين، ثم أخذوا في التقبيل، والاستلام، أرأيت الحجر الأسود، وما يفعل به وفد البيت الحرام؟ ثم عفروا لديه تلك الجباه، والخدود التي يعلم الله أنها لم تعفر كذلك بين يديه بالسجود، ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن إذا لم يكن لهم عند الله من خلاق، وقربوا لذلك الوثن القرابين، وكانت صلاتهم، ونسكهم، وقرباتهم لغير الله رب العالمين، فلو رأيتهم يهنئ بعضهم بعضا، ويقول: أجزل الله لنا ولكم أجرا وافرا، وحظا، فإذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحج المتخلف إلى البيت الحرام فيقول: لا، ولو بحجك كل عام! هذا و لم نتجاوز فيما حكيناه عنهم، ولا استقصينا جميع بدعهم، وضلالهم؛ إذ هي فوق ما يخطر بالبال، أو يدور في الخيال)[2].

---

(١) الأكوار: جمع كور -بضم الكاف- وهو الرحل بأدواته ويجمع أيضا على كيران، **انظر** مختار الصحاح ص٥٨٢ مادة (ك و ر).

(٢) إغاثة اللهفان ١/٢٠٠.

ونقل الشيخ محمد رشيد رضا صورة للواسطة البدعية عند صوفية زمانه في الشيخ عبد القادر الجيلاني، وهي أن من يتوجه إلى بغداد المدفون بها الشيخ عبد القادر الجيلاني -(القطب) كما يزعمون- بعد أن يصلي ركعتين بالليل، ويتوجه إلى الشيخ الواسطة، ويستغيث بهذين البيتين:-

أيدركني ضيم وأنت ذخيرتي وأظلم في الدنيا وأنت نصيري؟

وعار على راعي الحمى وهو في الحمى إذا ضاع في البيدا عقال بعير!

ثم يناديه باسمه، ويذكر حاجته فإنها تقضى[1]، وتسمى هذه الصلاة عند البريلوية الصلاة الغوثية، وصورتها: أن يصلي أحدهم ركعتين، ثم يخطو في اتجاه بغداد إحدى عشرة خطوة، وكلما وضع قدمه استغاث بالشيخ الجيلاني[2].

وقالوا -أيضا- في بيان صورة الواسطة البدعية عندهم في زيارة قبر الشيخ الجيلاني: (أول ما يجب على الزائر أن يتوضأ وضوءا سابغا، ثم يصلي ركعتين بخشوع، واستحضار ثم يتوجه إلى تلك (الكعبة) المشرفة، وبعد السلام على صاحب الضريح المعظم يقول: يا صاحب الثقلين أغثني، وأمدني بقضاء حاجتي، وتفريج كربتي، أغثني يا محي الدين عبد القادر، أغثني يا ولي عبد القادر، أغثني يا سلطان عبد القادر، أغثني يا بادشاه عبد القادر، أغثني يا خوجه عبد القادر، يا حضرة الغوث الصمداني، يا سيدي عبد القادر الجيلاني عبدك، ومريدك مظلوم عاجز، محتاج إليك في جميع الأمور في الدين والدنيا والآخرة)[3].

وقد صور لنا أحدهم -وهو من المتأخرين- صورة الواسطة البدعية في زيارة السيد أحمد البدوي فقال: (الذي يجلب لفاعله الرضا، والمحبة هو أن يقف الزائر خارج

---

(١) ذكر هذه الصورة الشيخ رشيد رضا في تعليقه على صيانة الإنسان، **انظر** ص١٩٩.

(٢) **انظر** جاء الحق لأحمد البريلوي ص١٨٦ نقلا عن البريلوية لإحسان إلهي ظهير ص٥٨.

(٣) النظرات للمنفلوطي ١/٤٥، **وانظر** دمعة على التوحيد ص٢١١.

الباب، فيستغفر ربه إحدى عشرة مرة من خطيئاته، وفرطات لسانه التي ارتكبها قبل قدومه للزيارة؛ فإذا تطهر من خطيئاته دخل في أدب، واحترام، وقال: (لا إله إلا الله) إحدى عشرة مرة أيضا، ويختم الحادية عشرة بقوله (محمد رسول الله) فإنه إذا كانت روح الولي غائبة، مشغولة بأمر حضرت عند ذكر لا إله إلا الله؛ لأنه لا شيء أشهى للولي من ذكر الله، فإذا ذكر عندها حضرت على عجل، وبعد ذلك يبدأ بالسلام، فإذا سلم رد عليه السلام، ورده للسلام منحة للزائر لا يستهان بها، ثم يقرأ سورة الإخلاص إحدى عشرة مرة، ثم يقول: اللهم تقبل مني هذه القراءة، واجعل ثوابها في صحيفة سيد المرسلين، وثواب مثل ذلك لأرواح أبينا سيدنا آدم، وأمنا سيدتنا حواء، ومن ولدا من الأنبياء والمرسلين، والشهداء والصالحين -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- وثواب مثل ذلك لآل بيت النبي وأصحابه، وأزواجه، وذريته، وأهل بيته -صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم وعنا، ونفعنا بهم في الدنيا والآخرة، وألحقنا بهم في الدارين آمين، وثواب مثل ذلك في صحيفة هذا الولي، ثم من يحب بعد ذلك، فإذا قدم لهم هذه الهدية طالبه بهدية مماثلة، فقال: شيء لله من المدد يا سيدي فلان، إحدى عشرة مرة، وبعد ذلك يبسط يديه إلى السماء، ويطلب حاجاته الدنيوية، ثم الأخروية، وعندئذ يؤمن الولي على دعائه الدنيوي، ثم الأخروي، وتأمينه قد يكون سببا في قبول دعائه، وقد يكون سببا في قبول ما هو منه مصلحة للداعي، فهذه هي صفة الزيارة التي تجلب لفاعلها الرضا، والمحبة من سيدي أحمد البدوي)[1].

---

(١) العظة والاعتبار آراء في حياة السيد البدوي لأحمد محمد حجاب ص١٥٨.

وينفق القبوريون على هذه المشاهد الأموال الطائلة، ويعملون النذور لها، ويحسبون الأموال عليها، كل ذلك تعظيما للمقبورين، واعتقادا لوساطتهم، وقد صور الشاعر المصري حافظ إبراهيم[1] بسخرية هذا الواقع المؤلم بقوله[2]:-

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم وبألف ألف ترزق الأموات

من لي بحظ النائمين بحفرة قامت على أحجارها الصلوات

يسعى الأنام لها ويجري حولها بحر النذور وتقرأ الآيات

ويقال هذا القطب باب المصطفى ووسيلة تقضى بها الحاجات

وأما كيفية زيارة قبر الشيخ أحمد التجاني -وهي صورة للواسطة البدعية في الأموات عند التجانية- فهي: أن يقابل الواحد منهم الضريح وهو يقرأ (التحيات لله) إلى: (ورحمة الله) سبع مرات وفي الثامنة إلى (ورسوله) صلى الله عليه وسلم، ثم يقول السلام عليك يا خليفة الله، السلام عليك يا خليفة رسول الله، السلام عليك يا أيها القطب المكتوم، السلام عليك يا سيدنا، وشيخناومولانا أحمد التجاني، ثم يقرأ الفاتحة أربع مرات،وصلاة الفاتح أزيد من إحدى عشرة ويهدي ثواب ذلك للشيخ أحمد التجاني، ثم يقول: اللهم بحق عبادك الذين إذا نظرت إليهم سكن غضبك،وبحق الحافين من حول العرش، وبحق سيدنا محمد ﷺ، وبحق سيدنا، وشيخنا، ومولانا أحمد التجاني افعل لي كذا، وكذا، ويسمي حاجته؛ فإنها تقضى إن شاء الله[3].

---

(١) هو محمد حافظ بن إبراهيم فهمي، المهندس الشهير بحافظ إبراهيم، ويلقب بشاعر النيل، ولد في ذهبية بالنيل عام ١٢٨٧هـ، ونشأ يتيما في القاهرة، واشتغل بالمحاماة، ثم التحق بالمدرسة الحربية وتخرج منها برتبة ملازم ثاني، عين في آخر عمره رئيسا للقسم الأدبي بدار الكتب المصرية، له ديوان شعر، كانت وفاته سنة ١٣٥١هـ. **انظر** الأعلام ٣٠٤/٦، ومعجم المؤلفين٢٠٤/٣.

(٢) **انظر** ديوان حافظ إبراهيم ٣١٨/١.

(٣) **انظر** كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب لسيدي أحمد سكيرج ص٥٠.

وفي صورة أخرى للواسطة البدعية في الأموات عند التجانية يذكرون أن من أتى ضريح الشيخ أحمد التجاني، وقرأ عنده سورة يس وأهدى ثوابها لشيخه التجاني، ثم أنشد هذه الأبيات:-

أيضام عبد في حماكم قد نزلْ ... يا سادة هم السيادة في الأزلْ

إني أتيت لبابكم مستصرخا ... يا من هم كل الأماني والأملْ

أنتم ولاة الأمر يا غيث الورى ... عونا لنا نصرا عيانا عن عجلْ

ثم دعا بما أراد فإن الإجابة تقع له بحول الله وقوته[1].

ونقل النبهاني عن الشيخ علي القاري[2] أنه ذكر فائدة عظيمة يستحب فعلها عند قبور الأنبياء، والأولياء، والعلماء، ومن دونهم، فقال: (إذا زرت قبر نبي، أو ولي، أو عالم، أو من دونهم -مثلا- وكنت في كرب عظيم، وأردت أن صاحب ذلك القبر تحضر روحه إليك وتشكو إليه ظلامتك؛ أي بلسان حالك، أو قالك؛ ليشفع فيك عند المليك، فيكفيك ما أهمك ومن دائك يشفيك، فاقرأ:﴿**قل هو الله أحد**﴾ عشر مرات، وإن قدمت قلبالقرآن؛ أعني يس كان أجود، وأسرع، والمعوذتين، ثلاثا، ثلاثا،وفاتحة الكتاب، والأسماء الحسنى بعد أولالبقرة وآخرها، وتغمض عينيك، وتستحضر جميع قلبك، ثم تقول: (لا إله إلا الله) ثلاثا (الله) ثلاثا بالمد، ثم تسكت سكة لطيفة، وتقول: السلام عليكم ورحمة الله بركاته يا سيدي فلان، أو يا شيخ، أو يا أستاذي، أو يا رسول الله ﷺ أي: وتعرض على المزار ما أصابك من أكدار، يجليها بمنة الستار، بشفاعة صاحب المزار، وهذه الفائدة من أكبر الفوائد)[3].

---

(١) **انظر** المرجع نفسه.

(٢) تقدمت ترجمته، **انظر** ص٥

(٣) ذكر هذه الفائدة القبورية علي القاري في شرحه للحصن الحصين ونقلها عنه النبهاني، **انظر** شواهد الحق ص٤٤٥.

ويعتقد بعض الصوفية أن الميت تعود إليه الحياة بعد أربعين يوما من دفنه، وفي هذا اليوم يعملون للميت عيدا يسمونه عيد الميت الأربعين، وقد صور لنا أحد شعرائهم الواسطة البدعية عندهم في الأموات بعد الأربعين فقال -يخاطب المقبور:-

لم لا تجيب وقد دعوت مرارا؟ يكفيك صمتا أربعون نهارا

الليل أقبل وازدهى بنجومه ما بال نجمي في التراب توارى

ويقدم لنا الأستاذ عبد الرحمن الوكيل تجربته في القبورية والتي تعتبر صورة واضحة لما يحدث حول الأضرحة في العالم الإسلامي فيقول: (كنت أطوف حول صنم البدوي حتى إذا مثلت أمام الكوة الصغيرة في وثنه النحاسي البراق أنفذ منها يدي في رعشة التقديس حتى ألمس ستر القبر، ثم أخرجها رويدا رويدا في حرص، وحذر بالغين، وقد ضممت قبضتيهما على....؟ على ماذا؟ كنت أوقن حين ذاك أنني أضمهما على بركات سماوية، تفيض من روح الله على القبر، ثم أبسط يدي في جيبي، ثم أمسح بها وجهي رجاء أن أكون ميسر الرزق، داني قطوف النجاح، مشرق الوجه بنور الله)[1].

ويصور لنا كاتب آخر ما شاهده من أحوال الناس عند أحد المقابر، فيقول: (منهم من يتشبث بالضريح معانقا، ومقبلا، ومن لم يستطع الوصول إليه يقف ملوحا بيديه، متمتما بالدعاء، وقراءة الفاتحة، ومنهم من يخر مقبلا عتبات الضريح، ومن الرجال من يخلع شاله[2] ويربطه في المقصورة، ثم يمسح يديه على وجهه، وصدره، والجميع في حالة من النشوة، والوجد)[3].

---

(١) هذه هي الصوفية ص٤.

(٢) الشال: هو المخيط خياطة خفيفة، يقال: (شللت الثوب شلا أي خطته خياطة خفيفة) **انظر** المصباح المنير ١/٣٢٢ مادة (شلّت).

(٣) موالد مصر المحروسة لعرفة عبده علي ص٦٠ نقلا عن دمعة على التوحيد ص٦٥.

وإذا أردنا أن نرصد أحوال الغلاة في المقبورين وأفعال العاكفين على الأضرحة وجدنا بعضهم يصلي إلى الميت المقبور، ويدعوه، فيقول: يا سيدي فلان اغفرلي، وارحمني، وطائفة منهم يستقبلون القبر ويصلون إليه مستدبرين الكعبة، ويقولون: القبر قبلة الخاصة، والكعبة قبلة العامة، وهذا يقوله من هو أكثر الناس تظاهرا بالعبادة والزهد، وهو شيخ متبوع، فما ظنك بمريده العامي؟ فلعل أمثل أصحاب شيخه يقوله عن شيخه وآخر من أعيان الشيوخ المتبوعين أصحاب الصدق والاجتهاد في العبادة، والورع يأمر المريد إذا أراد التوبة أن يذهب إلى قبر الشيخ فيعكف عليه عكوف أهل الأصنام على أصنامهم وجمهور هؤلاء الغلاة في المقبورين يجدون عند عبادة الأضرحة من الرقة، والخشوع، والرجاء، والخوف من المقبور ما لا يجدونه في المساجد، والمشاعر المقدسة، ومنهم من يقول: من طاف بقبر الشيخ سبعا كان كحجة، وكان بعض الشيوخ الذين عاصروا شيخ الإسلام ابن تيمية، ولهم فضل، وعلم، وزهد إذا نزلت بهم نازلة خطوا إلى جهة قبر الشيخ عبد القادر الجيلاني خطوات، واستغاثوا به.

ومن الغلاة من يقول: هذا وقتك يا شيخ فلان، أو يقول: إن لم تحضر يا شيخ فلان؛ وإلا فعل بنا، وصنع!!،وقد يقول قائلهم: إن كان لك جاه عند الله تعالى فهذا وقت جاهك، وقد يستغيث أحدهم بعدة مشايخ مقبورين، فيقول: يا سيدي فلان، وسيدي فلان، وسيدي فلان[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وآخرون قد جعلوا الميت بمنزلة الإله، والشيخ الحي المتعلق به كالنبي؛ فمن الميت يطلب قضاء الحاجات، وكشف الكربات، وأما الحي فالحلال ما حلله، والحرام ما حرمه، وكانوا في أنفسهم قد عزلوا الله عن أن

---

(١) **انظر** تلخيص كتاب الاستغاثة٢/٥٦٠، وغاية الأماني٢/٣٤٦، ودمعة على التوحيد ص٥٥.

يتخذوه إلها، وعزلوا محمدا ﷺ عن أن يتخذوه رسولا، وقد يجيء الحديث العهد بالإسلام، أو التابع لهم لحسن الظن بهم، أو غيره يطلب من الشيخ الميت: إما دفع ظلم ملك يريد أن يظلمه، أو غير ذلك، فيدخل ذلك السادن فيقول: قد قلت للشيخ، والشيخ يقول للنبي، والنبي يقول لله، والله قد بعث رسولا إلى السلطان فلان! فهل هذا إلا محض دين المشركين، والنصارى، وفيه من الكذب، والجهل ما لا يستجيزه كل مشرك، ونصراني، ولا يروج عليه؟)[1].

وتبلغ القبورية ذروتها في الخرافة حينما تعمد إلى خصخصة الأضرحة، والمشاهد، وتقسيم تخصصات المشايخ في الفوائد، فلكل ضريح دوره في حياة الناس: فضريح السيدة فلانة يزار لزواج العوانس، وضريح الشيخ فلان يزوره المعدمون لبسطة الرزق، والقادرة الشاطرة صاحبة الضريح الفلاني يحج إليها في مشاكل الحب، والهجر، والفراق، والطلاق، ومقبورة أخرى متخصصة في أمراض الأطفال، والعيون، وعسر الهضم، وهكذا.. فالقائمة لا تنتهي،وهي مؤامرة محكمة الحلقات تلف خيوطها حول السذج، والبسطاء من المسلمين[2].

وذكر الأمير الصنعاني: أن الوسائط البدعية انتشرت في جميع النواحي، وأصبح لكل قوم واسطة ينادونه، فأهل العراق لهم واسطة، وأهل الهند يتعلقون بواسطتهم، وأهل مكة والطائف لهم واسطة، وفي كل بلد ميت يهتف الناس باسمه، وأهل مصر لهم واسطة، وأهل اليمن لهم واسطة، وفي كل قرية أموات يهتفون بهم، وينادونهم، ويرجونهم لجلب الخير، ودفع الضر، وهذا بعينه فعل المشركين في الأصنام[3].

---

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة٢/٥٦٤.

(٢) **انظر**: كنت قبوريا ص٣٦.

(٣) **انظر** تطهير الاعتقاد ص٥٨، ومدارج السالكين١/٣٣٩، والدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ضمن الرسائل السلفية للشوكاني ص١٦٥، وتوحيد الألوهية أساس الإسلام ص٣٢١.

ثم قال -شعرا- من قصيدة يمدح بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويشيد بدعوته السلفية رحمهما الله تعالى[1]:-

أعادوا بها معنى سواع ومثله يغوث وود ليس ذلك من ودي

وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصمد الفرد

وكم نحروا في سوحها من نحيرة أهلت لغير الله جهلا على عمد

وكم طائف حول القبور مقبلا ويلتمس الأركان منهن بالأيدي

ويرى بعض المستشرقين أن ظاهرة العكوف على القبور، والاستنجاد بالمقبورين، وطلب الحوائج منهم -عند بعض المسلمين- لم تظهر إلا في القرن الثالث الهجري متأثرة بالعقيدة الكاثوليكية عند النصارى.

يقول بوته: (وفي القرن الثالث من الهجرة ظهرت في الإسلام العقيدة بالأولياء، وابتدعت زيارة قبورهم، وصاروا يعتبرون لهم خصائص، ويعزون إليهم الكرامات، والخوارق، وأشبهت القضية العقيدة الكاثوليكية من هذا الوجه، فالولي الفلاني يشفي من الريح[2] كما كان القديس " فياكر" يشفي من مرض الباسور، والشيخ الفلاني يقصده الناس لأجل لقيان الحوائج الضائعة؛ كما كانوا في النصرانية يقصدون القديس "أنطوان بادو". والإمام الشافعي يستغيث به طلاب الأزهر للنجاح في دروسهم؛ مثل القديس "أيف" الخ)[3].

وهكذا، بهذه العقيدة الكاثوليكية النصرانية دخل الشرك إلى عقائد الصوفية، من عدة منافذ، وجاءت الخرافة تجر أذيالها، كل ذلك بسبب التقليد، والمحاكاة، والتشبه، وعدم التقيد بمصدر التشريع: الكتاب، والسنة، واتباع سنن اليهود، والنصارى، كما

(١) **انظر** تطهير الاعتقاد ص٥٩.

(٢) هكذا في النص،ولعله يقصد الريح الخارجة من البطن بسبب اضطرابات في الجهاز الهضمي.

(٣) من كتاب الإسلام والنصرانية في إفريقية لمسيو بوته مري نقلا عن دمعة على التوحيد ص١١٧.

أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ، فصار ديدنهم عند الأموات، ومصارع الرفات دعاؤهم، والاستعانة بهم، والعكوف حول أجداثهم، ورفع الأصوات بالخوار[1]، وإظهار الفاقة، والاضطرار.

يقول الشيخ حسين النعمي (ترى هنالك ربع المشهد مأهولا، وقد قطعت إليه المهامه[2]، وعورا، وسهولا، والنداء لساكنه: أن يمنح، أو يربح، والتأدب، والخضوع، والتوقير، والرغبة، ومشاعر الرهبة، وينضاف إلى ذلك، خصوصا في الزيارات في الأعياد، والموالد- نحر الأنعام، وترك الصلاة، وصنوف الملاهي، وأنواع المعاصي للمليك العلام، وكثيرون لا طمع في حصرهم، ولعلهم العموم- إلا من شاء الله- إن لم تلد زوجة أحدهم، أو طال مرض مريض منهم أو أصاب امرأة التوق إلى النكاح، أو قحطت الأرض، أو دهمهم نازل من عدو، أو جراد، أو غيرهما، أو راموا أمرا عناهم تحصيله فالولي في كل ذلك نصب العين.

ومن عجيب ما أتته العامة من طرائف هذا الباب، وغرائبه الفاحشة ما شاهدناه بالمعاينة مكتوبا على راية مشهد من المشاهد (هذه راية البحر التيار فلان بن فلان به أشتغيث، وأستجير، وبه أعوذ من النار).

ومنهم أقوام يخاطبون المقبور من مسافة أربعة برد، وأكثر من ذلك وينادونه، يسألونه المطر... ومن ذلك أن امرأة كف بصرها، ومات ولدها فنادت وليها: أما الله فقد صنع ما ترى، و لم يبق إلا حسبك فيَّ، ومن ذلك،وهو أشهر عجائبهم المعلومة في نواح من البلدان، شراؤهم الأولاد -بزعمهم- من الولي بشيء معين، فيبقى ثمنه رسما جاريا يؤدى كل عام لصندوق الولي، وإن كانت امرأة فمهرها له أو

---

(١) الخوار: صياح الثور، **انظر** مختار الصحاح ص ١٩٢، مادة (خ، و، ر).

(٢) المهامه: جمع مهمه، وهي الصحراء البعيدة، **انظر** مختار الصحاح ص٦٣٩، مادة م، هـ، هـ).

نصف مهرها؛ إذ هي مشتراة منه... ومن ذلك -وهو أيضا من طرائف ما يحكى- أن رجلا سأل من فيه مسكة من عقل، فقال: كيف رأيت الجمع لزيارة الشيخ؟ فأجابه: لم أر أكثر منه إلا في جبال عرفات؛ إلا أني لم أرهم سجدوا لله سجدة قط، ولا صلوا مدة الثلاثة الأيام فريضة، فقال السائل: قد تحملها عنهم الشيخ!!)[1].

وبناء على هذا الاعتقاد الفاسد في المقبورين نشأ شرك الألوهية؛ حيث توجه القبوريون إلى الأضرحة، وأصحابها بالعبادات، والتقربات التي لا يصح صرفها إلا لله عز وجل بدعوى نيل البركة ظانين أنهم بزيارتهم لهذه الأضرحة ستأتيهم البركة، ويشفون من مرضهم، أو يفكون عقم نسلهم،(وكانوا يمسحون عمامة صاحب الضريح -بعد الولائم- أملا في شفاء أوجاع الرأس، ويمسون قفطانه للعلاج من الحمى،ولحس الحجر لفك عسر اللسان، وتقديم العرائض طلبا لرفع الظلم، وتمسح النساء في الضريح أملا في إنجاب الذكور، و لم يستح القبوريون في طلبهم المنهوم للبركة المزعومة أن يستسيغوا المعاشرة الزوجية في هذه الأضرحة، فهذا الشعراني صاحب أكبر سجل لخرافات القبوريين يذكر من كرامات البدوي أنه دعاه إلى فض بكارة زوجته فوق قبة قبره فكان الأمر، وفي السودان وصل الأمر في العصر الحاضر عند بعض الرجال المخرفين إلى مجامعة زوجاتهم عند أضرحة الأولياء، بدعوى نيل البركة!)[2].

وهذه الأمور التي ابتدعها القبوريون عند الأضرحة مراتب -كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

---

(١) معارج الألباب ص٢٠٢ وما بعدها (بتصرف).

(٢) دمعة على التوحيد ص٦١، **وانظر** التبرك أنواعه، وأحكامه للجديع ص٤٧٣.

المرتبة الأولى:(أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجة، أو يستغيث به فيها، كما يفعله كثير من الناس بكثير من الأموات،وهو من جنس عبادة الأصنام؛ ولهذا تتمثل لهم الشايطين على صورة الميت، أو الغائب كما كانت تتمثل لعباد الأصنام؛ بل أصل عبادة الأصنام إنما كانت من القبور...وقد يرى أحدهم القبر قد انشق وخرج منه الميت، فعانقه، أو صافحه، أو كلمه، ويكون ذلك شيطانا تمثل على صورته ليضله، وهذا يوجد كثيرا عند قبور الصالحين، وأما السجود للميت، أو للقبر فهو أعظم، وكذلك تقبيله.*

المرتبة الثانية: أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المساجد، والبيوت، فيقصد زيارته لذلك، أو للصلاة عنده، أو لأجل طلب حوائجه منه، فهذا أيضا من المنكرات المبتدعة باتفاق أئمة المسلمين...

المرتبة الثالثة: أن يسأل صاحب القبر أن يسأل الله له، وهذا بدعة باتفاق أئمة المسلمين)[1].

ويدعي بعض الصوفية أن الولي المقبور يجيب الفقير الصوفي إذا ناداه من قبره، ولا يجيب الفقيه السني، والسبب -عنده -هو أن الفقير الصوفي يعتقد في المقبور النفع، والضر، وأما الفقيه السني، فلا يعتقد ذلك؛ ولهذا لما سأل الشعراني شيخه عليا الخواص: ما السبب الذي أجاب به مشايخ الطرق مريديهم،وهم في قبورهم، وحرم ذلك الفقهاء مع أئمتهم؟ أجابه بأن السبب هو اعتقاد الصوفي الصحيح، فالصوفي يعتقد في شيخه أنه حي في قبره، والحي يجيب من ناداه، والفقيه يعتقد أن إمامه قد

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة١/١٤٦، **وانظر** اقتضاء الصراط المستقيم٢/٦٥٧، وزيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ص١٧، وإغاثة اللهفان١/٢٢٢، وفتاوى اللجنة الدائمة٢/٢٨٠.

* لا شك أن التقبيل لا يلحق بالسجود ولا يقاربه

مات، والميت لا يجيب من ناداه، فلو صح اعتقاد الفقيه وصدق في تعلقه بهؤلاء الوسائط المقبورين لأجابوه من قبورهم، كما أجابوا من ناداهم من فقراء الصوفية الذين يعتقدون حياة هؤلاء الأئمة في قبورهم، فالأمر تابع لاعتقاد المريد، لا للمشايخ، والله أعلم!![1].

فليت غلاة الصوفية الذين ابتلوا بالعكوف على القبور، والتعلق بالمقبورين علموا أن صاحب القبر الذي يدعونه صباحا، ومساء، قد غيِّب في الثرى، بعيدا عن أعين الورى، وأنه يتمنى من الحي أن يتصدق عليه بدعوة خالصة، أو يهبه صدقة جارية، وأنه يقول بلسان الحال[2]:-

ومن عجبٍ أني لغيرك شافع إليك وبي فقرٌ إلى ألف شافع!!

لَيْتَهم علموا ذلك، يقول العلامة ابن القيم: (فبدل أهل البدع، والشرك قولا غير الذي قيل لهم، بدلوا الدعاء له بدعاء نفسه، والشفاعة بالاستشفاع به، وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم -إحسانا إلى الميت وإحسانا إلى الزائر، وتذكيرا بالآخرة: سؤال الميت، والإقسام به على الله، وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو مخ العبادة، وحضور القلب، عندها وخشوعه أعظم منه في المساجد، وأوقات الأسحار، ومن المحال أن يكون دعاء الموتى، أو الدعاء بهم، أو الدعاء عندهم مشروعا، وعملا صالحا، ويصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة، بنص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم يرزقه الخلوف الذين يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون، فهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أهل القبور بضعا وعشرين سنة حتى توفاه الله تعالى؛ هل يمكن بشر على وجه الأرض أن

---

(١) **انظر** الجواهر والدرر للشعراني مطبوع بهامش الإبريز ص٥٩.

(٢) **انظر** يتيمة الدهر للثعالبي ص ٢/٢٤ .

يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح، أو حسن، أو ضعيف، أو منقطع أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور، فدعوا عندها، وتمسحوا بها؛ فضلا عن أن يصلوا عندها، أو يسألوا الله بأصحابها، أو يسألوهم حوائجهم؟)[1].

فينبغي للمسلم أن يعلق قلبه بالحي الذي لا يموت لتحقيق آماله، وقضاء حوائجه، وبلوغ عزه؛ لأن من علق آماله بمقبور ميت فآماله ميتة، قال الله تعالى:﴿**وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا**﴾[2]. وقال تعالى:﴿**هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين**﴾[3].

---

(١) إغاثة اللهفان ١/٢٠٨، **وانظر** الدر النضيد ضمن الرسائل السلفية للشوكاني ص١٧٢، وزيارة القبور الشرعية، والشركية للبركوي ص١٨، وغاية الأماني ٢/٣٠، وجهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ٢/١١٣٨.

(٢) سورة الفرقان الآية ٥٨.

(٣) سورة غافر الآية ٦٤.

المبحث الخامس: نظرة الصوفية لشيوخهم "وسائطهم".

توطئة:

لقد مر معنا في المبحث الثالث من هذا الفصل صورة الواسطة البدعية عند الصوفية في الأحياء من شيوخهم، وتناولت في المبحث الرابع -أيضا- صورة الواسطة البدعية عندهم في الأموات، وسأتناول في هذا المبحث نظرة الصوفية لشيوخهم، ووسائطهم، عموما؛ الأحياء منهم، والأموات، وهذا التقسيم إنما هو من مقتضيات منهج البحث العلمي الذي يعني بترتيب الأفكار المتقاربة، وتقسيم الفكرة إلى أجزاء متعددة؛ لتكون أسهل تناولا، وأشد رسوخا في ذهن القارئ، ومع أنني معترف بأن الكلام في هذا المبحث يمكن أن يتجاذب أطرافه المبحثان السابقان، من بعض الجوانب؛ إلا أنني قصدت بهذا المبحث بيان نظرة الصوفية لشيوخهم ووسائطهم عموما، دون الاقتصار على بيان صورة الواسطة البدعية عندهم في الأحياء، أو المقبورين، ومظاهر التوسيط التي ابتلي بها أولئك المجانين؛ محاولا تجنب التكرار في النقول، مع بيان نظرتهم باختصار يوحي بالشمول.

تعتني الصوفية بالزهد، والمجاهدة النفسية، وعصيان الهوى، والصبر على المداومة على الطاعة، والمرابطة في المساجد، إلا أن هناك أمرا عقديا خطيرا أخطأت فيه الصوفية ينسف كل ما قلنا عنهم سلفا، ويوقعهم في بؤرة الشرك، ومستنقع الخرافة، إنه الغلو في الشيوخ، ورفع منزلتهم إلى مقام الأنبياء، وادعاء وساطتهم، وقدراتهم الخارقة، وتصرفهم في الإنسان، والكون، وإضفاء كثير من الأوصاف عليهم، لا تليق إلا بالباري سبحانه وتعالى، حتى أصبح الشيخ عالما خرافيا يبنى على ادعاء وساطته كثير من التصورات الخاطئة، والدعاوى الكاذبة.

يقول الأستاذ عبد الرحمن الوكيل: (ما ألحفت[1] الصوفية في شيء إلحافها في الدعوة إلى اتخاذ شيوخها أربابا من دون الله، ففرضت على الدرويش أن يكون وطاء ذليلا لشيخه مستعبد الفكر سليب الإرادة كجثة الميت في يد الغاسل، وجعلت هذه العبودية الممتهنة أولى الدلائل على طاعة المريد لشيخه وعلى حبه له، وعلى أنه يرقى معارج الوصول إلى حظائر القدس)[2].

ويقول أيضا: (فالصوفية يعتقدون أن أولياءهم ليسوا بشرا وإنما هم آلهة تخلق ما تشاء وتختار، أو هم -كما نقلنا من قبل- ذات الله سبحانه وتعالى تجسدت مرة فكانت تجانية، وأخرى فكانت نقشبندية، وأخرى فكانت رفاعية، أو شاذلية، أو برهامية[3]!!)[4].

فالشيخ عند غلاة الصوفية إله يعطونه كل صفات الألوهية، وهذا هو الأساس في كل طريقة، والاعتقاد السائد عند معتنقيها، وما تفرقت الطرق إلا اتباعا لتعدد الشيوخ، وتسمى كل طريقة باسم شيخها، ومؤسسها، وكلهم يعبدون الشيوخ، وأقوالهم شاهدة عليهم بذلك كالتبرك بذواتهم، والركوع أمام قبورهم، ولثم حجارتها، والاستغاثة بما فيها من رمم[5]، وأمثلهم طريقة في ذلك من يعتقد أنهم واسطة بينه وبين الله تعالى، وأنهم يقربونه إلى الله زلفى، وحسن مآب، وأفعالهم، وأقوالهم شاهدة عليهم بوضوح كوضوح الشمس على أنهم يؤلهون شيوخهم،ويعبدونهم، ولو طفقنا نجمع أقوال عارفيهم، وأقطابهم في تأليه الشيوخ

(١) ألحف بالشيء: أضربه. **انظر** القاموس المحيط٣/٢٠١ مادة (لحفه).

(٢) هذه هي الصوفية ص٩٩.

(٣) هكذا في النص المطبوع، ولعله يقصد الطريقة البرهانية.

(٤) هذه هي الصوفية ص١٠٢.

(٥) الرمم: جمع رمة بكسر الراء: وهي العظام البالية. **انظر** مختار الصحاح ص٢٥٧ مادة (ر، م، م).

لملأنا ألوف الصفحات، وضيعنا نفيسا من الأوقات[1]. لكن الذي يتمشى مع الرسالة، ويسمح به منهج البحث هو إجمال نظرتهم لشيوخهم في النقاط التالية:-

أولا: حقيقة الشيخ الذي لا يصح إيمان، ولا هدى، ولا صلاح، ولا فلاح إلا باتباعه.

إذا طرحنا السؤال التالي: وهو ما هي حقيقة الشيخ الذي يكون بهذه المنزلة؟ يجيبنا عليه شيخ التجانية أحمد التجاني بقوله: (أما ما هي حقيقة الشيخ الواصل؟ فهو الذي رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهية نظرا عينيا، وتحقيقا يقينيا؛ فإن الأمر أوله محاضرة، وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر كثيف، ثم مكاشفة،وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر رقيق، ثم مشاهدة،وهو تجلي الحقائق بلا حجاب، لكن مع خصوصية.. فهذا هو الشيخ الذي يستحق أن يطلب، ومتى عثر المريد على من هذه صفته فاللازم في حقه أن يلقي بنفسه بين يديه كالميت بين يدي غاسله، لا اختيار له، ولا إرادة، ولا إعطاء له، ولا إفادة، ومتى أشار عليه بعمل، أو أمر فليحذر من سؤاله بلم؟ وكيف؟ وعلام؟ ولأي شيء؟؛ فإنه باب المقت، والطرد)[2].

ويقول القشيري: (ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ؛ فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبدا، هذا أبو يزيد يقول: من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان، وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق[3] يقول:(الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تورق؛ لكن

---

(١) **انظر** الكشف عن حقيقة الصوفية ص٣١٧ وما بعدها (بتصرف).

(٢) جواهر المعاني١/١٢٥، **وانظر** مجموع رحلات الشيخ إبراهيم إنياس ص١٠، والشيخ إبراهيم إنياس السنغالي حياته وآراؤه وتعاليمه لمحمد الطاهر ميغري ص٢٤٩.

(٣) هو أبو علي الحسن بن علي بن محمد النيسابوري الشافعي المعروف بالدقاق، شيخ القشيري الصوفي، وكان يثني عليه، من آثاره كتاب الضحايا. مات سنة ٤٠٥هـ.

انظر شذرات الذهب٣/١٨٠، ومعجم المؤلفين١/٥٧٢.

لا تثمر، كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نَفَسًا فَنَفسًا فهو عابد هواه)[1].

ويقول ابن عربي في فتوحاته - شعرا-[2]:-

ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله ... فقم بها أدبا لله بالله

هم الأدلاء والقربى تؤيدهم ... على الدلالة تأييدا على الله

كالأنبياء تراهم في محاربهم ... لا يسألون من الله سوى الله

فإن بدا منهم حال توههم ... عن الشريعة فاتركهم مع الله

ويقول أبو حامد الغزالي: (فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة؛ ليهديه إلى سواء السبيل، فإن سبيل الدين غامض، وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة...فمعتصم المريد -بعد تقديم الشروط المذكورة- شيخه، فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد؛ بحيث يفوض أمره إليه بالكلية، ولا يخالفه في ورده، ولا صَدَره، ولا يبقي في متابعته شيئا، ولا يذر؛ ليعلم أن نفعه في خطأ شيخه -لو أخطأ- أكثر من نفعه في صواب نفسه - لو أصاب- فإذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه (أي شيخه) أن يحجبه، ويعصمه بحصن حصين)[3].

---

(١) الرسالة القشيرية ص٣٨٠.

(٢) انظر الفتوحات المكية الباب الحادي والثمانون بعد المائة/ ٢

(٣) إحياء علوم الدين٣/٦٥.

ويطلبون من المريد الصادق أن يكون مع شيخه كالميت مع مغسله، ولا يتكلم، ولا يتحرك، ولا يشتغل بشيء؛ حتى بالقرآن، والذكر إلا بإذنه[1]، وفي هذا المعنى يقول شاعرهم[2]:-

وكن عنده كالميت عند مغسل   يقلبه ما شاء وهو مطاع

ثم بعد وصول المريد إلى شيخ كامل مكمل، (لا شيء عليه سوى تفويض جميع مراداته إليه، وكونه كالميت بين يدي الغسال لديه، والفناء الأول: هو الفناء في الشيخ، ويكون هذا الفناء وسيلة الفناء في ا لله:-

من أجل كونك في البداية أحولا   لا بد من شيخ يقودك أولا

فإن طريق الإفادة، والاستفادة مبني على وجود المناسبة بين الطرفين، والطلب لا بد له أولا من برزخ ذي جهتين؛ لكونه في الابتداء في غاية الدناءة، ونهاية الخساسة، وعدم مناسبته أصلا لجناب قدسه، جل سلطانه من هذه الحيثية، وذلك البرزخ هو الشيخ الكامل المكمل)[3].

ومن شأن المريد الصادق -إذا أراد أن يذكر ا لله تعالى، أو يفعل عبادة من العبادات- أن يستحضر نظر شيخه إليه؛ ليزداد أدبه، ويضم شتات قلبه[4].

وهذا شيخ الرفاعية الذي تروى عنه الكرامات، والأعاجيب يقول: (من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان.... وينبغي للمريد أن يعرف لشيخه الحق بعد وفاته، كما

---

(١) **انظر** الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية للشعراني١/١٨٩ نقلا عن الكشف عن حقيقة الصوفية ص٣١٩.

(٢) هذا البيت للجيلي نقله عنه الأستاذ عبد الرحمن الوكيل. **انظر** هذه هي الصوفية ص١٠٠.

(٣) المنتخبات من المكتوبات للسرهندي ص٢١.

(٤) **انظر** الأنوار القدسية٢/٩٨ نقلا عن الكشف عن حقيقة الصوفية ص٣٢١.

كان يعرف له الحق في حال حياته، وقال: من يذكر الله تعالى بلا شيخ، لا الله له حصل!، ولا نبيه!، ولا شيخه!)[1].

ولا ريب في أن من يتفوه بهذا الكلام، ويدعو المسلمين إلى هذا الاعتقاد الفاسد لا ريب أنه خطا بالتصوف خطوات جاوز بها مستنقع البدعة حتى سقط في بحر الشرك، والعياذ بالله، واستمع إلى صوفي آخر من هذا القبيل، يقول الدباغ: (..فإن المريد لا يجيء بشيء حتى لا يكون في قلبه غير الشيخ!، والله!، والرسول!)[2]. وانظر إلى هذه المحبة الثلاثية، ولاحظ تقديم الشيخ في الذكر على رب العزة، والجلال، وعلى نبيه المصطفى ﷺ، وقالوا: (من يطع الشيخ فقد أطاع الرسول)[3]. وهذا الاعتقاد الفاسد في الشيخ هو الرابطة عند النقشبندية؛ لأن الرابطة -عندهم- (عبارة عن ربط القلب بالشيخ الكامل.... وحفظ صورته بالخيال، ولو عند غيبته، أو بعد وفاته، ولها صور، أهونها أن يتصور المريد صورة شيخه الكامل بين عينيه، ثم يتوجه إلى روحانيته في تلك الصورة، ولا يزال متوجها إليها بكليته حتى يحصل له الغيبة، أو أثر الجذب..وهكذا يداوم على الرابطة حتى يفنى عن ذاته، وصفاته في صورة الشيخ..فتربيه روحانية الشيخ بعد ذلك إلى أن توصله إلى الله تعالى، ولو كان أحدهما في المشرق، والآخر في المغرب، فبالرابطة يستفيض الأحياء من الأموات المتصرفين)[4].

---

(١) قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر لأبي الهدى الصيادي ص١٧٧ نقلا عن الكشف عن حقيقة الصوفية ص٣٢١.

(٢) الإبريز ص٣١.

(٣) جواهر البحار في فضائل النبي المختار للنبهاني٣/٣٠٤.

(٤) السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية لعبد المجيد الخاني ص٢٢ نقلا عن الكشف عن حقيقة الصوفية ص٣٢٤.

فحقيقة الحب التام للشيخ أن يحب المريد الأشياء من أجله، ويكرهها من أجله، كما هو الشأن في محبة الله عز وجل[1] -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، واسمع إلى صوفي آخر يقول: (قال بعض المشايخ: من لم يتأدب بأوامر الشيوخ وتأديبهم فلا يتأدب بكتاب، ولا سنة)[2]، فتراهم يوجبون على كل صوفي طلب الشيخ المرشد، الواسطة؛ ليخلص نفسه من الرذائل النفسانية، والشيطانية، عاجلا وآجلا، وهذا الوجوب النظري أمر وضعي طبيعي، وهذا الأصل في طلب القرب من الله غاية مطلوبة؛ لأن من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها؛ فلذلك أمر المريد بصحبة الشيخ الكامل، والتعلق به[3]، ويحرمون عليه التعلق بشيخ آخر، أو حتى زيارته حيا، أو ميتا[4]، فلا يصح إيمان أحد -عندهم- ولا هدايته، ولا توفيقه، ولا صلاحه، ولا فلاحه إلا عن طريق الشيخ ذي القدرات الخيالية، وإذا رد عليهم أهل العلم بأن هذه الأمور بيد الله تعالى يهبها لمن يشاء؛ ولو لم يسلك طريقة من الطرق، ولا ربط قلبه بشيخ من الشيوخ قالوا: (والذي يقضي منه العجب أن من طلب سعدى، وسلمى، لا يصل إليهما -مع وجود الجنسية، والقرب القريب -إلا بواسطة، يهديه، ويوصله، وهذا الغافل يطمع أن يصل إلى الحضرة الإلهية -مع ذلك البعد البعيد- من غير واسطة، ودليل ما أهون عليك أمر ربك يا غافل!)[5].

ثانيا: عصمة الشيخ،وحفظه[6]: -

---

(١) انظر الأنوار القدسية ١/١٦٩ نقلا عن الكشف عن حقيقة الصوفية ص٣٢٢.

(٢) رماح حزب الرحيم ١/١١٦.

(٣) انظر المصدر السابق ١/١١٢.

(٤) انظر نخبة المطلوب لمحمد بن الخديم ص١٤٢.

(٥) رماح حزب الرحيم ١/١١٦.

(٦) راجع المبحث السابق تنقيص بعض أهل الأهواء لمقام الواسطة الصحيحة ص٥٣٩ من هذه الرسالة.

تدعي الصوفية أن هذا الشيخ الذي مرت حقيقته، وقدراته، وأهميته في التوسط للمريدين عند الله تعالى - تدعي أنه معصوم من الخطأ، والزلات، وبعضهم يدعي أنه يأخذ عن الله بلا واسطة، وأنه يأتيه الوحي، والإلهام، وحتى صرح بعضهم بنزول الملك على الشيخ.

يقول الشعراني: (اعلم أن بعض العلماء أنكر نزول الملك على قلب غير النبي ﷺ لعدم ذوقه له، والحق أنه ينزل؛ ولكن بشريعة نبيه - عليه الصلاة والسلام، فالخلاف إنما ينبغي أن يكون فيما ينزل به الملك لا في نزول الملك، وإذا نزل على غير نبي لا يظهر له حال الكلام أبدا؛ إنما يسمع كلامه، ولا يرى شخصه، أو يرى شخصه من غير كلام، فلا يَجْمع بين الكلام، والرؤية إلا نبي، والسلام)[1]، فكل من قال: إن الولي لا يشاهد الملك، ولا يكلمه فذلك دليل على أنه غير مفتوح عليه[2].

وبعض الحذاق من الصوفية يخشى التصريح بالقول بالعصمة فيقول: الأنبياء معصومون، والأولياء محفوظون[3].

وهذا الأمر مشهور عند الصوفية (فطائفة من النساك، والعباد يزعمون في بعض المشايخ أو في من يقولون إنه ولي الله إنه لا يذنب، وربما عينوا بعض المشايخوزعموا أنه لم يكن لأحدهم ذنب، وربما قال بعضهم: النبي معصوم، والولي محفوظ، ومن غالية هؤلاء من يعتقد في بعض المشايخ من الإلهية والنبوة ما اعتقدته الغالية في علي، ويزعم أن الشيخ يخلق، ويرزق، ويدخل من يشاء الجنة، ومن يشاء النار، ويعبده،

---

(١) رسالة الفتح في تأويل ما صدر عن الكمل من الشطح للشعراني نقلا عن جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ص١٣٧.

(٢) **انظر** الإبريز ص١٥١ ورماح حزب الرحيم١/١٦٧.

(٣) **انظر** الجواهر والدرر مطبوع بهامش الإبريز ص١٢٥، والرد عليهم في بغية المرتاد ص٤٩٦، والنبوات ص١٦٧، ولوامع الأنوار١/٣٣٨.

ويدعوه كما يعبد الله، ويقول: كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان فإني لا أريده، ويذبح الذبائح باسمه، ويصلي،و يسجد إلى جهة قبره، ويستغيث به في الحاجات كما يستغاث بالله تعالى، فأما ضلال هذه الغالية فشرك واضح)[1].

وإذا كان إمام المحدَّثين عمر رضي الله عنه يجوز عليه الخطأ والنسيان، فليس في شيوخ الصوفية معصوم؛ بل الخطأ يجوز عليهم كلهم، كما قال أبو الحسن الشاذلي: (قد ضمنت لنا العصمة فيما جاء به الكتاب والسنة، و لم تضمن لنا العصمة في الكشوف، والإلهام)[2].

ويقول الإمام الشاطبي: (رأى قوم التغالي في تعظيم شيوخهم حتى ألحقوهم بما لا يستحقونه؛ فالمقتصد منهم يزعم أنه لا ولي لله أعظم من فلان، وربما أغلقوا باب الولاية دون سائر الأمة، إلا هذا المذكور، وهو باطل محض، وبدعة فاحشة...والمتوسط يزعم أنه مساو للنبي ﷺ إلا أنه لا يأتيه الوحي، بلغني هذا عن طائفة من الغالين في شيخهم الحاملين لطريقتهم في زعمهم نظير ما ادعاه بعض تلامذة الحلاج في شيخهم على الاقتصاد منهم فيه، والغالي يزعم فيه أشنع من هذا، كما ادعى أصحاب الحلاج فيهوهذا نمط الشيعة الإمامية، ولولا الغلو في الدين، والتكالب على نصر المذهب، والتهالك في محبة المبتدع لما وسع ذلك عقل أحد.

ومن تأمل هذه الأصناف وجدها من البدع في فروع الشريعة كثيرا؛ لأن البدعة إذا دخلت في الأصل سهلت مداخلتها الفروع)[3].

ويقول شيخنا صالح السحيمي -حفظه الله-: (من أعظم العوامل، والأسباب التي أدت إلى ذيوع البدعة، وانتشارها بين الناس التقليد الأعمى للشيوخ في الأصول،

---

(١) جامع الرسائل المجموعة الأولى ص٢٦٤.

(٢) مجموع الفتاوى٢/٢٢٦.

(٣) الاعتصام١/٢٥٨.

والفروع، فقول الشيخ مقدم -عند المبتدعة- على قول الله ورسوله، وأكثر ما يوجد ذلك عند الرافضة، وأصحاب الطرق الصوفية، كما يوجد -أيضا- عند متعصبة الفقهاء، فأتباع الشيوخ يتلقون الأحوال التي يسمعونها ويشاهدونها من شيوخهم، ويأخذونها مسلمة على أنها الطريق الوحيد الذي يقربهم إلى الله؛ حتى وإن خالفت هدي الكتاب، والسنة، فيعتقدون أنها من التشريع الذي خص الله به أصفياءه، وأولياءه، وعباده المقربين،وبالغوا في ذلك حتى اعتقد كثير منهم في الشيوخ العصمة، وأنهم لا يفعلون إلا حقا؛ لأنهم معصومون من الخطأ، فيتبعونهم في كل ما يؤثر عنهم، من قول، أو فعل؛ على أنه الطريق المقرب إلى الله الموصل إلى رضاه)[1].

ثالثا: تقديس الشيخ والتهويل من قدراته، وطاقاته:

لا تفتأ الصوفية تضع على شيوخ الطرق هالات من التقديس، وتحوطهم بوشاح من التعظيم، يخرج بهم -في كثير من الأحيان- عن حدود المخلوقية مما يجعلهم أضحوكة في أعين العقلاء، فالشيخ مطلع على خاطر مريده، فإذا أراد المريد من شيخه قضاء حاجة ما، فما عليه سوى أن يذكرها لشيخه، فإن الشيخ يسرع له في الإجابة ويقضيها في الباطن.

يقول الدباغ لتلميذه: (إذا أردت قضاء حاجة لك أو لغيرك فاذكرها لي، ولا تزد أي لا تحرص في قضائها، ولا تهتم بها، فإن ذلك سبب عدم قضائها، فكان الأمر كذلك، فكنا إذا عرضت حاجة، وذكرناها له، وسكتنا، جاء فيها الفرج سريعا، وإذا وقع لنا بها اهتمام، وعناية انغلق بابها)[2]. وذكر الشعراني أن أحد شيوخه ووسائطه كان إذا ناداه مريده من مسيرة سنة أو أكثر أجابه بسرعة[3].

(١) تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار ص١٤٢.

(٢) الإبريز ص١٩٠.

(٣) انظر الطبقات الكبرى٢/١٩.

فالأولياء، وشيوخ الطرق مستولون على مريديهم، وأتباعهم، فهذا الدسوقي[1] نقلوا عنه أنه قال -يخاطب تلميذه- (يا ولدي: إن صح عهدك معي فأنا معك قريب غير بعيد، وأنا في ذهنك، وأنا في سمعك، وأنا في طرفك، وأنا في جميع حواسك الظاهرة، والباطنة، وإن لم يصح عهدك لا تشهد مني إلا البعد)[2].

وبعد استيلاء الشيخ على ظاهر المريد وباطنه، واستعماره، والتصرف فيه حيث يشاء الشيخ يصبح المريد حاملا بالشيخ، كما يقول الدباغ: (إن المريد إذا أحب الشيخ المحبة الكاملة سكن الشيخ معه في ذاته، ويكون بمنزلة الحبلى التي تحمل بولدها؛ فإن حملها تارة يتم صلاحه، فيبقى على حالة مستقيمة إلى أن تضعه، وتارة يسقط، ولا يجيء منه شيء، فهكذا حالة المريد إذا حمل بشيخه، فتارة تكون محبته خالصة تامة دائمة، فلا يزال أمر الشيخ يظهر في ذاته إلى أن يفتح الله عليه، وتارة تكون محبته منقطعة)[3].

فإذا تعذر على المريد الوصول إلى الشيخ، والاستمتاع بالنظر إلى جنابه؛ لعروض مرض أو أمر قاهر فليشخص شيخه بين عينيه بصفته، وهيأته، وملامحه، ويشكو له ما ألم به؛ فإنه يبرأ بإذن الله، وإن كان المريد في جماعة من الناس، واستحيى منهم فليشتك إلى شيخه بقلبه عن طريق الخواطر[4]. ويقول أحدهم -ولعله قد جمع بين بدعتي الرفض والتصوف[5]- (والشيخ فضلا عن أن تأثيره ثابت؛ فإن نوره ينتشر في

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن عبدالرحمن الدسوقي الصوفي، له مقالات تصادم الشرع، ولأتباعه غلو فيه، مات سنة ٩١٩هـ. **انظر** طبقات الشعراني١/١٦٥، وشذرات الذهب٨/٩٠، ومعجم المؤلفين١/٦٤.

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني١/١٥٠.

(٣) الإبريز ص٢١٧.

(٤) **انظر** الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية لابن عجيبة ص٣٣٩ نقلا عن الكشف عن حقيقة الصوفية ص٣٢٣.

(٥) هو الدكتور سيد حسين نصر الإيراني.

كل مكان، ومع أنه شخصية روحية، واضحة المعالم؛ لكنه مقترن -داخليا- بالنور الذي يشرق على البر، والبحر، ويضيء كل شيء للمريد المرتبط به)[1].

وما دام الشيخ يدعي هذه الدعاوى لنفسه، ويهول من قدراته،وأنه مع مريده أينما كان بهذا الاعتقاد، فلا نستبعد أن ينتج عن هذا التصور الخاطئ توجه المريد إلى شيخه بالدعاء، والرجاء بقصد قضاء الحاجات، وتحقيق الرغبات، ومنهم من يرفع شيخه فوق منزلته،ويصفه بأوصاف الربوبية التي لا يستحقها إلا من يأتي بالشمس من المشرق حتى وصلت الوقاحة بأحدهم منتهى الغاية فقال: (لو رأيت أبا يزيد[2] مرة واحدة كان أنفع لك من رؤية الله سبعين مرة!!!)[3] والعياذ بالله تعالى، ويدعون أن أمور الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، ولم يطلع عليها أحدا من خلقه إلا من ارتضى من رسول، يدعون أنها ليست غيبا عند الأولياء. يقول الشعراني عن شيخه علي الخواص: (وسمعته يقول: ليس الغيب الذي للعارفين غيبا عندهم؛ إنما هو من قسم عالم الشهادة، فيخبرون عما يشاهدونه؛ فما سماه غيبا إلا من كان محجوبا عن ذلك من العامة)[4]. إذن: فما دام الشيخ بهذه الصفات، وبقدرته محيطا بجميع المخلوقات فما على المريد إلا أن يسلم له زمام أمره، ولا يعترض عليه، ولو في خاطره، كما قالوا: (سلم تسلم، ولا تعترض فتنطرد)! يقول البكري[5]:-

وسلم الأمر له لا تعترض ولو بعصيان أتى أذى فرض
وكن لديه مثل ميت فاني لدى مغسل لتمسي داني

---

(١) الصوفية بين الأمس واليوم لسيد نصر حسين ص٧٣ نقلا عن الكشف عن حقيقة الصوفية ص٣٢٧.

(٢) هو أبو يزيد البسطامي، تقدمت ترجمته **انظر** ص**٦٧٤**.

(٣) إحياء علوم الدين٤/٣٥٦.

(٤) الجواهر والدرر مطبوع بهامش الإبريز ص١٨٠.

(٥) **انظر** هذه هي الصوفية ص١٠٠.

ويقول آخر[1]:-

وفر إليه في المهمات كلها فإنك تلقى النصر في ذلك الفر

ويَدْعون إلى تقوية همة المريد بقول بعضهم[2]:-

إن الفتى حسب اعتقاده نفع وكل من لم يعتقد لم ينتفع

وبالجملة فإن (الصوفية رفعوا أولياءهم فوق كل مخلوق، وجعلوا قدراتهم، وطاقاتهم تفوق طاقة البشر، واعتقدوا فيهم اعتقادات فيها الكثير من الغلو، والتجاوز، فاعتقدوا أن لهم القدرة على التصرف في الكون،والحياة، تصرفا كاملا شاملا، كإحياء الموتى، وشفاء المرضى، وإنزال المطر، وهداية الضالين هداية التوفيق، وإضلال المهتدين بالسر، والباطن، وحفظ العالم من الدمار،واعتقدوا أنهم يعلمون الغيب على وجه الإطلاق، فلا يخفى عليهم شيء، وأنهم معصومون من الخطأ، والخطايا، يقولون للشيء كن فيكون، وغير ذلك، فلما اعتقدوا ذلك كله في أوليائهم كان من الطبيعي أن لا ينحرفوا عن هذا الخط الذي رسموه، وساروا عليه، منذ ظهور التصوف، وأوليائه، فجعلوا من أوليائهم لقدراتهم المزعومة صواعق مرعبة، ورعودا مرهبة، لتخويف الآخرين، وصدهم عن بيان الحق في وقت الحاجة إليه)[3].

رابعا: الشيخ يطرح عن المريد الخطايا، والمعاصي:

نجد في كثير من التراث الصوفي أن هؤلاء الشيوخ يقدمون عروضا مغرية لاصطياد السذج من الناس، فيقدمون لهم وعودا خيالية، خالية من الضوابط الشرعية تجعل المريد يعيش في عالم ذهني من المثالية بعيدا عن الحقيقة، والواقع، فمن تلك الوعود المزعومة أن المريد لا يقع في مأزق، ولا يتكدر خاطره إلا ويجد شيخه وواسطته منقذا

---

(١) **انظر** الإبريز ص٢٥١.

(٢) **انظر** ردود على أباطيل للشيخ محمد الحامد ص٤٢٧.

(٣) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ٢/١٩٢.

له في الحال، وأنه بفضل شيخه يعيش حياة سعيدة، ويموت على الإيمان، ويخاصم عنه يوم القيامة، ويدخل معه الجنة بلا حساب ولا عقاب. والمطلوب من المريد أن لا يكتم عن شيخه ما صدر منه سواء حسنة تسر، أو معصية تضر؛ لأنه (لا عورة بين المريد، والشيخ)[1].

ويذكرون عن الدباغ أنه شكا إليه تلميذه ذات يوم أمرا نزل به فيه ضرر في الدين، والدنيا، لا تؤمن غائلته، فأخبره الشيخ الدباغ قائلا: (أما في الدنيا فلا تخش منه أبدا، ولا يقع لك منه شر أصلا، وأما في الآخرة فأنا أتكفل لك على الله تعالى أنك لا تسأل عن هذا الأمر،ولا تحاسب عليه، فكان الأمر في الدنيا كما قال رحمه الله، ونرجو من الله سبحانه أن يكون الأمر في الآخرة كما قال! وكان رحمه الله يقول لنا: لا تكتموا عني شيئا من الأمور التي تنزل بكم في الدين والدنيا، وأخبروني حتى بالمعاصي التي تقع لكم، وإن لم تخبروني أخبرتكم؛ فإنه لا خير في صحبة يستتر معها شيء من أحوال المتصاحبين، وكان رحمه الله يقول: أما أنا فلا أكتم عنكم شيئا من أموري ثم يشرح لنا حاله... ويذكر لنا جميع ما وقع له من العاديات،وغيرها، ويقول لنا: إن لم أخبركم، و لم أطلعكم على أحوالي فإن الله يعاقبني ويحاسبني؛ لأنكم تظنون بي الخير، فاصبروا حتى أذكر لكم الأمور الباطنية التي لم تطلعوا عليها، فمن شاء منكم أن يذهب فليذهب؛ فإن سكوتي عن ذكر تلك الأمور غش لكم، وما كان رحمه الله لأصحابه إلا رحمة محضة، يشفع لهم في زلاتهم، ويتكفل لهم بنوائبهم، ويتحمل لهم كلما يخشون عاقبته، ويهتم لأمورهم أكثر مما يهتم لأموره، وقال لي ذات يوم: الرجل الذي لا يشاطر صاحبه في سيئاته ما هو بصاحب له، وقال: إن لم

(١) الجواهر والدرر مطبوع بهامش الإبريز ص٦٠.

تكن الصحبة إلا على الحسنات فما هي بصحبة...فظهر بهذا قوله في العوارف: وبالقول مع الشيخ تنحل العقدة، وا لله أعلم)[1].

وتزعم التجانية أن كل من رأى شيخهم أحمد التجاني في يومي الاثنين، والجمعة أنه يدخل الجنة بلا حساب، ولا عقاب[2]، ونصه عن التجاني: (قال لي سيد الوجود: بعزة ربي يوم الاثنين،والجمعة، لا أفارقك فيهما من الفجر إلى الغروب، ومعي سبعة أملاك، وكل من رآك في اليومين يكتبون -يعني الأملاك السبعة- اسمه في رقعة من ذهب، ويكتبونه من أهل الجنة، وأنا شاهد على ذلك)[3]، وقد نظمه بعضهم فقال[4]:-

في يوم الاثنين أو الجمعة رائيه يدخل غدا في الجنة

بلا حساب لا ولا عقاب بل هو آمن من العذاب

والملفت للنظر -هنا- أن بعض هؤلاء الشيوخ كثيرا ما ينتحل كلام بعض الشيوخ المتقدمين، أو يحاكيه؛ كما مر معنا -في ادعاء كثير منهم أن ا لله ختم به الأولياء، وأن قدميه على رقبة كل ولي[5]، فكذلك الأمر بخصوص الرؤية، فلعل التجاني حاكى بهذا الادعاء ما يروى عن الشيخ عبد القادر الجيلاني أنه قال: (طوبى لمن رآني، أو

(١) الإبريز ص٢٥٠.

(٢) في كشف الحجاب عن من تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب ص٢٨٨ أن من رآه في هذين اليومين يشمل كل من رآه، ولو كافرا!!.

(٣) بغية المستفيد ص٢١٦، **وانظر** كشف الحجاب ص٢٨٨، والرد عليه في مشتهى الخارف الجاني ص١٦١.

(٤) بغية المستفيد ص٢٠٩.

(٥) **انظر** ص٦٦٤من هذه الرسالة.

رأى من رآني، أو رآى من رأى من رآني، وأنا حسرة على من لم يرني)[1]. والفرق بين الادعاءين واضح كما ترى.

وهذه النصوص لا تحتاج إلى تعليق؛ لأن مصادمتها لنصوص الشريعة وخروجها عن دائرة الدين الحنيف الذي هو سمة خاتمة الرسالات يعرف ببداهة العقل، وقد تنبه بعض المستشرقين لوعود مشايخ الطرق لمريديهم الخارجة عن تعاليم الإسلام، يقول نيكولسون - معلقا على نظرة الصوفية لوسائطهم ووعود المشايخ لمريديهم: (ولذا ترونهم يتنافسون في الوعود التي يقطعونها أمام كل من أحبوهم، أو أسدوا إليهم معروفا؛ بل وكل من رأوهم بأن الله تعالى سيغفر لهؤلاء جميعا من أجلهم، وفي هذا على أقل تقدير تصوير لعلاقة شخصية بين الشفيع والمشفوع له)[2].

خامسا: الحلف بالشيخ:

ونتيجة للغلو الزائد في الشيخ، والتصورات الخاطئة التي يهمس بها الشيخ في آذان مريديه، ويشيعها الأتباع بين الناس، يصبح الخوف من الشيخ مستوليا على قلوب الجميع، وخصوصا على المريدين الذين يخافون من شيخهم في حياته،وبعد دفنه كخوفهم من الله تعالى، فإذا بالغ الصوفي الغالي في يمينه، وأراد التأكيد أقسم بالولي الواسطة، وإذا حلف بالله تعالى، أو بأسمائه،وصفاته فإنه لا يطمئن باله، ولا يرتاح قلبه، ولا يصدق الحالف حتى يحلف له بشيخه، كما أن الحالف لا يتورع أن يحلف أغلظ الأيمان باسم الله تعالى كاذبا، فاجرا، وأما أن يحلف باسم وليه كاذبا فهذا لا

---

(١) بهجة الأسرار ومعدن الأنوار لنور الدين الشطنوفي ص٢٣ نقلا عن الكشف عن حقيقة الصوفية ص٤٨٤.

(٢) في التصوف الإسلامي ص١٦٤.

يتجاسر عليه، وقد يلزم بعض من انتصب للقضاء من هذه الطائفة الخصم بالحلف باسم الشيخ أو على قبره[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (حتى إن طائفة من أصحاب الكبائر الذين لا يتحاشون فيما يفعلونه من القبائح، كان إذا رأى قبة الميت، أو الهلال الذي على رأس القبة خشي من فعل الفواحش، ويقول أحدهم لصاحبه. ويحك هذا هلال القبة، فيخشون المدفون تحت الهلال، ولا يخشون الذي خلق السموات والأرض)[2].

ويقول الشيخ حسين النعمي: (وكثيرون لا يدخلون تحت حد الإحصاء إذا كان الحلف باسم الله أقدم عليه الحالف؛ بلا مبالاة حتى إذا طلب منه الحلف بصاحب القبر، وبالأخص إذا ألزمه محلفه بإمساك حلقة باب النصب، فلا يتجاسر -قط- إن كانت يمينا فاجرة، وقد لا يرضى المحلوف له إلا بذلك دون الرسم الشرعي، ويعتقد أنه إن أقدم الحالف فإن كان بارا، وإلا بادره الولي بالعقوبة العاجلة، والبطشة الكبرى)[3].

ويقول المستشرق جولدتسيهر[4]: (الولي المحلى الذي أصبح موضع الثقة ومحط الآمال، فإليه يؤتى بالقرابين، وفي مرضاته تنذر النذور؛ لكسب نياته الحسنة، ولكي

---

(١) **انظر** قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٢٧٢، وتجريد التوحيد للمقريزي ص٢٨، والدين الخالص لمحمد صديق حسن خان٤/٧١.

(٢) تلخيص كتاب الاستغاثة٢/٥٦٣، ورسالة الشرك ومظاهره للميلي ص٢٧٧.

(٣) معارج الألباب ص٢٠٦، **وانظر** تيسير العزيز الحميد ص٤٨٥، ومجلة المنار١/٥٨، وتقديس الأشخاص في الفكر الصوفي٢/١٩٦.

(٤) هو جولد تسهير اجنتس مستشرق مجري، ولد سنة ١٨٥٠م،، ودرس في بودابست، وعمل أستاذا بجامعتها، ثم في بلاد العالم الإسلامي دارسا، وباحثا، حيث صحب في سورية الشيخ طاهر الجزائري، وأقام بالقاهرة، ودرس على شيوخ الأزهر، يعد من أوسع المستشرقين دراسة للإسلام وتاريخه، وعقائده، وفرقه الدينية، صنف عدة مؤلفات عن الإسلام منها: ((العقيدة والشريعة في الإسلام))

⇦

ترجى شفاعته عند الله تعالى، كما أن أتباعه، ومريديه يعدونه عماد الحق، والصدق، وأنه الحارس لهما، الكفيل بهما، ويخشى الواحد منهم أن يحنث في يمين حلف فيها باسم الولي، أو أن ينكث بعهده في مكان يراه الولي، ذا طهارة، وقداسة أكثر مما يحمره عند ما يحلف با لله باطلا)[1].

سادسا: القصص،والحكايات التي تروى عن الشيخ:

بناء على نظرة الصوفية الغالية للشيخ الذي مرت معنا حقيقته، والقول بعصمته، وحفظه، وتقديسه، والتهويل من قدراته، والحلف باسمه وكونه يطرح عن المريد الخطايا،والمعاصي بناء على ذلك فإن للصوفية حكايات موغلة في الخرافة، يذكرون فيها نماذج من قدرات الشيوخ،وتصرفاتهم في الكون،وهي صورة واضحة للخروج عن شريعة الإسلام،ومخالفة صريحة للشرع، والطبع، فهم يزعمون أن من هؤلاء الأولياء،والشيوخ من يخرج من قبره، ويمشي على الأرض عيانا لقضاء حاجات مريده، وتوجيهاته، ومن تلك الحكايات: -

(أ) القصة المضحكة التالية التي نقلها الشعراني عن أحد شيوخه[2] فقال: (ولقد قصدته في حاجة، وأنا فوق سطوح مدرسة أم خوند بمصر، فرأيته خرج من قبره

و((الظاهرية ومذهبهم وتاريخهم))، و((مذاهب المسلمين في تفسير القرآن)) وغيرها، مات سنة ١٩٢١م. انظر الموسوعة العربية الميسرة بإشراف محمد شفيق غربال ٦٦٨/١.

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ص٢٣٢.

(٢) شيخ الشعراني هذا اسمه أبو العباس الحريثي.

يمشي من دمياط[1]، وأنا أنظره إلى أن صار بيني وبينه نحو خمسة أذرع، فقال: (عليك بالصبر، ثم اختفى)[2].

ونرد على هذه الخرافة القبورية بقول الأمير الصنعاني: (وبالجملة فالقول بخروج الميت من قبره، وبرزخه بشخصه لقضاء أغراض الأحياء قول مخالف للعقل، والنقل؛ لأن من واراه القبر لا يخرج منه إلا في المحشر)[3].

وإذا وقع الشيخ الصوفي في معصية التمسوا له الأعذار، ومن تلك الأعذار أن الشيخ يستتر عن أعين العامة، ويظهر أعمالا كالزنى، والكذب الفاحش، وشرب الخمر، وقتل النفس،وغير ذلك من الدواهي، وأن تلك الأفعال صور من الغيب، لا وجود لها في الخارج؛ بل هي تصورات يراها غيرهم حقيقة،وهي خيالية يفعلها الشيخ الواسطة استتارا عن العوام،وحفظا لمقامه، وتحريرا لأدبه![4].

(ب) واستمع لما يحكونه عن الشيخ علي وحيش[5] وكراماته: فقد كان هذا الشيخ الولي المزعوم يقيم في خان بنات الخطا، وكان كل من خرج يقول له: قف حتى أشفع فيك عند الله قبل أن تخرج، فيشفع فيه، وكان يحبس بعضهم اليوم، واليومين، ولا يمكنه أن يخرج حتى يجاب في شفاعته، وكانت له أحوال غريبة، فإذا حكيت لبعض مقدميهم يقول: هؤلاء يخيلون للناس هذه الأفعال، وليس لها حقيقة[6].

---

(١) المدينة المشهورة بمصر بين تنيس والقاهرة على زاوية بين بحر الروم والنيل. **انظر** معجم البلدان٢/٤٧٢.

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني٢/١٤٧، **وانظر** مثل هذه الحكايات في الجواهر والدرر ص٤٦.

(٣) الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الألطاف ص٥١.

(٤) **انظر** الإبريز ص٢٣٢.

(٥) هو علي وحيش الصوفي من مجاذيب النجارية عده الشعراني من جملة شيوخه، وحكى عنه أمورا خرافية مصادمة للشرع، وعدها من كراماته، مات سنة ٩١٧. **انظر** طبقات الشعراني٢/١٤٩.

(٦) **انظر** الطبقات الكبرى للشعراني٢/١٥٠.

(جـ) ومن كرامات الشيخ محمد الخضري[1] أنه كان يقوى عليه الحال فيتكلم بألفاظ لا يستطيع أحد سماعها في حق الأنبياء، وكان يرى في كثير من البلدان في ساعة واحدة، وحصل مرة في يوم الجمعة أن سأله الناس الخطبة فقال: باسم الله فطلع المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: وأشهد أن لا إله لكم إلا إبليس -عليه الصلاة والسلام- فقال الناس: كفر، فسل السيف، ونزل، فهرب الناس كلهم من الجامع، فجلس عند المنبر إلى أذان العصر وما تجرأ أحد أن يدخل الجامع، ثم جاء بعض أهل البلاد المجاورة، فأخبر أهل كل بلد أنه خطب عندهم، وصلى بهم، فعددوا له ذلك اليوم ثلاثين خطبة، وكان يقول: لا يكمل الرجل حتى يكون مقامه تحت العرش على الدوام، وكان يقول: الأرض بين يدي كالإناء الذي آكل فيه، وأجساد الخلائق كالقوارير أرى ما في بواطنهم[2].

(د) ومن الأولياء من يضع قدمه في المشرق، والأخرى بالمغرب في خطوة واحدة حسب زعمهم[3].

(هـ) ويحكون أن الحجر،والماء كان يخاطب الشيخ الدباغ فيرجع من الخلاء بغير تبرز؛ لأن هذه المخلوقات سمعها تذكر الله تعالى؛ لأنه يحفظ الكتب السماوية جميعها، ويعرف لغات بني الإنسان، والسريانية،ولغة الجن، ولغة الملائكة، ولغات الحيوان، ويرى أن القط لا يأكل الفأرة إلا بإذنه. فلذلك كان قادرا على رد الضال، ومنع المقتول من قاتله أن ينفذ فيه القتل[4].

---

(١) هو محمد الخضري الصوفي، له أقوال مصادمة للشريعة كقوله: لا يكمل الرجل حتى يكون مقامه تحت العرش على الدوام، وكقوله: أجساد الخلائق كالقوارير أرى ما في بواطنهم، مات سنة ٨٩٧هـ. **انظر** طبقات الشعراني ٢/١٠٦.

(٢) **انظر** الطبقات الكبرى للشعراني ٢/١٠٧.

(٣) **انظر** الإبريز ص٤٨.

(٤) **انظر** المرجع السابق ص١٠٩ وما بعدها.

(و) ومن هؤلاء الشيوخ من يحكى أنه نزل في حلقته شبح من الجو لا يدري الحاضرون ما هو فأطرق الشيخ ساعة، ثم ارتفع الشبح إلى السماء فسألوه؟ فقال: هذا ملك وقعت منه هفوة فسقط علينا يستشفع بنا، فقبل الله شفاعتنا فيه فارتفع، وكان إذا شاوره أحد في أمر يقول له أمهلني حتى أستشير فيه جبريل عليه السلام، ثم يقول له: افعل، أو لا تفعل[1].

(ز) ومن هؤلاء الشيوخ من يحكى عنه أنه توضأ يوما قبل أذان العصر، واضطجع على سريره، ومكث سبع عشرة سنة، ثم قام وعيناه كالدم الأحمر فصلى بذلك الوضوء[2].

(ح) ومن هؤلاء الواصلين شيخ يدعون فيه السر والولاية، يحكون عنه أنه وهب أحد محبيه عشر سنين من عمره لما رآه مريضا، ثم مات المريض، في غيبة الشيخ، فجاء والميت على النعش، فقال: كيف مت؟ وعزة ربي لو كنت حاضرا ما تركتك تموت[3].

(ط) وأتت امرأة أحد هؤلاء الشيوخ وقالت له: ادع الله أن يرزقني ولدا ذكرا، فقال سترزقين ذلك، فوضعت أنثى، فراجعته، فقال لها: والله ما قلت لك ذلك إلا بعد ما مسست ذكره بيدي هذه؛ ولكن أراد أن يكذب هذه اللحية!![4].

(ي) ويحكون عن رجل من شيوخ اليمن أنه قال يوما لخادمه وهما في سفر: قل للشمس تقف حتى أصل إلى منزلي، وكان في مكان بعيد، وقد قرب وقت غروبها، فقال لها الخادم: قال لك الفقيه قفي له فوقفت حتى بلغ مكانه، ثم قال للخادم: أطلق ذلك المحبوس، فأمرها الخادم بالغروب فغربت، ودخل الناس في الظلام[5].

---

(١) **انظر** الطبقات الكبرى للشعراني ١/١٥٧.

(٢) **انظر** المرجع السابق ١/١٠٧.

(٣) **انظر** الطبقات الكبرى للشعراني ٢/١٠٣.

(٤) **انظر** جامع الكرامات للنبهاني ١/٥٢٣.

(٥) **انظر** نشر المحاسن الغالية لليافعي ص٣٣ نقلا عن الكشف عن حقيقة الصوفية ٤٧٣.

(ك) ويحكون عن أحد الشيوخ أنه في الرضاع لم يكن يرضع في رمضان أمه إلا ليلا، ولما بلغ تسع سنين أرادت أمه يوما أن تمسح له رجليه بدهن، فوجدت بإحدى رجليه ماء، وطينا، والأخرى يابسة، فسألته أمه عن ذلك فقال لها: خالي التماري غرق به المركب في الجزيرة فأنقذته برجلي حين طلب الإغاثة[1].

(ل) ومن غلو الرفاعية في شيخهم أحمد الرفاعي ادعاؤهم أنه كان يتكلم وهو في المهد صبيا، وأنه قد كلم الناس يوم ولادته[2]، ولما كبر (كان قطب الأقطاب في الأرض، ثم انتقل إلى قطبية السموات، ثم صارت السموات السبع في رجله كالخلخال، وختم الله به النبوة كما ختم به الولاية)[3]، ويزعمون أنه قال: (صحبت ثلاثمائة ألف أمة ممن يأكل، ويشرب وينكح، ولا يكمل الرجل -عندنا- حتى يصحب هذا العدد، ويعرف كلامهم، وصفاتهم، وأسماءهم، وأرزاقهم، وآجالهم)[4].

وقد حصل لهؤلاء الشيوخ مرادهم من ذكر هذه الحكايات، فقد رسخت في أذهان المريدين وآمنوا بقدرات الشيخ إيمانا تزول الجبال الراسيات، ولا يزول، فإذا قال الشيخ لمريده: (يتعين ربط القلب بالشيخ من طريق الإرادة، والمحبة، فتعلم أنك في حمايته، وولايته، وظل رعايته في جميع الأوقات فتمسك بهذه الطريقة بأمره، وإرشاده، والله تعالى يحفظ أوقاتك، وأحوالك بواسطته، ويكون باطنك متوجها إليه، فالأصل اتصال الباطن، وقوة الرابطة)[5] صدقه المريد، ومن تعاليمهم أن المريد عليه أن يسلم نفسه إلى الشيخ، ويتبرأ منها، ويطلق اختياره ثلاثا؛ لكي يستعد لتصرف

---

(١) انظر طبقات ابن ضيف الله ص١١٤ نقلا عن تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي٢/٢٦٦.

(٢) انظر قلادة الجوهر ص٣٠ نقلا عن دراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير ص٢٢٠.

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني١/١٤١.

(٤) قلادة الجوهر ص٦٧ نقلا عن دراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير ص٢٢٢.

(٥) رماح حزب الرحيم١/١٦٤.

الشيخ، وعلى المريد أن لا ينكر على الشيخ وإن رآه يرتكب المخالفات، وإن طلق الشيخ امرأته فعلى المريد أن لا يتزوجها، وليعلم أن شيخه معه، ويراه حيثما كان[1].

وبالجملة فقد وصل بهم الغلو في الشيوخ حد النهاية، حتى ادعى بعض الصوفية أن المريدين يُدعون يوم القيامة على رؤوس الأشهاد بأسماء مشايخهم،وليس بأسماء آبائهم[2].

فنتج عن هذا الاعتقاد تعلق المريد بالشيخ حتى أصبح مألوفا أن تسمع المريد يلهج بذكر شيخه في الشدةوالمسرة، وإذا مشى، وإذا عثر، كما يلهج الصبي بذكر أمه[3].

وهذا مما يؤخذ على الطرق الصوفية أن الشيخ يُري مريديه وأتباعه على أنه يستطيع أن يخلصهم من الشدائد، وينقذهم من المهالك، متى استعانوا به، أو نادوه، ولو من بعيد كما يأتيهم ساعة الاحتضار فيلقنهم الشهادتين، ويخاصم عنهم في قبورهم الملكين، وأخيرا يشفع لهم يوم القيامة، فيجوزون على الصراط بمعية الشيخ، ويدخلون الجنة بشفاعته، فيزداد تعلق المريدين بشيخهم، ويتفاقم غلوهم في شخصه، فينقطعون به عن دعاء الله تعالى، واللجوء إليه، وهذا من الشيخ افتراء، وكذب، وتغرير، وتضليل[4]، (وهكذا قصد بالشيخ أن يهدي الحيارى لشعائر الطريق فانحرف بهم عن جادة القصد؛ ليزدادوا حيرة، وضلالا، والتمست لديه الحقيقة الضائعة فزادت الحقيقة على يديه بعدا، وضياعا، واتخذ وسيلة ضرورية لتصحيح العقيدة، والشريعة، فهدمت على يديه العقيدة، والشريعة في قلوب مريديه)[5].

(١) **انظر** رماح حزب الرحيم١/١٤٤.

(٢)

(٣) **انظر** تلخيص كتاب الاستغاثة٢/٦٧٨، ومدارج السالكين١/٣٣٩.

(٤) **انظر** إلىالتصوف يا عباد الله ص١١، والفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبد الخالق ص٣١٦.

(٥) نظرية الاتصال عند الصوفية ص٢٨٩.

ولعلنا -بهذه الإلمامة- نكون قد بينا نظرة الصوفية للشيخ الواسطة، تلك النظرة الغالية البعيدة عن الحق، المجانبة للصواب، والمصادمة للسنة، والكتاب، ولعل في سردنا لتلك الطائفة من الحكايات، والأساطير السابقة غنية عن الاشتغال بالرد عليها، وتفنيدها؛ لوضوح زيفها،وخرافتها، وضلال القائلين بها.

المبحث السادس: بيان شبهات الصوفية والرد عليها.

لما كان خطأ الصوفية في باب الواسطة من حيث أنهم قاسوا وساطة الأنبياء عليهم السلام في دعاء الله تعالى والطلب منه على وساطتهم في تبليغ الشرائع، فتوجهوا إليهم -وهم في قبورهم- بالطلبات، وجعلوهم واسطة بينهم وبين الله تعالى في قضاء الحاجات، وفعلوا الشيء نفسه مع الأولياء، والصالحين، وشيوخ الطرق المتبوعين، فزعموا أنهم واسطة في العون، والمدد، والإغاثة بين الله تعالى وبين المكروبين المضطرين، وادعوا أنه لا يصل مدد، ولا يفيض فيض، ولا يحصل صلاح، ولا فلاح، ولا إيمان، ولا هدى لأحد من الناس إلا عن طريقهم، وبواسطتهم؛ لما كان الأمر كذلك فإننا وجدناهم متعلقين للدفاع عن هذا الاعتقاد الفاسد بكم هائل من الشبهات الواهية، والأدلة الباطلة، وأن تلك الشبهات أنواع:-

- فمنها ما هو عام.
- ومنها ما يتعلق بالأنبياء عليهم السلام.
- ومنها ما يتعلق بالأولياء، والشيوخ.
- وفيما يلي بيان تلك الشبهات والرد عليها بطريق الاختصار:

أولا: الشبهات العامة.

أ - من أكبر الشبهات التي يتعلق بها الصوفية، والقبورية -عموما- ويستدلون بها على جواز دعاء غير الله تعالى في الشدائد، والاستغاثة به هو زعمهم أنهم إذا توجهوا إلى الأنبياء، والصالحين بالدعاء، والاستغاثة، والتوسل بهم، وتوسيطهم في العبادات أنهم لا يعبدونهم بذلك وإنما يعبدون الله تعالى، ويتوجهون بهؤلاء المحبوبين ليقربوهم إلى الله تعالى زلفى، ولهذه الشبهة صورتان عند الصوفية، قديما وحديثا[1]:-

١- صورة فلسفية منطقية كلامية.

٢- صورة أمية عامية.

---

(١) **انظر** جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية٣/١٢٨٢.

أما الصورة الأولى؛ فتقريرها عندهم أن النفوس التي فارقت أبدانها أقوى من النفوس المتعلقة بالأبدان من بعض الوجوه؛ لأنها حين فارقت تلك الأبدان زال عنها الغطاء، والوطاء[(1)]، وانكشف لها عالم الغيب، فالزائر إذا ذهب إلى قبر إنسان قوي النفس كامل الجوهر شديد التأثير، ووقف عند قبره ساعة، وتأثرت نفسه من تلك التربة حصل لنفس الزائر تعلق بتلك التربة التي عرفنا أن نفس الميت المزور تعلق بها أيضا فحينئذ يحصل لنفس الحي، ولنفس الميت ملاقاة بسبب اجتماعهما على تلك التربة، فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما إلى الأخرى، وبهذا السبب ينعكس النور من نفس الميت المزور إلى نفس هذا الحي الزائر، وبهذه السبيل الفلسفية تصير تلك الزيارة سببا لحصول المنفعة الكبرى، فهذا هو السبب الأصلي في شرعية الزيارة، ولهذا ينتفع بزيارة القبور، والاستعانة بنفوس الأخيار من الأموات في استمطار الرحمات، ودفع المضرات[(2)]. هذه سفسطة المتفلسفة منهم[(3)].

وأما الصورة الثانية للواسطة؛ فتقريرها -عند العامة- على جواز الاستغاثة بالأموات، واستمداد الفيوضات منهم؛ بل وجوبها -عندهم- أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والأولياء كما يزعمون- واسطة في العون، والمدد، والإغاثة بين الله تعالى وبين المكروبين المضطرين لعلو شأنهم، ورفيع منزلتهم عند الله تعالى، وأن المكروب المستغيث يرى نفسه ملطخا بالذنوب، فهو بعيد عن الله تعالى لا يصل إليه

---

(1) الوطاء بكسر الواو وفتحها: ضد الغطاء. **انظر** مختار الصحاح ص٧٢٧ مادة (و-ط-أ)، والقاموس المحيط١/٣٤ مادة (وطئه).

(2) توجد هذه الصورة عند أغلب الصوفية المتفلسفة منهم. **انظر** شرح المقاصد للتفتزاني٢/٧٢، وشواهد الحق ص١٥١، ومقالات الكوثري ص٣٨٣، وقد نقل هذه الصورة شيخ الإسلام ابن تيمية عن بعض الصوفية، **انظر** مجموع الفتاوى١/١٦٧، والرد على المنطقيين ص٥٣٥، ونقلها أيضا العلامة ابن القيم، **انظر** إغاثة اللهفان١/٢٢٤، كما نقلها محي الدين البركوي، **انظر** زيارة القبور الشرعية والشركية ص٤٨.

(3) **انظر** جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية٣/١٢٨٢.

إلا بواسطة أحبابه من الأولياء المقربين الذين يشفعون له عند الله تعالى، فكما أنه لا يمكن للعامة الوصول إلى الملوك إلا بواسطة الأمراء، والوزراء، والمقربين كذلك لا يمكن الوصول إلى الله تعالى لقضاء الحوائج، وتحقيق الآمال إلا بواسطة المعظمين المقربين من الأنبياء، والأولياء[1].

الرد على هذه الشبهة:

١- أما الصورة الأولى فنقول للرد عليها: إن هذه الواسطة هي بعينها عقيدة المشركين الأولين عباد الأصنام السابقين في تعلقهم بالمخلوقين من دون الله تعالى، كما قال تعالى عنهم:﴿**والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾[2]. وقال تعالى:﴿**ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾[3]. والشفاعة حق، ولكنها ملك لله تعالى وحده:﴿**قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض**﴾[4]، فلا يجوز طلبها من الأموات سواء كانوا أنبياء، أو أولياء، ولا من غيرهم، وإنما تطلب ممن بيده الأمر كله، وقد أخبرنا الله تعالى أنها لا تحصل إلا بشرطين:-

الأول: إذن الله للشافع أن يشفع، كما قال تعالى:﴿**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**﴾[5].

والثاني: أن يكون المشفوع فيه ممن رضي الله قوله، وعمله، وهو المؤمن الموحد، كما قال تعالى:﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**﴾[6]، وقال أيضا:﴿**يومئذ لا تنفع**

---

(١) **انظر** التصريح بهذه الصورة من الشبهة في شواهد الحق ص٦٦، وص١٤٢، ومفاهيم يجب أن تصحح ص٤٣، وذكرها الإمام محمد بن عبد الوهاب ورد عليها في كشف الشبهات في التوحيد ص١١، **وانظر** الصواعق المرسلة الشهابية ص١٤٤، ومجلة المنار ١١/٣٤٩، والمجموع المفيد للخميس ص١١٧.

(٢) سورة الزمر الآية ٣.

(٣) سورة يونس الآية ١٨.

(٤) سورة الزمر الآية ٤٤.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٥٥.

الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا﴾[1]، (فالله لم يرخص في طلب الشفاعة من الملائكة، والأنبياء، ولا الأصنام؛ لأنها ملكه وحده، منه تطلب، فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع، وإن لم يأذن له لم يتقدم في الشفاعة بين يديه، وليس الأمر كما يحصل عند المخلوقين من تقدم الشفعاء إليهم، وإن لم يأذنوا لهم، ويقبلون شفاعتهم، ولو لم يرضوا بها؛ فإن المشفوع عنده من المخلوقين يحتاج إلى الشافع، ومعاونته، فيضطر لقبول شفاعته، وإن لم يأذن له فيها، وأما الله سبحانه فهو الغني عما سواه، فليس بحاجة إلى أحد؛ بل كل أحد محتاج إليه، وأيضا المخلوق لا يدري عن كل أحوال رعيته حتى يبلغه عنها الشفعاء لديه، والله سبحانه بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه، فليس بحاجة إلى من يبلغه، وحقيقة الشفاعة عند الله سبحانه أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيعفو عنهم، ويغفر بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه بذلك)[2].

وشبهة الصوفية هذه هي شبهة الكفار قديما، فقد بين الفخر الرازي أن الأشياء التي عبدها الكفار من دون الله في القديم شيئان:-

أ – عقلاء.

ب – وغير عقلاء.

أما العقلاء، فكالمسيح، وعزير، والملائكة، فإن قوما منهم عبدوا هؤلاء، وكثير من الناس كانوا يعبدون الشمس،والقمر، والنجوم، ويعتقدون فيها أنها أحياء عاقلة ناطقة، وأما الأشياء التي عبدت مع أنها ليست موصوفة بالحياة، ولا بالعقل فهي الأصنام، ومراد الكفار من عبادتها أنها تقربهم إلى الله زلفى، فالعاقل لا يعبد الصنم، والوثن من حيث إنه خشب، أو حجر، وإنما يعبده لاعتقاده أن هذه الأصنام تماثيل

---

(٦) سورة الأنبياء الآية ٢٨.

(١) سورة طه الآية ١٠٩.

(٢) بيان حقيقة التوحيد للشيخ صالح الفوزان ص٣٣.

الكواكب، أو تماثيل الأرواح السماوية، أو تماثيل الأنبياء، والصالحين الذين سلفوا، ومقصودهم من عبادتها توجيه تلك القربات إلى تلك الأشياء التي جعلوا هذه التماثيل صورا لها[1].

ثم قال الرازي: (وحاصل ما لعباد الأصنام أن قالوا: إن الإله الأعظم أجل من أن يعبده البشر؛ لكن اللائق بالبشر أن يشتغلوا بعبادة الأكابر من عباد ا لله، مثل الكواكب، ومثل الأرواح السماوية، ثم إنها تشتغل بعبادة الإله الأكبر، فهذا هو المراد من قولهم:﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى ا لله زلفى**﴾[2] إلى أن قال: (واعلم أن الكفار أوردوا على هذا الكلام سؤالا فقالوا: نحن لا نعبد هذه الأصنام لاعتقاد أنها آلهة تضر، وتنفع، وإنما نعبدها لأجل أنها تماثيل لأشخاص كانوا عند ا لله من المقربين، فنحن نعبدها لأجل أن يصير أولئك الأكابر شفعاء لنا عند ا لله فأجاب ا لله تعالى بأن قال:﴿**أم اتخذوا من دون ا لله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون**﴾[3].

وتقرير الجواب أن هؤلاء الكفار إما أن يطمعوا بتلك الشفاعة من هذه الأصنام، أو من أولئك العلماء، والزهاد الذين جعلت هذه الأصنام تماثيل لهم، والأول باطل؛ لأن هذه الجمادات، وهي الأصنام لا تملك شيئا، ولا تعقل شيئا، فكيف يعقل صدور الشفاعة عنها؟. والثاني باطل؛ لأن في يوم القيامة لا يملك أحد شيئا، ولا يقدر أحد على الشفاعة إلا بإذن ا لله، فيكون الشفيع في الحقيقة هو ا لله الذي يأذن في تلك الشفاعة، فكان الاشتغال بعبادته أولى من الاشتغال بعبادة غيره)[4].

وقد بين العلامة نعمان الآلوسي أن عقيدة القبورية من الصوفية في اتخاذ الواسطة هي أصل دين المشركين الأولين، فقال: (إذا تبين هذا فالمشركون قد كانت عبادتهم

---

(١) **انظر** تفسير الفخر الرازي٢٦/٢٤١.

(٢) سورة الزمر الآية ٣.

(٣) سورة الزمر الآية ٤٤.

(٤) تفسير الفخر الرازي٢٦/٢٨٥، **وانظر** بلوغ الأرب للألوسي٢/١٩٢.

لآلهتهم هذا الالتجاء، والرجاء، والدعاء؛ لأجل الشفاعة، معتقدين أنها المقربة لهم، فبسبب هذا الاعتقاد، والالتجاء أريقت دماؤهم، واستبيحت أموالهم...فهذا الالتجاء بطلب الشفاعة، ورجائها عبادة لا تصلح إلا له عز وجل، وأنها من صرف حقوقه تعالى ومن الشرك)[1].

وقال العلامة شكري الآلوسي في رده على غلاة القبورية: (وسمعت من بعض أغبياء الغلاة، وجهلتهم من أهل الثياب المعلمة، والأقفاء المورمة، والألقاب المفخمة قال.... فإذا قال القائل مستغيثا بأحد من الأموات: يا فلان افعل كذا وكذا فالمقصود الطلب من الله أن يقضي حاجته وبعد أن فرغ من هذا الهذيان وسكت قلت له:.... وينبغي على قولك هذا أن يطلب من المخلوق كل شيء يطلب من الخالق، وينبغي أن لا يعترض على عبدة الأصنام، وطلبهم ما يطلب من الله؛ فإنهم أيضا كانوا يعتقدون أن أصنامهم وسائط، ووسائل،وشفعاء، وكانوا:﴿**يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾[2]، ويقولون:﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾[3]، ونحو ذلك من الكلام، وإذا سئلوا:﴿**من يرزقكم..**﴾[4] و:﴿**من خلق السماوات والأرض ليقولن الله**﴾[5]، وقد سبق في هذا الكتاب في عدة مواضع بيان ذلك،وأن كلام الغلاة هذا، وكلام عبدة الأصنام من واد واحد، وقد تشابهت قلوبهم، وأوردت عدة آيات ونصوص)[6].

وفلسفة غلاة القبورية الموروثة عن الأسلاف في الجاهلية لا بد منها لتبرير هذه العقيدة؛ إذ (ليس من الطبيعي أن يتوجه إنسان إلى حجر، أو شجر، أو قبر، أو أي

---

(١) جلاء العينين ص٤٤٥، **وانظر** هذه مفاهيمنا ص١٠٤، وتوحيد الألوهية أساس الإسلام ص٣٠٠.

(٢) سورة يونس الآية ١٨.

(٣) سورة الزمر الآية ٣.

(٤) سورة يونس الآية ٣١.

(٥) سورة لقمان الآية ٢٥.

(٦) غاية الأماني٢/٣٥٢، **وانظر** الصراع بين الإسلام والوثنية لعبد الله القصيمي ص١٣٦.

مخلوق آخر بأشكال التقديس، والتقرب، ولذا فإن الصورة الساذجة المباشرة لهذه الأعمال لا يتصور أنها تنطلي من أول وهلة وبصورتها الساذجة على المخلوق المكرم بعقله المميز بفطرته؛ إذ لا بد من وجود حجج، وحيثيات تزين هذا الانحراف، وتسوغه له، أي لابد من فلسفة لهذا الأمر حتى ولو لم تظهر مصاحبة له، فهي في كثير من الأحيان تظهر في صورة أشبه ما تكون بالاتجاه النفسي لدى المبتلين بهذا الداء)[1].

والمبتلون بالتعلق بالوسائط، والذين يحتجون بهذه الشبهة الفلسفية أنواع: (فمنهم من نسي جلال الله بالكلية، فجعل لا يعبد إلا الشركاء، ولا يرفع حاجته إلا إليهم، لا يلتفت إلى الله أصلا، وإن كان يعلم بالنظر البرهاني أن سلسلة الوجود تنصرم إلى الله. ومنهم من اعتقد أن الله هو السيد، وهو المدبر، لكنه قد يخلع على بعض عبيده لباس الشرف والتأله، ويجعله متصرفا في بعض الأمور الخاصة، ويقبل شفاعته في عباده بمنزلة ملك الملوك[2] يبعث على كل قطر ملكا، ويقلده تدبير تلك المملكة فيما عدا الأمور العظام....وهذا مرض جمهور اليهود، والنصارى، والمشركين، وبعض الغلاة من منافقي دين محمد ﷺ يومنا هذا)[3].

وقد حقق العلامة ابن أبي العز أن هذا النوع من الشفاعة،والتوسل، والتوسيط هو أصل شرك العرب، وغيرهم من مشركي الهند، والترك، والبربر[4].

وبين العلامة الأمير الصنعاني أن التوسل بالمخلوقين، وجعلهم واسطة بين الناس ورب العالمين هي طريقة الصابئة المذكورة في القرآن مضمومة إلى أهل الكتاب[5].

---

(١) دمعة على التوحيد ص٩٣.

(٢) لا يجوز إطلاق مثل (ملك الملوك) (وقاضي القضاة) , (شاهنشاه) ونحو ذلك على غير الله تعالى.

(٣) حجة الله البالغة للدهلوي١/١٨٢.

(٤) **انظر** شرح العقيدة الطحاوية ص٧٩.

(٥) **انظر** الإنصاف في حقيقة الأولياء، وما لهم من الكرامات، والألطاف ص٤٨.

ويرى بعض الباحثين أن هذه الشبهة الفلسفية في اتخاذ الواسطة ظهرت قديما في المشركين من قوم إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام -حيث (نشأتعبادة الكواكب عندهم من التعلق بالملائكة واعتقاد أنهم وسطاء بين الله وخلقه، وأنهم موكول إليهم تصريف هذا العالم، ثم اعتقدوا أن الأفلاك،والكواكب أقرب الأجسام المرئية إلى الله تعالى، وزعموا أنها أحياء ناطقة مدبرة للعالم، وأنها بالنسبة للملائكة كالجسد للروح، فهي الهياكل، والملائكة الأرواح، وأنها متصفة بصفات مخصوصة، ولوجود هذه الصفات استحقت أن تكون آلهة تعبد، فكانوا يتقربون إلى الهياكل (الكواكب) تقربا إلى الروحانيات (الملائكة)، ويتقربون إلى الروحانيات تقربا إلى الباري تعالى، وهؤلاء يسمون (أصحاب الهياكل)...واعتقدوا أن التقرب إلى هذه الأصنام هو الوسيلة إلى الهياكل (الكواكب) التي هي وسيلة إلى الروحانيات (الملائكة) التي هي وسيلة إلى الله تعالى، وهؤلاء يسمون (أصحاب الأشخاص) ولكن يظهر هنا جليا دور قدسية (الأرواح) التي نسبوها إلى الملائكة، وعقيدة الواسطة والوسيلة)[1].

وهذه الشبهة حصلت نتيجة لتصور أهل الأهواء البدائي للواسطة، حيث حارت أفئدة كثيرين منهم في تصور إله لا تدركه الأبصار، فالتمسوا الخلاص من هذه الحيرة في حل وسط،وشبهة فلسفية تتمثل في وجود شخصية بشرية ينسبون إليها الألوهية، وتكون برزخا بين الطرفين فكانت هذه الحاجة لوجود إله قريب من الأبصار هي التي ألجأت النصارى إلى تصور مثل أعلى، أطلقت عليه اسما، وكسته لحما، ودما، وعبدته بوصفه إلها بشريا[2].

وبالجملة فقد أبطل الله تعالى هذه الشبهة التي تتعلق بها الصوفية،وهي بعينها شبهة المشركين الأولين،وذلك ببرهانين عقليين:-

---

(١) التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام للدكتور عبد المجيد المشعبي ص٤٣، وأصل الكلام في الملل والنحل٢/٤٩، **وانظر** دمعة علىالتوحيد ص٩٤.

(٢) **انظر** روح الإسلام للسيد أمير على ترجمة أمين الشريف وآخر٢/١٢.

أولهما: أنه ليس في آلهة المشركين التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية؛ لأنها مخلوقة فهي لا تخلق، ولا تجلب لعابديها نفعا، ولا تدفع عنهم ضرا، ولا تملك لهم حياة، ولا موتا، ولا نشورا، ولا تملك شيئا من ملكوت السماوات والأرض، قال الله تعالى: **﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا﴾**[1]، وقال تعالى: **﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾**[2]، وقال تعالى: **﴿أيشركون مالا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون﴾**[3]. وإذا كانت هذه حال آلهتهم فإن ادعاء وساطتها من أسفه السفه، وأبطل الباطل.

والثاني: أن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وهو أن الله تعالى هو الرب الخالق المالك المتصرف الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو الذي يجير ولا يجار عليه، وهذا يستلزم منهم أن يوحدوه بالألوهية كما وحدوه بالربوبية، قال تعالى: **﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾**[4]، وقال تعالى: **﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾**[5]، وقال أيضا: **﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من**

(١) سورة الفرقان الآية ٣.

(٢) سورة سبأ الآيتان (٢٢-٢٣).

(٣) سورة الأعراف الآيتان (١٩١-١٩٢).

(٤) سورة البقرة الآيتان (٢١-٢٢).

(٥) سورة الزخرف الآية ٨٧.

الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون﴾[1][2].

ولما وجه السؤال الآتي للشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله[3]- وصيغته: إذا قال القبوري: أنا لم أشرك، وإنما جعلت النبي، أو الولي المقبور واسطة، وشفيعا يقربني إلى الله زلفى!! فما جوابه؟

أجاب بقوله (جوابه هو أن الله أخبر عن المشركين أنهم لم يعتقدوا في أحجارهم، وأشجارهم، ونحوها الربوبية؛ بل قالوا:**﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾**[4]، وأنهم يقولون:**﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾**[5]، فلم يقبل الله ذلك منهم؛ بل شدد النكير عليهم، وتوعدهم، وأمر رسله بقتالهم، واستباحة سبيهم، وأموالهم، وتعلق القبوريين[6] في هذه الأزمنة بالمقدسين عندهم أعظم من تعلق أولئك المشركين؛ لأن الأوائل يشركون في الرخاء، ويخلصون في الشدة، كما أخبر الله عنهم بقوله:**﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا**

(١) سورة يونس الآيتان (٣١-٣٢).

(٢) **انظر** مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله٥/١١٢، ومظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية لإدريس محمود ص٤٤١.

(٣) هو الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن خلف بن عبدالله الفهد آل نادر الدوسري نسبة إلى بطن من قبيلة الدواسر، ولد في بريدة سنة ١٣٣٢هـ، تخرج من المدرسة المباركية في الكويت حيث كان والده يسافر به إلى الكويت بقصد التجارة، يقال: إنه حفظ القرآن في أقل من شهر، ثم انتقل من الكويت إلى الرياض، وقد فسر القرآن الكريم وأذاع جزءا منه في الإذاعة بصوته، من مؤلفاته ((صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن الكريم))، توفي بلندن عام ١٣٩٩هـ.

انظر: علماء آل سليم وتلامذتهم ص١٢٢، وإتحاف النبلاء بسير العلماء ص١٥١.

(٤) سورة الزمر الآية ٣.

(٥) سورة يونس الآية ١٨.

(٦) في النص المطبوع (القبوريون) وهو في محل جر.

الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾[1]

، أما القبوريون، والمفتونون بتقديس الأشياء في هذا الزمان فهم يشركون في الرخاء،والشدة؛ بل تزداد ضراعتهم إلى المقبورين حال الشدة أعظم مما يضرعون إلى الله، أو يلتفتون[2] إليه، فهم عدلوا بربهم غيره؛ إذ ساووه بملوك الدنيا الذين يجهلون أحوال رعاياهم، ونواياهم، فيحتاجون دائما إلى وسيط يعرفهم بالناس، ويشفع عندهم للمذنبين،والله لا يخفى عليه خافية، ولا دونه، ودون توبة عباده حجاب، وما لهم من دونه من ولي ولا شفيع، قال تعالى:**﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾**[3]،:**﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾**[4]:**﴿أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾**[5]:**﴿ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون﴾**[6]، فإن القبوري الذي يجعل المقبور واسطة، وشفيعا، قد انتقص الله انتقاصا عظيما؛ حيث قاسه بالمخلوق الذي يحابي في فضله، وحكمه، وعدله، فيعطي من له وسيط، وشفيع أكثر مما يعطي غيره، أو يحرم من ليس له واسطة لجهله بحاله، ويعفو عن المذنب الذي له شفيع، ويطرح الآخر في السجن،

---

(١) في النص المطبوع رسمت الآية هكذا﴿ فإذا مسهم الضر في البحر دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ وليس في القرآن آية بهذا التركيب –حسب علمي– فلعلها مركبة من آيتين: وهما صدر آية الإسراء وهي قوله تعالى﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم ﴾ الآية ٦٧، وعجز آية العنكبوت التي وضعتها مكان الخطأ في النص.

(٢) في النص المطبوع (يلتفتوا) وهو في محل رفع.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٥.

(٤) سورة الأنعام الآية ١.

(٥) سورة يونس الآية ١٨.

(٦) سورة السجدة الآية ٤.

والعذاب، وذنبهما واحد (تقدس الله عن ذلك) فهذا القبوري اتهم الله بالمحاباة من حيث لا يشعر، وانتهج خطة المشركين الذين هم بربهم يعدلون، زاعما أنه موحد، وهو مخالف للتوحيد (عافاه الله من ذلك) فعليه التوبة، وإخلاص الدين لله من جديد)[1].

وكل هذه الممارسات البدعية بدعوى الواسطة (مخالفة للإسلام الصحيح يجب أن تزال، ويجب أن نعود إلى الإسلام في بساطته الأولى، وطهارته، ونقائه، ووحدته، واتصال العبد بربه، من غير واسطة، ولا شريك)[2].

٢- وأما في الرد على الصورة الثانية العامية فنقول: إن هذه الشبهة من أعظم براهين الصوفية القبورية العقلية، وجمهور القبوريين يتشبثون بها قديما وحديثا، ولا بأس أن أسوق بعض نصوص أئمتهم في تقرير هذه الصورة، يقول اليافعي[3]: (قد جرت العادة أن من له حاجة قد يتوسل ذلك الوجيه بأوجه إلى من يراد منه قضاء الحاجة، كما يتوسل الإنسان من الرعية بالأمير، والأمير يتوسل بالوزير، والوزير يشفع عند السلطان في قضاء حاجة ذلك الإنسان، فكذلك نحن نتوسل إلى الله الكريم بنبينا عليه أفضل الصلاة والتسليم،وقد نتوسل بالأولياء في نادر من الأوقات في قضاء بعض الحاجات، والأولياء يتوسلون بالنبي الكريم فيشفع عند الله عز وجل فيسمع سبحانه شفاعته، ويقبل)[4].

ويقول النبهاني: (وهو سبحانه قد اتخذهم -ولا سيما المرسلين منهم- وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ دينه وشرائعه فاتخذوهم خلقه المجيبون لدعوتهم المصدقون

---

(١) الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة ص٦٥.

(٢) زعماء الإصلاح في العصر الحديث لأحمد أمين ص١٦.

(٣) هو عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح عفيف الدين اليافعي اليمني، ثم المكي، الشافعي، الصوفي، الشاعر، ولد قبل السبعمائة بقليل، ورحل إلى عدن، ثم جاور بمكة المكرمة حتى توفي بها سنة ٧٦٨هـ. **انظر** الدرر الكامنة ٢/٢٤٧، وشذرات الذهب ٦/٢١٠.

(٤) **انظر** نشر المحاسن الغالية نقلا عن جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية٣/١٢٨٥.

بنبوتهم، وصفوتهم وسائط إليه في غفران زلاتهم وقضاء حاجاتهم؛ لعلمهم بأن المناسبة بينهم وبينه تعالى أقوى بكثير من المناسبة بين غيرهم وبينه عز وجل، وإن كانوا كلهم عبيده تعالى، فإذا علم ذلك يعلم يقينا أن تعظيمهم، وتوقيرهم، والتوسل بهم إليه تعالى -فضلا عن كونه لا يخل بتوحيده سبحانه وتعالى- هو من لباب توحيده، وخالص دينه، وأحسن عباداته عز وجل..ولا يشك عاقل بأن تعظيم خواص عبيد الملك،وأصفيائه من الأنبياء، والأولياء في حياتهم، وبعد مماتهم هو في الحقيقة تعظيم لله تعالى،ولا يفهم موفق أن في ذلك شركا مع الربوبية؛ لأنهم عبيده الطائعون،وخدامه الصادقون الذين قضوا أعمارهم في خدمته كما يحب ويرضى سبحانه وتعالى، وكانوا الوسائط بينه وبين خلقه في إرشادهم،وهدايتهم، وتبليغهم شرائعه وتعريفهم دينه، وكيفية عبادته، وبذلك امتازوا عن سائر عبيده عز وجل، وصاروا أقربهم، وأحبهم إليه فاستحقوا بذلك أن يعظمهم الناس، لا لذاتهم، بل لعلمهم أن تعظيمهم إياهم هو من أجل تعظيم الله لهم، فهو تعظيم له سبحانه وتعالى...وتعظيمهم من أحسن وجوه التقرب إليه لقضاء حوائجهم عنده، وكلما كان ذلك العبد، أو التابع أقرب له، وأحب إليه كان إكرامه، وتعظيمه، والتوسل به إليه أقرب في نجاح الحاجة، وحصول المقصود...فإذا عظمناهم، وتقربنا، وتشفعنا، وتوسلنا بهم إليه لقضاء حوائجنا الدنيوية،والأخروية، مع اعتقادنا الجازم أنهم عبيده، وليس لهم معه من الأمر شيء، وأنه تعالى يشفع من شاء منهم، ويرد شفاعة من شاء..فعظمناهم لذلك، واتخذناهم وسائط لقضاء حوائجنا عنده، لكونهم -وإن شاركونا في أصل العبودية له تعالى- فقد امتازوا عنا بما تفضل الله عليهم به من الرسالة،والنبوة، والولاية، وكثرة العلم، والعمل، والمعرفة، والطاعات، وسائر الخدمات التي تليق به تعالى، أنكون بذلك قد أشركنا بعبادته تعالى؟ أو نكون قد أطعناه سبحانه وتعالى بتعظيم من عظم الله؟ واحتقار أنفسنا عن أن نكون أهلا

لطلب حوائجنا منه تعالى - بلا واسطة - لكثرة ذنوبنا، وتقصيرنا في طاعة مولانا عز وجل،ولذلك اتخذنا أفضل عبيده وسائل إليه لنوال فضله)[1].

وقال آخر، وهو على شاكلة النبهاني في تقرير هذه الشبهة العامية في الواسطة: (وكل ما في الأمر أن المتوسل يرى نفسه ملطخا بقاذورات المعاصي، أبعدته الغفلات عنه تعالى أيما إبعاد، فيفهم من هذا أنه جدير بالحرمان من تحقيق مطالبه، وقضاء حاجاته إن دعا الله مباشرة؛ لأجل هذا يتقدم المتوسل إليه تعالى بأحبابه الذين لا يعرفون إلا طاعته مبتهلا إليه بجاههم عنده، وحرمتهم لديه أن يقضي له حاجته لأجل هؤلاء الأحباب الذين عودهم تعالى[2]، إذا كان هذا هو السر في التوسل فلا أثر إذن فيه لحياة المتوسل بهم أو موتهم، فإنهم أحباب ربنا تعالى على أي حال كانوا.. أحياء كانوا أم أمواتا)[3].

وقد أجاب علماء أهل السنة على هذه الشبهة بعدة أجوبة:-

الجواب الأول: أن الصوفية في تشبثهم بكلمة "الواسطة" ملبسون، ومدلسون؛ حيث إنهم خلطوا حقا بباطل،وعبروا بمباح وأرادوا محرما، فإن كون الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- واسطة بين الله وخلقه يحتمل معنى حقا ومعنى باطلا، فمن أراد أنهم واسطة في تبليغ أوامر الله ونواهيه، وبيان دينه، وشرعه، وهداية الناس إلى الصراط المستقيم، وتوضيح محاب الله،ومساخطه فهذا معنى حق، وصواب، فإن

(١) شواهد الحق ص١٤٢ وما بعدها (بتصرف) **وانظر** مفاهيم يجب أن تصحح لمحمد علوي مالكي ص٩٥.

(٢) في النص المطبوع سقط المفعول الثاني (لعودهم) وأصبح في الكلام بتر، ولعل تقديره (عودهم تعالى أن لا يردهم).

(٣) فصل الخطاب للحمامي المصري ص٦٠ نقلا عن جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية٣/١٢٨٦، وممن استشهد بهذه الشبهة أيضا مواطن مصري بعث برسالة إلى الشيخ الغزالي جاء فيها: (جمهور الناس عصاة والله إنما يتقبل من المتقين، فلو ذهب إنسان إلى ربه وهو موقر بالسيئات لم يجب له سؤالا) عقيدة المسلم للغزالي ص٨٢ كما حكاها المقريزي ورد على القائلين بها، **انظر** تجريد التوحيد ص٢٣.

شفيع﴾[1]، وقال تعالى:**﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا﴾**[2]، وقال:**﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما هم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾**[3].

وقالت طائفة من السلف: كان أقوام يدعون المسيح،والعزير،والملائكة، فبين الله أن الملائكة،والأنبياء لا يملكون كشف الضر عنهم، ولا تحويلا، وأنهم يتقربون إلى الله، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه، وقال الله تعالى:**﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أ يأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾**[4].

فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة،و النبيين أربابا كفر، فمن جعل الملائكة، والأنبياء، وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنب،وهداية القلوب، وتفريج الكروب، وسد الفاقات، فهو كافر بإجماع المسلمين.... ومن أثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين يكونون بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه -فالله إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم- فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم،والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم

---

(١) سورة الأنعام الآية ٥١.

(٢) سورة الإسراء الآيتان (٥٦-٥٧).

(٣) سورة سبأ الآيتان (٢٢-٢٣).

(٤) سورة آل عمران الآيتان (٧٩-٨٠).

أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر، مشرك يجب أن يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل،وهؤلاء مشبهون لله، شبهوا المخلوق بالخالق، وجعلوا لله أندادا... والمقصود هنا أن من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك،والرعية فهو مشرك، بل هذا دين المشركين عباد الأوثان، كانوا يقولون: إنها تماثيل الأنبياء، والصالحين، وإنها وسائل يتقربون بها إلى الله،وهو من الشرك الذي أنكره الله على النصارى؛ حيث قال:﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون**﴾[1])[2].

ويقول الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ في رده على من أجاز دعاء غير الله تعالى بدعوى أنه واسطة بين الله تعالى والداعي: (فالقول بجواز الاستغاثة بغير الله، ودعاء الأنبياء، والصالحين، وجعلهم وسائط بين العبد،وبين الله، والتقرب إليهم بالنذر، والنحر، والتعظيم بالحلف وما أشبهه مناقضة ومنافاة لهذه الحكمة التي هي المقصودة بخلق السماوات والأرض، وإنزال الكتب، وإرسال الرسل،وفتح لباب الشرك في المحبة،والخضوع، والتعظيم، ومشاقة ظاهرة لله، ورسوله، ولكل نبي كريم، والنفوس مجبولة على صرف ذلك المذكور من العبادات إلى من هو أهل لكشف الشدائد،وسد الفاقات، وقضاء الحاجات من الأمور العامة التي لا يقدر عليها إلا فاطر الأرض، والسماوات) إلى أن قال:(الوجه الثاني: أن هذا بعينه قول عباد الأنبياء، والصالحين من عهد قوم نوح إلى أن بعث إليهم خاتم النبيين،و لم يزيدوا على ما ذكره هؤلاء الغلاة فيما انتحلوه من الشرك الوخيم، والقول الذميم، كما حكى الله عنهم ذلك في كتابه الكريم قال تعالى:﴿**ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون**

---

(١) سورة التوبة الآية ٣١.

(٢) الواسطة بين الحق والخلق ص٢٠ وما بعدها (بتصرف يسير) **وانظر** مجموع الفتاوى١/١٢١.

هؤلاء شفعاؤنا عند ا لله﴾[1]، وقال تعالى:**﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم لا ليقربونا إلى ا لله زلفى﴾**[2].

فهذه النصوص المحكمة صريحة في أن المشركين لم يقصدوا إلا الجاه والشفاعة، والتوسل بمعنى جعلهم وسائط تقربهم إلى ا لله، وتقضي حوائجهم منه تعالى، وقد أنكر القرآن هذا أشد الإنكار، وأخبر أن أهله هم أصحاب النار، وأن ا لله تعالى حرم عليهم الجنة دار أوليائه الأبرار، وجمهور هؤلاء المشركين لم يدعوا الاستقلال، ولا الشركة في توحيد الربوبية؛ بل أقروا، واعترفوا بأن ذلك لله وحده، كما حكى سبحانه إقرارهم، واعترافهم بذلك في غير موضع من كتابه، فحاصل ما ذكر من جواز الاستغاثة،والدعاء، والتعظيم بالنذر، والحلف مع نفي الاستقلال، وأن ا لله يفعل لأجله هو عين دعوى المشركين، وتعليلهم، وشبههم، لم يزيدوا عليه حرفا واحدا؛ إلا أنهم قالوا: قربان، وشفعاء، والغلاة سموا ذلك توسلا، فالعلة واحدة، والحقيقة متحدة).

ثم ذكر الشيخ الوجه الثالث الذي أثبت فيه أن ا لله سبحانه وتعالى أمر عباده بإفراده بالدعاء،والاستغاثة، وإنزال الحاجات، وجميع العبادات دون غيره كائنا من كان، واستدل بآيات وأحاديث كثيرة تؤيد ما ذكره، ثم قال: (وعلى القول بجعل الوسائط بين العباد وبين ا لله تقطع أصول هذا الأصل العظيم الذي هو قطب رحى الإيمان، وينهدم أساسه الذي ركب عليه البنيان، فأي فرج، وأي نعيم، وأي فاقة سدت، وأي ضرورة دفعت، وأي سعادة حصلت، وأي أنس،واطمئنان إذا كان التوجه،والدعاء،والاستغاثة، والذبح، والنذر لغير الملك الحنان المنان؟! فصلاح السماوات والأرض بأن يكون ا لله سبحانه هو إلهها دون ما سواه، ومستغاثها الذي تفزع إليه وتلجأ إليه في مطالبها وحاجاتها..وأن الشرع الذي جاء به محمد ﷺ

---

(١) سورة يونس الآية ١٨.

(٢) سورة الزمر الآية ٣.

والسنة التي سنها في قبور الأنبياء،والصالحين، وعامة المؤمنين تنافي هذا القول الشنيع...ومن شم رائحة العلم، وعرف شيئا مما جاءت به الرسل عرف أن هذا الذي قاله الغلاة من جنس عبادة الأصنام، والأوثان، مناقض لما دلت عليه السنة،والقرآن، ولا يستريب في ذلك عاقل من نوع الإنسان...وأن من أعرض عن الله، وقصد غيره، وأعد ذلك الغير لحاجته، وفاقته، واستغاث به، ونذر له، ولاذ به؛ فقد أساء الظن بربه، وأعظم الذنوب -عند الله- إساءة الظن به فإن المسيء به الظن قد ظن خلاف كماله المقدس..قال تعالى -عن خليله إبراهيم عليه السلام-:**﴿إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين﴾**[1] أي فما ظنكم أن يجازيكم إذا لقيتموه قد عبدتم غيره...وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤساء فإنهم محتاجون إلى من يعرفهم أحوال الرعية، وحوائجهم من الوسطاء الذين يعينونهم على قضاء حوائجهم، وإلى من يسترحمهم، ويستعطفهم بالشفاعة، فاحتاجوا إلى الوسائط ضرورة لحاجتهم، وعجزهم، وضعفهم وقصور علمهم، فأما القادر على كل شيء العالم بكل شيء الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، فإدخال الوسائط بينه وبين خلقه تنقص بحق ربوبيته، وإلهيته، وتوحيده، وظن به ظن السوء، وهذا يستحيل أن يشرعه لعباده، ويمتنع في العقول، والفطر، وقبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبيح)[2].

الجواب الثاني: أن هذه الشبهة وهي اتخاذ الأنبياء، والأولياء واسطة بين العباد وخالقهم في جلب المنافع، ودفع المضار من أجل أن الله تعالى يحبهم،وأن توسيطهم تعظيم له سبحانه وتعالى هذه الشبهة باطلة من أصلها؛ إذ فيها قياس الله تعالى على

(١) سورة الصفات الآيات (٨٥-٨٧).

(٢) **انظر** منهاج التأسس للشيخ عبد اللطيف آل الشيخ نقلا عن غاية الأماني١/٢٦٣ وما بعدها، وأصل الكلام للعلامة ابن القيم، **انظر** الجواب الكافي ص٣٣٠.

ملوك الدنيا،وهذا من أفسد القياس في العالم، ومع أنه قياس مع الفارق[1]؛ فإنه فاسد من عدة أوجه[2]:-

أولا: أن الملوك لأجل جهلهم بحقائق الأمور، وعدم علمهم بأحوال الرعية - يحتاجون إلى الوسائط من الأمراء، والوزراء، والندماء، والوجهاء، والأصدقاء؛ ليبلغوهم أحوال الرعية، ويرفعوا إليهم حوائجهم بخلاف من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فمن ساوى الله تعالى بملوك البشر، فقد كفر.

ثانيا: أن ملوك الدنيا عاجزون عن تدبير أمورهم، والقيام بحقوق رعاياهم، وصد أعدائهم إلا بأعوان،وأنصار من الوزراء ليعينو هم على أداء مهماتهم، وتدبير شئون ممالكهم، وسياسة رعيتهم، وحفظ بلدانهم، وأوطانهم بخلاف رب البرية، الخالق الحي، القيوم، القادر، المالك، الغني، القاهر، القوي، العزيز، المعطي المانع، فمن ظن أن الله تعالى يحتاج لواسطة مثل ملوك البشر فقد كفر.

ثالثا: أن ملوك البشر ليسوا مريدين لنفع الرعية،والإحسان إليهم، ورحمتهم إلا بمحرك يحركهم من الخارج، فهم محتاجون من أجل ذلك إلى وسائط، وشفعاء، ونصحاء ينصحون، ويشفعون عندهم للمظلومين، والمحتاجين من الرعية، ليقوموا بقضاء حوائج هؤلاء بالترغيب، والنصيحة،والشفاعة بخلاف رب العالمين الرؤوف الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، فمن ظن أن الله تعالى يحتاج مثل هؤلاء الوسطاء فقد كفر، والعياذ بالله.

رابعا: أن الملوك مضطرون إلى قبول وساطة أمرائهم، ووزرائهم، ووجهاء ممالكهم؛ لحاجتهم إليهم في حفظ البلاد، وسياسة العباد، وكثيرا ما يقبل الملوك شفاعة أولئك

منشورة

(١) **انظر** القياس الفاسد وأثره في الانحراف في العقيدة رسالة دكتوراه غير للدكتور أحمد بن شاكر الحذيفي ص٨١.

(٢) **انظر** الواسطة بين الحق والخلق ص٢٦، وإغاثة اللهفان١/٣٣٩،وتجريد التوحيد المفيد ص٣١، والصواعق المرسلة الشهابية لابن سحمان ص١٤٩، والتوسل للألباني ص١٤٤،وجهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية٣/١٣٠٦، وتقديس الأشخاص في الفكر الصوفي٢/٢٥٦.

الوسطاء بإذنهم، وبدون إذنهم لمن يرضون عنه، ولمن يسخطون عليه بخلاف مالك الملك الغني عما سواه الحي القيوم الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، و لم يكن له شريك في الملك، قال تعالى:﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**﴾[1]، فبين الله تعالى (أن كل من دعي من دونه ليس له ملك، ولا شريك في الملك، ولا ظهير، وأن شفاعتهم لا تنفع إلا لمن أذن له، وهذا بخلاف الملوك فإن الشافع عندهم قد يكون له ملك، وقد يكون شريكا لهم في الملك، وقد يكون مظاهرا معاونا لهم على ملكهم، وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك -هم وغيرهم- والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته إليهم،وتارة لخوف منهم، وتارة لجزاء إحسانهم إليه، ومكافأتهم، ولإنعامهم عليه، حتى إنه يقبل شفاعة ولده، وزوجته؛ لذلك فإنه محتاج إلى الزوجة،وإلى الولد، حتى لو أعرض عنه ولده، وزوجته لتضرر بذلك، ويقبل شفاعة مملوكه، فإذا لم يقبل شفاعته يخاف أن لا يطيعه، أو أن يسعى في ضرره، وشفاعة العباد، بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس، فلا يقبل أحد شفاعة أحد إلا لرغبة، أو رهبة، والله تعالى لا يرجو أحدا، ولا يخافه، ولا يحتاج إلى أحد)[2]، فتبين بهذا أن قياس الخالق على الملك المخلوق قياس مع الفارق، وقياس تمثيل، يتضمن تشبيه الخالق بالمخلوق[3].

الجواب الثالث: أن قياس أحكام الدين على أمور الدنيا،وواقع الحياة العملية دليل على جهل صاحب هذا القياس،والمتفوه به، والمعتقد له؛ إذ ليست هناك قاعدة أصولية شرعية نبني عليها هذا القياس، ويخرج عليها أفعال هؤلاء الغلاة من الناس[4].

---

(١) سورة سبأ الآيتان (٢٢-٢٣).

(٢) الواسطة بين الحق والخلق ص٢٨، **وانظر** معارج الألباب ص١٣٠.

(٣) **انظر** تجريد التوحيد ص٣٠، وتقديس الأشخاص في الفكر الصوفي٢/٢٥٤.

(٤) **انظر** تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي٢/٢٥٥.

الجواب الرابع: أن شبهة الصوفية في الواسطةمن أحل طلب القرب من الله تعالى والزلفى لديه بالتوجه إلى المقربين من الوسطاء، كما يفعل أبناء الدنيا مع ملوكهم بتوسيط وزرائهم، وخواصهم، والمحبوبين لديهم هي عقيدة القرامطة الباطنية[1]، كما أثبت ذلك إخوان الصفا في رسائلهم[2]، حيث قالوا: (إن الحكماء لما عرفوا أن للعالم صانعا طلبوا القربة إليه،والتوسل بصفوة خلقه، وطلبوا الزلفى لديه بتعظيمهم لهم كما يفعل أبناء الدنيا من القربة إلى ملوكهم بالتوسل إليهم بأقاربهم وندمائهم، ووزرائهم، وكتابهم، وخواصهم، وقوادهم؛ فهكذا؛ وعلى هذا المثال فعل الحكماء.

---

(١) هم أتباع حمدان قرمط أحد دعاة الباطنية وأئمتهم كوفي مات سنة ٢٩٣هـ سموا بالباطنية لقولهم بأن الشريعة لها ظاهر وباطن، والإسماعيلية، والبابكية،والخرمية وغير ذلك من الأسماء. **انظر** فضائح الباطنية للغزالي ص١١، والفرق بين الفرق ص٢٨٢، وإتعاظ الحنفاء للمقريزي١/١٥١، وتاريخ أخبار القرامطة لثابت بن سنان وابن العديم ص٧، واليمانيات المسلولة ص٢٠٩.

(٢) هم جماعة سرية من الباطنية تحالفوا فيما بينهم لبث الكفر في المسلمين بطرق سرية، وتسموا بهذا الاسم، وكان ظهورهم في دولة بني بويه الشيعية. **انظر** [illegible] الحركات الباطنية للدكتور محمد الخطيب ص١٦٩.

اعلم يا أخي أن أهل المعارف الذين يعرفون الله حق معرفته، وهم أولياء الله فهم لا يتوسلون إليه بأحد غيره، وأما من قصر فهمه، ومعرفته فليس له طريق إلى الله تعالى إلا بأنبيائه، ورسله، والأئمة، وأوصيائهم، وأولياء الله؛ فبهم يتقرب إلى الله، وبتعظيمهم، والذهاب إلى مساجدهم، ومشاهدهم، والدعاء، والصلاة،والصيام عند قبورهم، طلبا للقربة إلى الله، والزلفى لديه)[1].

الجواب الخامس: أن غلاة الصوفية -في جعلهم الأنبياء،والصالحين واسطة بين الله تعالى وخلقه في استنزال الخير،واستدفاع الشر مشبهة مرتين بتشبيهين من جهتين اثنتين: فمرة شبهوا المخلوق الناقص بالخالق في صفات الكمال، فصاروا مشبهة بذلك؛ حيث رفعوا المخلوق الواسطة فوق منزلته، ووصفوه بصفات لا تليق إلا بالخالق سبحانه وتعالى، من العلم، والإرادة، والقدرة المطلقة،والسمع، والإحاطة والإغاثة ونحوها؛ حتى عبدت الواسطة من دون الله تعالى[2]، ومرة شبهوا الخالق بالمخلوق في صفات النقص؛ وذلك في قياسهم الفاسد؛ حيث قاسوا رب العالمين خالق السماوات والأرضين بالملوك،والسلاطين الذين لا يتوصل إليهم عادة إلا بواسطة الوزراء،والوجهاء[3]،وهذه الشبهة من أصول أهل الشرك، فإن أصل الشرك هو التشبيه، والتشبه[4].

الجواب السادس: أن يقال لأصحاب هذه الشبهة: قد تحقق أن المسلمين؛ بل الكافرين -أيضا- يدعون الله تعالى مباشرة، بلاواسطة،والله تعالى -يجيبهم- فهل

---

(١) رسائل إخوان الصفاء٤/٢٠.

(٢) **انظر** شرح العقيدة الطحاوية ص٢٣٧، وتجريد التوحيد المفيد للمقريزي ص٢٦، ومقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها لجابر إدريس رسالة دكتوراه غير منشورة ص١٥٠.

(٣) **انظر** جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية٣/١٣٠٤.

(٤) المراد بالتشبيه هو تشبيه الخالق بالمخلوق، وأما التشبه فالمراد به أن يشبه المخلوق نفسه بالإله من بعض الوجوه. **انظر** تجريد التوحيدص٣٠، والشرك في القديم والحديث لأبي بكر زكريا٢/١٢٠٨.

يعقل أن الله تعالى يجيب دعاء الكافرين المشركين بالذات من غير واسطة، ولا يجيب دعاء المسلمين الموحدين المتبعين للرسل إلا بهذه الواسطة[1]؟.

يقول محمود شكري الآلوسي: (وبالجملة فقد علم المسلمون كلهم أن ما ينزل بالمسلمين من النوازل في الرغبة،والرهبة -مثل دعائهم عند الكسوف والاعتداد لرفع البلاء،وأمثال ذلك إنما يدعون في مثل ذلك الله وحده لا يشركون به شيئا لم يكن للمسلمين أن يرجعوا حوائجهم إلى غير الله؛ بل كان المشركون في جاهليتهم يدعونه -بلاواسطة- فيجيبهم الله، أفتراه بعد التوحيد،والإسلام لا يجيب دعاءهم إلا بهذه الواسطة التي ما أنزل بها من سلطان؟)[2].

الجواب السابع: أنه ثبت بالأدلة السمعية،والعقلية بطلان هذه الشبهة، وذلك من وجوه:-

الأول: أن المقبورين لا يعلمون بحال المضطرين المكروبين المستغيثين المستشفعين كما سبق بيانه[3] فكيف يطلبون شفاعتهم؟ وكيف يكونون -والحالة هذه- واسطة بينهم وبين الله تعالى؟.

الثاني: لقد تحقق أن الأموات لا تصرف لهم في شأن من شؤون الكون، فكيف يطلب منهم أن يتصرفوا تصرف الوسطاء من الوزراء والوجهاء؟.

الثالث: أن الأموات لا يسمعون دعاء المستغيثين بهم، ولا يطلعون على أحوالهم كما صرح بذلك علماء الحنفية[4] فكيف يتصور وساطتهم،وشفاعتهم للناس بدون أن يسمعوا نداءهم؟.

---

(١) **انظر** مجموع الفتاوى١١/٤٣٧، ومعارج الألباب ص٢٤٩.

(٢) غاية الأماني١/٤١٣.

(٣) **انظر** ص٧٠٤

(٤) **انظر** الآيات البينات في عدم سماع الأموات لنعمان الآلوسي ص٥٣،وجهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية٣/١٣٠٩.

الرابع: أنه لم يثبت شرعا أن الميت يشفع لمن جاء مستغيثا به؛ بل الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع العقلاء متوافرة على أن الميت في لحده رهين كسبه، قد انقطع عمله[1].

الجواب الثامن: أن ما زعمه غلاة الصوفية من أن العاصي نظرا لكثرة ذنوبه ووفرة عيوبه ليس له اللجوء إلى الله تعالى مباشرة وأن عليه أن يستصحب واسطة مقربة قبل مناجاة رب العالمين أن ذلك كلام لا أصل له في الإسلام قط؛ بل إن رسالة الإسلام جاءت لتخلص عقول البشر وتحررها من ذل هذا الاعتقاد الفاسد، وحتى إبليس رمز العصاة،وإمام الملعونين لما دعا ربه مباشرة أجيبت دعوته، قال الله تعالى:﴿**قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم**﴾[2] أفيكون الملعون يدعو فيستجيب الله له رأسا من غير واسطة،ولا يدعو المؤمن المطيع إلا بواسطة؟!.

الجواب التاسع: أن ادعاء الواسطة على هذا الوجه من الحماقة بمكان؛ فإن مثل من يدعو الله بواسطة الأنبياء،والصالحين كمثل من يذهب إلى رئيس من الرؤساء، أو وزير من الوزراء -مثلا- ويقول له: يا سيادة الرئيس أطلب منك بجاه الوزير الفلاني أن تجعلني في الوظيفة الفلانية، أو كمن يطلب من وزير الأوقاف وظيفة الوعظ، أو الخطابة، ويقول له: أسألك بحق الإمام أبي حنيفة، أو بجاه الإمام الشافعي أن توكل إلى تلك الوظيفة، ولا يشك عاقل في حماقة من يتصرف هذا التصرف، ولا ريب أن الرئيس، أو الوزير سوف ينظر إلى هذا الشخص بعين الازدراء، ويحكم عليه بالحماقة، وعدم الرزانة[3].

---

(١) **انظر** للتوسع غاية الأماني١/٣٠٠، وصيانة الإنسان ص١٨٧، وجهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية٣/١٢٣٢، والدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية٢/٨٣٨.

(٢) سورة الحجر الآية ٣٨.

(٣) انظر الدين الخالص لصديق حسن خان٢/١٨٧.

الجواب العاشر: أن في التوسيط توعيرا، ولن تجلب الواسطة للسائل من الخير نقيرا؛ بل فيه معارضة، ومناقضة للمقاصد الصحيحة بالركون في الوصول إلى الله تعالى عن طريق الوسطاء،والشفعاء؛ بل فيه إساءة الظن برب العالمين؛ بل التعظيم في عدم الواسطة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ويلزم منه أن يرزق الله سبحانه وتعالى الكفار وينصرهم على عدوهم بالذات -بلا واسطة، ويرزق المؤمنين وينصرهم بواسطة المخلوقات، والتعظيم في عدم الواسطة...تدبر، ولا تتحير)[1].

فكما أن من أحب شيئا دون الله، لغير الله فمضرته أكثر من منفعته، فاعتماد الإنسان على الوسائط المخلوقة، وتوكله عليهم يوجب الضرر من جهتهم، وما علق عبد رجاءه بغير الله إلا خاب من تلك الجهة، ولا استنصر بغير الله إلا كسر[2]

ومصداق ذلك أن السائل يتوجه إلى ربه عز وجل في حاجة مهمة فيتوسل إليه بحق الشفعاء، أو بجاه الوسطاء، فيبعد عن حاجته بمراحل، بسبب هذا التوسيط المنهي عنه، والمحذور الذي وقع فيه، ولو أنه توجه إلى ربه -مباشرة- مستشعرا عظمة الباري ورحمته بخلقه، متذللا، منكسرا، معترفا بذنوبه التي سلفت، محققا لتوحيد ربه لأتاه الغيث مدرارا، ولحالفه التوفيق مرارا، ولقد أحسن القائل[3]:-

إذا ما أتيتَ الأمر من غير بابه ضَلَلْتَ وإن تقصدْ إلى الباب تهتدي

الجواب الحادي عشر: أن من تتبع الأدعية الواردة في القرآن الكريم على لسان أنبياء الله ورسله عليهم السلام وغيرهم من عباد الله الصالحين فلن يجد دعاء واحدا دخلته واسطة من الوسائط؛ بل هي خطابات موجهة للباري عز وجل فيها اطراح بين يديه، واعتراف بالطبيعة البشرية، وتلذذ بعبوديتهم له سبحانه وتعالى، ولا شك

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/٤٣٧.

(٢) انظر المرجع السابق ١/٢٩.

(٣) تقدم تخريجه، انظر ص٤٢.

أن من عارض خطاب الله تعالى الصريح في قوله تعالى:﴿**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون**﴾[1]، وقال إنه لا بد لنا من واسطة، وليس في اتخاذ الواسطة شرك[2]، فقد خالف الأمر الوارد في هذه الآية، وسوف يحكم على عقله بالخرق، والحمق.

ب – ومن الشبهات العامة :

استدلال الصوفية بقوله تعالى:﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة**﴾[3] حيث يرون أن المراد بالوسيلة هنا ذوات الأنبياء، والصالحين[4] وجاههم، وحقوقهم عند الله تعالى، فيقصدونهم بالدعاء، والالتجاء، والاستعانة، والاستغاثة، سواء كانوا أحياء، أم أمواتا، حاضرين، أم غائبين[5]. كما يستدلون بقوله تعالى:﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة**﴾[6]، حيث قالوا: (أمرنا الله بالاستعانة بالأعراض، و لم يقل استعينوا بالله)[7].

وقال آخر: (في هذه الآية رد على من يقول: إنه لا تنبغي الاستعانة بغير الله؛ بل من قال هذا فقد كفر لمخالفته نص الكتاب،وإذا كانت الصلاة والصبر اللذان هما

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٦.

(٢) كما صرح بذلك محمد بن علوي مالكي في مفاهيم يجب أن تصحح ص٩٦.

(٣) سورة المائدة الآية ٣٥.

(٤) في معجم ألفاظ الصوفية للدكتور حسن الشرقاوي: أنه بمقتضى هذه الآية يكون النبي، والولي وسيلة مبتغاة، ويكون سؤالهما مطلوبا شرعيا حتى ينال العبد المقصود. **انظر** ص ١٠١.

(٥) **انظر** لمع برق المقامات العوال في زيارة سيدي حسن الراعي وولده عبد العال لمصطفى البكري مطبوع بآخر شواهد الحق ص٤٤٥، وشواهد الحق ص٢٨٢، ومفاهيم يجب أن تصحح ص١١٨، والرد عليه في هذه مفاهيمنا ص١٤ وما بعدها.

(٦) سورة البقرة الآية ٤٥.

(٧) صلح الإخوان لابن جرجيس ص١٣٨ نقلا عن جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية١٢٦١/٣، **وانظر** الرد عليه في تحفة الطالب والجليس ص١٣٨.

من أفعال العبد ندب الحق إلى الاستعانة بهما فالاستعانة بأولياء الله تعالى في قضاء الحوائج، والمصالح بالطريق الأولى جائزة)[1].

الرد على هذه الشبهة:-

أما الآية الأولى: فقد تقدم معنا أن المراد بالوسيلة فيها، وكذلك الوسيلة في السنة، وفهم السلف إنما هو العمل الصالح[2]، وبذلك فسر أهل العلم المراد بالوسيلة في الآية، ولم يرد عن أحد من أهل العلم المعتمدين أن المراد بالوسيلة في الآية توسيط ذوات الشيوخ ونداؤهم، والاستغاثة بهم، كما فعل غلاة الصوفية.

قال الآلوسي: (واستدل بعض الناس بهذه الآية على مشروعية الاستغاثة بالصالحين، وجعلهم وسيلة بين الله تعالى وبين العباد،والقسم على الله تعالى بهم بأن يقال: اللهم إنا نقسم عليك بفلان أن تعطينا كذا، ومنهم من يقول للغائب، أو الميت من عباد الله الصالحين: يا فلان ادع الله تعالى ليرزقني كذا وكذا ويزعمون أن ذلك من باب ابتغاء الوسيلة وكل ذلك بعيد عن الحق بمراحل)[3]. وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: (... وبهذا التحقيق تعلم أن ما يزعمه كثير من ملاحدة أتباع الجهال المدعين للتصوف من أن المراد بالوسيلة في الآية الشيخ الذي يكون له واسطة بينه وبين ربه أنه تخبط في الجهل والعمى، وضلال مبين، وتلاعب بكتاب الله تعالى، واتخاذ الوسائط من دون الله من أصول كفر الكفار)[4].

وأما الآية الثانية: فليس فيها دليل على جواز الاستغاثة بالأموات عند الشدائد، والانقطاع بذوات المخلوقين عن التلذذ بمناجاة رب العالمين؛ بل إنها من أقوى الأدلة على وجوب الالتجاء إلى الله تعالى عند نزول الخطب، واشتداد الكرب، والتوسل إليه بعمل المتوسل الصالح، وقد تقدم معنا أن الصلاة، وغيرها من الطاعات كالصبر

---

(١) لمع برق المقامات العوال مطبوع بآخر شواهد الحق ص٤٤٥.

(٢) **انظر** ص؟ من هذه الرسالة.

(٣) تفسير الألوسي ١٢٤/٦.

(٤) أضواء البيان٧٧/٢، **وانظر** الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية٧٠٣/٢.

من أعظم الأعمال الصالحة التي تنفع صاحبها في حياته،وبعد مماته، وأن العمل الصالح واسطة بنفسه[1].

وبهذا تبطل محاولة غلاة الصوفية الاستدلال على جواز الواسطة البدعية بالآيات القرآنية.

جـ - ومن الشبهات العامة :

استدلال الصوفية بأحاديث موضوعة، وأخبار واهية:إذا طولب الغلاة بالدليل على ما يعتقدونه من جواز التوجه إلى الله تعالى بذوات المخلوقين في الدعاء، والرجاء، والانقطاع بهم عن الخلاق العليم بالتذلل والاستمداد والاستغاثة فإنهم سوف يوردون كمًّا هائلا من الأحاديث الضعيفة، أو الموضوعة، وسلة مليئة بالأخبار الواهية، والأقاصيص المختلقة، وفيما يلي عرض لبعض ما يستدلون به من السنة مع بيان فساده:-

١- توسل آدم بالنبي ﷺ فقد روي عن عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعا: (لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال: يا آدم فكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال: يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال: غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك)[2].

رواه الحاكم، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب)[3].

---

(١) انظر صورة الواسطة في العمل الصالح ص٤٩

(٢) استدل بهذا الحديث البكري كما في تلخيص كتاب الاستغاثة ٥٢/١، والسبكي في شفاء السقام ص١٧٢، ودحلان في الدرر السنية ص٩، والنبهاني في شواهد الحق ص١٣٧، وعلوي مالكي في مفاهيم يجب أن تصحح ص١١٩.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ٦١٥/٢، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير ٨٢/٢، والبيهقي في دلائل النبوة ٤٨٩/٥.

وتعقبه الذهبي[1] رحمه ا لله بقوله:(بل هو موضوع، وعبد الرحمن واه)[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث فهذا مما أنكره عليه أئمة العلم بالحديث، وقالوا: إن الحاكم يصحح أحاديث،وهي موضوعة مكذوبة)[3]. كما أخرجه من طريق الحاكم أيضا البيهقي، وحكم بضعفه[4]. وبهذا يكون رد الاستدلال بهذا الحديث من ناحيتين اثنتين:-

الأولى: من ناحية السند، فقد تكلم كبار نقاد الحديث على هذا الحديث فحكموا بوضعه، وبطلانه، فمن الحفاظ الذين حكموا عليه بالوضع.

١- الإمام الذهبي[5]، ٢- والحافظ ابن حجر[6]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[7]، وابن عبد الهادي[8]، والألباني[9] رحمهم ا لله.

والثانية: من ناحية المتن: أن هذا الخبر معارض للقرآن في موضعين:-

أ - فيه التصريح بأن ا لله تعالى ما غفر لآدم عليه السلام إلا بسبب جعله محمدا ﷺ واسطة في توبته، والذي صرح به القرآن الكريم هو أن ا لله تعالى غفر لآدم بكلمات تلقاها منه، قال ا لله تعالى:﴿**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه**﴾[10]، والراجح

---

(١) هو أبو عبدا لله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي، قال عنه السبكي: إمام الأئمة، وذهب العصر معنى ولفظا، وشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال في كل سبيل، توفي سنة ٧٤٨هـ.
انظر شذرات الذهب٦/١٥٣.

(٢) تلخيص المستدرك٢/٦١٥.

(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص١٦٥.

(٤) **انظر** دلائل النبوة٥/٤٨٩.

(٥) **انظر** تلخيص المستدرك٢/٦١٥.

(٦) **انظر** لسان الميزان٣/٣٥٩.

(٧) **انظر** قاعدة جليلة ص١٦٨، وتلخيص كتاب الاستغاثة١/٥٦، ومجموع الفتاوى١/٢٥٤.

(٨) **انظر** الصارم المنكي ص٣٦.

(٩) **انظر** سلسلة الأحاديث الضعيفة١/٣٨ برقم ٢٥، والتوسل أنواعه وأحكامه ص١١٣.

(١٠) سورة البقرة الآية ٣٧.

أن تفسير هذه الكلمات هو بقوله تعالى: ﴿**قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفرلنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**﴾[1]، وهذا هو الأصل المعتمد في التفسير حيث يفسر القرآن بالقرآن[2].

ب- أن فيه (ولولا محمد ما خلقتك)، ومعلوم مناقضة هذا القول للحكمة من خلق الله تعالى للبشر،وهم آدم، وذريته، وكذلك الجن؛ إذ أن الحكمة من خلقهم جميعا إنما هي العبادة[3]، كما قال تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾[4].

فثبت بهذا القول الباطل معارضة صريح القرآن الكريم[5].

٢- حديث: (توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم) ويرويه بعضهم بلفظ (إذا سألتم الله فسلوه بجاهي) وهو خبر باطل لا أصل له، وإن احتج به الصوفية[6].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (حديث باطل لم يروه أحد من أهل العلم، ولا هو في شيء من كتب الحديث)[7]. كما حكم بوضعه الآلوسي المفسر[8]. وقال الشيخ الألباني: (لا أصل له في شيء من كتب الحديث ألبتة، وإنما يرويه بعض الجهال بالسنة)[9].

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٣. **وانظر** تفسير الطبري١/٢٤٥، وتفسير ابن كثير٢/٢١٥.

(٢) **انظر** أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن١/٦٠.

(٣) راجع الفصل السابق صورة الواسطة في العبادة ص٣٩٧ .

(٤) سورة الذاريات الآية ٥٦.

(٥) **انظر** التوسل للألباني ص١٢٤.

(٦) **انظر** بغية المستفيد لابن السائح التجاني ص١٦٩، وحكاه عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية ورده في قاعدة جليلة ص٢٥٢، واقتضاء الصراط المستقيم٢/٧٩٢، ومجموع الفتاوى١/٣٤٦.

(٧) قاعدة جليلة ص٢٥٢، **وانظر** مجموع الفتاوى١/٣٤٦، واقتضاء الصراط المستقيم٢/٧٩٢.

(٨) **انظر** تفسير الآلوسي٦/١٣٧.

(٩) التوسل للألباني ص١٢٧، **وانظر** سلسلة الأحاديث الضعيفة١/٣٠ برقم٢٢.

ومما ينبغي أن يعلم أن الحكم على هذا الحديث بالبطلان، والوضع لا يستلزم نفي جاه النبي ﷺ العظيم؛ فإن جاهه عند الله تعالى عظيم، ومقامه كريم، وإذا كان الله تعالى وصف موسى بقوله:﴿**وكان عند الله وجيها**﴾[1]، وقال في عيسى:﴿**وجيها في الدنيا والآخرة**﴾[2]؛ فكيف بسيد ولد آدم صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون؟ وصاحب الكوثر،والحوض المورود، وهو إمام الأنبياء إذا اجتمعوا، وخطيبهم إذا وفدوا ذي الجاه العظيم ﷺ؟ إلا أن جاه المخلوق عند الله تعالى ليس كجاه المخلوق عند المخلوق؛ لأنه لا يشفع أحد عند الله إلا بإذنه[3].

٣- ومن تلك الأحاديث الموضوعة: حديث: (إذا أعيتكم الأمور، أو إذا تحيرتم في الأمور فعليكم بأصحاب القبور، أو فاستعينوا بأهل القبور)[4]؛ حيث احتج به الغلاة في القبور على جواز الاستغاثة، والاستعانة بالواسطة من المقبورين عند الشدائد، والكروب، ونزول النوازل والخطوب[5]، وهو موضوع لا أصل له باتفاق أهل الحديث. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فهذا الحديث كذب مفترى على النبي ﷺ بإجماع العارفين بحديثه، لم يروه أحد من العلماء بذلك ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة)[6]. وبين العلامة ابن القيم أن هذا الخبر من الأحاديث المكذوبة التي وضعها أشباه عباد الأصنام من المقابرية على رسول الله ﷺ وهي تناقض دينه وما جاء به[7].

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٦٩.

(٢) سورة آل عمران الآية ٤٥.

(٣) **انظر** قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ٢٥٢.

(٤) قال العجلوني: كذا في الأربعين لابن كمال باشا. **انظر** كشف الخفاء١/٨٨.

(٥) **انظر** الأمن والعلى للبريلوي ص٤٢ نقلا عن البريلوية لإحسان إلهي ظهير ص٦٠.

(٦) قاعدة جليلة ص٢٩٧.

(٧) **انظر** إغاثة اللهفان١/٢٢٠.

٤- ومن الأحاديث الموضوعة التي يحتج بها غلاة الصوفية على جواز دعاء الواسطة البدعية حديث: (لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه)، وفي لفظ (لو اعتقد أحدكم بحجر لنفعه) ولشهرة هذا الحديث على الألسنة للاستدلال به على جواز دعاء الله تعالى بأي واسطة كانت أورده السخاوي رحمه الله[١] في المقاصد الحسنة[٢]. وقد حكم عليه الحفاظ من العلماء بالوضع، فممن حكم بوضعه شيخ الإسلام ابن تيمية[٣]. وكذلك العلامة ابن القيم،وذكر أنه من جملة الأحاديث التي بسببها انتشر الشرك في الأمة، وأنه من وضع عباد الأصنام[٤]. وقال الحافظ ابن حجر: لا أصل له[٥]. ونقل كلامه علي القاري فأقره[٦]. كما حكم عليه بالوضع أيضا الشيخ الألباني[٧].

وبهذا القدر من الأحاديث الموضوعة، والأخبار الواهية نكتفي في مناقشة أدلتهم،وشبهاتهم؛ لأن هذا من أشهر ما يستدلون به، وفي الرد عليه رد على ما يشبهه من أدلتهم، وشبهاتهم الأخرى التي لا تخرج عن شاكلة هذه النماذج؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما أولئك الضلال أشباه المشركين فعمدتهم؛ إما

---

(١) هو أبو الخير، وقيل: أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن عثمان بن محمد شمس الله السخاوي، نسبة إلى قرية (سخا) بمصر، ولد بالقاهرة سنة ٨٣١هـ، اشتهر بالحديث والفقه، وله مشاركات في الفرائض، والتفسير، وأصول الفقه، توفي بالمدينة سنة ٩٠٧هـ.

انظر: الضوء اللامع٨/٢، والبدر الطالع٢/١٨٤، وشذرات الذهب٨/١٥.

(٢) **انظر** ص٣٤١ برقم ٨٨٣.

(٣) **انظر** منهاج السنة النبوية١/٤٨٣، ونقل هذا الحكم عنه مرعى بن يوسف الكرمي **انظر** الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة ص١٠٧ برقم ١٨٨.

(٤) **انظر** المنار المنيف ص١٣٩ برقم ٣١٩.

(٥) **انظر** المقاصد الحسنة للسخاوي ص٣٤١.

(٦) **انظر** المصنوع من معرفة الحديث الموضوع للقاري ص١٤٧ برقم ٢٤٨.

(٧) **انظر** سلسلة الأحاديث الضعيفة١/٤٥٢ برقم ٤٥٠.

أحاديث ضعيفة أو موضوعة، أو منقولات عمن لا يحتج بقوله؛ إما أن يكون كذبا عليه، وإما أن يكون غلطا منه؛ إذ هي نقل غير مصدق عن قائل غير معصوم)[1].

د - ومن الشبهات العامة: شبهة التسبب،والكسب:-

ما زلنا أمام اعتذارات الصوفية لتبريرهم التوجه بالدعاء،والاستغاثة، والنداء إلى الأنبياء، والصالحين سواء كانوا أحياء غائبين أم في حياتهم البرزخية مقبورين، ومن تلك المعاذير: أن الاستغاثة بالأنبياء،والأولياء، والصالحين، وطلب المدد منهم هو من قبيل الأخذ بالأسباب،وليس ذلك من باب الشرك با لله، ولا يعد عبادة لغير ا لله تعالى؛ بل إن طلب الغوث منهم على سبيل الكسب،والتسبب، ومن ا لله تعالى على سبيل الخلق، والإيجاد، وا لله تعالى جعل الأولياء أبوابا للخير منها يدلف[2] إليه الداخلون، وسحبا يمطر منها أنواع الخيرات على المتعلقين بهم، والمستغيثين،وغاية ما يعتقده الناس في الأموات أنهم أسباب ووسائل كالأحياء، لا أنهم خالقون، وموجدون، والتسبب، والكسب أمران مقدوران للميت، وفي إمكانه كالحي، وليس في ذلك نوع من أنواع الشرك[3].

يقول المالكي: (فنسبة الأفعال إلى العباد من نسبة المسبب إلى السبب أو الواسطة، وهذا لا منافاة فيه؛ لأن مسبب الأسباب هو الذي خلق الواسطة وخلق فيها معنى الوساطة، ولولا ذلك الذي أودع ا لله تعالى فيها لم تصلح أن تكون واسطة[4]).

ويقال للرد على هذه الشبهة: (نعم هذا معتقد من يعبد الأنبياء، والصالحين، ويستغيث بهم، يقول: هم سببي وواسطتي، يحصلون لي بكسبهم، وا لله هو الخالق،

---

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة٢/٦٨٠.

(٢) يدلف: أي يمشي إليه، ويدخل عليه. انظر القاموس المحيط٣/١٤٥ مادة(دلف).

(٣) انظر تقرير هذه الشبهة في شفاء السقام للسبكي ص١٧٦، والدرر السنية لدحلان ص١٧، وشواهد الحق ص١٣٨، ومفاهيم يجب أن تصحح ص٨٦.

(٤) مفاهيم يجب أن تصحح ص٨٦.

ولا أدعي غير ذلك، ولا نازع في الخلق، والربوبية إلا فرعون، والذي حاج إبراهيم في ربه، وجمهور المشركين كما تقدم تقريره، فبطل تعليله)[1].

ويقول محمود شكري الآلوسي: (فإن قلت: إن للمستغاث بهم قدرة كسبية، وتسببية، فتنسب الإغاثة إليهم بهذا المعنى، قلنا له: إن كلا منا فيمن يستغاث به عند إلمام مالا يقدر عليه إلا الله، أو نسؤال مالا يعطيه، ويمنعه إلا الله، وأما فيما عدا ذلك مما يجري فيه التعاون،والتعاضد بين الناس،واستغاثة بعضهم ببعض فهذا شيء نقول به[2]، ونعد منعه جنونا؛ كما نعد إباحة ما قبله شركا، وضلالا، وكون العبد له قدرة كسبية لا يخرج بها عن مشيئة رب البرية، لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه إلا الله، ولا يستغاث به، ولا يتوكل عليه، ولا يلتجأ في ذلك إليه، فلا يقال لأحد حي، أو ميت، قريب، أو بعيد: ارزقني، أو أمتني، أو أحي ميتي، أو اشف مريضي إلى غير ذلك مما هو من الأفعال الخاصة بالواحد الأحد، الفرد الصمد، بل يقال لمن له قدرة كسبية قد جرت العادة بحصولها ممن أهله الله لها: أعني في حمل متاعي، أو غير ذلك، والقرآن ناطق بحظر الدعاء عن كل أحد، لا من الأحياء، ولا من الأموات، سواء كانوا أنبياء، أو صالحين، أو غيرهم، وسواء كان الدعاء بلفظ الاستغاثة، أو بغيرها؛ فإن الأمور الغيرمقدورة للعباد لا تطلب إلا من خالق القدر، ومنشئ البشر، كيف والدعاء عبادة وهي مختصة به سبحانه، أسبل الله علينا بفضله عفوه، ورضوانه، فالقصر على ما تعبدنا فيه من محض الإيمان والعدول عنه عين المقت، والخذلان، وهذا خلاصة ما ذكروه من جعل الاستغاثة، والاستشفاع بغير الله شركا ظاهرا لا يغفر، ومتعاطيه جاعل لله ندا، فيذبح بأمر الله تعالى، وشرع رسوله ﷺ إن لم يتب. وبالجملة فالاستغاثة، والاستعانة، والتوكل أغصان دوحة التوحيد المطلوب من العبيد)[3].

---

(١) منهاج التأسيس للشيخ عبد اللطيف آل الشيخ نقلا عن غاية الأماني ١/٢٧٩.

(٢) في النص المطبوع (لا نقول به) ومعناه غير مراد بلا شك.

(٣) غاية الأماني ١/٢٥٢، **وانظر** صيانة الإنسان ص١٨٦، وجهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ٣/١٠٣١.

ثم إن الدعاء والرجاء والتوكل والاستعانة،والاستغاثة من جملة العبادات؛ بل هي أسس للعبادة، والتأله لله تعالى، وصرفها لغيره من خلقه محض الشرك المنهي عنه، وأما جعل ذوات الأنبياء، والصالحين واسطة، وسببا لحصول الخير،ودفع الشر، ونسبة هداية التوفيق إليهم، وأن هذا داخل في جملة الأسباب المشروعة، فهذا لا يجوز بحال، وإن ظن المبتدع ذلك كل الظن.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن الأعمال الدينية لا يجوز أن يتخذ منها شيء سببا إلا أن تكون مشروعة؛ فإن العبادات مبناها على التوفيق، فلا يجوز للإنسان أن يشرك با لله فيدعو غيره، وإن ظن أن ذلك سبب في حصول بعض أغراضه؛ ولذلك لا يعبد ا لله بالبدع المخالفة للشريعة، وإن ظن ذلك)[١].

وقد تقدم الكلام عن هذه الشبهة في بيان الأسس التي بنى عليها أهل الأهواء مذهبهم في الواسطة[٢]، فلا نطيل الكلام عنها بأكثر من هذا.

هـ - ومن الشبهات العامة: شبهة المجاز العقلي[٣]:-

تقرر الصوفية، والغلاة -عموما- أن تصرف الأولياء في الكون، والإنسان -بزعمهم- وشفاء الأمراض، ومعرفة النيات، والخواطر، وهداية القلوب هداية التوفيق، وإغاثة المستغيثين، ونصرة المكروبين، وتدمير الأعداء، وتمكين الأولياء إنما يقصد بذلك كله المجاز العقلي، فالفاعل لذلك كله في الحقيقة هو ا لله عز وجل، وأما نسبة تلك الأفعال إلى الوسائط من الخلق فمن باب المجاز العقلي، لا على وجه الحقيقة[٤].

يقول أحمد دحلان: (فإذا قال العامي من المسلمين نفعني النبي ﷺ أو أغاثني، أو نحو

(١) الواسطة بين الحق والخلق ص٤٤.

(٢) **انظر** ص٤٨٨

(٣) المجاز العقلي هو (إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له) **انظر** التعريفات للجرجاني ص٢٥٩، ومفتاح العلوم للسكاكي ص١٧٠.

(٤) **انظر** تقرير هذه الشبهة في شفاء السقام للسبكي ص١٤٤، والدرر السنية لدحلان ص٢٠، ومفاهيم يجب أن تصحح ص٨٥.

ذلك فإنما يريد الإسناد المجازي، والقرينة على ذلك أنه مسلم، موحد، لا يعتقد التأثير إلا لله، فجعلهم ذلك، وأمثاله من الشرك جهل محض، وتلبيس على عوام الموحدين)[1]. ويقول محمد علوي مالكي: (إن من نسب الفعل إلى الواسطة لا يكفر؛ إلا إذا اعتقد أنها هي الفاعلة المدبرة المخترعة، وإذا لم تكن ملاحظة الواسطة بهذا الاعتبار؛ بحيث أن الواسطة علامة، أو ظرف الخلق المقدور فيها فلا كفر؛ بل تارة يندب الشرع إلى ملاحظة الواسطة)[2].

الرد على هذه الشبهة:-

١- إن الألفاظ الشركية، والخطابات الغالية التي تصدر من الغلاة، نحو الوسائط من الأموات المقبورين -وقد مر معنا كثير منها- لا ينطبق عليها حد المجاز العقلي إذا اعتبرنا حال هؤلاء الداعين المستغيثين،واعتقادهم؛ لأن الإسناد الواقع في كلامهم إسناد حقيقي،ولا ينطبق عليه حد المجاز العقلي، ومن المرجحات لذلك اعتقادهم التأثير،والتصرف المطلق في الكون،وغير ذلك لمن يدعونهم من الوسائط، كما تقدم معنا[3].

٢- أننا لو أوَّلنا كلام هؤلاء الغلاة في الواسطة باحتمال المجاز العقلي، فماذا نعمل بأعمالهم الشركية؟ فهل يمكن تأويلها هي الأخرى؟ وإذا أولت فبماذا نؤول سجودهم للمقبورين، وتعفير جباههم بتراب الأضرحة، والطواف بالمشاهد، والقباب، وذبحهم للقرابين، وتقديمهم للنذور؟ (فهل هذه الأعمال أيضا مؤولة لوقوعها عمن لا يعتقد التأثير مع أن هذه العبادات من خالص حق ا لله تعالى، وصرفها لغيره شرك)[4].

---

(١) الدرر السنية ص٢١.

(٢) مفاهيم يجب أن تصحح ص٨٩.

(٣) **انظر** ص٣٦٧

(٤) صيانة الإنسان ص٢٢٠.

بل إن من سمع أقوال المستغيثين بالوسائط المقبورين علم أنهم يعتقدون أن لهم شيئا من التصرف،والاستقلالية، والتمكين،وهذا كفر فوق كفر الكسب، والتسبب،والواسطة[1].

يقول الشهاب الآلوسي: (ولا أرى أحدا ممن يقول ذلك إلا وهو يعتقد أن المدعو الحي الغائب، أو الميت المغيب يعلم الغيب، ويسمع النداء،ويقدر بالذات، أو بالغير على جلب الخير، أو دفع الأذى، وإلا لما ادعاه، ولما فتح فاه، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم)[2].

٣- ثم إن قول الغلاة هذا يدل على أن الشرك لا يكون إلا اعتقاديا، وأن التفوه بالكفر لا يعتبر إلا إذا طابق الاعتقاد، و (هذا يقتضي سد أبواب الشرائع، ومحو الأبواب التي ذكرها الفقهاء في الردة... ولو قلنا: إن الألفاظ لا عبرة بها، إنما العبرة للاعتقاد لأمكن لكل من يتكلم بكلام يحكم على قائله بالردة اتفاقا أن يقول: لم تحكمون بردتي؟ فيذكر احتمالا، ولو بعيدا يخرج به عما كفر فيه، ولما احتاج إلى توبة، ولا توجه عليه لوم أبدا،وهذا ظاهر البطلان)[3].

ولو فتحنا هذا الباب لكل متأول بكلام ظاهره الكفر لم يكن في الأرض كافر.

قال الإمام الذهبي: (وإن فتحنا باب الاعتذار عن المقالات، وسلكنا طريق التأويلات المستحيلات لم يبق في العالم كفر، ولا ضلال، وبطلت كتب الملل والنحل واختلاف الفرق)[4].

وهذا خلاف ما قرره العلماء المعتبرون من أن (المدار في الحكم بالكفر على الظواهر، ولا نظر للمقصود، والنيات، ولا نظر لقرائن حاله)[5].

---

(١) انظر هذه مفاهيمنا ص١٢٢.

(٢) تفسير الألوسي ١١٥/٦.

(٣) جلاء العينين ص٥١٥.

(٤) تاريخ الإسلام... نقلا عن الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ٩٢٧/٢.

(٥) الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر الهيتمي ص٨٢.

٤- أن من يستدل بالمجاز العقلي على إباحة دعاء غير الله تعالى فقد احتج بحجة المشركين الأوائل الذين نزل فيهم القرآن الكريم، وحكم بكفرهم رغم ادعائهم أنهم يقرون بتوحيد الربوبية،ويعبدون مع الله تعالى غيره من الأصنام لاعتقاد وساطتها، وشفاعتها، فكما أن هذه الحجة لم تنفع المشركين فهي لا تنفع أيضا الغلاة في المقبورين.

٥- أن عوام المسلمين الذين جرفهم تيار التصوف حين يتوجهون إلى وسائطهم المقبورين بهذه الاستغاثات، والنذورات الشركية لا يخطر ببالهم، ولا يرد بأذهانهم، ولا يستحضرون هذه المجازات العقلية، والتلبيسات الفلسفية، والتأويلات البلاغية، وإنما يفهم ذلك حماة البدعة،ودعاة الضلالة لتصحيح هذه الأقوال الشركية، وتصويب أفعال العوام ليدفعوا بهم إلى مستنقع الشرك،وهاوية الخرافة.

ثانيا شبهات تتعلق بالأنبياء عليهم السلام:

أ – التوسل بهم:

لقد قسم المحققون من العلماء التوسل إلى قسمين:-

- توسل مشروع، وتوسل ممنوع، وقد تقدم معنا تعريف التوسل، وبيان أقسامه، وتكلمنا عن القسم الأول منه، وهو التوسل المشروع، وأوضحنا هناك صورة الواسطة الشرعية في هذا النوع من التوسل الذي هو مذهب أهل السنة والجماعة[1].

ونأتي الآن على القسم الثاني من التوسل، وهو التوسل الممنوع، وهو التوسل إلى ا لله تعالى بوسيلة لا تثمر أي بوسيلة لم يثبت في الشرع أنها وسيلة[2].

وهو نوعان:-

النوع الأول: أن يكون بوسيلة سكت عنها الشرع،وهذا من التوسل المحرم، بل إنه قد يجر إلى الشرك،ومثاله أن يتوسل إنسان بجاه شخص ذي جاه عند ا لله تعالى كالتوسل بجاه الأنبياء (لأنه إثبات لسبب لم يعتبره الشرع؛ ولأن جاه ذي الجاه ليس له أثر في قبول الدعاء؛ لأنه لا يتعلق بالداعي،ولا بالمدعو، وإنما هو من شأن ذي الجاه وحده، فليس بنافع لك في حصول مطلوبك، أو دفع مكروبك، ووسيلة الشيء ما

(١) **انظر** ص٤٤

(٢) **انظر** مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين٢/٣٤٣.

كان موصلا إليه، والتوسل بالشيء إلى ما لا يوصل إليه نوع من العبث، فلا يليق أن تتخذه فيما بينك وبين ربك)[1].

ومثال آخر على التوسل بوسيلة سكت عنها الشرع، وهو التوسل بذات الشخص،وهذا توسل بدعي من وجه وشركي من وجه آخر، فكونه من البدع؛ لأنه لم يكن معروفا عند النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وكونه من الشرك؛ لأن كل من اعتقد في أمر من الأمور أنه سبب، وواسطة في جلب الخير، ودفع الشر، فقد أتى نوعاً من أنواع الشرك؛ من أجل هذا فإنه يحظر التوسل بذات النبي ﷺ مثل أن يقول الشخص (أسألك بنبيك محمد ﷺ) إلا على تقدير أن هذا الشخص يتوسل بالإيمان بالرسول ﷺ ومحبته، فإن ذلك عمل صالح، وواسطة شرعية ينتفع بها العبد، وعلى هذا المعنى يحمل كلام من توسل بالنبي ﷺ بعد مماته من السلف كما نقل عن بعض الصحابة، والتابعين، والإمام أحمد في رواية عنه، وحينئذ لا يكون في المسألة نزاع، لكن كثيراً من العوام،وكثيراً من الناس في هذا الزمان يطلقون هذا اللفظ ولا يريدون هذا المعنى[2].

النوع الثاني: من التوسل الممنوع، هو توسل المشركين بأصنامهم، وأوثانهم، وتوسل أهل الأهواء الجاهلين بالأولياء،والصالحين.

فالتوسل الممنوع هو (الواقع من بعض العوام بسؤاله تعالى بأشخاص الأنبياء، والأولياء،والصالحين مما لا يعد قربة، ولا وسيلة لهم إلى الله؛ لأنه لا عمل لهم فيه، فإنه بدع من القول، وزور، وضلال من اللعين، وغرور، وهو قطعا غير مشروع، بل هو من عمل المشركين الذي سرى إلى بعض المسلمين من أهل الكتاب كما سرى إليهم من الوثنيين، وذلك كقولهم:-

---

(١) المرجع نفسه، والموضع بعينه، **وانظر** قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٩٩.

(٢) **انظر** قاعدة جليلة ص١١١.

أسألك بحق النبي عليك، بحق قبره المعظم، أو قبته عليك، أو بجاهه، أو بركته عليك يا نبي الله سقتك على ربك)[1].

ولفظ التوسل يراد به ثلاثة أمور:-

الأول: التوسل بالإيمان بالنبي ﷺ وهذا أصل الإيمان، والإسلام.

والثاني: دعاؤه، وشفاعته، وهذا النوع أيضا ينفع المتوسل الذي يدعو له النبي ﷺ ويشفع فيه.

والثالث: التوسل به، بمعنى الإقسام على الله بذات النبي، والسؤال بذاته، وهذا النوع من التوسل الممنوع هو المشتهر عند كثير من المتأخرين، وقد يوسعون دائرته فيدخلون فيها غير النبي ﷺ من سائر إخوانه من المرسلين، والصالحين، وكل من يعتقدون فيه الولاية، والصلاح، وهذا النوع لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، لا في حياة النبي ﷺ ولا بعد مماته، لا عند قبره، ولا قبر غيره، ولا يعرف في شيء من الأدعية المشهورة المروية عنهم[2].

إذن فهذا النوع من التوسل غير مشروع؛ لأنه لا ينبني على أساس شرعي تقوم به الحجة، وقد أنكره المحققون من العلماء، و لم ينقل عن أحد منهم القول بجواز شيء من ذلك إلا ما ذكر عن الإمام أحمد أنه قال بجواز التوسل بالنبي ﷺ دون غيره كأن يقول المتوسل: (اللهم إني أتوسل إليك به) وهو مقتضى إحدى روايتين عنه، والرواية الأخرى هي الموافقة لقول سائر الأئمة: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي وغيرهم من السلف رحمهم الله؛ ولهذا أفتى العز بن عبد السلام أنه لا يقسم على الله بأحد من خلقه سواء من الملائكة، أو الأنبياء، أو غيرهم، لكن ذكر له حديث في الإقسام بالنبي ﷺ فقال: إن صح الحديث كان خاصا به[3].

(١) القول الجلي في حكم التوسل بالنبي والولي ص٣٢.

(٢) **انظر** قاعدة جليلة ص٨٢.

(٣) **انظر** فتاوى العز بن عبد السلام ص١٢٦.

ومعلوم أن الحديث المذكور لا يدل على الإقسام به عليه الصلاة والسلام[1].

وقد لخّص العلامة نعمان الألوسي الخلاف في هذه المسألة بقوله:(وقد اختلف العلماء بعد أن اتفقوا على استحباب سؤاله ﷻ به، وبأسمائه وبصفاته وأفعاله، في جواز التوسل بالذوات المنيفة، والأماكن والأوقات الشريفة؛ فعن العز بن عبدالسلام ومن تابعه عدم الجواز إلا بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وعن الحنابلة في أصح القولين أنه مكروه كراهة تحريم، وهذا إذا كان الداعي متوجها إلى ربه متوسلا إليه بغيره؛ مثل أن يقول: أسألك بجاه فلان عبدك، أو بحرمته أو بحقه. وأما إذا توجه إلى ذلك الغير فطلب منه كما يفعله كثير من الجهلة فهو شرك كما تقدم)[2].

فالصحيح حظر التوسل بمخلوق مطلقا، سواء كان التوسل بذاته، أو بجاهه، أو بحقه؛ لترك الصحابة رضي الله عنهم ذلك كله، والاقتصار على الثابت من صور التوسل المشروع التي سبق توضيحها[3]، ولهذا قال الإمام أبوحنيفة رحمه الله: (لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول: أسألك بمعاقد العز من عرشك)، وكذا قال أبو يوسف[4] رحمه الله: (وأكره أن يقول: بحق فلان، أو بحق أنبيائك، ورسلك، وبحق البيت الحرام، والمشعر الحرام)[5].

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية: هل صحيح أن الله سبحانه وتعالى لا يسمع الدعاء إلا بواسطة محمد ﷺ، فإنه الوسيلة والواسطة؟ فأجاب بقوله: (الحمد لله، إن أراد بذلك أن الإيمان بمحمد، وطاعته، والصلاة والسلام عليه وسيلة للعبد في قبول دعائه،

---

(١) **انظر** مجموع الفتاوى١/١٤٠.

(٢) جلاء العينين ص٥١٦.

(٣) **انظر** ص:٤٤

(٤) هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حُبيش الأنصاري الكوفي، الإمام المجتهد، العلامة، المحدث، قاض القضاة، صاحب الإمام أبي حنيفة، ولد سنة ١١٣هـ، وتوفي سنة ١٨٢هـ.

انظر سير أعلام النبلاء٨/٥٣٥، وشذرات الذهب١/٢٩٨.

(٥) الدر المختار في الفقه الحنفي للحصكفي٢/٦٣٠، والفتاوى الهندية لجماعة من علماء الهند٥/٢٨٠.

وثواب دعائه فهو صادق، وإن أراد أن الله لا يجيب دعاء أحد حتى يرفعه إلى[1] مخلوق، أو يقسم عليه به، أو أن نفس الأنبياء بدون الإيمان بهم وطاعتهم، وبدون شفاعتهم وسيلة في إجابة الدعاء، فقد كذب في ذلك والله أعلم)[2].

وعلى هذا أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالرياض؛ حيث ورد إليها تساؤل من بعض الأشخاص هل يجوز التوسل بحياة بعض الصحابة رضي الله عنهم أثناء الدعاء؟ فأجابت قائلة: (الدعاء بجاه رسول الله، أو بجاه فلان من الصحابة، أو غيرهم، أو بحياته لا يجوز؛ لأن العبادات توقيفية، ولم يشرع الله ذلك، وإنما شرع لعباده التوسل إليه سبحانه بأسمائه، وصفاته، وبتوحيده، والإيمان به، وبالأعمال الصالحات، وليس جاه فلان، وفلان، وحياته من ذلك، فوجب على المكلفين الاقتصار على ما شرع الله سبحانه، وبذلك يعلم أن التوسل بجاه فلان، وحياته، وحقه من البدع المحدثة في الدين، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[3]...وبالله التوفيق)[4].

وأهل السنة وإن قالوا بالمنع من التوسل بذاته ﷺ إلا أنهم لا يكفرون من يذهب إليه، مستدلا بحديث الضرير، كما ينسبه إليهم بعض العوام، وأهل الأهواء، ومن لا يعرف حقيقة مذهبهم[5].

لكن أهل الأهواء عموما والصوفية خصوصا يستدلون على جواز التوسل بذوات المخلوقين من الأحياء، والميتين، وبجاههم، وحقهم، والاستغاثة بهم حال الاضطرار،

---

(١) هكذا في المطبوع، ولعل المناسب للسياق (إليه).

(٢) مجموع الفتاوى ١/١٣٩.

(٣) رواه البخاري، **انظر** صحيح البخاري مع الفتح كتاب الاعتصام باب إذا اجتهد الحاكم فأخطأ خلاف الرسول ١٣/٣١٧ حديث ٧٣٥٠، ومسلم، **انظر** صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ١٢/١٦.

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة ١/١٥٣ الفتوى رقم ٨٨١٨.

(٥) **انظر** المجموع المفيد من رسائل وفتاوى للشيخ سعد بن حمد بن عتيق. جمع وترتيب: إسماعيل بن سعد ابن عتيق ص٤٤.

ودعاء الله تعالى بهم يستدلون ببعض الأدلة التي هي عند التحقيق شبهات، وهي كثيرة، لكننا نختار أكثرها شبها بالدليل للرد عليها، وبيان الحق فيها، وليُقاس عليها باقي الشبهات.

الشبهة الأولى: حديث الضرير عن عثمان بن حنيف ﷺ أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: (ادع الله أن يعافيني، فقال: إن شئت دعوت لك، وإن شئت صبرت فهو خير لك، فقال: ادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه في، وشفعني فيه، قال: ففعل الرجل، فبرأ)[1]. فذهب القوم إلى أن هذا الحديث يدل على جواز التوسل في الدعاء بجاه النبي ﷺ أو غيره من الأنبياء، والأولياء، والصالحين، في الحياة وبعد الممات.

الرد عليهم، أولا: أن هذا الحديث ليس فيه دليل على جواز التوسل الممنوع، وأن كل من سأل الله بنبي أو برجل صالح، سواء بذاته، أو بحقه، أو بجاهه، أن معنى ذلك الإقسام به على الله، وأن ذلك كله واسطة شرعية، ووسيلة صحيحة، كما فعل هذا الأعمى، بل فهمهم هذا باطل؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقول هؤلاء باطل شرعا، وقدرا، فلاهم موافقون لشرع الله، ولا ما يقولونه مطابق لخلق الله)[2].

ثانيا: أن الأعمى إنما جاء إلى النبي ﷺ ليدعو له؛ إذ لو قصد هذا الصحابي الضرير التوسل بذات النبي ﷺ أو بجاهه، أو بحقه لكفاه عن المجيء المتعذر على مثله، أن يجلس في بيته، ويدعو ربه بقوله: اللهم إني أسألك بجاه نبيك، وبحقه، ومنزلته عندك أن

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه٥/٥٦٩، وابن ماجه في سننه١/٤٤١، وهو في المسند٤/١٣٨، وعمل اليوم والليلة للنسائي ص٤١٧، والمعجم الصغير للطبراني١/١٨٣، والمستدرك للحاكم١/٣١٣، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ١/٢٧٤برقم١٢٧٩، والتوسل له أيضا ص٧٤.

(٢) مجموع الفتاوى١/٣٢٤.

تشفيني، فلما لم يفعل ذلك علم بداهة أنه إنما قصد بهذا التوسل النوع الجائز من التوسل وهو دعاء الرجل الصالح.

ثالثا: أن قوله: (ادع الله أن يعافيني) عبارة صريحة في أن هذا التوسل إنما هو طلب للدعاء من المتوسل به.

رابعا: أن النبي ﷺ وعده بالدعاء مع نصحه بسلوك ما هو الأفضل له في الآخرة، وذلك في قوله: (إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت) ومعلوم أن النبي ﷺ خير من وفى بوعده -وقد وعده بالدعاء، وتصريح الصحابي بطلب الدعاء بقوله (فادعه) يرجح ذلك، فعلم أن النبي ﷺ قد قام بالدعاء، كما طلب الصحابي على وجه إلا أن النبي ﷺ وجه الصحابي بدافع الشفقة إلى النوع المشروع من التوسل،وهو التوسل بالعمل الصالح حيث ورد في بعض الروايات أنه أمره أن يتوضأ، ويصلي ركعتين[1]، ثم يدعو لنفسه.

خامسا: أن قوله في الدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ وهو (اللهم فشفعه في) دليل على التوسل بالدعاء، لا بالذات،والجاه، قال الشيخ الألباني (وهذا يستحيل حمله على التوسل بذاته ﷺ، أو جاهه، أو حقه إذ المعنى: اللهم اقبل شفاعته ﷺ في أي اقبل دعاءه في أن ترد علي بصري، والشفاعة لغة: الدعاء)[2]، وهذه الزيادة (فشفعه في) من الكنوز كما قال الشيخ الألباني من عرفها جعل منها معولا لهدم شبهات المخالفين[3].

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن توسل هذا الضرير إنما كان بدعاء النبي ﷺ لا بذاته، وجاهه، كما فعل عمر في التوسل بدعاء العباس رضي الله عنهما الآتي[4]، ولم يتوسل بذات النبي ﷺ، ثم قال شيخ الإسلام: (فالحديثان معناهما واحد فهو صلى

---

(١) كما في رواية ابن ماجه، وأحمد، والحاكم، والبيهقي.

(٢) التوسل أنواعه وأحكامه ص٧٨.

(٣) **انظر** صحيح الجامع ١/٢٧٤ في التعليق على الحديث رقم ١٢٧٩.

(٤) **انظر** ص٧٧٧

الله عليه وسلم رجلاً يتوسل به في حياته، كما ذكر عمر أنهم كانوا يتوسلون بـه إذا أجدبوا، ثم إنهم بعد موته إنما كانوا يتوسلون بغيره لا عنه، فلو كان التوسل بـه حيا وميتا سواء، والمتوسل به الذي دعا له الرسول، كمن لم يدع لـه الرسـول، لم يعدلـوا عن التوسل به -وهو أفضل الخلق، وأكرمهم على ربه، وأقربهم إليـه وسـيلة- إلى أن يتوسلوا بغيره ممن ليس مثله)[1].

سادسا: أن هذا الحديث ذكره العلماء في معرض بيان معجـزات النبي ﷺ ودعائـه المستجاب، وما أظهره الله ببركة دعائه من الخوارق، وإظهار المعجزات، فإنه بدعائـه ﷺ لهذا الأعمى رد الله عليه بصره من أجل ذلك أخـرج المصنفـون هـذا الحديـث في دلائل النبوة، كالبيهقي، وغيره، وهذا يدل على أن السر في شـفاء الأعمـى إنمـا كـان بدعاء النبي ﷺ، ويؤيد هذا التوجيه أنه لو كان السر في دعاء الأعمى وحده، وتوسـله بذات النبي ﷺ وجاهه، دون دعاء المصطفى ﷺ لكان كـل مـن دعـا بـه مـن عميـان الأمة مخلصا يعافى من علته، ولو كان الأمر كذلك لنقـل إلينـا أن عـادة العميـان مـن عهد الصحابة،والتابعين، ومن بعدهم جارية على هـذا النـوع مـن التوسـل،وهـو أمـر يتعذر نقله[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكذلك لو كان كل أعمـى توسـل بـه، ولم يـدع لـه الرسول بمنزلة ذلك الأعمى لكان عميان الصحابة، أو بعضهم يفعلـون مثـل مـا فعـل الأعمى فعدولهم عن هذا إلى هذا مع أنهـم السـابقون الأولـون المهـاجرون والأنصـار والذين اتبعوهـم بإحسان؛ فإنهم أعلم منا بالله ورسـوله، وبحقـوق الله ورسـوله، ومـا يشرع من الدعاء، وينفع، وما لم يشرع، ولا ينفع، وما يكون أنفع من غيره، وهـم في وقت ضرورة،ومخمصة، وجدب، يطلبون تفريج الكربـات، وتيسـير العسـير، وإنـزال الغيث بكل طريق ممكن دليل على أن المشروع ما سألوه دون ما تركوه)[3].

(١) قاعدة جليلة ص٢٥٩، ومجموع الفتاوى١/٣٢٥.

(٢) انظر التوسل للألباني ص٨٠.

(٣) قاعدة جليلة ص٢٦٠، ومجموع الفتاوى١/٣٢٦.

الشبهة الثانية: استدلالهم بأثر استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما.

فعن أنس بن مالك ﷺ أن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا قحطوا استسقى بالعباس ابن عبد المطلب، فقال: (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون)[1].

يحتج المخالفون بهذا الأثر على جواز التوسل بذات الشخص،وجاهه، وحقه، ويرون أن عمر ﷺ ما توسل بالعباس ﷺ إلا تعظيما لرسول الله ﷺ وتفخيما لأهله وتقديما لعم النبي ﷺ وذلك مبالغة من عمر في التوسل بالنبي ﷺ ما استطاع، فيكون بذلك عمر ﷺ قد توسل برسول الله ﷺ على أبلغ وجه وأحسنه، ثم إن هذا الفسل من عمر ﷺ هو من باب بيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل[2]. ومع هذا فإن الإجابة (منوط وقتها بعلم الله عز وجل، فقد تتأخر فيضطرب ضعاف القلوب إن كان التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك المقام، وقد لا يحصل هذا الاضطراب إذا كان بالعباس رضي الله عنه)[3].

الرد عليهم: إن هذا الأثر ليس فيه دليل على جواز التوسل الممنوع بذات الشخص وجاهه وإنما هو من التوسل المشروع،وهو طلب الدعاء من الحي الحاضر؛ وذلك من وجوه:-

١- أن توسل عمر بدعاء العباس لا بذاته؛ إذ لو كان الأمر كذلك لما كان ثمة حاجة في أن يقوم العباس فيدعو بدعائه متوجها إلى الله، متذللا خاشعا، بعد كلام عمر، فهذا صريح على أنه دعا بدعاء ثان[4].

---

(١) رواه البخاري، **انظر** صحيح البخاري مع الفتح كتاب الاستسقاء باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا ٤٩٤/٢ حديث رقم ١٠١٠.

(٢) **انظر** مفاهيم يجب أن تصحح ص١٥٠.

(٣) ردود على أباطيل لمحمد الحامد القسم الثاني ص٤٦، **وانظر** الرد عليهم في أوضح الإشارة للشيخ أحمد النجمي ص٢٧٧.

(٤) **انظر** التوسل للألباني ص٦٧، ومجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين٣٥١/٢.

٢- تصريح عمر ﷺ أنهم كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ في حياته وأنهم في هذه الحادثة توسلوا بالعباس ﷺ فيه دليل على أن التوسلين من نوع واحد،وهو دعاء الرسول ﷺ لهم كما كان توسلهم بالعباس ﷺ أيضا بدعائه[١].

٣- لو كان التوسل بالذات جائزا كما يدعيه المخالفون لما عدل عمر ﷺ عن التوسل بذات النبي ﷺ إلى العباس؛ لأنه ممكن لو كان مشروعا، وأما ادعاؤهم أنه لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل فدعوى عجيبة،وتعليل وا ه ـ[٢].

يقول الشيخ الألباني: (فهذه الأحاديث وأمثالها مما وقع زمن النبي ﷺ وزمن أصحابه الكرام رضوان الله عليهم تبين بما لا يقبل الجدال أو المماراة أن التوسل بالنبي ﷺ أو بالصالحين الذي كان عليه السلف الصالح هو مجيء المتوسل إلى المتوسل به، وعرضه حاله له، وطلبه منه أن يدعو له الله سبحانه؛ ليحقق طلبه فيستجيب هذا له، ويستجيب من ثم الله سبحانه وتعالى)[٣].

الشبهة الثالثة: استدلالهم بتوسل آدم بالنبي عليهما الصلاة والسلام، وقد بان بطلانه من ناحية السند، والمتن في بياننا للشبهات العامة، والرد عليها في الصفحات السابقة[٤].

الشبهة الرابعة: استدلالهم بالحكاية التي تروى عن الإمام مالك مع الخليفة أبي جعفر المنصور رحمهما الله تعالى، بناء على استدلالهم بتوسل آدم السابق، وقد أخرجها القاضي عياض بسنده إلى محمد بن حميد الرازي[٥]، فقال: (ناظر أبوجعفر

رحمها الله تعالى

---

(١) **انظر** شرح العقيدة الطحاوية ص٢٣٨، وجلاء العينين ص٥٢٢، والتوسل للألباني ص٦٧.

(٢) **انظر** قاعدة جليلة ص٨٢، والتوسل للألباني ص٦٥، والدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية٢/٧٢٦.

(٣) التوسل أنواعه وأحكامه ص٥٨، **وانظر** الشرك وأنواعه لجفري وهاب رسالة ماجستير غير منشورة ص٣٠٤، وجهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية٢/١٥٠٧.

(٤) **انظر** ص٧٥٨

(٥) هو أبو عبدالله محمد بن حميد بن حيان الرازي، العلامة الحافظ الكبير، ولد سنة ١٦٠هـ، قال الذهبي: وهو مع إمامته منكر الحديث، صاحب عجائب، توفي سنة ٢٤٨هـ.

⇦

أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول ا لله ﷺ فقال له مالك: يا أمير المؤمنين! لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن ا لله تعالى أدب قوما فقال:﴿**لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون**﴾[1]، ومدح قوما فقال:﴿**إن الذي يغضون أصواتهم عند رسول ا لله أولئك الذين امتحن ا لله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم**﴾[2]، وذم قوما فقال:﴿**إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون**﴾[3]، وإن حرمته كحرمته حيا، فاستكان لها أبوجعفر، وقال: يا أبا عبد ا لله، أ أستقبل القبلة، وأدعو، أم أستقبل رسول ا لله ﷺ؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى ا لله تعالى يوم القيامة؟ بل استقبله، واستشفع به، فيشفعك ا لله، قال ا لله تعالى:﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا ا لله واستغفر لهم الرسول لوجدوا ا لله توابا رحيما**﴾[4])[5].

مناقشة هذه الحكاية: قد رد أهل العلم الخبيرون بمنهج الإمام مالك رحمه ا لله هذه الحكاية بالأوجه التالية:-

أولا: جهة الإسناد.

١- مدار هذه الحكاية على محمد بن حميد الرازي،وهو متهم بالكذب، فقد قال البخاري: في حديثه نظر،وقال النسائي: ليس بثقة، وقال أبوزرعة: صح عندنا أنه

= **انظر** تاريخ بغداد٢/٢٥٩، وسير أعلام النبلاء١١/٥٠٣، وشذرات الذهب٢/١١٨.

(١) سورة الحجرات الآية ٢.

(٢) سرورة الحجرات الآية ٣.

(٣) سورة الحجرات الآية ٤.

(٤) سورة النساء الآية ٦٤.

(٥) الشفا٢/٣٥، وممن احتج بهذه الحكاية على جواز التوسل بالذات: البكري كما في تلخيص كتاب الاستغاثة١/٨٥، والسبكي في شفاء السقام ص٨٤، والسمهودي في وفاء الفاء٤/١٣٧٦، ودحلان في الدرر السنية ص١٠.

يكذب، وقال الذهبي في المغني: ضعيف لا من قبل حفظه، وقد وثقه الإمام أحمد، وابن معين،والراجح عدم توثيقه، وأما الذين وثقوه فعذرهم في ذلك أنهم لم يعرفوه؛ لأنه خراساني،وأهل بلده يعرفون حاله، ولعله عند ما اجتمع بالذين وثقوه في بغداد اختار لهم أحاديثه الصحيحة[1].

٢- الانقطاع الحاصل بين ابن حميد، والإمام مالك بن أنس؛ فإن ابن حميد الرازي لم يلق الإمام مالكا، ولا سيما في زمن أبي جعفر المنصور؛ حيث ولادة ابن حميد كانت سنة ١٦٠هـ ووفاته سنة٢٤٨هـ وكانت وفاة الإمام مالك سنة١٧٩هـ، وتوفي أبوجعفر المنصور بمكة سنة١٥٨هـ، ثم إن ابن حميد لم يخرج من بلده إلا وهو كبير مع أبيه[2]. فهذه المناظرة على فرض صحتها حصلت قبل ولادة ابن حميد الرازي[3].

٣- وإذا كانت هذه الحكاية منقطعة، وابن حميد ضعيفا عند أهل الحديث إذا أسند، فكيف إذا أرسل حكاية لا تعرف إلا من جهته؟ ولم يروها أحد من أصحاب الإمام مالك المعروفين بالأخذ عنه مع العلم أن في إسناد هذه الحكاية مجهولين إذا كان الأمر كذلك فقد بان بطلان الاستدلال بهذه الحكاية من جهة السند[4].

ثانيا: مناقشة هذه الحكاية من جهة المتن:

١- هذه الحكاية تخالف منهج الإمام مالك في زيارة القبور وكراهته للوقوف عند قبر النبي ﷺ للدعاء له، أو الدعاء عنده[5]،كما ذكر أصحابه المعتمدون أنه سئل عن

---

(١) **انظر** تهذيب الكمال في الرجال٨/١٠٢، والكامل لابن عدي٦/٢٢٧٧، والمجروحين لابن حبان٢/٣٠٣، وتاريخ بغداد للخطيب٢/٢٥٩، وميزان الاعتدال٣/٥٣٠، والمغني٢/٥٧٣، وسير أعلام النبلاء للذهبي١١/٥٠٣، وتهذيب التهذيب لابن حجر٩/١٢٧.

(٢) **انظر** قاعدة جليلة ص١٢٢، والصارم المنكي ص٢٦٠.

(٣) **انظر** الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية٢/٨٣١.

(٤) **انظر** قاعدة جليلة ص١٢٤، والدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية٢/٨٣٢.

(٥) **انظر** الشفا٢/٧٣ نقلا عن المبسوط لإسماعيل القاضي، والمنتقى للباجي١/٢٩٦، والجواب الباهر ص٦٦، والصارم المنكي ص٢٥٩.

أقوام يطيلون القيام مستقبلي الحجرة النبوية يدعون لأنفسهم، فأنكر مالك فعلهم[1]، كما كره لأهل المدينة التردد للسلام، وكره أن يقال: زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم[2].

٢- أن هذه الحكاية تخالف ما ثبت عن السلف وخصوصا عند الإمام مالك من التحذير من البدع محافظة على السنة وسدا لذرائع الشرك، وصيانة للعقيدة، وحماية لجناب التوحيد، والآثار الواردة عنهم كلهم رحمهم الله تدل على أن هذا هو عملهم؛ بل هي مخالفة لمنهجهم، ومعارضة لطريقتهم.

٣- أن لفظ هذه الرواية فيه ركاكة لغوية، وذلك في قوله (استشفع به فيشفعك الله) وإذا كان المراد طلب شفاعته فإنما يقال:(استشفع به فيشفعه الله فيك)[3].

٤- ولو صحت هذه الحكاية فيمكن أن يكون الإمام مالك نهى عن رفع الصوت في مسجد النبي ﷺ لكن وقع تحريف في ألفاظ الرواية[4].

٥- وقد يقال: إن إيراد هذه القصة على جواز التوسل بالذات ليس في محله؛ لأن القصة تدور حول مسألة الدعاء، هل يجوز حال استقبال القبر، أم لا يكون إلا في اتجاه القبلة؟ والله أعلم.

٦- وعلى فرض صحة هذه الحكاية فإن التوسل الوارد فيها هو التوسل بشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة،وهذه الشفاعة ثابتة، لا يستطيع أحد إنكارها،وليس المراد بالتوسل فيها التوسل البدعي في الدنيا[5].

---

(١) **انظر** العتبية في مسائل مذهب الإمام مالك لمحمد بن أحمد العتبي مطبوعة مع البيان والتحصيل لابن رشد١٨/٤٤٤، والشفا٢/٧٣.

(٢) **انظر** الشفا٢/٧١، وقاعدة جليلة ص١٣٩.

(٣) **انظر** قاعدة جليلة ص١٤٨.

(٤) **انظر** المرجع السابق ص١٥٢.

(٥) **انظر** قاعدة جليلة ص١٤٧، والتوصل إلى حقيقة التوسل ص٢٢٢.

٧- فالنتيجة أن هذه الحكاية على هذا الوجه -إما أن تكون في غاية الضعف، مكذوبة على الإمام مالك، وإما أن تكون دخلها التغيير،والتحريف، وإما أن تفسر بما يوافق مذهب الإمام مالك في الزيارة، والتوسل المعروف عنه[١].

فإذن الموافق لمذهب الإمام مالك هو خلاف هذه الحكاية؛ لأن سد الذرائع أصل من أصول مذهب المالكية. وحمل رواية الشفا على السقوط أولى لكون المبسوط أصح، وأوفق لمذهب الإمام مالك غاية ما هنالك أن تكون الروايتان متعارضتين.

يقول نعمان الآلوسي: (وإذا تعارضت الروايتان، ولم يمكن الجمع بينهما فنسقطهما، ونرجع إلى الأصل المرجوع إليه في الأقياس، والأصل ما ذكرناه؛ لدلالة الكتاب والسنة، فالعمل به هو الواجب، سيما في مثل هذه المطالب)[٢].

ولعلنا نكتفي بهذا القدر من إيراد شبهات المجيزين للتوسل الممنوع؛ لأن باقي أدلتهم لا تخرج عن هذه الشبهات[٣].

ب-ومن الشبهات التي تتعلق بالأنبياء عليهم السلام -قياس وساطتهم في العبادة على وساطتهم في التبليغ:

هذه الشبهة من أهم الشبهات التي بنى عليها أهل الأهواء عموما وخصوصا الصوفية مذهبهم الفاسد في فهم الواسطة، ذلك أنهم قاسوا توسيطهم للأنبياء، والأولياء، وشيوخ الطرق في دعائهم لله تعالى لقضاء حوائجهم، وتحقيق مطالبهم، قاسوا ذلك على إرسال الله تعالى لأنبيائه، ورسله واسطة بينه وبين خلقه لتبليغ شرائعه، وإقامة الحجة على خلقه، مبشرين من اتبع الوحي الذي جاءوا به بالفوز برضا الله تعالى،وقربه، ومنذرين من أعرض عن ذكره والنور الذي جاءوا به بسخط الله تعالى وعذابه، والبعد منه.

---

(١) **انظر** اقتضاء الصراط المستقيم٢/٧٦٤، والصارم المنكي ص٢٦٤.

(٢) جلاء العينين ص٥٢٦.

(٣) ومن أراد التوسع في ذلك فلينظر قاعدة جليلة ص٨٢، وجلاء العينين ص٥٠٥، والتوسل للألباني ص٥٤.

ولقد علم من طريق الوحي أن هؤلاء المرسلين أكدوا للخلق أن وساطتهم ليست في عبادة الخلق لخالقهم، وإن كانت تلك العبادة وضحتها رسالات الله إلى هؤلاء الأنبياء؛ لأن الله تعالى قريب، مجيب، يرى مكانهم، ويسمع سؤالهم، ويعرف أحوالهم، فليس بينه وبين خلقه واسطة في حال الالتجاء، والتضرع، والدعاء وسائر أنواع العبادة التي بينها الرسول ﷺ للناس،وهذا هو سبيل الإخلاص الذي جاب به الإسلام، ولا يقبل الله عز وجل عبادة بدونه[1].

وقد مر معنا هذا القياس الفاسد ورددنا على القائلين به في بياننا لمذهب أهل الأهواء في فهم الواسطة، فنكتفي بما ذكرناه هنالك خشية التكرار[2].

جـ- ومن الشبهات المتعلقة بالأنبياء -عليهم السلام- تجويز دعائهم والاستعانة بهم، وطلب المدد منهم بعد موتهم بناء على ما ثبت من حياتهم البرزخية.

قال بعضهم: (يرى أئمة الصوفية أنه لا مانع من التوسل بالموتى، وطلب الدعاء منهم؛ لأن أرواحهم ليست ميتة، ولا متلاشية، كما تتلاشى قوى الأبدان، فالموت إنما هو مفارقة الأبدان فحسب، أو انتقال الأرواح إلى دار غير دارها، فلا تزال حية في عالم البرزخ، فلا سبيل لإنكار الحياة، والعمل بعد الموت، وقد صح أن كثيرا[3] من الأولياء يصلي في قبره، ويقرأ القرآن....فأرواح الموتى لا تزال حية باقية تسمع، وتعلم، وتعمل...؛ بل هي أسمع من أرواح الأحياء؛ ولأنها سميعة بالذات، وأرواح الأحياء سميعة بالأدوات...وخلاصة القول أن التوسل بأرواح الأنبياء،والأولياء، والصالحين بعد مماتهم -كالتوسل بهم،وطلب الدعاء منهم حال حياتهم،والذي يؤمن بذلك عليه أن يؤمن بذلك أيضا، فالدليل هو الدليل)[4].

---

(١) راجع ما سبق بيانه في الفصل السابق (صورة الواسطة في العبادة) ص٥١٩

(٢) انظر ص٣٧٩

(٣) في النص المطبوع (كثير) بالرفع، وهو خطأ.

(٤) معجم ألفاظ الصوفية لحسن الشرقاوي ص١٠١ وما بعدها (بتصرف).

وبهذا الاعتقاد صرح محمد علوي المالكي فقال: (ولو لم يكن للفقيه من الدليل على صحة التوسل، والاستغاثة به ﷺ بعد وفاته إلا قياسه على التوسل، والاستغاثة به في حياته الدنيا لكفى؛ فإنه حي الدارين، دائم العناية بأمته، متصرف -بإذن الله- في شئونها، خبير بأحوالها)[1].

ويدعون أن الاستغاثة بالأنبياء في قبورهم،ودعاءهم، وقضاء الحوائج بالتوسل بهم هو من باب معجزاتهم، ومعجزات الأنبياء،وكرامات الأولياء لا تنقطع بعد موتهم، فهم أحياء في قبورهم يصلون، ويحجون، فتكون الإغاثة منهم معجزة لهم[2].

وينقل النبهاني عن بعض الصوفية قوله: (وإذا كانت زيارة قبر الوالدين تحصل بسببها المغفرة، فكيف بزيارة قبور الأنبياء الذين هم أحياء في قبورهم، يأكلون، ويشربون، وينكحون!! ويصلون تلذذا لا تعبدا؟)[3].

ويقرون هذه الشبهة بقول بعضهم: (وإذ قد ثبت تعظيمه وإجلاله ميتا ﷺ كما كان حيا وثبت أنه حي في قبره، فطلب الشفاعة منه دخول في توقيره ﷺ ويكون طالب الشفاعة كمن طلب شيئا ممن له قدرة عليه، وهو عليه الصلاة والسلام قادر على ذلك بوجه التسبب في الدعاء، كما كان حيا، وكما كان وسيلة في التبليغ فهو ﷺ الوسيلة في دعائه لأمته، ويكون طلب ذلك منه أدعى للإجابة)[4].

الرد عليهم: ما من شك في أن القول بحياة الأنبياء حياة برزخية حق ثابت بالأحاديث الصحيحة.

يقول السيد نعمان الآلوسي: (فنعتقد حياتهم عليهم الصلاة والسلام حياة برزخية فوق حياة الشهداء، وأن نبينا ﷺ قد جُعِل عند قبره الشريف ملك يبلغه سلام المسلمين الذين عند ضريحه المكرم، والنائبين عنه، ونعتقد أن الأنبياء عليهم السلام

(١) مفاهيم يجب أن تصحح ص١٧٢، **وانظر** الرد عليه في هذه مفاهيمنا ص١٢٣.

(٢) **انظر** شواهد الحق ص١٤١.

(٣) المرجع نفسه ص٤٤٩.

(٤) نقله السيد نعمان الآلوسي عن بعضهم في جلاء العينين ص٥٠٢.

جميعهم طريون لا تأكل الأرض أجسادهم الشريفة؛ للأحاديث الواردة في ذلك... ولكنا نمنع أن يطلب منهم شيء فلا يسألون شيئا بعد وفاتهم، كما تقدم، سواء كان بلفظ استغاثة، أو توجه، أو استشفاع، أو غير ذلك، فجميع ذلك من وظائف الألوهية، فلا يليق جعله لمن يتصف بالعبودية، فإن ادعى أحد أن حياتهم صلى الله عليهم وسلم...حياة حقيقية، كما هو الأصل في حمل الألفاظ على حقائقها، ولم تثبت قرينة على التجوز بها، فتبقى الحياة على حقيقتها، أجبناه قائلين: لا شك أنه لا يراد بهذه الحياة الحقيقية، ولو أريدت لا قتضت جميع لوازمها من أعمال، وتكليف، وعبادة، ونطق، وغير ذلك، وحيث انتفت حقيقة هذه الحياة بانتفاء لوازمها وبحصول الانتقال من هذه الحياة الدنيوية الحقيقية إلى تلك الحياة البرزخية المعبر عن هذا الانتقال بالموت الحال به صلى الله عليه وسلم، وأرواحنا له الفداء- كما قال تعالى:﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾[1]...وحلول الموت به صلى الله تعالى عليه وسلم لا يمكن أحدا إنكاره...وحيث انتفت الحياة الحقيقية بما ذكر، وبغيره ثبتت الحياة البرزخية،وهي متفاوتة، فحياة الشهداء فوق حياة المؤمنين، وحياة الأنبياء عليهم السلام أعلى من حياة الشهداء،وقد شرف سبحانه هؤلاء الأحياء بالتشريفات العندية، فقال عز من قائل -في حق الشهداء الذين تتقاصر مرتبتهم عن الأنبياء -:﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون**﴾[2])[3].

ومما يرد به على هؤلاء الغلاة في ادعائهم تجويز التوجه إلى الرسول ﷺ بالدعاء، والاستغاثة الآن؛ لثبوت حياة الأنبياء في قبورهم، يرد عليهم بأن النبي ﷺ وكذلك الأنبياء، والصالحون عند ما كانوا في الحياة الدنيوية لا يمكن أن يشرك بهم من دون

(١) سورة الزمر الآية ٣٠.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٦٩.

(٣) جلاء العينين ص٥٢٨، **وانظر** الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية٢/ ٨٥٠.

الله تعالى، وأما بعد انتقالهم إلى الحياة البرزخية، فيمكن أن يشرك بهم، فيمتنع القياس من هذه الجهة[1].

بهذا أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية، والإفتاء بالرياض -حيث ورد إليها سؤال بهذا الخصوص فأفتت قائلة: (النبي صلى الله عليه وسلم حي في قبره الحياة البرزخية التي يتهيأ له معها أن يتنعم بما يفيض الله تعالى عليه من أنواع النعيم، والكرامة، وليس حيا الحياة التي كانت له في الدنيا؛ لقوله تعالى:﴿**إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون**﴾[2]. وقد صلى عليه الصحابة رضي الله عنهم صلاة الجنازة، ووضعوه في لحده عليه الصلاة والسلام - ولا يكون ذلك وهو حي الحياة الدنيوية، وقد نزلت بهم أحداث، ومشكلات، ولم يستفتوه في أحداثهم، ولا استشاروه في حل مشكلاتهم، وهم في أشد الحاجة إلى ذلك، فدل على أن أجله قد انتهى، وأن الموت قد نزل به كغيره من البشر، وقد علم الصحابة رضي الله عنهم ذلك فأقاموا الخلفاء عنه تباعا، واجتهدوا في شئون دينهم، ودنياهم على ضوء كتاب الله وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم دون رجوع إليه، واستشارة له، وهو في قبره)[3] صلى الله عليه وسلم. ولهذا قال العلامة ابن القيم في الرد على أصحاب هذا القياس الفاسد[4]:-

فان الرسول بقبره حيّ كما ... قد كان فوق الأرض والرجمان
لو كان حيا في الضريح حياته ... قبل الممات بغير ما فرقان
ما كان تحت الأرض بل من فوقها ... والله هذي سنة الرحمٰن

---

(١) **انظر** تلخيص كتاب الاستغاثة١/٤٥٤، والقائد إلى تصحيح العقائد ص١٠٤، وجهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية٢/٨٧٥.

(٢) سورة الزمر الآيتان (٣٠-٣١).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة١/٤٨٠، الفتوى رقم ٢٦٤١، **وانظر** التيجانية لعلي محمد دخيل الله ص١٢٣، والصواعق المرسلة الشهابية ص٨١.

(٤) **انظر** متن القصيدة النونية ص١٧٨.

أتراه تحت الأرض حيا ثم لا ... يفتيهم بشرائع الإيمان ؟
فيقال أصل دليلكم في ذاك حجـ ... ـتنا عليكم وهي ذات بيان
إن الشهيد حياته منصوصة ... لا بالقياس القائم الأركان
هذا مع النهي المؤكد أننا ... ندعوه ميتا ذاك في القرآن

فالمراد بحياة الأنبياء في قبورهم هو (نوع من الحياة غير معقول لنا،وهي فوق حياة الشهداء بكثير، وحياة نبينا -صلى الله عليه وسلم أكمل وأتم من حياة سائرهم -عليهم الصلاة والسلام- ثم إن تلك الحياة في القبر، وإن كانت يترتب عليها بعض ما يترتب على الحياة في الدنيا المعروفة لنا من الأذان، والصلاة، والإقامة، ورد السلام المسموع، ونحو ذلك، إلا أنها لا يترتب عليها كل ما يمكن أن يترتب على الحياة المعروفة، ولا يحس بها، ولا يدركها كل أحد، فلو فرض انكشاف قبر نبي من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لا يرى الناس النبي فيه إلا كما يرون سائر الأموات الذين لم تأكل الأرض أجسامهم، وربما يكشف الله تعالى لبعض عباده فيرى مالا يرى الناس، ولولا هذا لأشكل الجمع بين الأخبار الناطقة بحياتهم في قبورهم،وخبر...أن موسى نقل يوسف من قبره بمصر)[1].

ثم إن قياس الميت على الحي،وقياس أحوال الممات على أحوال الحياة، وقياس أمور البرزخ على أمور الدنيا من أوضح الأقيسة فسادا، وبطلانا؛ لأن هذا القياس من قبيل الجمع بين المتخالفين،وقياس الضد على الضد، كقياس الضلال على الهدى، وقياس العدم على الوجود، إلى غير ذلك من الأمور المتضادة التي لا تجمع أبدا[2].

وجملة القول أن حياة الأنبياء في قبورهم من الأمور الغيبية، وأمور الغيب في العقيدة الإسلامية توقيفية، فما وضحته النصوص الشرعية تكلمنا فيه في حدود النص، وما

---

(١) مشتهى الخارف الجاني ص٤٣٧، **وانظر** الضياء الشارق ص٥٢٠.

(٢) **انظر** المنخل لغربلة خرافات ابن الحاج في المدخل للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس ضمن المجموع المفيد ص١٣٠.

سكتت عن تفاصيله أمسكنا عن الخوض فيه؛ لأنه لا مجال للعقول، ولا دخل للأقيسة في الأمور الغيبية.

د- ومن الشبهات المتعلقة بالأنبياء عليهم السلام ادعاؤهم جواز دعاء النبي ﷺ، والاستغاثة به، وهو في قبره عليه الصلاة والسلام، وطلب شفاعته، والمدد منه.

ادعاؤهم جواز كل ذلك بناء على ما ثبت من شفاعته يوم القيامة؛ يقول السبكي: (وفي التجاء الناس إلى الأنبياء في ذلك اليوم أدل دليل على التوسل بهم في الدنيا والآخرة، وأن كل مذنب يتوسل إلى الله عز وجل بمن هو أقرب إليه منه، وهذا لم ينكره أحد، ولا فرق بين أن يسمي ذلك تشفعا، أو توسلا، أو استغاثة، وليس ذلك من باب تقرب المشركين إلى الله تعالى بعبادة غيره)[1].

وبهذا الاعتقاد صرح كل من النبهاني[2]، ومحمد علوي مالكي[3].

والرد عليهم: إن استدلال الغلاة بشفاعة النبي ﷺ الثابتة يوم القيامة على إباحة طلبها منه، والاستغاثة به في قبره ﷺ استدلال في غير محله، فكونه عليه الصلاة والسلام يشفع يوم القيامة الشفاعة العظمى للخلائق، وغيرها من شفاعاته الخاصة به[4] هذا أمر مسلم؛ لكن الاستدلال به على جواز طلب تلك الشفاعة من النبي ﷺ وهو في قبره، ثم يقاس عليها دعاؤه، والاستغاثة به، بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم، هذا هو المنهي عنه ولا دليل عليه.

يقول السيد نعمان الآلوسي: (فإن قلت: إن النبي ﷺ مأذون له بالشفاعة، ونحن نطلبها ممن هو مأذون فيها!! فالجواب أنه عليه الصلاةوالسلام الآن موعود بالشفاعة في اليوم الآخر، ووعد الله حق؛ لكنها مشروطة ببعد الإذن، ورضاه عن المشفوع

(١) شفا السقام ص١٩٠.

(٢) انظر شواهد الحق ص١٢٦، وص١٤٢.

(٣) انظر مفاهيم يجب أن تصحح ص١٣٠، وص١٥٩.

(٤) راجع المبحث السابق (صورة الواسطة في شفاعة النبي ﷺ) ص٤٦٤ .

فيه، فينبغي لمن أراد أن يدعو بطلب الشفاعة أن يقول: اللهم لا تحرمني شفاعته عليه الصلاة والسلام، اللهم شفعه فيَّ وأمثال ذلك،ولو كانت تطلب منه صلى الله عليه وسلم الآن لجاز لنا أن نطلبها أيضا ممن وردت الشفاعة لهم كالقرآن، والملائكة، والأفراط[1]، وهم أطفال المؤمنين، والحجر الأسود، إذ قد ورد أنه يشفع لمثل ربيعة ومضر، وبالصالحين، ولجاز أن ندعوهم، ونلتجئ إليهم، ونرجوهم بهذه الشفاعة، إذ لا فرق بين الجميع بثبوت أصل الشفاعة لهم، والإذن فيها، فتصير إذن والمشركين الأولين في طريق واحد، و لم نفترق إلا بالأعمال الظاهرة، كالصوم، والصلاة، وقول كلمة التوحيد من غير عمل بما فيها، ومن غير اعتقاد لحقيقتها.

ولا يقدم على ذلك من له أدنى مسكة من عقل، أو فكرة فيما صح من النقل)[2].

ولا أطيل في الرد هلى هذه الشبهة الواهية المتعلقة بشفاعة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، فقد تقدم معنا في مبحث سابق بيان صورة الواسطة الصحيحة في شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وغيره من الشفعاء يوم القيامة[3]، وذكرت هنالك أنه لا يجوز أن يتوجه أحد إلى النبي ﷺ الآن طالبا منه الشفاعة، وإنما الذي يصح، ويشهد له النقل، والعقل أن نطلب هذه الشفاعة من الله سبحانه وتعالى الذي يأذن يوم القيامة لنبيه، وحبيبه صلى الله عليه وسلم في هذه الشفاعة، فنقول: اللهم شفع فينا نبيك وحبيبك محمدا صلى الله عليه وسلم، واجعلنا نرد حوضه، ونشرب منه شربة لا نظمأ بعدها أبدا.

ثالثا: شبهات تتعلق بالأولياء، والصالحين:

أ - **شبهة الولاية، والكرامة:** يدافع غلاة الصوفية عن دعاء الصالحين، وتوسيطهم، والاستشفاع بهم، وطلب مالا يقدر عليه إلا الله منهم، يدافعون عن

---

(١) راجع المبحث السابق (صورة الواسطة في شفاعة غير النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة) ص٤٧٦

(٢) جلاء العينين س٥١٠، **وانظر** التوضيح عن توحيد الخلاق للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص٣٥١.

(٣) **انظر** ص٤٦٤

ذلك قائلين: إن هذا من جنس الكرامة،والولاية المثبتة التي لا ينكرها أهل السنة[1]، (وهذه طامة عظيمة، وغاية في الجهالة، والسفاهة، بل هي من جنس احتجاج النصارى على دعاء المسيح وأمه، وعبادتهما ظنوا أن ما حصل للمسيح، ولأمه عليهما السلام من المعجزات،والكرامات يبيح لهم دعاءهما وعبادتهما، وإذا خاطبت النصراني سرد عليك من المعجزات، والكرامات التي أعطيها المسيح، واحتج بها على دعواه، وعباد القبور يحتجون في هذا الباب بما لم يثبت،وما ثبت فأكثره دون ما أعطيه المسيح،ومع ذلك فالاحتجاج به على دعائهم من جنس حجج النصارى، لا يدل على المدّعَى؛ بل غايته أن يدل على علو الدرجة،وصدق الرسالة، أو ثبوت الولاية؛ إذا اقترن به عمل صالح، وأما الاستدلال بذلك على أنه يدعى، ويرجى، ويشفع، وينفع، فهذا من دين النصارى، الصابئة، وعباد الأصنام، وهذه الشبهة هي التي أوقعت في الشرك جمهور المشركين؛ فإن أصل عبادة الأصنام هو التعلق على[2] الصالحين، وتصوير صورهم، وتماثيلهم، بل عباد الكواكب دعاهم إلى عبادتها ما أودع الله فيها من الحكم، والمنافع التي ظهرت آثارها في هذا العالم، كما يعرفه من عرف مذاهب القوم)[3].

وأصل هذه الشبهة التي تعلق بها القبوريون أن قالوا: أليس للأولياء، والصالحين جاه عند الله وكرامة؟ قلنا: بلى، قالوا: أليسوا أحياء عند ربهم؟ قلنا: بلى، قالوا: أليس الله يحبهم ويكرمهم؟ قلنا: بلى، قالوا: إذن فلماذا لا نتخذهم واسطة بيننا وبين الله تعالى، وندعوهم، ونطلب منهم، ونستغيث بهم؟

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:-

---

(١) وممن استدل بهذه الشبهة ابن جرجيس كما نقلها عنه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ورد عليها، **انظر** جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية٢/٩٧٨.

(٢) لعل الأنسب للسياق (التعلق بالصالحين).

(٣) تحفة الطالب والجليس ص٥٦، **وانظر** قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٤٧.

الأول: لماذا تتشبثون بولاية هؤلاء المخلوقين وتنسون أن الله تعالى طلب منكم أنتم أن تكونوا أولياء له، وذلك بالتقوى والعمل الصالح، كما قال تعالى: **﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**[1]، وإذا كان المرء وليا لله لم يحتج إلى غيره من الوسائط، وإن كانوا أعظم منه ولاية وأكثر كرامة وأعلى درجة.

الثاني: إن لم يكن المرء وليا لله مطيعا لم تنفعه وساطة أولياء الله تعالى؛ لأنهم يتبرءون منه حينئذ ويكرهونه موالاة لله، ولا يعقل أن يتوسط أحباب الله عند الله لأعداء الله، فإن توسطوا لهم كانوا أعداء لله مثلهم، وطردوا، وكيف يتوسطون لمن يدعوهم من دون الله فيحولوا بينه وبين مناجاته لربه، وتذلله له، والأولياء لم يكونوا أولياء إلا بحبهم ما يحب الله وبغضهم ما يبغض الله تعال، والله يبغض من يدعو سواه، ويحب المتجهين إليه في الدعاء والملحين في السؤال.

الثالث: أنه لا يلزم من أن لأولياء الله تعالى جاها عند الله ومحبة وزلفى **أن** يدعوا من دون الله ويترك وهو الحي القيوم الرحمن الرحيم الذي يجيب الداعين ويعطي السائلين ولو جاز هذا التوسل لما أهمله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ولعلمه للصحابة رضوان الله عليهم لكن الذي بعث به صلى الله عليه وسلم هو إفراد الله تعالى بالعبادة، وإخلاص التوحيد له، وهذا الإخلاص لا يتم إلا بهدم هذه الواسطة الخاطئة والشفاعة الباطلة، وهل كان شرك الجاهلية إلا التقرب بالأولياء وتوسيطهم ودعاؤهم في الرخاء من دون الله بدعوى التقرب بهم إلى الله تعالى كما قال جل شأنه: **﴿فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾**[2].

الرابع: أن الله تعالى أنكر في آيات كثيرة اتخاذ الأولياء، والشفعاء واسطة من دونه فقال: **﴿أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحي الموتى وهو على كل**

---

(١) سورة يونس الآيتان (٦٢-٦٣).

(٢) سورة الزمر الآيتان (٢-٣).

شيء قدير﴾[1]. وقال تعالى:**﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون﴾**[2]. وقال تعالى أيضا:**﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل﴾**[3].

الخامس: أن الأولياء وإن كانوا أحياء عند ربهم فإنهم قد ماتوا عندنا وانقعطت صلتهم بالدنيا ورفع عنهم التكليف ولا يصح خطابهم بما كانوا يخاطبون به في الدنيا.

السادس: يقال لمن يعتقد وساطة الأولياء والصالحين في الدعاء من دون الله باسم التوسل والتقرب والتشفع أذلك مشروع أم غير مشروع؟ فإن كان مشروعا يثاب عليه الفاعل ويعاقب عليه التارك فهاتوا أدلتكم ولن تستطيعوا وبرهانكم إن كنتم صادقين! وإن كان غير مشروع فلماذا العناد بالباطل؟

السابع: أننا نطالب الذين يدعون الوسائط من دون الله بآيات صريحة من الكتاب وأحاديث صحيحة من السنة ولا قبل لهم بذلك، أما أهل السنة والجماعة فيقولون: قال الله تعالى:**﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير﴾**[4]. ويقولون أيضا قال الله تعالى:**﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾**[5] إلى غير ذلك من الآيات الصريحات.

الثامن: أن من علامات المشركين النفرة من الحق عند سماعه كما حكى الله عنهم في محكم التنزيل في قوله تعالى:**﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون**

(١) سورة الشورى الآية ٩.

(٢) سورة الزمر الآيتان (٤٣-٤٤).

(٣) سورة الشورى الآية ٦.

(٤) سورة الحج الآية ٦٢.

(٥) سورة الرعد الآية ١٤.

بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾[1]. وقوله تعالى أيضا:﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب﴾[2].

وكثير ممن يدعون الإسلام من جمهور القبوريين فيهم هذه العلامة، ومن أراد أن يجرب ذلك بنفسه فليذهب إلى أحد المساجد التي فيها مشهد أو مقصورة لمقبور أو مقبورة وليقل لهم: يا قوم ادعوا الله وحده بأسمائه الحسنى وصفاته العلى فإنه قريب مجيب، ودعوا هؤلاء الموتى وأريحوهم مما تصنعون بهم، وإن رآهم رافعي أيديهم باتجاه القبر داعين متضرعين فليقل لهم: يا قوم اتقوا الله واتجهوا إلى القبلة في الدعاء، فسيناله من ألسنتهم وأيديهم ما يؤكد له تأصل هذه العقيدة في قلوبهم، وذلك مصداقا لقول الله تعالى ":﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا﴾[3].

قال الشيخ صنع الله الحلبي[4] رحمه الله في الرد على من ادعى أن للأولياء تصرفات في الحياة بعد الممات على سبيل الكرامة: (هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات وبهممهم تنكشف المهمات فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات مستدلين على أن ذلك منهم كرامات وقالوا: منهم أبدال، ونقباء، وأوتاد، ونجباء وسبعون وسبعة وأربعون وأربعة والقطب هو الغوث للناس، وعليه المدار بلا التباس.. وهذا كلام فيه تفريط وإفراط بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي لما

---

(١) سورة الزمر الآية ٤٥.

(٢) سورة ص الآية ٥.

(٣) سورة الإسراء الآية ٤٦.

(٤) هو صنع الله بن صنع الله الحلبي، المكي، الحنفي، واعظ، فقيه، محدث، من مؤلفاته ((سيف الله على من كذب على أولياء الله))، و((إكسير التقى في شرح الملتقى))، توفي سنة ١١٢٠هـ.

انظر: إيضاح المكنون للبغدادي ١/١١٥، ومعجم المؤلفين ١/٨٤٣.

فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمة الكتاب العزيز المصدق، ومخالفة لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة)[1].

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ - في الرد على قول الغلاة: إن من أقر بالكرامة لا بد أن يعترف بجواز الاستغاثة بصاحبها -:(بل البد، والسعة، واليسر في القول بأنه لا يستغاث بالمخلوق فيما يختص بالخالق ولو كان المخلوق قد ثبت له من الكرامة ما ثبت، فالكرامة فعل الله لا فعل غيره، والمستغاث هو الله لا غيره ولم يكن الصحابة يستغيثون، ويسألون من ظهرت له كرامة، أو حصلت له خارقة من الخوارق، فهذا الكلام الذي قاله الغلاة جهل مركب يليق بقائله: وكل إناء بالذي فيه ينضح)[2][3].

ثم إن خرق العادة ليس دليلا على الولاية أو الكرامة[4] فما الذي يدرينا أن صاحب هذا الخارق ولي من أولياء الله تعالى؟ ولو صحت ولايته جدلا لم تصح استغاثته بعد موته ولا وساطته؛ ولهذا كان بعض السلف يقول: كن طالبا للاستقامة لا طالبا للكرامة؛ فإن نفسك منجبلة على حب الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة[5].

ب - شبهة البركة:

وهذه الشبهة فرعها الغلاة عن الشبهة السابقة، فالأولياء، والصالحون لما اختارهم الله سبحانه وتعالى، وأيدهم بنصره وأمدهم بعونه وقربهم بالولاية، وأظهر شأنهم للناس بالكرامة، لما كانوا بهذه المنزلة -حسب زعمهم- حلت فيهم البركة، وصار

---

(١) سيف الله على من كذب على أولياء الله ص١٥.

(٢) هذا تضمين لعجز بيت وصدره (فحسبكم هذا التفاوت بيننا).

(٣) منهاج التأسيس نقلا عن غاية الأماني ٢٨٢/١.

(٤) **انظر** الشرح الميسر للفقه الأكبر للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس ص٧٧، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص٧١.

(٥) **انظر** المعجزة وكرامات الأولياء لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٤٢

قاصدهم لا يخيب، فجوزوا توسيطهم في دعاء الله تعالى وطلب المدد منهم، والاستغاثة بهم -أحياء وأمواتا- بدعوى وجود البركة فيهم، وفي أشيائهم في الدنيا، وحلولها في مراقدهم وأجداثهم بعد مماتهم، (وإنملاهى الغلاة ما ألقاه الشيطان إليهم -بكيده- أن قال: إن هؤلاء قوم صالحون، وعند الله مقربون، ولهم ما يشاءون، ولهم الجاه الأعلى، والمقام الرفيع الأسنى، فمن قصدهم لا يخيب سعيه، ولا يطيش رأيه، وإن بركتهم تدفع البليات، وتقضي الحاجات، وبشفاعتهم يتقرب زوارهم إلى الله الغفار، فتحط عنهم بشفاعتهم عند الله الأوزار إلى غير ذلك من الدلائل التي يملأ بها قلوب أهل الأماني بمثل هذه المعاني فيتلاعب بعقولهم السخيفة وآرائهم الضعيفة ويحسن لهم البدع والمنكرات بما يلقيه إليهم من الحكايات والخرافات...فتراهم يقولون: قد علقنا أولادنا عليهم ومنهم من يطلب منهم النسل إن كان عقيما، والشفاء إذا كان سقيما وكثيرا ما يطلب منهم منصبا فيه أخذ أموال العباد والسعي في الأرض بكل فساد، فيجيء إليهم ويلازمهم معتقدا أن من لازمهم قضيت حاجته ونجحت سعايته واقترنت سعادته)[1].

ثم يقال في الرد على هذه الشبهة إن التبرك: هو طلب كثرة الخير ودوامه[2](ولا أحد أحق بذلك وصفا وفعلا منه تبارك وتعالى وتفسير السلف يدور على هذين المعنيين وهما متلازمان)[3]. فطلب البركة يكون من الله تعالى وأما طلبها من غيره فغير مشروع لأن: التبرك بالأموات من الأنبياء والصالحين وغيرهم في دعائهم لقضاء الحاجات الدينية أو الدنيوية، وتفريج الكربات والاستغاثة بهم والتقرب إليهم بالذبح، أو النذر لهم، والطواف على قبورهم، فهذا ونحوه من الشرك الأكبر؛ لأنهم قد اعتقدوا فيهم ما لايجوز أن يعتقد إلا في الله فأنزلوهم منزلة الربوبية، أو صرفوا لهم

---

(١) الصواعق المرسلة الشهابية ص١٤١، **وانظر** معارج الألباب ص٢١٦.

(٢) **انظر** لسان العرب مادة (برك) والمفردات للراغب ص ٤٤ مادة (برك) وبدائع الفوائد لابن القيم٢/١٨٦.

(٣) بدائع الفوائد٢/١٨٦.

من العبادات ما لا يجوز أن يصرف إلا لله تبارك وتعالى، وهذا بسبب المبالغة في تعظيمهم والافتتان فيهم والتعلق بهم)[1]، ثم إن كون الأولياء والصالحين لهم كرامة وبركة ومنزلة عند الله تعالى فهذا حق لكنها كلمة حق أريد بها باطل، فبركة النبي أو الولي وعلو درجته معناه أن الله تعالى: يثيبه ويعطيه أكثر مما يعطيك ليس معناه أنك إذا دعوته كان الله يقضي حاجتك أعظم مما يقضيها إذا دعوت أنت الله تعالى، فإنك وإن كنت مستحقا للعقاب ورد الدعاء مثلا لما فيه من العدوان فالنبي والصالح لا يعين على ما يكره الله، ولا يسعى فيما يبغضه الله، وإن لم يكن كذلك فالله أولى بالرحمة والقبول)[2].

ومن النتائج السيئة لشبهة البركة عند الغلاة ما حكي عن الحلاج من أن أتباعه بالغوا في التبرك به حتى صاروا يتمسحون ببوله، ويتبخرون بعذرته، ووصل الأمر ذروته في العصر الحاضر حتى دعا بعض الرجال المخرفين إلى مجامعة زوجاتهم عند ضريح الولي، بدعوى نيل البركة، وأن يكون الموهوب ولدا صالحا!![3].

ج – شبهة الحكايات والمنامات:

تعد الحكايات، والمنامات مصدرا مهما من مصادر التلقي عند الصوفية، وهي دليل قوي عندهم لإثبات القضايا والاحتجاج لها[4]، وكثيرا ما يصدق العوام تلك الحكايات وتنطلي على السذج من الناس، وقد شحن الغلاة كتبهم بتلك الحكايات وتناقلوها كابرا عن كابر لإثبات جواز الاستغاثة بالأموات ومشروعية العكوف على القبور، والتعلق بأصحابها واعتبارهم واسطة شرعية بينهم وبين الله تعالى، فتجدهم يحكون أن رجلا استغاث بالولي الفلاني فأغاثه، وأن مريضا بات بقبر الشيخ فشفي

(١) التبرك أنواعه وأحكامه للدكتور ناصر الجديع ص٤٨٤، **وانظر** الشرك في القديم والحديث١/٤٧٦.

(٢) زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور لشيخ الإسلام ابن تيمة ص٢٣، **وانظر** هذه مفاهيمنا ص٢٠٨.

(٣) **انظر** التبرك أنواعه وأحكامه ص٤٧٣، ودمعة على التوحيد ص٨٥، وظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث لمحمد عبد الكريم حامد رسالة ماجستير غير منشورة ص١٨٨.

(٤) **انظر** حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد بن ناصر الغامدي٢/٨.

من مرضه وأن امرأة نادت من مسافة بعيدة القطب المجرب عندها فقضى حاجتها في الحال.

والرد على هذه الشبهة من وجوه:-

أ – أن بناء الأحكام على مثل هذه الحكايات أمر باطل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما ما يروى عن بعضهم أنه قال: قبر معروف الترياق المجرب، أو قول بعضهم: فلان يدعى عند قبره، أو قول بعض الشيوخ لمريده إذاكانت لك إلى الله حاجة فاستغث بي، أو قال: فاستغث عند قبري، ونحو ذلك فإن هذا قد وقع فيه كثير من المتأخرين وأتباعهم وكثير من هؤلاء إذا استغاث بالشيخ رأى صورته وربما قضى بعض حاجته فيظن أنه الشيخ نفسه، أوأنه ملك تصور على صورته وأن هذا من كراماته فيزداد به شركا، وفيه مغالاة، ولا يعلم أن هذا من جنس ما تفعله الشياطين بعباد الأوثان حيث تتراءى أحيانا لمن يعبدها وتخاطبهم ببعض الأمور الغائبة وتقضي لهم بعض الطلبات ولكن هذه الأمور كلها بدع محدثة في الإسلام بعد القرون الثلاثة المفضلة)[1].

ب – أن الحكايات والمنامات ليست من الأدلة الشرعية عند أهل العلم وليست من الأمور التي يعول عليها عند العقلاء، ثم إن أغلب تلك الحكايات كذب، لا يصح عمن نقلت عنه، وإنما هي من اختلاق الدجالين سدنة المعابد والقبور، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (المنقول من ذلك إما أن يكون كذبا على صاحبه...وإما أن يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف)[2].

ومعلوم أننا لا نقبل مثل هذه الحكايات المجهولة الإسناد في الحديث المرفوع إلى الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، فكيف بالمنقول عن غيره؟[3].

---

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة ٤٤٩/١، **وانظر** قاعدة جليلة ص٤٥.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٣٤٤/١، ومنهاج السنة النبوية ٤٥١/٢، وغاية الأماني ٢٧٣/٢.

(٣) **انظر** اقتضاء الصراط المستقيم ٣٤٤/١، وجلاء العينين ص٥٥٩.

ويقول العلامة ابن القيم -معددا الأمور التي أوقعت الغلاة في الافتتان بالمقبورين:- (ومنها حكايات لهم عن تلك القبور: إن فلانا استغاث بالقبر الفلاني في شدة فخلص منها، وفلانادعاه، أو دعابه في حاجة فقضيت له، وفلانا نزل به ضر فاسترجى صاحب ذلك القبر فكشف ضره وعند السدنة والمقابرية[1] من ذلك شيء يطول في ذكره، وهم من أكذب خلق ا لله تعالى على الأحياء والأموات)[2].

ج – أن تلك الحكايات التي فيها قضاء المقبورين لبعض حوائج الناس يحتمل أنها من تخييل الشيطان لهم فإنه كثيرا ما يلبس على بعض الصالحين بتخييل المنامات والكرامات لهم وقد يقضي بعض حوائج من استغاث بالأموات، وقد يتقمص بعض الشخصيات فيراه بعض الناس على هيئتها وقد تقدم نقل ذلك عن شيخ الإسلام ابن تيمية[3].

وعلى احتمال صحتها وصدورها عن أصحابها فلا يستقيم الاحتجاج بها، بل ينبغي الرد عليهم وبيان الحق في ذلك بدون محاباة كما قال ابن الجوزي رحمه ا لله[4](وإذا قد ثبت هذا من أقوال شيوخهم وقعت من بعض أشياخهم غلطات لبعدهم عن العلم فإن كان ذلك صحيحا عنهم توجه الرد عليهم بدون محاباة في الحق)[5].

د – أن مثل هذه الحكايات لو صحت عن أصحابها ولو بلغت ألف حكاية فإنها معارضة للقطعيات من الكتاب والسنة فتكون مردودة.

---

(١) في إغاثة اللهفان (المقابرة).

(٢) إغاثة اللهفان١/٢٢٠، **وانظر** تلخيص كتاب الاستغاثة٢/٤٦٨، والصواعق المرسلة الشهابية ص٢٧٤.

(٣) **انظر** ص٧٩٧

(٤) هو أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيدا لله بن عبدا لله بن حمادي القرشي التيمي البكري، البغدادي الحنبلي، الواعظ، صاحب التصانيف الكثيرة، ولد سنة ٥١٠هـ، وقيل: غير ذلك، وتوفي سنة ٥٩٧هـ. **انظر** سير أعلام النبلاء٢١/٤٦٥، وشذرات الذهب٤/٣٢٨.

(٥) تلبيس إبليس ص١٦٨.

هـ- أن قضاء الحوائج عند الاستغاثة بالمقبور ليس لأجل الاستغاثة بالمقبور؛ بل ذلك بمحض قدرة الله وإرادته فيصادف ذلك عند الاستغاثة بالمقبور فيظن المستغيث أن الواسطة المقبور هو الذي قضى حاجته، فيعد ذلك من كرامته ويجعله دليلا على صحة الاستغاثة به، وطلب المدد منه؛ لأنه واسطة مجربة في قضاء الحوائج، وله تصرفات في الكون[1].

و- أن قضاء حاجة الداعي عند القبور ليس لأجل الاستغاثة بأصحابها المقبورين؛ بل لأجل أن المستغيث بها يكون في حالة من الاضطرار والكرب فيدعو بحرقة وذلة وانكسار فيستجيب الله تعالى له ويقضي حاجته لصدق توجهه وتضرعه، واضطراره وانكساره، وذلته، فيظن الجاهل أن الواسطة المقبور هو الذي قضى حاجته[2].

ز- أن الله تعالى قد يجيب الكفار، والمشركين في أدعيتهم عند أصنامهم، لاضطرارهم وإظهار انكسارهم، فدعاء المضطرين قد يجيبه الله تعالى، ولو دعا في الخانة والخمارة، والحمام، كما يجيب من دعاه عند الأوثان، فليس للواسطة المقبور تأثير في قضاء الحاجة، وإجابة الدعوة[3].

ح - أنه قد يكون سبب كوني معقول لقضاء حوائج بعض الغلاة عند القبور، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن بعض الغلاة في عصره كان له فرس مريض بمرض الإمساك الشديد في البطن والقبض المؤلم بحيث لا يستطيع أن يتروث فإذا ذهب به إلى بعض القبور فإنه يشفى ويمشي بطنه عند القبور فسأله شيخ الإسلام ابن تيمية: هل تذهب به إلى قبر الإمام الشافعي أو غيره من العلماء الصالحين، فقال لا، بل أذهب به إلى دير للنصارى، أو قبور بعض الكفار، والعبيديين، فأخبره شيخ

---

(١) **انظر** اقتضاء الصراط المستقيم٢/٦٥٨، وسيف الله على من كذب على أولياء الله للشيخ صنع الله الحلبي ص٤٧.

(٢) **انظر** تلخيص كتاب الاستغاثة١/١٦٩، وإغاثة اللهفان١/٢٢٠، والدر النضيد للشوكاني ضمن الرسائل السلفية ص١٧٢، وتطهير الاعتقاد ص٧٥.

(٣) **انظر** اقتضاء الصراط المستقيم٢/٦٥٨، وإغاثة اللهفان١/٢٢٠، وغاية الأماني٢/٢٨٠.

الإسلام ابن تيمية أن سبب شفاء الفرس هو سماعه لعذاب صاحب القبر؛ لأنه يعذب في قبره، والبهائم تسمع صوته فبسبب الرعب الذي يحصل لها والفزع المصاحب لذلك تنحل بطونها فتروث وتشفى من مرضها؛ لأن الفزع يقتضي الإسهال فكان الناس يتعجبون من تعليل شيخ الإسلام ابن تيمية هذا[1].

وجملة القول في الرد على شبهات الغلاة المتعلقة بالأنبياء والأولياء جميعا، أن نقول لهم: إن سؤال المخلوق فيه ثلاث مفاسد:-

أ - مفسدة الافتقار إلى غير الله تعالى وهي نوع من الشرك.

ب - ومفسدة إيذاء المسئول وهي ظلم للواسطة.

ج -ومفسدة التذلل، والانكسار لغير الله، وهي ظلم للنفس[2].

ولقد أحسن القائل[3]:-

يا سائلاً غير إله السَّمَا ... بُشْراك بالخيبة والرَّد

إن الذي سوَّاك من نطفةٍ ... يُغنيكَ عن مسألة العبد

ولهذا ثبت في صحيح مسلم أن نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ بايعوه على أن لا يسألوا الناس شيئا، فكان يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله إياه[4]؛ من أجل ذلك قيل: (استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق، وقيل كاستغاثة

---

(١) انظر تلخيص كتاب الاستغاثة٢/٥٨٨.

(٢) انظر قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٦٦، والضوابط الشرعية لسؤال المخلوق بحث للدكتور عبد الله بن حمد نشرته مجلة البحوث الفقهية المعاصرة السنة ٧ العدد ٢٨ لعام ١٤١٦هـ.

(٣) هذان البيتان للشيخ صالح كما نقلهما عنه محمود شكري الآلوسي، انظر غاية الأماني٢/٣١٦.

(٤) انظر صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة٧/١٣٢، والتعليق عليه في تلخيص كتاب الاستغاثة١/٤٠١.

المسجون بالمسجون)[1]، ومن كلام السجاد رحمه الله[2] طلب المحتاج من المحتاج سفه في الرأي، وضلة في العقل[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة العدم بالعدم)[4].

وبين العلامة ابن القيم أن المخلوق الذي يسأل مخلوقا فقير يسأل فقيرا، وشحاذ يسأل شحاذا[5]، وسمى الشوكاني نداء الوسائط البدعية من الأموات، والاستغاثة بهم، وتقديم الذبائح، والنذور لهم عند الحاجة أن ذلك رشوة مقدمة للميت المتوسل به، والواسطة لا تحتاج إلى تلك الرشوة[6]، وشبهه الألوسي بضعيف عاذ بقرملة[7][8].

وأنا أقول: إن استغاثة الحي بالميت المقبور لقضاء حوائجه كاستغاثة حوت في قاع البحر بباز في جو السماء، هذا لا يستطيع مفارقته، وهذا لا يستطيع ملامسته، وما أحسن ما قيل[9]:-

بالله أبلغ ما أسعى وأدركه لا بي ولا بشفيع لي من الناس

---

(١) هذه المقولة لأبي يزيد البسطامي، **انظر** تلخيص كتاب الاستغاثة ٤٠١/١، وجلاء العينين ص٥٧٢، وصيانة الإنسان ص١٩٤.

(٢) هو أبو محمد علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، الإمام السيد الهاشمي السجاد، كان عالما عاملا وسيما مهيبا، ولد عام مقتل علي ﷺ، وتوفي سنة ١١٨هـ. **انظر** سير أعلام النبلاء ٢٨٤/٥، وتهذيب التهذيب ٣٥٧/٧، وشذرات الذهب ١٤٨/١.

الصحيفة السجادية ص٣٤

(٣) **انظر** جلاء العينين ص٥٧٢، وغاية الأماني ٣١١/٢.

(٤) كتاب التوحيد ص١٢٦.

(٥) **انظر** مدارج السالكين ١٣١/٢، وحاشية كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن قاسم ص١١٧، والقول الفصل النفيس ص٢٠٤.

(٦) **انظر** كتاب الدر النضيد ضمن الرسائل السلفية ص١٦٤.

(٧) القرملة: شجرة ضعيفة بلا شوك تنفضخ إذا وطئت. **انظر** القاموس المحيط ٣٧/٤ مادة (القرمل).

(٨) **انظر** جلاء العينين ص٥٦٠.

(٩) **انظر** الفوائد لابن القيم ص٤٢.

ثم إن الدعوة للتشبث بالوسائط البدعية يصادم دعوة القرآن إلى الإيمان بالأمور الغيبية، ومن ذلك: أن الله سبحانه وتعالى قريب، مجيب، يرانا، ويسمع كلامنا، ويعلم حالنا، فربنا أخبر في القرآن أنه قريب منا فندعوه ليستجيب لنا، وكذلك أدبنا رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، فإذا اتجهنا لبارئنا، ومصورنا داعين، راغبين، وأنزلنا به حوائجنا، وأظهرنا إليه فاقتنا، وعلقنا به آمالنا، وربطنا به قلوبنا حصل لنا بذلك فوائد عظيمة، منها:-

أ- امتثالنا لأوامر ربنا وتطبيقنا لشرعه عز وجل، وطاعتنا لنبيه صلى الله عليه وسلم واتباعنا لسنته.

ب - إيماننا بالغيب الذي يميز المؤمنين عن الكافرين، والمنافقين، قال تعالى:﴿**ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب**﴾[1].

ج - يقيننا بأن هذه هي الوسيلة الصحيحة والواسطة النافعة لقضاء حوائجنا، وتحقيق مطالبنا، فيبلغنا الله بذلك أمانينا، ويذهب عنا ما يعنّينا.

بعكس الذين يقولون: إنك لا بد أن تبحث عن واسطة من ذوات الأنبياء عليهم السلام، أو واسطة من شخصيات الأولياء رحمهم الله فتعلق بها قلبك، ويلهج بذكرها لسانك ليقضي الله حاجتك، فإن في هذا دعوة للتعلق بالمحسوسات، ونوع إنكار لأمور الغيبيات.

وهذا التصور الخاطئ لمفهوم الواسطة قريب من تصور الكافرين قديما وحديثا الذين رفضوا الإيمان بالله بحجة أنه لم تدركه حواسهم، والله أعلم.

---

(١) سورة البقرة الآيتان (٢-٣).

الباب الثالث: أثر الواسطة الشرعية والبدعية في العقيدة.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: أثر الواسطة الشرعية في معتقد أهل السنة والجماعة.

الفصل الثاني: أثر الواسطة البدعية في عقائد أهل الأهواء.

الفصل الأول: أثر الواسطة الشرعية في معتقد أهل السنة والجماعة.

وفيه ستة مباحث:-

المبحث الأول: نيل رضوان الله تعالى ودخول جنته.

المبحث الثاني: تحقيق التوحيد الخالص.

المبحث الثالث: الطمأنينة والثبات.

المبحث الرابع: الشعور بالعزة والقوة والنصر.

المبحث الخامس: حصول السيادة والاستخلاف في الأرض.

المبحث السادس: تحقيق الوحدة بين المسلمين.

المبحث الأول: نيل رضوان ا لله والجنة.

لما كان مفهوم الواسطة عند أهل السنة والجماعة منضبطا بالكتاب والسنة -كما هو شأنهم في جميع مسائل الاعتقاد - وقد بينا منهجهم فيما مضى -لما كان الأمر كذلك؛ فإن هذا المنهج الرباني أورثهم آثارا مباركة، وثمارا يانعة، ذاقوا حلاوتها، ودعوا الناس إلى مشاركتهم فيها ومن تلك الآثار: نيل رضوان ا لله ودخول جنته.

إن أعظم أثر للواسطة الشرعية، يفرح به المؤمن، ويزيده نشاطا، ويبعث في النفس المؤمنة الشعور بالراحة، والاطمئنان، ويزيد في الإيمان هو ذلك الوعد الذي وعد ا لله به عباده المؤمنين العاملين، ألا وهو نيل رضوانه سبحانه وتعالى، ودخول جنته، وفي سبيل هذا المطلب الغالي، والأثر النفيس شمر المشمرون، وتنافس المتنافسون، وجاهد المجاهدون.

ولقد أكد الحق سبحانه وتعالى هذا الوعد في كتابه العزيز، وذلك في كثير من آيات الذكر الحكيم[1]؛ لكننا نكتفي من ذلك بعشر آيات كريمات وهي:-

١- قوله تعالى: **﴿وعد ا لله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من ا لله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾**[2].

يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: (يخبر تعالى بما أعده للمؤمنين به والمؤمنات من الخيرات، والنعيم المقيم في: **﴿جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾** أي ماكثين فيها أبدا: **﴿ومساكن طيبة﴾** أي حسنة البناء، طيبة القرار...: **﴿ورضوان من ا لله أكبر﴾** أي رضوان ا لله عنهم أكبر وأجل، وأعظم

---

(١) **انظر** صفة الجنة في القرآن الكريم لعبد الحليم السلفي رسالة ماجستير غير منشورة ص٢١، فقد سرد المؤلف جميع الآيات التي ورد فيها دخول المؤمنين الجنة.

(٢) سورة التوبة الآية ٧٢.

مماهم فيه من النعيم)[1]. وإنما كان رضوان الله أكبر عند المؤمنين؛ (لأنه مبدأ لحلول دار الإقامة، ووصول كل سعادة، وكرامة، وهو غاية أرب المحبين، ومنتهى أمنية الراغبين)[2].

٢- وقال تعالى:﴿ **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم**﴾[3].

٣- وقال تعالى:﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه**﴾[4].

يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية عند قول الله تعالى:﴿**رضي الله عنهم ورضوا عنه**﴾: (ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم:﴿**ورضوا عنه**﴾ فيما منحهم من الفضل العظيم)[5].

٤- وقال تعالى:﴿**وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون**﴾[6].

---

(١) تفسير ابن كثير٢/٣٨٣، **وانظر** تفسير الطبري٦/٤١٥.

(٢) تفسير الألوسي١٠/١٣٧، **وانظر** تفسير السعدي٣/١٢٥.

(٣) سورة التوبة الآيات (٢٠-٢١ -٢٢).

(٤) سورة البينة الآيتان (٧-٨).

(٥) تفسير ابن كثير٤/٥٧٥.

(٦) سورة البقرة الآية ٢٥.

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي -عند تفسير هذه الآية -: (ففي هذه الآية الكريمة ذكر المبشِّر، والمبشَّر، والمبشر به، والسبب الموصل لهذه البشارة، فالمبشر هو الرسول ﷺ، ومن قام مقامه من أمته، والمبشر هم المؤمنون العاملون الصالحات، والمبشر به هي الجنات الموصوفات بتلك الصفات، والسبب الموصل لذلك هو الإيمان، والعمل الصالح، فلا سبيل إلى الوصول إلى هذه البشارة إلا بهما، وهذا أعظم بشارة حاصلة على يد أفضل الخلق بأفضل الأسباب)[1].

٥- وقال تعالى:**﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾**[2].

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي -في تفسير هذه الآية مبينا المراد بالذين آمنوا وعملوا الصالحات -(أي جمعوا بين الإيمان، والقيام بموجبه، ومقتضاه، من الأعمال الصالحة، المشتملة على أعمال القلوب، وأعمال الجوارح على وجه الإخلاص، والمتابعة:**﴿يهديهم ربهم بإيمانهم﴾** أي بسبب ما معهم من الإيمان يثيبهم الله أعظم الثواب، وهو الهداية، فيعلمهم ما ينفعهم ويمن عليهم بالأعمال الناشئة عن الهداية، ويهديهم للنظر في آياته، ويهديهم في هذه الدار إلى الصراط المستقيم، وفي دار الجزاء إلى الصراط الموصل إلى جنات النعيم؛ ولهذا قال:**﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾** الجارية على الدوام:**﴿في جنات النعيم﴾** أضافها الله إلى النعيم لاشتمالها على النعيم التام، نعيم القلب بالفرح، والسرور، والبهجة، والحبور، ورؤية الرحمن، وسماع كلامه،

---

(١) تفسير السعدي١/٢٩.

(٢) سورة يونس الآيتان (٩ - ١٠).

والاغتباط برضاه، وقربه، ولقاء الأحبة، والإخوان، والتمتع بالاجتماع بهم، وسماع الأصوات المطربات، والنغمات المشجيات، والمناظر المفرحات)[1].

٦- وقال تعالى: ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين**﴾[2].

٧- وقال تعالى: ﴿**سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا با لله ورسله ذلك فضل ا لله يؤتيه من يشاء وا لله ذو الفضل العظيم**﴾[3].

٨- وقال تعالى: ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد ا لله حقا ومن أصدق من ا لله قيلا**﴾[4].

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي -في تفسير هذه الآية-: (أي آمنوا با لله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، على الوجه الذي أمروا به علما وتصديقا، وإقرارا: ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ الناشئة عن الإيمان...ولهذا ذكر الثواب المرتب على ذلك بقوله: ﴿**سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾ فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر من أنواع المآكل، والمشارب اللذيذة، والمناظر العجيبة، والأزواج الحسنة، والقصور، والغرف المزخرفة، والأشجار المتدلية، والفواكه المستغربة، والأصوات الشجية، والنعم السابغة...وأعلى من ذلك، وأجل رضوان ا لله عليهم، وتمتع الأرواح بقربه، والعيون برؤيته، والأسماع

(١) تفسير السعدي٣/١٥٤.

(٢) سورة العنكبوت الآية ٥٨.

(٣) سورة الحديد الآية ٢١.

(٤) سورة النساء الآية ١٢٢.

بخطابه الذي ينسيهم كل نعيم، وسرور، ولولا الثبات من الله لهم لطاروا، وماتوا من الفرح، والحبور، فلله ما أحلى ذلك النعيم، وما أعلى ما أنالهم الرب الكريم)[1].

ويقول العلامة ابن القيم -في وصف الجنة[2]-:

هي جنة طابت وطاب نعيمها — فنعيمها باق وليس بفان

دار السلام وجنة المأوى ومنـ — ـزل عسكر الإيمان والقرآن

فالدار دار سلامة وخطابهم — فيها سلام واسم ذي الغفران

٩- وقال تعالى:﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا**﴾[3]. وأي ضيافة أجل، وأعظم من ضيافة الرب الكريم، في جنات النعيم؟ وقد نالها هؤلاء الضيوف بسبب تحقيقهم للتوحيد، وتكميلهم للإيمان، وتعلق قلوبهم بالكريم الرحمن[4].

١٠- ولما ذكر تعالى أصناف أهل الجنة في سورة الفرقان ذكر من ضمنهم:﴿**والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون**﴾[5]. ثم أخبر جل شأنه عن الجميع بقوله:﴿**أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما**﴾[6].

وثبت في السنة المطهرة الوعد بحصول هذا الأثر، وهو نيل رضوان الله تعالى، ودخول الجنة للمؤمنين الموحدين بسبب إيمانهم بالله تعالى، ونفيهم للوسائل

---

(١) تفسير السعدي٢/٨٢.

(٢) **انظر** متن القصيدة النونية ص٣٠٩.

(٣) سورة الكهف الآيتان (١٠٧- ١٠٨).

(٤) **انظر** تفسير السعدي٥/٤٢.

(٥) الآية ٦٨.

(٦) سورة الفرقان الآيتان (٧٥- ٧٦).

الشركية، والوسائط البدعية، وذلك في أحاديث عديدة، نكتفي بذكر ثلاثة منها، وهي:-

١- ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (من آمن با لله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان فإن حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله، أو حبس في أرضه التي ولد فيها)[(١)].

٢- وثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا)[(٢)].

٣- وروى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: (يا أباسعيد من رضي با لله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا وجبت له الجنة)[(٣)].

فنحن نرى في هذه الأحاديث أن شرط دخول الجنة هو الإيمان، وفي بعضها الإسلام، ونفهم من ذلك أن المراد بهذا الإيمان، والإسلام هو الإيمان الجازم بأن الله

---

(١) **انظر** صحيح البخاري مع الفتح كتاب الجهاد والسير باب درجات المجاهدين في سبيل الله ١١/٦ حديث ٢٧٩.

(٢) **انظر** صحيح البخاري مع الفتح كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار ٤١٤/١١ حديث ٦٥٤٩، وصحيح مسلم بشرح النووي كتاب صفة الجنة ونعيمها باب إحلال الرضوان على أهل الجنة ١٦٨/١٧.

(٣) **انظر** صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإمارة باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في سبيل الله ٢٨/١٣.

تعالى هو الذي يستحق أن تصرف له جميع أنواع العبادات القلبية، والمعنوية، والحسية، والكفر بما يعبد من دون الله من الطواغيت، والوسائط، وتعليق القلوب ببارئها، وإنزال الحوائج، وقضاء الحاجات بالغني الكريم، وقطع النظر عما سواه من المخلوقات كائنا من كان.

وهذا الأثر وهو هداية المؤمنين إلى الجنة هو أخص أنواع الهداية التي يطلبها المؤمنون من ربهم، بل هو غاية الهداية، كما مر معنا في مبحث أنواع الهداية، وبيان ما للرسول ﷺ منها[1].

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعلنا من عباده المخلصين، ويهدينا صراطه المستقيم، ويثبتنا عليه في الحياة الدنيا، وفي الآخرة، وأن يجعلنا ممن يحل عليه رضوانه الأكبر في هذه الحياة، وبعد الممات في تلك الغرفات، إنه ولي ذلك والقادر عليه....

---

(١) انظر ص٣٢٦.

المبحث الثاني: تحقيق التوحيد الخالص.

يأمر أهل السنة والجماعة بالتعلق بالله سبحانه وتعالى والاطراح بين يديه وينفون أن يكون بين العبد، وربه واسطة في حال الدعاء، والتضرع، والرجاء، هذا هو سبيل الإخلاص الذي جاء به الإسلام؛ لأن الإخلاص هو (قصد المعبود وحده بالتعبد)[1]، وهو من أهم الخصائص التي يقوم عليها منهج السلف في الاعتقاد[2]؛ ولأن (العمل لأجل الناس وابتغاء الجاه، والمنزلة عندهم ورجائهم للضر والنفع منهم لا يكون من عارف بهم ألبتة؛ بل من جاهل بشأنهم، وجاهل بربه، فمن عرف الناس أنزلهم منازلهم، ومن عرف الله أخلص له أعماله، وأقواله، وعطاءه، ومنعه، وحبه، وبغضه، ولا يعامل أحد الخلق دون الله إلا بجهله بالله، وجهله بالخلق، وإلا فإذا عرف الله وعرف الناس آثر معاملة الله على معاملتهم)[3].

فالإخلاص لله تعالى في جميع العبادات هو أساس الدين، وقوامه، وروح العبادة الذي ينبض فإذا خدش هذا الإخلاص، أو فقد حبط العامل، والعمل[4]. قال تعالى:﴿**وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا**﴾[5]، وقد تقدم معنا بيان الشرطين العظيمين لقبول العمل، وهما:-

أ - الإخلاص لله تعالى، وقصده بذلك العمل.

ب - التقيد بالسنة، ومتابعة الرسول ﷺ في ذلك العمل[6].

---

(١) مدارج السالكين ١/٥٢٧.

(٢) **انظر** تعريف الخلف بمنهج السلف ص٧٧، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لعثمان بن علي حسن ٢/٧٣٠.

(٣) مدارج السالكين ١/٨٣، **وانظر** تجريد التوحيد للمقريزي ص٤٢.

(٤) **انظر** العقيدة الإسلامية وأثرها في بناء المجتمع لعزام سلهب رسالة ماجستير غير منشورة ص١٧٠.

(٥) سورة الفرقان الآية ٢٣.

(٦) **انظر** ص٢١٣ من هذه الرسالة.

قال تعالى:﴿ألا لله الدين الخالص﴾[1]، وقال أيضا:﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾[2]، وقال تعالى:﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾[3]، ونظائر هذه الآيات في القرآن كثير، فالتعلق بالله سبحانه وتعالى، والإذعان لربوبيته، والترقي في منازل العبودية يورث التوحيد الخالص، والإيمان الجازم، فلا واسطة بين المخلوق، والخالق في العبادة؛ لأن هذه العبادة الشرعية بحد ذاتها عمل صالح، وواسطة مقبولة بنفسها[4]، فلا ينبغي أن يقصد بها مخلوق، ولا أن تدخلها واسطة من الوسائط سواء كان ملكا مقربا، أو نبيا مرسلا، أو إماما من الأئمة، أو وليا من الأولياء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فليس في الكائنات ما يسكن العبد إليه، ويطمئن به، ويتنعم بالتوجه إليه إلا الله سبحانه، ومن عبد غير الله وإن أحبه وحصل به مودة في الحياة الدنيا، ونوع من اللذة فهو مفسدة لصاحبه أعظم من مفسدة التذاذ أكل الطعام المسموم..الوجه الثالث: أن المخلوق ليس عنده للعبد نفع، ولا ضر، ولا عطاء، ولا منع، ولا هدى، ولا ضلال، ولا نصر، ولا خذلان، ولا خفض، ولا رفع، ولا عز، ولا ذل؛ بل ربه هو الذي خلقه، ورزقه، وَبَصَّره، وهداه، وأسبغ عليه نعمه، فإذا مسه الله بضر فلا يكشفه عنه غيره، وإذا أصابه بنعمة لم يرفعها عنه سواه، وأما العبد فلا ينفعه، ولا يضره إلا بإذن الله، وهذا الوجه أظهر للعامة من الأول؛ ولهذا خوطبوا به في القرآن أكثر من الأول.....فهذا الوجه يقتضي التوكل على الله،

---

(١) سورة الزمر الآية ٣.

(٢) سورة البينة الآية ٥.

(٣) سورة الأنعام الآية ١٦٣.

(٤) راجع المبحث السابق (وجه كون العبادة واسطة) ص٤٠٤

والاستعانة به، ودعاءه، ومسألته دون ما سواه... فإذا لم تكن القلوب مخلصة لله الدين عبدت غيره من الآلهة التي يعبدها أكثر الناس مما رضوه لأنفسهم فأشركت بالله بعبادة غيره، واستعانته، فتعبد غيره، وتستعين به لجهلها بسعادتها التي تنالها بعبادة خالقها، والاستعانة به، فالعبادة له تستغني عن معبود آخر، وبالاستعانة به تستغني عن الاستعانة بالخلق)[1].

وذكر العلامة ابن القيم أن هناك تجريدان، لا بد منهما لتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ﷺ وهما: أن تسقط الوسائط، والوسائل بينك وبين الله تعالى، ولا تثبت وساطة إلا في وصول أمره، ونهيه، ورسالته إليك، كما تسقط الوسائط بينك وبين الرسول ﷺ في الطاعة، والاتباع، ثم قال: (وهذان التجريدان هما حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، والله وحده هو المعبود المألوه الذي لا يستحق العبادة سواه، ورسوله المطاع، المتبع المهتدى به الذي لا يستحق الطاعة سواه، ومن سواه فإنما يطاع إذا أمر الرسول بطاعته، فيطاع تبعا للأصل، وبالجملة فالطريق مسدودة إلا على من اقتفى آثار الرسول ﷺ واقتدى به في ظاهره وباطنه)[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والمقصود هنا أن الشيء إذا انقسم، ووقعت فيه الشركة نقص ما يحصل لكل واحد؛ فإذا كان جميعه لواحد كان أكمل؛ فلهذا كان حب المؤمنين الموحدين المخلصين لله أكمل، وكذلك سائر ما نهوا عنه من كبائر الإثم، والفواحش يوجب كمال الأمور الوجودية في عبادتهم، وطاعتهم، ومعرفتهم، وذلك من زكاهم؛ كما أن الزرع كلما نقي عنه الدغل[3] كان أزكى له، وأكمل

---

(١) مجموع الفتاوى١/٢٤ وما بعدها (بتصرف).

(٢) مدارج السالكين١/١٤٤.

(٣) الدغل بفتحتين: الفساد. انظر مختار الصحاح ص٢٠٦ مادة (د غ ل).

لصفات الكمال الوجودية فيه، وأصل الزكاة التوحيد، والإخلاص كما فسرها بذلك أكابر السلف)[1].

وليس للعبد حظ أشرف، ولا أنفع من أن يكون الله وحده إلهه، ومعبوده، ومحبوبه، ومراده، فهذا هو الحظ الأوفر، والسعادة العظمى، وليس فوق هذا كمال فيطلبه العبد[2].

إن من يعبد إلها واحدا لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فيتعامل معه، ويدين له في الاعتقاد، والشعور تجده مجتمعا لا يتشتت، ويتوزع في اعتقاده بآلهة متعددة، أو أفعال متضاربة، وأوامر متناقضة لا تراعي فطرته، وما يناسب طاقته؛ بل إن الموحد يتعامل مع إله واحد في العبادة، والاتجاه، والتشريع، ونظام الحياة كل ذلك يتلقاه من جهة واحدة، ومن مصدر واحد، لا من مصادر شتى، أو من آلهة أخرى. قال الله تعالى:﴿**ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون**﴾[3].

وهذا التجمع واتحاد الوجهة، والقصد، والتلقي ينشئ طاقة هائلة من الشعور بالسكينة، والراحة النفسية، لا يقف في وجهها شيء، وهذا سر من أسرار العقيدة الإسلامية التي تظهر في جانب الإخلاص لله تعالى[4].

فتوحيد الخالق، والتعلق به مفزع أعدائه، وأوليائه، فأما الأعداء فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها، كما قال تعالى:﴿**فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين**

(١) مجموع الفتاوى١٧/١٤٥.

(٢) انظر طريق الهجرتين ص٢٢٣.

(٣) سورة الزمر الآية ٢٩.

(٤) انظر العقيدة الإسلامية وأثرها في بناء المجتمع ص٢٦٩.

فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾[1]، وأما الأولياء فينجيهم من نكبات الدنيا وشدائد الآخرة؛ (ولذلك فزع إليه يونس فنجاه الله من تلك الظلمات، وفزع إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عذب به المشركون في الدنيا، وما أعدلهم في الآخرة...فما دفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد؛ ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه بالتوحيد، فلا يلقي في الكرب العظام إلا الشرك، ولا ينجي منها إلا التوحيد، فهو مفزع الخليقة، وملجأها، وحصنها، وغياثها)[2].

وهذا الأثر الناتج عن التوجه إلى الله تعالى، والتعلق به، وقطع النظر عما سواه من الوسائط البدعية هو من مقتضيات العبودية لله سبحانه وتعالى، وإخلاص العبادة له عز وجل، وذلك بأن يكون العبد عارفا بربه، (مخلصا له جميع عباداته، محققا ذلك بترك الشرك، صغيره وكبيره، وباتباع النبي ﷺ ظاهرا وباطنا، والبراءة من كل بدعة وضلالة)[3].

يقول العلامة ابن القيم: (وما نجا من شَرَك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله، وعادى المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلى الله، واتخذ الله وحده وليه، وإلهه، ومعبوده، فجرد حبه لله، وخوفه لله، ورجاءه لله، وذله لله، وتوكله على الله، واستعانته بالله، والتجاءه إلى الله، واستغاثته بالله، وأخلص قصده لله، متبعا لأمره، متطلبا لمرضاته، إذا سأل سأل الله، وإذا استعان استعان بالله، وإذا عمل عمل لله، فهو لله، وبالله، ومع الله)[4].

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٦٥.

(٢) الفوائد لابن القيم ص٥٨.

(٣) القواعد الحسان للسعدي ص١٩٢.

(٤) مدارج السالكين ٤٤٦/١.

فالاعتماد على الله سبحانه وتعالى عند فعل الأسباب وترك الاعتماد على الأسباب من ثمرات الإيمان بالله تعالى التي تتحقق بإثبات الواسطة الشرعية، ونفي الوسائط البدعية، كما هو منهج أهل السنة والجماعة[1].

ولقد قطع الله جل شأنه كل الذرائع، والأسباب، والوسائل، والوسائط التي يتعلق بها المشركون قديما وحديثا، والتي تفوت تحقيق هذا الأثر المبارك، وذلك في قوله تعالى:﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**﴾[2].

يقول العلامة ابن القيم: (فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع: إما مالك لما يريده عابده منه، فإن لم يكن مالكا كان شريكا للمالك، فإن لم يكن شريكا له كان معينا له، وظهيرا، فإن لم يكن معينا، ولا ظهيرا كان شفيعا عنده، فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيا مترتبا متنقلا من الأعلى إلى ما دونه، فنفى الملك، والشركة، والمظاهرة، والشفاعة التي يظنها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة؛ بإذنه، فكفى بهذه الآية نورا، وبرهانا، ونجاة، وتجريدا للتوحيد، وقطعا لأصول الشرك، ومواده لمن عقلها، والقرآن مملوء من أمثالها، ونظائرها)[3].

---

(١) **انظر** مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين٥/١٤٢، والصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين له أيضا١/٦٦.

(٢) سورة سبأ الآيتان (٢٢- ٢٣).

(٣) مدارج السالكين١/٣٤٣، وذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن الله قطع بهاتين الآيتين عروق الشرك من القلب. **انظر** عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية لشيخنا معالي الدكتور صالح العبود ص٣٧٤، وحاشية كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن قاسم ص١٣٦، وتفسير السعدي٦/١٣٥.

فإثبات ما ورد في الشرع من الواسطة الشرعية، ونفي ما عداها من الوسائط البدعية التي يتشبث بها أهل الأهواء يورث الإيمان با لله وحده، وإخلاص الدين له، وقطع النظر عما سواه، وهذا الأثر هو روح الدين، وأساس الإيمان، والهدف الأسمى للعقيدة الإسلامية؛ بل هو الدين كله[1] (فمتى آمن العبد بأنه أثر للباري الأعظم كان بينه وبين خالقه ما بين الصانع، والمصنوع من الصلة، وكان بينه وبين المصنوعات جميعا ما بين الآثار المتعددة للمنشيء الواحد، وكان هذا الارتباط المعترف به اعتراف إيمان بين الخلق والخالق رباطا لا ينفصم، يستمر به العمران، والإصلاح، والخير على وتيرة واحدة، مصدرها الإذعان لإرادة واحدة، وكان بذلك وجودنا جميعا في هذا الكون، متصل المبدأ، متحد الغاية)[2].

و لله در شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله –من نظمه–[3]:-

لا أستطيع لنفسي جلب منفعة	ولا عن النفس لي دفع المضرات
وليس لي دونه مولى يدبرني	ولا شفيعٌ إذا حاطتْ خطيئاتي
إلا بإذن من الرحمن خالقنا	إلى الشفيع كما قد جاءفي الآيات
ولستُ أملك شيئا دونه أبدا	ولا شريك أنا في بعض ذرات
ولا ظهيرٌ له كي يستعين به	كما يكون لأرباب الولايات
والفقر لي وصف ذات لازم أبدا	كما الغنى أبدا وصف له ذاتي
وهذه الحال حال الخلق أجمعهم	وكلهم عنده عبد له آتي
فمن بغى مطلباً من غير خالقه	فهو الجهول الظَّلُوم المشرك العاتي

---

(١) انظر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ص٣٥٠، وغاية الأماني١/٢٠.

(٢) الرسالة الخالدة لعبد الوهاب عزام ص٢٦.

(٣) نقل عنه هذه الأبيات ابن القيم. انظر مدارج السالكين١/٥٢٥.

واعلم أن من ذاق حلاوة هذا الأثر لم تضره مرارة أي مأساة؛ لأنه استغنى بالخالق عن المخلوق، واكتفى بالغني النافع من كل وجه عن اللجوء إلى الفقير المحتاج في كل شأن، وهذا هو لباب التوحيد؛ كما قال المقريزي: (ولباب التوحيد أن يرى الأمور كلها لله تعالى، ثم يقطع الالتفات إلى الوسائط، وأن يعبده سبحانه عبادة يفرده بها، ولا يعبد غيره)[1]. والله تعال أعلم.

(١) تجريد التوحيد المفيد ص٧.

المبحث الثالث: الطمأنينة والثبات.

تنير عقيدة التوحيد السبيل أمام المؤمن، وتغرس في قلبه نشوة، تنبعث منها السعادة؛ لأنها تربطه بخالقه، صاحب الكمال المطلق، والقدرة التامة، فيعيش في كنف الله آمنا مطمئنا، يحدوه شعور نفسي يغمره بالفرحة؛ لأنه في كلاءة ربه، ومن كان مع الله كان الله معه.

يقول العلامة ابن القيم: (ومن علامات صحة القلب أنه لا يزال يضرب على صاحبه حتى ينيب إلى الله، ويخبت إليه، ويتعلق به تعلق المحب المضطر إلى محبوبه الذي لا حياة له، ولا فلاح، ولا نعيم، ولا سرور إلا برضاه، وقربه، والأنس به، فبه يطمئن، وإليه يسكن، وإليه يأوي، وبه يفرح، وعليه يتوكل، وبه يثق، وإياه يرجو، وله يخاف، فذكره قوته، وغذاؤه، ومحبته، والشوق إليه حياته، ونعيمه، ولذته، وسروره، والالتفات إلى غيره، والتعلق بسواه داؤه، والرجوع إليه دواؤه، فإذا حصل له ربه سكن إليه، واطمأن به، وزال ذلك الاضطراب، والقلق، وانسدت تلك الفاقة؛ فإن في القلب فاقة لا يسدها شيء سوى الله تعالى أبدا، وفيه شعث لا يلمه غير الإقبال عليه، وفيه مرض لا يشفيه غير الإخلاص له، وعبادته وحده، فهو دائما يضرب على صاحبه حتى يسكن، ويطمئن إلى إلهه، ومعبوده، فحينئذ يباشر روح الحياة، ويذوق طعمها... وبالجملة فالقلب الصحيح هو الذي همه كله في الله، وحبه كله له، وقصده له.... وطمأنينته، وسكونه إليه، فهو كلما وجد من نفسه التفاتا إلى غيره تلا عليها: **﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾**[1]... فينطرح بمجموعه بين يديه، ويعتمد بكليته عليه)[2].

---

(١) سورة الفجر الآيتان (٢٧ – ٢٨).

(٢) إغاثة اللهفان ١/٨٠، **وانظر** الجواب الكافي ص٢٧٢.

فالراحة النفسية، والطمأنينة القلبية التي يشعر بها المؤمن الموحد لا توازيها لذة في الوجود؛ لأنه علق قلبه بخالقه، وأنزل به حوائجه، وعلم أن لا قاضي للحاجات إلا الله، ولا محقق للأمنيات إلا إياه، وحرر قلبه من قيد الالتجاء إلى الواسطة، واكتفى بعبادة المعبود عن التعلق بغيره من الكائنات في الوجود، موقنا أن هذا هو عين الواسطة، فقلب هذا الموحد يرقص فرحا أبدا، ونفسه مطمئنة، مسرورة سرمدا، (فليس عند القلوب السليمة، والأرواح الطيبة، والعقول الزاكية أحلى، ولا ألذ، ولا أطيب، ولا أسر، ولا أنعم من محبة الله، والأنس به، والشوق إلى لقائه، والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة، والنعيم الذي يحصل له بذلك أتم من كل نعيم، واللذة التي تناله أعلى من كل لذة؛ كما أخبر بعض الواجدين عن حاله بقوله: إنه ليمر بالقلب أوقات، أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب، وقال آخر: إنه ليمر بالقلب أوقات يهتز فيها طربا بأنسه بالله، وحبه له....وما من مؤمن إلا وفي قلبه محبة لله تعالى، وطمأنينة بذكره، وتنعم بمعرفته، ولذة،وسرور بذكره، وشوق إلى لقائه، وأنس بقربه، وإن لم يحس به)[1].

فطمأنينة المؤمن، وثبات قلبه بالتوحيد، هذا الشعور هو جنته في الدنيا، كما قال العلامة بن القيم: (فمحبة الله تعالى، ومعرفته، ودوام ذكره، والسكون إليه، والطمأنينة إليه، وإفراده بالحب، والخوف، والرجاء، والتوكل، والمعاملة؛ بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد، وعزماته، وإراداته هو جنة الدنيا، والنعيم الذي لا يشبهه نعيم، وهو قرة عين المحبين، وحياة العارفين)[2].

---

(١) إغاثة اللهفان٢/٥٦٧، وانظر الجواب الكافي ص ٢٩٠.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب ص٨٣.

وكيف لا يشعر بالطمأنينة، والثبات من يقرأ قول ا لله تعالى: ﴿**و لله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه ا لله إن ا لله واسع عليم**﴾[1]؟، وكيف لا يشعر بالراحة النفسية من يؤمن بقول ا لله تعالى: ﴿**وهو معكم أينما كنتم وا لله بما تعملون بصير**﴾[2]؟، بل إنه سوف يشعر بما شعر به نبي ا لله موسى -على نبينا وعليه السلام- حين قال لبني إسرائيل: ﴿**كلا إن معي ربي سيهدين**﴾[3]، وما شعر به خاتم النبيين ﷺ في الغار حين قال لصاحبه الصديق ﷺ: ﴿**لا تحزن إن ا لله معنا**﴾[4]، وإذا بحثنا عن هذا الأثر في القرآن فإننا نجد أن القرآن وضحه وضوحا كافيا، وبينه بيانا شافيا، وذلك في كثير من الآيات، كل آية يقف عندها المؤمن، تسليه تسلية، وتملأه طمأنينة، وتزيده ثباتا: ومن تلك الآيات:-

أ - قول ا لله تعالى: ﴿**ألا إن أولياء ا لله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة**﴾[5].

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسير هذه الآية: (يخبر تعالى عن أوليائه، وأحبائه، ويذكر أعمالهم، وأوصافهم، وثوابهم، فقال: ﴿**ألا إن أولياء ا لله لا خوف عليهم**﴾ فيما يستقبلونه مما أمامهم من المخاوف، والأهوال،: ﴿**ولاهم يحزنون**﴾ على ما أسلفوا؛ لأنهم لم يسلفوا إلا صالح الأعمال، وإذا كانوا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ثبت لهم الأمن، والسعادة، والخير الكثير الذي لا يعلمه إلا ا لله تعالى، ثم ذكر

---

(١) سورة البقرة الآية ١٠٥.

(٢) سورة الحديد الآية ٤.

(٣) سورة الشعراء الآية ٦٢.

(٤) سورة التوبة الآية ٤٠.

(٥) سورة يونس الآيات (٦٢ -٦٣-٦٤).

وصفهم فقال:﴿**الذين آمنوا**﴾...لذلك كانت:﴿**لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة**﴾.

والحاصل أن البشرى شاملة لكل خير، وثواب رتبه الله في الدنيا والآخرة على الإيمان والتقوى)[1].

ب – وقال تعالى:﴿**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾[2]، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي: (أي يزول قلقها، واضطرابها، وتحضرها أفراحها، ولذاتها)[3].

ج – وقال تعالى:﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾[4].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده، لا شريك له ولم يشركوا به شيئا هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة)[5].

فأهل السنة والجماعة ذاقوا حلاوة هذا الأثر بسبب إيمانهم بالله وتجريد التوحيد له، وتعلقهم به دون سواه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (والمقصود أن ما عند عوام المؤمنين، وعلمائهم أهل السنة والجماعة من المعرفة واليقين، والطمأنينة، والجزم الحق، والقول الثابت، والقطع بما هم عليه أمر لا ينازع فيه إلا من سلبه الله العقل، والدين)[6].

---

(١) تفسير السعدي٣/١٧٢، **وانظر** الجواب الكافي ص٢٩٠، وتفسير ابن كثير٢/٤٣٨.

(٢) سورة الرعد الآية ٢٨.

(٣) تفسير السعدي٤/٥٣، **وانظر** تفسير ابن كثير٢/٥٣٠.

(٤) سورة الأنعام الآية ٨٢.

(٥) تفسير ابن كثير٢/١٥٨، **وانظر** أضواء البيان٢/١٥٣.

(٦) مجموع الفتاوى٤/٤٩.

د -وقال تعالى:﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾[1].

روى الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية -عند قوله تعالى:﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ أن أبابكر الصديق ﷺ قال:(هم الذين لم يشركوا بالله شيئا، وفي رواية أخرى أنه قال: هم الذين لم يلتفتوا إلى إله غير الله جل وعلا)[2].

ولما حقق الصحابة رضي الله عنهم التوحيد أنزل الله عليهم السكينة، والطمأنينة، وثبت أقدامهم، ولهذا ثبت عنهم أنهم كانوا ينشدون أثناء حفر الخندق ويرتجزون -والنبي صلى الله عليه وسلم- يردد معهم قافية كل بيت -أبيات عبد الله بن رواحة رضي الله عنه المشهورة[3]:-

لاهُمَّ لولا أنتَ ما اهتدينا ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا
فأنزلَنْ سكينةً علينا وثبِّتِ الأقدام إن لاقينا

وقد استجاب الله دعاءهم -رضي الله عنهم- فأنزل عليهم السكينة، والطمأنينة، والثبات.

إن تعلق الموحد بربه قد منحه يقينا بأن لارب إلا الله تخافه القلوب، وترجوه وتجتنب سخطه، وتلتمس رضاه، وبهذه العقيدة الراسخة تتساقط الأرباب، والوسائط الزائفة من حياته، وتتحطم كل الأصنام المادية، والمعنوية من قلبه، فيصبح راضيا بالله وحده ربا، وعليه متوكلا، وإليه منيبا، ويطمع في فضله، ويستمد من قوته، ويعتصم

(١) سورة فصلت الآية ٣٠.

(٢) انظر تفسير ابن كثير٤/١٠٦.

(٣) انظر صحيح البخاري مع الفتح كتاب المغازي باب غزوة الخندق٧/٣٩٩ حديث ٤١٠٤، والرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ص٣٤١.

به، ويعتمد عليه، قال تعالى:﴿ومن يعتصم با لله فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾[1]؛ فأين هذا من المشرك با لله الذي تعددت أربابه، وتنوعت وسائطه، وتضاربت وجهاته، وأهدرت طاقاته؟[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فمن ذاق (حلاوة الإخلاص لله، والعبادة له، وحلاوة ذكره، ومناجاته، وفهم كتابه، وأسلم وجهه لله، وهو محسن بحيث يكون عمله صالحا، ويكون لوجه الله خالصا؛ فإنه يجد من السرور، واللذة، والفرح ما هو أعظم من الداعي المتوكل الذي نال بدعائه، وتوكله ما ينفعه من الدنيا، أو اندفع عنه ما يضره)[3].

فالمحتمي با لله، والمتعلق به آوى إلى ركن شديد، لا يحتاج إلى وسائط، ولا مقربين، فهو يمتاز عن غيره بأنه (مطمئن البال، مستريح الفكر، غير قلق على المستقبل، ولا تمزق الأوهام نفسه مهما واجهه من أخطار...هذه الطمأنينة، والثقة يفقدها غير المؤمن، ولا يعوضها الغنى والترف؛ لما نرى من كثرة حوادث الانتحار، والتمزق النفسي في أكثر الدول غنى ورفاهية)[4].

ولا شك أن من قطع طمعه في المخلوقين، من الأحياء، والميتين، وعلق قلبه برب الخلق أجمعين، موقنا بأنه لا خير إلا خيره، ولا نفع إلا نفعه، ولا شر إلا بقدره، ولا ضر يرفع إلا من جهته، لا شك أن من هذا وصفه فهو الموحد الذي أضاءت كلمة التوحيد جوانب قلبه، وسرت الطمأنينة في جنبات نفسه، فهو ثابت على الحق، لا

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠١.

(٢) **انظر** الرسالة الخالدة لعبد الوهاب عزام ص٢٩.

(٣) مجموعة الرسائل الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية٢/١٦٤، **وانظر** مجموع الفتاوى١٠/٢١٦.

(٤) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم للدكتور محمد ملكاوي ص٤١، **وانظر** العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع للدكتور محمد بيصار ص٧١، والثمرات الزكية في العقائد السلفية جمع أحمد فريد ص٢٥١.

تزعزعه عواصف الخرافة، وزوابع الأوهام التي اقتلعت قلوب المشركين، فأصبحت معلقة بالوسائل الوهمية، والوسائط البدعية، فمثل هذا الموحد كمثل الشجرة الطيبة التي ضرب الله في القرآن، فقال تعالى:﴿**ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون**﴾[1].

يقول العلامة ابن القيم (فإنه سبحانه شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل، الباسقة الفرع في السماء علواً التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل حين، وإذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقا لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة في كل وقت بحسب ثباتها في القلب، ومحبة القلب لها، وإخلاصه فيها)[2]. فلا بد في الإسلام من الاستسلام لله وحده، وترك الاستسلام لغيره من الوسائط، وهذا هو حقيقة قولنا (لا إله إلا الله)[3].

ومن أراد أن يذوق طعم هذا الأثر فسبيله واحدة، وطريقه محددة، ألا وهي تجريد التوحيد لربه تعالى الذي بيده أزِمَّة الأمور كلها، وإليه تفزع الخليقة بأجمها فيتوجه إليه بالقلب، واللسان، والروح، والوجدان، معرضا عما سواه، فيعيش آمنا، مطمئنا يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، إن أصابته سراء شكر، وإن مسته ضراء صبر، فهو شكور، صبور، وفي كلا الحالين مأجور[4].

---

(١) سورة إبراهيم الآيتان (٢٤- ٢٥).

(٢) أعلام الموقعين عن رب العالمين١/١٧٢.

(٣) **انظر** اقتضاء الصراط المستقيم٢/٨٤٦.

(٤) **انظر** توحيد الألوهية أساس الإسلام ص١٠٤، وأثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة للدكتور عبد الله الجربوع رسالة ماجستير غير منشورة ص٣١٦، وأعمال القلوب وأثرها في الإيمان لمحمد دوكوري محمد رسالة دكتوراه غير منشورة ص٢٧٩.

وهذا هو اللطف الخفي الذي عرفه العلامة ابن القيم بقوله: (هو ما يحصل للقلب عند النوازل من السكينة، والطمأنينة، وزوال القلق، والاضطراب، والجزع، فيستخذي بين يدي سيده ذليلا، مستكينا، ناظرا إليه بقلبه ساكنا إليه بروحه، وسره، قد شغله مشاهده لطفه به عن شدة ما هو فيه من الألم، وقد غيبه عن شهود ذلك معرفته بحسن اختياره له، وأنه عبد محض، يُجْرِي عليه سيده أحكامه، رضي، أو سخط؛ فإن رضي نال الرضا، وإن سخط فحظه السخط)[1].

نسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يشملنا بعطفه، ويحفظنا بحفظه، ويكلأنا برعايته، وعنايته، ويحرسنا بعينه التي لا تنام، وأن يجعلنا من الآمنين، المطمئنين في الدنيا، والآخرة.

(١) الفوائد ص١٩٥.

المبحث الرابع: الشعور بالعزة والقوة والنصر:

إن المؤمن الموحد الذي امتلأ قلبه بحب الله تعالى، وحب رسوله ﷺ ولم يبق فيه متسع لمحبة غير الله من الوسائط، والوسائل المزعومة -نجده- قد كسر كل القيود، والأغلال التي تحول بينه، وبين ربه تعالى من التذلل، والتزلف، والخضوع، والخنوع، والاستصغار، والانكسار لغير الله تعالى، فهو يشعر براحة نفسية لا يشعر بها إلا الموحدون، وعزة، وإباء لا توازيها عزة عزيز من الخلق، وقوة إيمانية تسمو به عن الخضوع، والخنوع للمخلوق، فعزته من الله، وقوته بالله، ونصره من عند الله، قال تعالى: ﴿**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد**﴾[2].

يقول العلامة ابن القيم مبينا حال هذا الموحد مع ربه: (وكلما ازداد له حبا ازداد له عبودية، وذلا، وخضوعا، ورقا له، وحرية عن رق غيره:

فأصبح حُراً عِزّةً وصِيانةً — على وجهه أنواره وضِيَاؤه)[3].

فرسالة الإسلام جاءت بتوحيد الألوهية؛ لتحرر الإنسان من رق العبودية، والخضوع لغير الله تعالى ولتغرس في قلوب المؤمنين الشعور بالعزة، والقوة، والشجاعة، وتثبت في النفوس قوة العزيمة، وسمو المقصد؛ وذلك بسبب ما تميزت به رسالة الإسلام من عقيدة التوحيد الخالص، ونبذ الوسائط التي كانت سائدة في الجاهلية، ومسيطرة على مناحي الحياة، وجميع تحركات المشركين، فتحرر المسلم الذي كتب الله هدايته بانضوائه تحت لواء الرسول ﷺ وانضمامه لحزبه، وأصبح

---

(١) سورة الحج الآية ٤٠.

(٢) سورة غافر الآية ٥١.

(٣) إغاثة اللهفان ٢/٥٦٧، **وانظر** الآداب الشرعية لابن مفلح ٣/٦١١.

عزيزا بعد ما كان ذليلا وقويا بعد ما كان ضعيفا، ومنتصرا على الخرافة بعد ما كان أسيرا لها[1].

(جاء الإسلام بعقيدة التوحيد؛ ليرفع نفوس المسلمين ويغرس في قلوبهم الشرف، والعزة، والأنفة، والحمية، وليعتق رقابهم من رق العبودية، فلا يذل صغيرهم لكبيرهم، ولا يهاب ضعيفهم قويهم، ولا يكون لذي سلطان بينهم سلطان إلا بالحق، والعدل، وقد ترك الإسلام بفضل عقيدة التوحيد ذلك الأثر الصالح في نفوس المسلمين في العصور الأولى فكانوا ذوي أنفة وإباء وغيرة)[2]، فبالتوحيد يقوى العبد، ويستغني، ويتعزز، ويحتمي، ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على رب الناس[3].

فلشهادة التوحيد آثار، ومن تلك الآثار: تحرير القلب، والنفس من الرق للمخلوقين، والخضوع، والاتباع لغير المرسلين[4]، قال تعالى:﴿**من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**﴾[5].

قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: (أي من كان يحب أن يكون عزيزا في الدنيا والآخرة فليلزم طاعة الله تعالى؛ فإنه يحصل له مقصوده؛ لأن الله تعالى مالك الدنيا والآخرة وله العزة جميعا)[6]، وكما قال تعالى في الآية الأخرى:﴿**أيبتغون**

---

(١) **انظر** رسالة الإسلام نور بدد الظلام للسيد عبد الحليم الخطيب ص٣٥١، وحرية الاعتقاد في ظل الإسلام للدكتور تيسير العمر ص١٣٧.

(٢) النظرات للمنفلوطي٢/٤٨، **وانظر** دمعة على التوحيد ص٢١٣.

(٣) **انظر** مجموع الفتاوى١/٥٥، والعقل والغيب للدكتور محمد حسن هيتو ص٤٧.

(٤) **انظر** مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين٥/١٠٣، وأثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع للدكتور عبد العال مكرم ص٧٥.

(٥) سورة فاطر الآية ١٠.

(٦) تفسير ابن كثير٣/٥٥٦، **وانظر** القواعد الحسان للسعدي ص١٧٧، وأضواء البيان٦/٤١٥.

عندهم العزة فإن العزة لله جميعا﴾[1]، وقال تعالى:**﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾**[2]، فمن ابتغى العزة من الوسائط أذله الله، قال تعالى:**﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا﴾**[3]، وكثيرا ما يقرن الله سبحانه وتعالى بين ذكر العزة، والقوة، والنصر، كما في قوله تعالى:**﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾**[4]، فنفهم من ذلك أن العزة بالله هي العزة الحقيقية، وأنها هي التي تستلزم القوة، والنصر، والغلبة[5]، فمن آمن بالله تعالى، وأيقن بعظيم قدرته، وقوته، وحكمته تعالى، وشاهد ببصره، وبصيرته مظاهر العزة، والعظمة الربانية في كل فرد من أفراد هذا الكون، واستحضر ما يمكن تصوره من آثار العزة لاسمه "العزيز"، ثم قرأ قوله تعالى:**﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾**[6].

(فحينئذ تشمخ نفسه ، وتعلو على كل أسباب الضعف، والذل فتصبح نفسه عزيزة بالله تعالى، لا تذل لأي مخلوق، مهما كان ضعيفا فقيرا؛ فإنه دائما عزيز بالله تعالى لا يذل لغيره)[7].

وقال العلامة ابن القيم: (فالمؤمن عزيز غالب، مؤيد، منصور، مكفي عنه بالذات، ولو اجتمع عليه من بأقطارها، إذا قام بتحقيق الإيمان، وواجباته، ظاهرا وباطنا)[8].

---

(١) سورة النساء الآية ١٣٩.

(٢) سورة المنافقون الآية ٨.

(٣) سورة مريم الآيتان (٨١- ٨٢).

(٤) سورة الحج الآية ٤٠.

(٥) **انظر** صعود الأقوال ورفع الأعمال لعبد الله سراج الدين ص٣٥.

(٦) سورة المنافقون الآية ٨.

(٧) العقيدة الإسلامية الميسرة وأثرها في حياة المسلم لعبد العزيز عيداندا ص ٤٣، **وانظر** عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ص٣٨.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمة أنه وجد المسلمين في ناحيته يتعلقون بالوسائط البدعية ويلوذون بقبر رجل يقال له أبو عمر، ويأملون من الله النصر على التتار، يقول قائلهم[1]:-

يا خائفينَ من التَّتَرْ لُوذوا بقبر أبي عُمَرْ

فبين لهم شيخ الإسلام أن السبب في هزيمتهم هو تعلقهم بهؤلاء الوسائط المقبورين، والاستغاثة بهم من دون الله تعالى، وذكرهم بأن العزة، والقوة، والنصر لا يجيء بالشرك، والتعلق بالمقبور، وإنما يجيء من جهة الاستغاثة بالعزيز الغفور.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (حتى إن العدو الخارج عن شريعة الإسلام لما قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم....فقلت لهم: هؤلاء الذين تستغيثون بهم لو كانوا معكم في القتال لانهزموا كما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد.... فلما كان بعد ذلك جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدين لله عز وجل، والاستغاثة به، وأنهم لا يستغيثون إلا إياه لا يستغيثون بملك مقرب، ولا نبي مرسل... فلما أصلح الناس أمورهم، وصدقوا في الاستغاثة بربهم نصرهم على عدوهم نصرا عزيزا، و لم تهزم التتار مثل هذه الهزيمة قبل ذلك أصلا لما صح من تحقيق توحيد الله تعالى وطاعة رسوله؛ فإن الله تعالى ينصر رسوله والذين آمنوا في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد)[2].

وحينما تشع كلمة التوحيد في قلب المؤمن، وتثبت فيه ثبات الجبال الراسيات فإنه سيرفض كل مظاهر الشرك، ودواعيه، ووسائله بكل شموخ، وأنفة، فلا خضوع لغير

(٨) إغاثة اللهفان٢/٢٦٣، **وانظر** الرسالة الخالدة لعبد الوهاب عزام ص٦٣، والرسالة والرسول للدكتور أكرم العمري ص١٢.

(١) **انظر** تلخيص كتاب الاستغاثة٢/٧٣٢.

(٢) المرجع نفسه والموضع بعينه.

الله، ولا توجه لمخلوق من مخلوقات الله، وعند ما يصل العبد إلى هذه المنزلة من منازل الإيمان سوف يشعر بأن حريته في عبوديته لله تعالى، وأن تلك السجدة التي يخفض فيها جبهته بكل تذلل، وتواضع، وخضوع للعزيز الجبار هي عنوان العلو، وشارة الحرية، وسر العزة، وسبيل القوة، والنصر، كما قيل[1]:-

سجدة تخفض الجباه ولكن عز فيها مسبح وتعالى

ظنها الجاهلون غلا على العبد ولكن تحطم الأغلالا

تثبت الوجه والجوارح في الأر ض ولكن تقلقل الأجبالا

وبهذه العقيدة الراسخة، وهذه القوة المستمدة من الله جل جلاله يصرع التوحيد الشرك، وتطرح حقيقة الإيمان الخرافة أرضا، فيعيش التوحيد قويا في قلوب المؤمنين، ويتوارى الشرك عن الأنظار، وتهرب الخرافة، وهي تجر أذيال الهزيمة خوفا من سياط الحق، وأنواره الساطعة، عند ذلك يحق للموحد أن يصرخ في وجه الوسائط البدعية قائلا[2]:-

با لله أبلغ ما أسعى وأدركه لا بي ولا بشفيع لي من الناس

(١) من قصيدة لعبد الوهاب عزام. انظر: مجلة المسلمون السنة الأولى ٩٦١.

(٢) انظر الفوائد ص٤٢.

المبحث الخامس: حصول السيادة والاستخلاف في الأرض.

من آمن با لله تعالى محققا شهادة التوحيد، وصدق رسله، واتبع النور الذي جاءوا به لا شك أن هذه الفئة من الناس هي التي يحبها ا لله تعالى، ويزكيها، ويستخلفها في الأرض بسبب إيمانها، وهدايتها، قال تعالى:﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية**﴾[1].

فتحقيق التوحيد، ورفض الوسائط البدعية بين المخلوق، وخالقه من أهم الشروط لحصول السيادة، والاستخلاف في الأرض؛ لأن ا لله سبحانه وتعالى أرسل رسله، وأنزل كتبه لإخلاص العبادة لله تعالى وحده، والكفر بغيره من الوسائط، والطواغيت التي تعبد من دون ا لله، ولقد بشر رسل ا لله -عن طريق وحي ا لله- بحصول هذا الأثر للمؤمنين با لله المتبعين لرسل ا لله، وعدا من ا لله، وا لله لا يخلف الميعاد.

ولقد بين القرآن في كثير من الآيات الكريمة هذا الأثر، تسلية، وتثبيتا لأوليائه المؤمنين الموحدين، وتبكيتا، وتقريعا لأعدائه المشركين الظالمين، وتأكيدا للنتيجة الحتمية للصراع بين الحق، والباطل في أن العاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، قال تعالى:﴿**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين**﴾[2] ومن تلك الآيات:-

أ - قول ا لله تعالى:﴿**وعد ا لله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هو الفاسقون**﴾[3].

---

(١) سورة البينة الآية ٧.

(٢) سورة الأنبياء الآيتان (١٠٥-١٠٦).

(٣) سورة النور الآية ٥٥.

وهذا ما حصل لسلف هذه الأمة -رضي الله عنهم- حيث نزلت هذه الآية في غزوة الخندق، وهم بين مطرقة الخوف، وسندان الموت، وما كان بأيديهم إلا المدينة يهودها، ومنافقيها فأظهر الله أهل التوحيد، ونصر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]، واستخلفهم، ومكن لهم في الأرض، وبدل خوفهم أمنا، وقلقهم طمأنينة، وعبدوه وحده، عبادة خالصة، وأطاعوه، وأطاعوا رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

قال الإمام ابن كثير: (هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض: أي أئمة الناس، والولاة عليهم، وبهم تصلح البلاد، ويخضع لهم العباد، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، وحكما، وقد فعله تبارك وتعالى، وله الحمد، والمنة)[2].

وقد جمع الشيخ محمد الأمين الشنقيطي هذه الآية مع نظائرها، ثم قال: (والآيات تدل على أن طاعة الله، والإيمان به، والعمل الصالح سبب للقوة، والاستخلاف في الأرض، ونفوذ الكلمة)[3]. وهذا الوعد في الآية يشمل أصحاب رسول الله ﷺ وكل من آمن بالله تعالى وقام بنصرة دينه على الوجه الأكمل[4].

وهذه الوِلَايةُ الموعود بها في هذه الآية للجماعة المؤمنة بين الله مظاهرها، وأنها الاستخلاف في الأرض، والتمكين فيها، وحصول السيادة والشرف، فتكون لهم العزة، والقوة، والغلبة، ويحصل لهم الأمن بدلا من الخوف، وقد بين الله سبب

(١) **انظر** السيرة النبوية لابن هشام٣/١٦٩.

(٢) تفسير ابن كثير٣/٣١١.

(٣) أضواء البيان٦/١٦٧، **وانظر** الورثة الصالحة للحضارة المعاصرة للدكتور فاروق حمادة ص١٥.

(٤) **انظر** أضواء البيان٥/٤٨٢.

حصول هذه السيادة، والولاية ألا وهو الإيمان الصادق، والأعمال الصالحة، المذكورة في صدر الآية، ثم ذكر في آخر الآية أنه يجب أن تكون خالصة لله تعالى[1].

ب – وقال موسى في جواب قومه:﴿**قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون**﴾[2].

ج – ولما ألقي سحرة فرعون ساجدين وآمنوا با لله رب موسى وهارون توعدهم فرعون وهددهم، فلم يبالوا بوعيده وتهديده، وكان جوابهم له:﴿**قالوا إنا إلى ربنا منقلبون وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين**﴾[3]. فثبتوا على إيمانهم بـا لله تعالى، وتصديقهم بنبيه موسى -على نبينا وعليه الصلاة والسلام- وكفروا بفرعون، وربوبيته المزعومة، فكانت النتيجة:﴿**وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون**﴾[4].

د – وقال تعالى:﴿**ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ماكانوا يحذرون**﴾[5].

---

(١) **انظر** أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة ص١٥٠، والعقائد الإسلامية لسيد سابق ص٣٠٧.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٢٩.

(٣) سورة الأعراف الآيتان (١٢٥-١٢٦).

(٤) سورة الأعراف الآية ١٣٧.

(٥) سورة القصص الآيتان (٥-٦).

هـ - وذكر الله تعالى في كتابه العزيز قصة الفتية الذين آمنوا بربهم، أصحاب الكهف، وما نالوا من الرحمة، والتمكين، وتهيئة الأمور، وبين أن سبب ذلك كله توحيدهم لله تعالى، وتعلقهم به، والتبرؤ من الشرك، وهجران أهله، فقال تعالى:﴿**وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشرلكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا**﴾[1].

فتبين من هذه الآيات السابقة أن للإيمان الصادق، والطاعة التامة لله تعالى، وطاعة رسوله ﷺ ثمرات يانعة، ومن تلك الثمرات حصول السيادة، والاستخلاف في الأرض، فضلا من الله ونعمة، والله ذو الفضل العظيم، ولهذا قال النبي ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم)[2].

ولا ريب أن المقصود بهذه الطائفة هي طائفة المؤمنين الموحدين المتقين. وقال - عليه الصلاة والسلام- في الحديث الآخر: (بشر هذه الأمة بالسنا، والرفعة، والدين، والنصر، والتمكين في الأرض، فمن عمل عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب)[3].

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يمكن لنا ديننا الذي ارتضى لنا، ويحفظ لنا أمننا، وإيماننا، ويثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا، وفي الآخرة.

---

(١) سورة الكهف الآية ١٥.

(٢) سبق تخريجه، **انظر** ص٦٧ .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند٥/١٣٤، وابن حبان في صحيحه، **انظر** الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لابن بلبان٢/١٣٢، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، **انظر** المستدرك٤/٣١١، والبيهقي في شعب الإيمان٥/٣٣٥، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته١/٥٤٥ برقم٢٨٢٥.

المبحث السادس: تحقيق الوحدة بين المسلمين.

جاءت رسالات الله إلى أهل الأرض لتحقيق التوحيد، وإخلاص العبودية التامة لله تعالى، ولقد حذر المرسلون بهذه الرسالات أهل الأرض من مغبة الشرك، ومسالك الزلل، وبنيات الطريق، وأخذوا بأيديهم إلى صراط الله المستقيم، وبينوا لهم أن عبادة الله تعالى وحده، وإخلاص الدين له هو سر قوتهم، وطريق وحدتهم، وسبيل خلاصهم، قال تعالى:﴿**وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**﴾[1].

ولما كان دين الله واحدا وهو عبادة الله وحده؛ وإن تنوعت الشرائع أمر الله الرسل أن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه، قال تعالى:﴿**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه**﴾[2]. وقال تعالى:﴿**يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون**﴾[3].

ولقد عصم الله الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة إلى قيام الساعة من الأهواء، والاختلاف بسبب تجريدهم لتوحيد الله، ومتابعتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم وسيرهم على نهج سلفهم الصالح إيمانا وتصديقا، علما، وعملا، عقيدة، وسلوكا، عبادة، ومعاملة، منهجا، وأخلاقا، فاتسمت عقيدتهم بالصفاء، والنقاء من الدغل، والخلل، فامتازوا بوحدة العقيدة، والمنهج في كل زمان، ومكان؛ لذلك تجد التوافق العجيب بينهم، وإن تفرقت أبدانهم، وتباعدت ديارهم، ولعل من أهم أسباب ذلك

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٥٣.

(٢) سورة الشورى الآية ١٣.

(٣) سورة المؤمنون الآيتان (٥١- ٥٢).

هو تعلقهم بالله تعالى دون سواه من الوسائط المخلوقة، واتباعهم لرسول الله ﷺ دون الانقياد لغيره من المشرعين، والمبتدعين.

روى الإمام ابن كثير عند تفسير قول الله تعالى:﴿**ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك**﴾[1] عن قتادة أنه قال: (أهل رحمة الله أهل الجماعة، وإن تفرقت ديارهم، وأبدانهم، وأهل معصيته أهل فرقة وإن اجتمعت ديارهم، وأبدانهم)[2].

وهذا الذي قاله قتادة رحمه الله أمر مطرد، وحقيقة مشاهدة؛ فإنك لو بحثت عن أهل السنة والجماعة، (على اختلاف بلدانهم، وزمانهم،وتباعد ما بينهم من الديار، وسكون كل واحد منهم قطرا من الأقطار وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، وخط واحد، يجرون على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، لا ترى فيهم اختلافا، ولا تفرقا في شيء ما، وإن قل؛ بل لو جمعت ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء عن قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟....وكان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب، والسنة، وطريقة النقل، فأورثهم الاتفاق، والائتلاف، وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات، والآراء، فأورثهم الافتراق والاختلاف)[3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فأهل الإشراك متفرقون، وأهل الإخلاص متفقون، وقد قال تعالى:﴿**ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم**﴾[4]، فأهل الرحمة متفقون، مجتمعون، والمشركون فرقوا دينهم، وكانوا

---

(١) سورة هود الآيتان (١١٨-١١٩).

(٢) تفسير ابن كثير٤/٢٩١.

(٣) الحجة في بيان المحجة لقوام السنة٢/٢٢٦.

(٤) سورة هود الآيتان (١١٨ - ١١٩).

شيعا..... بخلاف أهل التوحيد فإنهم يعبدون الله لا يشركون به في بيوته التي أذن الله أن ترفع، ويذكر فيها اسمه....وإن حصل بينهم تنازع في شيء مما يسوغ فيه الاجتهاد لم يوجب ذلك تفرقا، ولا اختلافا، والله هو معبودهم، إياه يعبدون، وعليه يتوكلون، وله يخشون، ويرجون، وبه يستعينون، ويستغيثون، وله يدعون، ويسألون؛ فإن خرجوا إلى الصلاة في المساجد كانوا مبتغين فضلا منه، ورضوانا، كما قال تعالى في نعتهم:﴿**تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا**﴾[1]، وكذلك إذا سافروا إلى أحد المساجد الثلاثة، لا سيما المسجد الحرام الذي أمروا بالحج إليه، قال تعالى:﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا**﴾[2]، فهم يؤمون بيته ويبتغون فضلا من ربهم ورضوانا، لا يرغبون إلى غيره، ولا يرجون سواه، ولا يخافون إلا إياه)[3].

ففي خضوع المسلمين لرب واحد، وعبادتهم له وحده، وتعلقهم به دون من سواه من الوسائط، والأرباب، والإخلاص في ذلك مع الانقياد لأوامر الشرع، والطاعة التامة للرسول ﷺ هذا الأصل من أقوى الروابط في جمع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم[4]. قال الله تعالى:﴿**فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا**

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٩.

(٢) سورة المائدة الآية ٢.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم٢/٨٤٩، **وانظر** مجموع الفتاوى٤/٥٢.

(٤) **انظر** وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق للدكتور جمال بادي ص٦، وحكم الانتماء إلى الفرق للشيخ بكر أبي زيد ص١٢٤.

شيعا كل حزب بما لديهم فرحون﴾[1]. ففي هذه الآيات الكريمات بيان سبيل الوحدة بين المسلمين، وهي تحقيق التوحيد الخالص والإنابة إلى الله تعالى، وتعلق القلوب به دون غيره من الطواغيت، والوسائط، وأداء شعائر الله، والبراءة من الشرك، ووسائله، وسد الطرق المؤدية إليه، وهجران أهله.

وقال تعالى: **﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾**[2]، وقال تعالى في الآية الأخرى: **﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾**[3]، وقال تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾**[4].

فمجتمع العقيدة مجتمع متماسك، مترابط، يشد أفراده على أيدي بعضهم البعض كأنهم بنيان مرصوص، وآمالهم، وآلامهم واحدة، واتجاهاتهم كلها واحدة؛ لأنها نابعة من عقيدتهم، وإيمانهم بالله تعالى وحده، ليحققوا العدل، والمحبة، والأخوة الإيمانية، وليعيش كل فرد في هذا المجتمع آمنا على دينه، وروحه، وعقله، وماله، وعرضه[5]، ولن تنقشع عن الإنسانية غيوم البلاء، وويلات الحروب، وظلام الفرقة التي نشاهدها بين الأمم، والطبقات ما لم تهب عليهم رياح العقيدة الصافية، وتملأ كلمة التوحيد قلوب الناس[6].

---

(١) سورة الروم الآيات (٣٠-٣١-٣٢).

(٢) سورة الأنبياء الآية ٩٢.

(٣) سورة المؤمنون الآية ٥٢.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٠٣.

(٥) **انظر** عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ص٤٧، وتعريف الخلف بمنهج السلف ص٤١٩.

(٦) **انظر** الرسالة الخالدة ص٣٩، والوحدة الإسلامية والأخوة الدينية لمحمد رشيد رضا ص١٣٧.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وهذا الأصل العظيم، وهو الاعتصام بحبل الله جميعا، وأن لا يتفرقوا هو من أعظم أصول الإسلام، ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه، ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب، وغيرهم، ومما عظمت به وصية النبي ﷺ في مواطن عامة، وخاصة)[1].

ولا ريب أن الأساس الذي يقوم عليه بناء وحدة الأمة وتماسكها، وهو الركن العظيم، والحصن الحصين، والمنطلق المتين لجمع كلمة المسلمين هو (عقيدة التوحيد الذي جمعنا الله به بعد الفرقة، وألف بين قلوبنا بعد التمزق، حتى أصبحنا أمة واحدة ذات هدف واحد، ومنطلق واحد، وعقيدة واحدة هي مصدر عزتنا، وعنوان سعادتنا، ومناط وجودنا في هذه الحياة، إنها عبادة الله الذي لا إله غيره، ولا رب سواه)[2].

ولقد ذاق سلفنا الصالح حلاوة هذا الأثر بسبب تحقيقهم للتوحيد، وسيرهم في ظلال العقيدة الصافية، فكانوا (يستلهمون سر وحدتهم من صفاء العقيدة الخالصة التي لم تشبها شائبة، فأصبحوا بذلك سادة الدنيا، وفتح الله لهم أبواب الخير من كل مكان، ورفعوا راية التوحيد في مشارق الأرض ومغاربها، وكل عاقل يدرك أن هذا النصر المؤزر الذي حققه الله على أيديهم لم يكن وليد الصدفة....وإنما تحقق بسبب اعتمادهم على الله، والتوكل عليه، مع الأخذ بالأسباب المشروعة... وانطلاقهم في دعوتهم من تحقيق كلمتي التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله))[3].

وليس معنى ذلك أنه لا يقع بين أهل السنة اختلاف ألبتة؛ بل يقع، وقد وقع في كثير من مراحل التاريخ؛ لأنهم بشر غير معصومين، إلا أن اختلافهم محمود، غير

---

(١) مجموع الفتاوى٢٢/٣٥٩.

(٢) منهج السلف في العقيدة وأثره في وحدة المسلمين لشيخنا الدكتور صالح السحيمي ص٥.

(٣) المرجع السابق ص٢٢.

مذموم؛ لأنه لا يؤدي إلى تفرق، وتحزب، وتباين، وإنما يكثر الخلاف بينهم في الأحكام الدينية، والمسائل الفرعية، ولا يؤدي اختلافهم إلى تناحر، وتباغض، وتكفير، كما هو حال أهل البدع؛ بل يقع الخلاف، وتبقى المودة، والنصح، والألفة، والأخوة، كما قال الإمام ابن قتيبة رحمه الله[1]: (ولو أردنا -رحمك الله- أن ننتقل عن أصحاب الحديث[2] ونرغب عنهم إلى أصحاب الكلام، ونرغب فيهم لخرجنا من اجتماع إلى تشتت، وعن نظام إلى تفرق، وعن أنس إلى وحشة، وعن اتفاق إلى اختلاف)[3].

وإذا كان مذهب أهل السنة والجماعة في فهم الواسطة يقوم على التقيد بالكتاب، والسنة، ونفي الوسائط المخلوقة، والوسائل المبتدعة، ويقوم -بدلا من ذلك- على ربط القلوب بخالقها، وتجريد التوحيد له، وإخلاص العبادة له، مع تمام المتابعة لرسوله ﷺ، إذا كان الأمر كذلك، فكيف لا يثمر هذا المنهج وحدة الأمة، وتماسكها، وترابطها؛ بعيدا عن نزعات الافتراق، والتصدع، والشقاق؟ فالمؤمنون قلوبهم متجهة نحو قبلة واحدة، ومعلقة برب واحد، ومطيعة لنبي واحد، ومتبعة لدليل واحد وهو الكتاب والسنة، إذا خرجوا إلى الصلاة خرجوا بنية واحدة، وشعور واحد، وإذا صاموا وحدتهم كذلك، وإذا حجوا بيت ربهم وحدتهم كذلك أيضا؛ بل يزيدون على ذلك في مناسك الحج بأن يكون مظهرهم دالا على هذه الوحدة، وذلك الاتفاق[4].

---

(١) هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الإمام العالم الكاتب الأديب اللغوي، قال الخطيب البغدادي: كان ابن قتيبة ثقة، ديِّنا، فاضلا، من مصنفاته:((تأويل مختلف الحديث)) و((الشعر والشعراء))، توفي سنة ٢٧٦هـ. **انظر** تاريخ بغداد ١٠/١٧٠، وسير أعلام النبلاء١٣/٢٩٦.

(٢) أصحاب الحديث لقب من ألقاب أهل السنة، كما مر معنا في تعريف أهل السنة. **انظر** ص٣٧.

(٣) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٤٤.

(٤) **انظر** دروس في العقيدة مستفادة من الحج لشيخنا الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص٤٢.

فدعاؤهم لله تعالى، وتوجههم إليه، وخوفهم منه، وطمعهم فيه، لا في زيد ولا عمرو من الوسائط البدعية، والوسائل الوهمية، وهذا هو التوحيد الذي جاءت به رسالة الإسلام (فبالتوحيد، والسنة تصفو القلوب، وتتآلف، وبالتوحيد تتحقق الوحدة، وبدون التوحيد لا تتحد)[1].

فالإيمان سبب للاجتماع، والاتفاق، قال بعض السلف: (ثلاث لا تنفع اثنتان دون الثالثة: الإيمان، والصلاة، والجماعة)[2]. فالاختلاف مرفوض في الشريعة مطلقا، والصراط واحد، والوحدانية لا تقتضي الافتراق، ولا التشيع، والانقسام[3].

ثم نقول للسارحين في الوهم القائلين بأن الدعوة إلى التوحيد تورث الفرقة: (من هو الذي يفرق الجماعة؟ أهو الذي يدعو إلى عقيدة التوحيد، وإفراد الله بالعبادة واتباع الرسول ﷺ والاعتصام بالكتاب، والسنة، حتى تكون الأمة جماعة واحدة، معبودها واحد، وهو الله، وقدوتها واحد، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، ودليلها واحد، وهو الكتاب، والسنة، وتحت راية واحدة، هي راية التوحيد؟ أم الذي يدعو إلى التعلق بغير الله من الأولياء، والصالحين، وإلى اتباع الطرق الصوفية المبتدعة، وإلى الاستدلال بالأحاديث الموضوعة، والحكايات المكذوبة، والمنامات الشيطانية، مما تزخر به كتب القوم:﴿**فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون**﴾[4]؟؟)[5].

ومما يستدل به على هذا الأثر المبارك من الواقع المشهود ما أثمرته دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب السلفية في هذه البلاد؛ حيث قامت على الدعوة إلى تحقيق

---

(١) موسوعة أهل السنة لعبد الرحمن دمشقية١/١٣.

(٢) الإبانة لابن بطة١/٢٢٣.

(٣) **انظر** حكم الانتماء إلى الفرق للشيخ بكر أبي زيد ص١٢٥.

(٤) سورة الأنعام الآية ٨١.

(٥) هذه مفاهيمنا ص٢٢٥، **وانظر** دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية ص٤٦٧.

التوحيد، وإخلاص العبادة لله تعالى، وتصفية العقيدة من شوائب الشرك، ووسائله البدعية، وظهرت دعوته -رحمه الله- في بيئة متنافرة، وقبائل شتى متناحرة، تغير القوية منها على الضعيفة، وفي أعراق متعددة، ومذاهب مختلفة فتطهرت البيئة من الشرك، والبدع، واجتمعت القلوب على التوحيد، وتوحدت القبائل تحت راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فاجتمعت الكلمة، وتحققت الوحدة بفضل الله تعالى، ثم ببركة دعوة التوحيد السلفية.

فكان قيام دولة التوحيد على يد الأمير محمد بن سعود، والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله اللذين حصلت البيعة بينهما على نصرة الإسلام، وإقامة السنة، والتوحيد[1]، فكان سيف العدل في يد الأمير، ومشعل التوحيد في يد الشيخ:-

وتناصر السيف الصقيل ومشعل التـ   ـوحيد حتى أينعا بثمار

لله درك دعوةً سلفيةً   للدين والدنيا بكل فخار

واعلم أن المؤمنين في أي بقعة من بقاع الأرض يجمعهم ويصل بينهم جسران عظيمان: جسر يربط بين القلوب، وهو التوحيد، وجسر يربط بين الأفواه، وهو لغة القرآن، كما قال الشاعر[2]:-

بين الجوانح جسر من عقيدتنا   وبين أفواهنا جسر من الضاد

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فظهر أن سبب الاجتماع، والألفة جمع الدين، والعمل به كله، وهو عبادة الله وحده، لا شريك له، كما أمر به، باطنا، وظاهرا.... ونتيجة الجماعة رحمة الله، ورضوانه، وصلواته، وسعادة الدنيا، والآخرة، وبياض الوجوه)[3].

---

(١) **انظر** عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي ص١٤.

(٢) للشاعر عبد الرحمن العشماوي، **انظر** ديوانه ص

(٣) مجموع الفتاوى١/١٧.

ونستطيع أن نقرر باختصار أن نبي الإسلام - صلى الله عليه وسلم- بعث بأمرين اثنين، وعليهما مدار الرسالة: بعث بكلمتين: بعث بكلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة عليها. والله تعالى أعلم.

الفصل الثاني: أثر الواسطة البدعية في عقائد أهل الأهواء.

وفيه خمسة مباحث:-

المبحث الأول: الوقوع في التشبيه والشرك.

المبحث الثاني: الحيرة والشك والضياع.

المبحث الثالث: الذلة والانكسار لغير الله تعالى.

المبحث الرابع: ضياع العمل لتوزعه بين الوسائط.

المبحث الخامس: انتشار الضعف بين المسلمين وانشطار شملهم.

المبحث الأول: الوقوع في التشبيه والشرك.

لما كان الخروج عن دائرة الكتاب، والسنة، وعدم التزام منهج السلف في العقيدة هو السمة الغالبة لأهل الأهواء؛ فإن معارضتهم لمذهب أهل السنة والجماعة في فهم الواسطة بمفهومهم الخاطئ للواسطة، وتشبثهم بالوسائط البدعية نجم عنه آثار سيئة، أو قعت أهل الأهواء في وَحَل من الاعتقادات الفاسدة، والتصورات الخاطئة، والممارسات الممنوعة شرعا، ومن ذلك وقوعهم في التشبيه، والشرك.

فبسبب غلو أهل الأهواء في التوجه إلى الوسائط البدعية من دون الله تعالى ينجم عن ذلك توجه القلب إلى تلك الوسائط بالتذلل، والتزلف، والخضوع، والخنوع، والاستصغار، والانكسار لغير الله تعالى، وهكذا يصرف صاحب البدعة هذا النوع من العبادة لغير الله تعالى، فيقع في التشبيه، والشرك.

أما وقوعه في التشبيه فمن جهة أنه جعل الله -تعالى عن ذلك- بمثابة ملوك الدنيا الذين لا يستغنون عن الوسائط من الوزراء، والمعينين، فيلبون الطلبات، ويقضون الحاجات بسببهم، وبواسطتهم؛ لحاجة هؤلاء الملوك إلى تلك الوسائط، والأعوان، وأما وقوعه في الشرك، فمن جهة اعتقاده أن الواسطة الحي المنظور أو الميت المقبور يستطيع أن يجلب له منفعة، أو يدفع عنه مضرة، فتراه يتوجه إليه بالدعوات، ويظهر الانكسار، والتذلل له في جميع الحالات، ويعلق به قلبه، ويرمي بنفسه بين يديه لقضاء الحاجات، وتحقيق الأمنيات (فكل مشرك فهو مشبه لإلهه، ومعبوده بالله سبحانه، وإن لم يشبهه به من كل وجه)[1].

يقول المقريزي: (اعلم أن حقيقة الشرك: تشبيه الخالق بالمخلوق، وتشبيه المخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، وهي التفرد بملك الضر، والنفع، والعطاء، والمنع، فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق تعالى، وسوّى بين التراب، ورب الأرباب)[2].

---

(١) بلوغ الأرب ٢/٢١٨.

(٢) تجريد التوحيد المفيد ص٢٧.

إن أعظم مسألة خالف فيها رسول الله ﷺ المشركين هي مسألة الواسطة، فقد وجد المشركين يتعبدون الله بإشراك الصالحين في دعاء الله تعالى، وعبادته، ويرون ذلك نافعا لهم، ويعدونه من تعظيم الصالحين، رجاء وساطتهم، وشفاعتهم عند الله تعالى، كما قال الله عنهم:﴿**ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾[1] فجاء الرسول ﷺ بإخلاص العبادة لله تعالى، وخالف المشركين في إشراكهم الوسائط مع الله تعالى في دعائه، ورجائه، وهذه أعظم مسألة خالف فيها رسول الله ﷺ المشركين، وهي التي تفرق الناس من أجلها إلى مسلم موحد، وكافر مشرك[2].

وقد كان قصي بن كلاب ينهى عن عبادة غير الله تعالى من الأصنام، وينقض ما يعتقده المشركون من الوسائط الشركية، وهو القائل[3]:-

أَ رَبًّا واحدا أم ألف رب ... أدين إذا تقسمت الأمور؟!

تركت اللات والعزى جميعا ... كذلك يفعل الرجل البصير

فلا العزى أدين ولا ابنتيها ... ولا صنميْ بني غنم أزور

فطوائف أهل الأهواء التي أخطأت في فهم الواسطة، وابتدعت القول بالوسائط البدعية قد وقعت في الشرك، والعياذ بالله تعالى.

وهذه الطوائف هي: الفلاسفة، والرافضة، والصوفية:

أما الفلاسفة: فلقولهم: إن العقول العشرة هي المدبرة للعالم، وإن الكواكب والهياكل، والروحانيات هي الواسطة بين الله تعالى، وخلقه[4].

---

(١) سورة يونس الآية ١٨.

(٢) **انظر** المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ الجاهلية ١/٩٠، والحياة الدينية عند العرب بين الجاهلية والإسلام لمحمد حامد الناصر وأخرى ص٤٥.

(٣) **انظر** الملل والنحل ٢/٢٤٨، والأصنام للكلبي، وبلوغ الأرب للألوسي ٢/٢٠٤.

(٤) راجع تعريف الفلاسفة للواسطة في ص٣٩ .

وأما الرافضة: فتزعم أن الوسائط من أئمة أهل البيت خلقوا من نور قبل العالم، فهم محدقون بعرش الرحمن، ويزعمون أن الجزء الإلهي حل في علي ﷺ والأئمة من بنيه، حتى رووا عنهم أنهم قالوا: (...ولكن الله خلطنا بنفسه)[1].

وفرقة السبئية من غلاة الرافضة تعتقد ألوهية علي ﷺ وتزعم أنه لم يمت، وسيرجع، وإنما قتل ابن ملجم شيطانا تصور بصورته، وإنه في السحاب، والرعد صوته، والبرق سوطه، وعند سماع الرعد يقولون: عليك السلام يا أمير المؤمنين، إلى غير ذلك مما سبق بيانه من الغلو الفاضح، والشرك الواضح[2].

ومن أعظم صور التشبيه، والكفر الذي تزعمه الرافضة -والعياذ بالله- ادعاؤهم أن الله -تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا- يزور قبر الحسين ﷺ مع الملائكة، والنبيين، والمؤمنين[3].

ومن صور الشرك الذي يطفح به تراث الرافضة قول الحافظ البرسي -يخاطب عليا ﷺ[4]:-

أنت الصراط المستقيـــم قسيم جنات الأرائك
والنار مفزعها إليـــك وأنت مالك أمر مالك

وقال آخر من الغلاة أيضا[5]:-

أبا حسن أنت عين الإله وعنوان قدرته الساميه
وأنت مدير رحى الكائنات ولك أبحارها الساميه
لك الأمر إن شئت تحيي غدا وإن شئت تسفع بالناصيه

---

(١) أصول الكافي ١/٤٤١.

(٢) راجع المبحث المتقدم (نظرة الرافضة لأئمتهم ووسائطهم) ص٥٩٦ .

(٣) انظر دائرة المعارف للأعلمي الشيعي ١/١٨٩.

(٤) انظر مشارق أنوار اليقين للبرسي ص٢٣٩.

(٥) راجع بقية الأبيات في ص٦١١ من هذه الرسالة.

واسمع إلى قول ابن هانئ الأندلسي[1] يمدح الخليفة الفاطمي المعز لدين الله[2] مصرحا بالشرك والعياذ بالله[3]:-

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدار فاحكم فأنتَ الواحد القهّار

شرفت بك الآفاق وانقسمت بك الأ رزاق والآجال والأعمار

وأما غلاة الصوفية: فبدأوا بالغلو الزائد، والإطراء المنهي عنه للنبي ﷺ فزعموا أن الله سبحانه وتعالى عن ذلك قبض قبضة من نوره فخلقه منه، وأنه سبق الكون في الوجود، وأن مظاهر هذا الكون -على تنوعها- انبجست من نور النبي ﷺ وخلقت من أجله إلى غير ذلك من الغلو الزائد، والاعتقاد الفاسد الذي مرمعنا في بيان نظرة الصوفية للرسول صلى الله عليه وسلم[4].

يقول زعيم البريلوية: (إن كل مفاتيح الكون في يد رسول الله ﷺ وهو مالك الكل، والنائب الأكبر للقادر، وهو الذي يملك كلمة (كن)، وهو المبرئ من السقم، والآلام، والكاشف عن الأمة كل خطب، وهو المحيي، وهو الدافع عنهم المعضلات، والنافع للخلق، والرافع للمراتب، وهو الحافظ، والناصر، وهو الذي أبرد على الخليل النار، وهو الذي يهب، ويعطي)[5].

---

(١) هو أبو الحسن محمد بن هانئ الأزدي المهلبي الأندلسي شاعر عصره، ولد بإشبيلية، قال عنه الذهبي: وله ديوان كبير في مدائح تفضي به إلى الكفر، مات سنة ٣٦٢هـ. **انظر** سير أعلام النبلاء١٦/١٣١، ونفح الطيب١/٢٩٣.

(٢) هو أبو تميم معد بن المنصور إسماعيل بن القائم العبيدي المهدوي المغربي الفاطمي المعز لدين الله، كان عنده تشيع زائد، مات بالقاهرة سنة ٣٦٥هـ. **انظر** سير أعلام النبلاء١٥/١٥٩، وشذرات الذهب٣/٥٢.

(٣) **انظر** ابن هانئ الأندلسي متنبئ المغرب لأبي القاسم كرو ص٧٣.

(٤) **انظر** ص٦٣١

(٥) الاستمداد على أجيال الارتداد للبريلوي ص٢٩، نقلا عن البريلوية لإحسان إلهي ظهير ص٦٨، **وانظر** محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع ص٢٠٤.

ومن نماذج الغلو في الرسول ﷺ الموقعة في الشرك -والعياذ بالله- قول البرعي[1]:-

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي — في كل هول من الأهوال ألقاه

إن كان زارك قوم لم أزر معهم — فإن عبدك عاقته خطاياه

وقول الآخر[2]:-

يا رسول الإله إني ضعيف — فاشفني أنت مصدر للشفاء

يا رسول الإله إن لم تغثني — فإلى من ترى يكون التجائي؟

ثم انتقل الصوفية ثانيا من الغلو في الرسول ﷺ إلى الغلو في الوسائط من الأولياء، والشيوخ الذين يعتقدون فيهم القدرة على التصرف في الكون، وإجابة دعاء المستغيثين، وكشف الضر عن البائسين المضطرين.

ونلاحظ اتفاق الأتباع مع المتبوعين في هذه الاعتقادات الفاسدة، والأقوال الشركية الكاسدة، ومن نماذج الحكايات الصوفية الصارخة بالشرك -والعياذ بالله- ما يحكى عن أحدهم أنه قال: (دعوت الله ست سنوات أن يرزقني الولد، فلم أرزق، وذهبت إلى شيخي مصطفى النقشبندي في أربيل، فما أن استغثت به، وطلبت منه الولد حتى رزقت بطفلين توأمين!!)[3]. ونقل الألوسي عن بعضهم أنه كان يقول: (الولي أسرع إجابة من الله عز وجل!!)[4]، وهل بعد هذا شرك، أو كفر؟.

وذكر الشعراني أن سيدي محمدا الحنفي فرش سجادته على البحر، وقال لمريده: قل يا حنفي، وامش، فمشى المريد خلفه، ثم خطر للمريد لم يقول: يا حنفي، هلا

---

(١) **انظر** ديوانه ص١٤.

(٢) هذان البيتان لشمس الدين التنوجي المصري. **انظر** شواهد الحق ص٣٥٢.

(٣) دمعة على التوحيد ص٦٣.

(٤) تفسير الألوسي ١١/٢٤.

قال: يا الله؟ فلما قالها غرق فأمسك الشيخ بيده، وقال له -معاتبا: أنت الحنفي تعرفه، فكيف بالله؟ فإذا عرفت الله، فقل: يا الله!!![1].

وحكى الشيخ الميلي أن أحد هؤلاء الوسائط المعروفين بالولاية عند أتباعه كان مرة مع مريديه في سفينة، فهاج بهم البحر، وعلت أمواجه، فلجأوا جميعا إلى الله يسألونه الفرج، والسلامة، وكان الشيخ -الواسطة- منفردا كالعادة في غرفة يدعو، فلم تنفرج الأزمة، فوقع في رُوعه أنه أتي من قبل أتباعه فخرج عليهم مغضبا، وهو يقول: ماذا صنعتم في هذه الشدة؟ فقالوا: دعونا الله مخلصين له الدين بلسان المضطرين، فأنكر عليهم اللجوء إلى الله مباشرة، ووبخهم على فعلهم، وعرفهم أن ذلك هو الحائل دون استجابة دعائه، وأنذرهم عاقبة استمرارهم في التوجه إلى ربهم، وأنه الغرق، وعلمهم أن واجبهم هو التوجه إليه هو، وسؤاله؛ لأنه واسطتهم، ثم هو وحده يتوجه إلى الله تعالى، فتابوا من دعاء الله عز وجل، وتوجهوا إلى الشيخ الواسطة بالدعاء، وعاد الشيخ إلى غرفته يدعو -متوسطا بين الله، ومريديه- فانكشفت الغمة وسلمت السفينة، وحمد الشيخ ثقته بنفسه، وتأكد عند مريديه صحة وساطته في الرخاء، والشدة!![2].

وقال أحد الوسائط: (يا رياح اسكني عليهم بقدرتي)[3].

وقال أحد كبرائهم يخاطب أتباعه في مرض موته: (من كانت له حاجة فليأت إلى قبري، ويطلب حاجته أقضها له؛ فإن ما بيني وبينكم غير ذراع من تراب، وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل)[4].

---

(١) **انظر** شواهد الحق ص٤٤٧.

(٢) **انظر** رسالة الشرك للميلي ص١٩٦.

(٣) جواهر المعاني٢/٨٠.

(٤) الطبقات الكبرى للشعراني٢/٩٦.

وقال شيخ التجانية لأتباعه: (ليس لأحد من الرجال أن يُدْخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب، ولا عقاب، ولو عملوا من الذنوب ما عملوا، ولو بلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي)[1].

وذكروا أن الشيخ زروق كان يقول لمريديه[2]:-

(١) جواهر المعاني٢/١٧٦.

(٢) انظر روض الرياحين لعبد السميع الديوبندي ص٢٠٦ نقلا عن جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية٢/١٠٨٧.

أنا لمريدي جامع لشتاته إذا ما سطا جَوْر الزمان بِنَكبةٍ
وإن كنتَ في ضيقٍ وكربٍ ووَحْشَةٍ فنادِ بيا زَرُّوقُ آتِ بسرعةِ

ونقل الشعراني في طبقاته عن الشاذلي أنه قال: (رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي: إذا كانت لك حاجة، وأردت قضاءها، فانذر لنفيسة الطاهرة فلسا؛ فإن حاجتك تقضى)[1]. وحتى في حالة الخوف الشديد من العدو يقول قائلهم[2]:-

يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عمرْ

ويقول الدباغ: (إن المريد لا يأتي بشيء، حتى لا يكون في قلبه غير الشيخ! والله! والرسول!)[3].

وانظر إلى هذه المحبة الثلاثية، ولاحظ تقديم الشيخ الواسطة في الذكر على رب العزة، والجلال، وعلى نبيه المصطفى ﷺ!!!

وهكذا انتشر -بسبب الاعتقاد في الوسائط البدعية- الشرك في أوساط الناس، وخصوصا العوام منهم، حتى أصبح مألوفا أن تسمع في نواح كثيرة من العالم الإسلامي من يخاطب المقبورين قائلا: (مدد يا سيدي فلان، نظرة إلينا بعين الرضا، راعني، أنا محسوبك. ويقول: ملعون ابن ملعون من كان في شدة، أو في ضيق، ولم يقل: يا ست، أو يا سيدي، وهذا هو عين الشرك الأكبر)[4] إلى غير ذلك من الأقوال الشركية، والدعوات البدعية إلى التعلق بالوسائط، والانقطاع بهم عن الله

---

(١) الطبقات الكبرى٢/٧٤.

(٢) **انظر** تلخيص كتاب الاستغاثة٢/٧٣٢.

(٣) الإبريز ص٣١.

(٤) السنن والمبتدعات ص١٦، **وانظر** الرسائل السلفية للشوكاني ص١٧٢، والرسالة الخالدة ص٢٤، والديانات والعقائد في مختلف العصور لأحمد عبد الغفور عطار١/٧٤.

تعالى -كما بيناه مستوفى في صورة الواسطة البدعية عندهم في الأحياء[1]، وصورة الواسطة البدعية عندهم في الأموات[2].

وانتشر شرك التقريب بهذه الوسائط المزعومة، وضرب الشرك الأكبر بجرانه[6] على السواد الأعظم من المسلمين، حتى إن الباحث في العقيدة في هذه الحقبة يخيل إليه أن عقيدة التوحيد قد قضي عليها تماما[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فكل من غلا في حي، أو في رجل صالح، كمثل علي ﷺ أو عَدِي[4]..أو نحوه، أو في من يعتقد فيه الصلاح كالحلاج...وجعل فيه نوعا من الإلهية، مثل أن يقول: كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده، أو يقول إذا ذبح شاة: باسم سيدي أو يعبده بالسجود له، أو لغيره، أو يدعوه من دون الله تعالى، مثل أن يقول: يا سيدي فلان اغفرلي، أو ارحمني، أو انصرني، أو ارزقني، أو أغثني، أو أجرني، أو توكلت عليك، أو أنت حسبي، أو أنا في حسبك، أو نحو هذه الأقوال، والأفعال التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله تعالى، فكل هذا شرك، وضلال، يستتاب صاحبه؛ فإن تاب، وإلا قتل، فإن الله إنما أرسل الرسل، وأنزل الكتب لنعبد الله وحده، لا شريك له، ولا نجعل مع الله إلها آخر)[5].

---

(١) **انظر** ص٦٧

(٢) **انظر** ص٦٨

(٣) **انظر** الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين لعلي بخيت الزهراني ١/٢٧١.

(٤) هو أبو محمد عَدِي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى الشامي ثم الهكاري، كان معلما للخير ناصحا متشرعا، قال عنه الذهبي: الشيخ الإمام الصالح القدوة زاهد وقته، توفي سنة ٥٥٥هـ.

انظر سير أعلام النبلاء ٢٠/٣٤٢، وجامع كرامات الأولياء ٢/١٤٧.

(٥) مجموع الفتاوى ٣/٣٩٥.

(٦) الجران من الإبل - مقدم عنق البعير فإذا برك مد عنقه على الأرض. انظر المصباح المنير ص٩٧ مادة الجرن

ونجد أنواعا كثيرة من صور الشرك يذكرها بعض العلماء هي نتيجة حتمية، وأثر سيء للاعتقاد في الواسطة البدعية، يقول العلامة ابن القيم: (ومن أنواع الشرك سجود المريد للشيخ؛ فإنه شرك من الساجد، والمسجود له...ومن أنواعه ركوع المتعممين بعضهم لبعض عند الملاقاة... ومن أنواعه حلق الرأس للشيخ؛ فإنه تعبد لغير الله....ومن أنواعه التوبة للشيخ؛ فإنه شرك عظيم؛ فإن التوبة لا تكون إلا لله... ومن أنواعه الإنابة، والخضوع، والذل لغير الله، وابتغاء الرزق من عند غيره...ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم)[1].

فاتخاذ الواسطة البدعية شرك بالله تعالى؛ لأن التابع يسأل الواسطة نفسه، ويطلب منه ويرجوه، ومتخذ الشفيع، والواسطة على هذا الوجه مشرك لا تنفعه شفاعته، ولا وساطته[2].

وفي هذا التوجه بالدعاء إلى الواسطة تشبيه للمخلوق بالخالق: (لأن الدعاء من خصائص الإلهية فمن صرفه لغير الله تعالى فقد أعطى خصيصة من أهم خصائص الإلهية لغير الله تعالى، فيكون قد شبه الغير بمن لا شبيه له)[3].

يقول الشيخ حافظ الحكمي[4] رحمه الله[5]:-

---

(١) مدارج السالكين ١/٣٤٤.

(٢) **انظر** تلخيص كتاب الاستغاثة ١/١٤٦، وإغاثة اللهفان ١/٢٢١، ومعارج القبول للحكمي ٢/٦٧٧، وفتح المجيد ص٢٢٢، وأصول الدين عند أبي حنيفة للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميِّس ص٢٥٦.

(٣) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ١/٤٣٤.

(٤) هو: الشيخ العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، ولد بقرية السلام بجنوب جازان سنة ١٣٤٢هـ، وطلب العلم على يد الشيخ عبدالله القرعاوي، وكان مبرزا في كثير من الفنون، أديبا يقول الشعر، توفي سنة ١٣٧٧هـ بمكة المكرمة.

انظر ترجمته بقلم ابنه د/أحمد بن حافظ الحكمي في مقدمة تحقيق أعلام السنة المنشورة ص١٥.

(٥) **انظر** معارج القبول ٢/٦٥٦.

وإن دعا المقبور نفسه فقد أشرك با لله العظيم وجحد
لن يقبل ا لله تعالى منه صرفا ولا عدلا فيعفو عنه
إذ كل ذنب موشك الغفران إلا اتخاذ الند للرحمن

وقد بين العلامة ابن القيم التدرج الذي يسلكه الشيطان مع عباد االقبور، والمتعلقين بالواسطة المقبور، حتى يوقعهم في مستنقع الشرك -والعياذ با لله- فقال: (والمقصود أن الشيطان بلطف كيده- يحسن الدعاء عند القبر، وأنه أرجح منه في بيته، ومسجده، وأوقات الأسحار، فإذا تقرر ذلك عنده نقله درجة أخرى من الدعاء عنده إلى الدعاء به، والإقسام على ا لله به، وهذا أعظم من الذي قبله، فإن شأن ا لله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه....فإذا قرر الشيطان عنده أن الإقسام على ا لله به، والدعاء به أبلغ في تعظيمه واحترامه، وأنجح في قضاء حاجته نقله درجة أخرى إلى دعائه نفسه من دون ا لله، ثم ينقله بعد ذلك درجة إلى أن يتخذ قبره وثنا يعكف عليه، ويوقد عليه القنديل، ويعلق عليه الستور، ويبني عليه المسجد، ويعبده بالسجود له، والطواف به، وتقبيله، واستلامه، والحج إليه، والذبح عنده، ثم ينقله درجة أخرى إلى دعاء الناس إلى عبادته، واتخاذه عيدا، ومنسكا، وأن ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم)[1].

وإذا لم يكن هذا الذي يعتقده غلاة الصوفية في الوسائط من الشيوخ شركا فماذا نسميه إذن؟ (إنهم يتخذون الشيوخ آلهة، يعتقدون أنهم ينفعون، ويضرون، وأن بيدهم النجاة..كما رأينا من أقوال عارفيهم، وأقطابهم، وعلمائهم البراهين الكافية

(١) إغاثة اللهفان ١/٢٢١، **وانظر** تلخيص كتاب الاستغاثة ١/١٤٦، ومعارج القبول للحكمي ٢/٦٧٧.

الوافية على أنهم يتخذون الشيخ إلها من دون الله، أو شريكا معه، يسبغون عليه كل صفات الألوهية)[1].

يقول الأستاذ عبد الرحمن الوكيل: (فالصوفية يعتقدون أن أولياءهم ليسوا بشرا، وإنما هم آلهة تخلق ما تشاء، وتختار، أو هم - كما نقلنا لك من قبل- ذات الله سبحانه وتعالى تجسدت مرة فكانت تجانية، وأخرى فكانت نقشبندية، وأخرى فكانت رفاعية، وأخرى فكانت برهانية)[2].

ونتيجة للواسطة البدعية فإن أهل الأهواء يقعون في شرك يفوق شرك أهل الجاهلية الأولى؛ ذلك أنهم يقعون في الشرك في حالي الرخاء، والشدة، أما الأقدمون فإنما كان شركهم في حال الرخاء، فإذا أصابتهم شدة إذا هم يخلصون. قال الله تعالى عنهم:﴿**فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون**﴾[3].وقال تعالى:﴿**وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور**﴾[4].

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: (إن الله ذم الكفار، وعابهم بأنهم في وقت الشدائد والأهوال خاصة يخلصون العبادة له وحده، ولا يصرفون شيئا من حقه لمخلوق، وفي وقت الأمن، والعافية يشركون به غيره في حقوقه الواجبة له وحده التي هي عبادته وحده في جميع أنواع العبادة، ويعلم من ذلك أن بعض جهلة المتسمين باسم الإسلام أسوأ حالا من عبدة الأوثان؛ فإنهم إذا دهمتهم الشدائد، وغشيتهم الأهوال، والكروب التجأوا إلى غير الله ممن يعتقدون فيه الصلاح في الوقت الذي

---

(١) الكشف عن حقيقة الصوفية ص٦٠٣.

(٢) هذه هي الصوفية ص١٠٢، **وانظر** تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي١/١٧٩.

(٣) سورة العنكبوت الآية ٦٥.

(٤) سورة لقمان الآية ٣٢.

يخلص فيه الكفار العبادة لله مع أن الله جل وعلا أوضح في غير موضع أن إجابة المضطر، وإنجائه من الكروب من حقوقه التي لا يشاركه فيها غيره)[1].

ولا ريب أن التوحيد، والشرك لا يجتمعان في قلب واحد أبدا، فالمرء إما أن يكون موحدا لله تعالى معلقا به قلبه، لا ينظر إلى واسطة بدعية، ولا يلتفت إلى وسيلة وهمية، قلبه خالص، مصفى لله تعالى، وأما إن شابه تعلق بالوسائط البدعية، فقد انتقض إخلاصه، ووقع في الشرك؛ لأن (كل شيء يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عما يشوبه، وخلص منه كان خالصا، ويسمى الفعل المخلص المصفى إخلاصا...والإخلاص يضاد الإشراك، فمن ليس مخلصا فهو مشرك)[2].

والحقيقة المرة أن الشرك قد انتشر بسبب الاعتقاد في الواسطة البدعية، وعمت به البلوى، وأصبح في كل بلد -إلا ما رحم ربي- مقبور يتوجه إليه الناس بالدعاء، والرجاء، وصنوف القربات، والعبادات[3].

يقول أحد الدعاة متبرما من هذا الواقع المر:(اعلم أن الشرك قد شاع في الناس في هذا الزمان، وانتشر، وأصبح التوحيد الخالص غريبا، ولكن معظم الناس لا يعرفون معنى الشرك، ويدعون الإيمان، مع أنهم قد تورطوا في الشرك وتلوثوا به)[4].

واعلم أن الشرك الذي وقع فيه أهل الأهواء والبدع، بسبب الاعتقاد الفاسد في الوسائط الوهمية نوعان:-

---

(١) أضواء البيان٣/٤٤٧، **وانظر** تفسير ابن كثير٣/٥٤، وتفسير الألوسي٢٣/٢٤٤، وتفسير السعدي٦/٣، ورسالة الشرك للميلي ص١٩٦.

(٢) تصفية القلوب للإمام يحيى بن حمزة اليماني ص٣٤٣.

(٣) **انظر** الدين الخالص لصديق حسن خان١/١٩١، وقرة عيون الموحدين للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص١٠٦، والقول الجلي في حكم التوسل بالنبي والولي ص٣٢، والسيد صديق حسن خان القنوجي وآراؤه الاعتقادية للدكتور أختر لقمان ص٢٣٦، ودمعة على التوحيد ص٥٩.

(٤) رسالة التوحيد للندوي نقلا عن بيان الشرك ووسائله عند الحنفية للدكتور محمد الخميس ص٣٩.

أ – شرك الأسباب: وهو اعتقاد النفع، والضر في الأسباب العادية، وهذا الشرك وقع فيه الفلاسفة، والطبائعيون ومن شاكلهم، فمن قال: إن الأسباب العادية تؤثر بنفسها، فقد حكي الإجماع على كفره، ومن قال: إنها تؤثر بقوة أودعها الله فيها فهو فاسق.

ب – وشرك التقريب: وهو عبادة غير الله للتقرب إلى الله، وهذا الشرك وقع فيه غلاة الرافضة، والصوفية، وحكمه الكفر بإجماع[1].

(اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك، وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم).

وبعد أن رأينا كيف لبس إبليس اللعين على أهل الأهواء في فهم الواسطة حتى أوقعهم في وحَلٍ من الشرك، لا يسعنا إلا أن نتمثل قول الشاعر[2]:-

إذا عدَّد الناس أربابهم فنحن لنا ربنا الواحد

---

(١) **انظر** الكليات للكفوي٣/٧١، ومجالس الأبرار لأحمد الرومي ص١٥٠، نقلا عن بيان الشرك ووسائله عند الحنفية ص١٧، ورسالة الشرك ومظاهره للميلي ص٦٦.

(٢) هذا البيت للشاعر عبد الرحمن العشماوي، **انظر** ديوانه شموخ في زمن الانكسار ص٦ .

المبحث الثاني: الحَيْرة والشك والضياع.

من آثار منهج أهل الأهواء في تقريرهم للواسطة الوقوع في الحيرة، والشك، والضياع، وهذا الأثر نتيجة حتمية لكل من أعرض عن الوحيين في إثبات المسائل الاعتقادية، وخصوصا فيما يتعلق بالواسطة، من وجهين:-

أولهما: أنه في حكم التارك لكلام الله وراءه ظهريا، والمعرض عن ذكر ربه سويا،:﴿**الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾[1]؛ لأنه صرح بالنهي عن التعلق بالوسائط البدعية في قوله تعالى:﴿**ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم**﴾[2]، ثم هو في حكم المطَّرح لسنة المصطفى ﷺ وهي القسم الثاني من الوحي،:﴿**إن هو إلا وحي يوحى**﴾[3].

وثانيهما: أنه تعلق بفقير ليغنيه، وأمسك بحبل مقطوع ليوصله. فبسبب إعراضه عن الوحيين، وتعلقه بوسائط الوهم، والمين[4] يعاقبه الله تعالى بالحيرة، والشك، والضياع، فتجتاله الشياطين كما قال تعالى:﴿**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين**﴾[5].

---

(١) سورة فصلت الآية ٤٢.

(٢) سورة يونس الآيتان (١٠٦-١٠٧).

(٣) سورة النجم الآية ٤.

(٤) المين: الكذب، وجمعه: مُيون. **انظر** مختار الصحاح ص٦٤١ مادة (م ي ن).

(٥) سورة الزخرف الآية ٣٦.

فمنهج أهل السنة القائم على التقيد بالكتاب والسنة ينفي كل شبهة، وغبش[1] حول مفهوم الواسطة، واقتصارهم على الثابت من الواسطة في القرآن، والسنة، وتفريقهم بين ما هو حق للخالق جل وعلا وما هو حق للمخلوق أورثهم الطمأنينة، والثبات في العقيدة؛ بينما نجد أن طريقة أهل الأهواء في إثبات الواسطة كانت فاسدة بسبب خروجهم عن دائرة الكتاب والسنة في فهم الواسطة مما أورثهم الحيرة التي تحمل في طياتها كثيرا من الشبهات، كما أورثتهم القلق، والشك في أمر هذه الوسائط البدعية: هل هي نافعتهم حقا، أم أن الأمر بيد الله الذي يؤمنون بأنه هو الخالق لتلك الوسائط التي يثبتونها؟ ونتيجة لهذه الحيرة، والشك، والقلق ورثوا التمزق النفسي، والضياع في نهاية الأمر.

قال الله تعالى:﴿**قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذهدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين**﴾[2].

قال الإمام ابن كثير: (هذا مثل من أجاب الآلهة التي تعبد من دون الله عز وجل)[3].

وقال الشيخ السعدي: (وهذه حال الناس كلهم إلا من عصمه الله تعالى فإنهم يجدون فيهم جواذب، ودواعي متعارضة، دواعي الرسالة والعقل الصحيح، والفطرة المستقيمة:﴿**يدعونه إلى الهدى**﴾، والصعود إلى أعلى عليين، ودواعي الشيطان، ومن سلك مسلكه، والنفس الأمارة بالسوء يدعونه إلى الضلال، والنزول إلى أسفل

---

(١) الغبش، بفتحتين " ظلمة الليل، والمراد به الشوائب، والمكدرات. **انظر** مختار الصحاح ص٤٦٨، مادة (غ ب ش).

(٢) سورة الأنعام الآية ٧١.

(٣) تفسير ابن كثير٢/١٥٠.

سافلين، فمن الناس من يكون مع دواعي الهدى في أموره كلها، أو أغلبها، ومنهم من بالعكس من ذلك، ومنهم من يتساوى لديه الداعيان، ويتعارض عنده الجاذبان، وفي هذا الموضع تعرف أهل السعادة من أهل الشقاوة)[1].

وقال تعالى:﴿**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين**﴾[2].

يقول الشيخ السعدي في تفسير هذه الآيات: (فهذه حالة المعرض عن ذكر الله في الدنيا مع قرينه، وهو الضلال، والغي، وانقلاب الحقائق، وأما حاله إذا جاء ربه في الآخرة فهو شر الأحوال، وهو الندم، والتحسر، والحزن الذي لا يجبر مصابه، والتبري من قرينه)[3].

وقال تعالى:﴿**إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب. وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار**﴾[4]. وقال الشيخ السعدي -عند تفسير قول الله تعالى:﴿**ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون**﴾[5] - قال: (فلذلك أشركوا به غيره، ورضوا بتناقض ما ذهبوا إليه على وجه الحيرة، والشك، لا على وجه البصيرة)[6].

---

(١) تفسير السعدي٢/١٩٦.

(٢) سورة الزخرف الآيات (٣٦-٣٧-٣٨).

(٣) تفسير السعدي٧/١٢١.

(٤) سورة البقرة الآيتان (١٦٦-١٦٧).

(٥) سورة لقمان الآية ٢٥.

(٦) تفسير السعدي٦/٨٢.

ولا يوقع في الحيرة، والتمزق النفسي، والضياع أعظم من التجاء الإنسان إلى ضعيف ليس بيده النفع فينفعه، ولا بيده الضر فيضره؛ بل إن ضرره أقرب إلى الإنسان من النفع، فيدور المبتدع مع هذه الواسطة البدعية في حلقة مفرغة، نهايتها تبدد الآمال، وتلاشي الأمنيات. قال الله عز وجل:﴿**يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لمن ضره أقرب إليه من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير**﴾[1]، وما أحسن قول الشاعر[2]:-

ومُشتّت العزمات ينفق عُمره حيران لا ظَفَرٌ ولا إخفاق

فليس فوق إخفاق المشرك إخفاق، ولا مثل ضياع عمله ضياع. قال تعالى:﴿**ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين**﴾[3].

يستفاد من هذه الآية أن دعاء الواسطة البدعية تترتب عليه أمور خمسة:-

١- أنه لا أضل ممن يدعو غير الله تعالى.

٢- أن هذا المدعو -الواسطة- غافل عن دعاء الداعي غير عالم به.

٣- أن هذا التوسيط سبب لبغض المدعو للداعي، وعداوته له.

٤- أن تلك الدعوة عبادة للواسطة، وإن لم تكن مقصودة.

٥- كفر الواسطة بتلك العبادة.

فهذه الأمور الخمسة هي السبب في ضلال، وضياع من يدعو الواسطة البدعية من دون الله تعالى[4].

(١) سورة الحج الآيتان (١٢- ١٣).

(٢) **انظر** الفوائد ص ٥٥.

(٣) سورة الأحقاف الآيتان (٥- ٦).

(٤) **انظر** حاشية كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن قاسم النجدي ص١١٥.

ومما يدل على الحيرة، والاضطراب، والتمزق النفسي، والصراع الداخلي الذي يعيشه جهلة المسلمين الذين انخدعوا بزهد الصوفية، وانخرطوا في نظام الزوايا الطرقية أنك تجد الواحد منهم يجمع بين المتناقضات، ويؤلف بين المتضادات، فتسمعه يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ﷺ ويقرأ: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾[1] ويقرأ: ﴿**فلا تدعو مع الله أحدا**﴾[2]، وإذا قيل له: إن فلانا من الناس وقع في الشرك، يتغير لونه، ويحتد صوته، فيوحد ربه، ويخلص دينه، ثم تراه يدخل الزاوية، فيكسر قلبه لشيخها إن كان حيا، ويتذلل له، وينحني أمامه طلبا من الشيخ أن يباركه، ورجاء لكل خير أن يدركه، وإن كان الشيخ مقبورا تحت الثرى، فالأمر أدهى مما ترى، (فتجتمع في ذات واحدة دواعي الضعف، والقوة، وتظهر على نفس واحدة أعراض التفرق والوحدة، ويجري من لسان واحد أحاج الجهل، وعذب الحكمة، ثم تجد الناحية الفاسدة من يتعاهدها بالفساد، حتى تطغى، وتفقد الجهة الصالحة من يغذّيها فتفنى)[3].

فانظر إلى مجتمع تكون فيه هذه الفوضى العقدية، وتنتشر فيه تلك المظاهر الشركية كيف يكون وصفه؟ فضلا عما يحصل من المتبوعين لأولئك الأتباع من المصادمات، وما يستلزمه واقعهم من الحيرة، والتمزق، والضياع، وحسبك أن تدير رأسك ناحية بلاد المسلمين التي ابتلي أهلها بالخضوع لهذه الوسائط البدعية، وهي كثيرة لتعرف الأثر السيء، والصراع النفسي، والحيرة، والضياع الذي يعيشونه نتيجة الاعتقاد في الواسطة البدعية[4].

(١) سورة الفاتحة الآية ٥.

(٢) سورة الجن الآية ١٨.

(٣) رسالة الشرك للميلي ص٥٣.

(٤) انظر الغلو في الدين للدكتور علي الشبل ص١١٥.

(والمقصود أن الدعاوى كثيرة عندهم في هذا الباب، ولا ريب أن من أعد نفسه للاعتقاد، والإيمان بكل ما ينشر في هذا الفكر فسوف يجد نفسه محاطا بعدد كبير من الأرباب، والآلهة كل يدعو إلى نفسه، وفي ذلك من أسباب الحيرة، والدهشة، والشقاوة مالا يزول إلا بالعودة الصادقة إلى كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ والتمسك بهما عقيدة راسخة وعملا بالصالحات، وسلوكا إلى طريق الخيرات، وبذلك فقط ينزاح الشك، وينجلي الريب، وتنحسر الحيرة، والمرية، وتضمحل الدهشة، والشقاوة)[1].

واعلم أن الشك، والضياع، والحيرة يشترك فيها أهل الأهواء من الرافضة، والصوفية مع أهل الكلام بسبب بعدهم عن الوحي، وخروجهم عن منهاج السلف في العقيدة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وتجد عامة هؤلاء الخارجين عن منهاج السلف من المتكلمة، والمتصوفة يعترف بذلك، إما عند الموت، وإما قبل الموت، والحكايات في هذا كثيرة مشهورة)[2].

وقد وصف الإمام الطحاوي -رحمه الله-[3] المتكلم الذي قدم العقل على الوحي -ويدخل في حكمه من خرج عن منهج الكتاب والسنة في فهم الواسطة- وصفه بقوله: (فيتذبذب بين الكفر، والإيمان، والتصديق، والتكذيب، والإقرار، والإنكار،

---

(١) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ١/١٨٢.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/٧٢.

(٣) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبدالملك الأزدي المصري الطحاوي الحنفي، الإمام العلامة، الحافظ، محدث الديار المصرية، ولد سنة ٢٣٩هـ، قال عنه الذهبي: كان ثقة، ثبتا، فقيها، عاقلا، لم يخلف مثله، توفي سنة ٣٢١هـ. انظر وفيات الأعيان ١/٧١، وسير أعلام النبلاء ١٥/٢٧، وشذرات الذهب ٢/٢٨٨.

مُوَسْوَساً، تائها، شاكا، لا مؤمنا مصدقا، ولا جاحدا مكذبا)[1]. وهذه هي الحيرة الضارة؛ لأنه لا حيرة مثل الحيرة في الدين[2].

فالحيرة هي نهاية مطاف المتكلمين، وغلاة الصوفية؛ لأن غاية المتكلمين الشك، وغاية الصوفية الشطح[3]، وقد قال شاعرهم[4]:-

قد تحيرتُ فيكَ خذ بيدي　　يا دليلاً لمن تحير فيه

ولبيان حيرة المتكلمين، وحكم أساطينهم على أنفسهم بالشك في نهاية أمرهم أورد أمثلة على ذلك ليتضح اشتراكهم مع أهل الأهواء المتعلقين بالواسطة البدعية في الحيرة. يقول أحدهم: (أستلقي على قفاي، وأضع الملحفة على نصف وجهي، ثم أذكر المقالات، وحجج هؤلاء، وهؤلاء، واعتراض هؤلاء، وهؤلاء، حتى يطلع الفجر، و لم يترجح عندي شيء)[5].

وقال العلامة ابن القيم: (وقال آخر -وقد نزلت به نازلة من سلطانه فاستغاث برب الفلاسفة فلم يغث- قال: ثم استغثت برب الجهمية فلم يغثني، ثم استغثت برب القدرية فلم يغثني، ثم استغثت برب المعتزلة فلم يغثني، قال: فاستغثت برب العامة فأغاثني)[6].

وهذا أبو الفتح الشهرستاني من كبار متكلمي الأشاعرة يقول[7]:-

لعمري لقد طفت المعاهد كلها　　وسيرت طرفي بين تلك المعالم

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٠٨.

(٢) **انظر** تفسير الفخر الرازي ٣/١١.

(٣) **انظر** درء تعارض العقل والنقل٨/٦٦.

(٤) نقله شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى١١/٣٨٣.

(٥) **انظر** مجموع الفتاوى٤/٢٠٩، وشرح العقيدة الطحاوية ص٢٠٩.

(٦) الصواعق المنزلة١/٧١.

(٧) **انظر** نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني ص٣.

فلم أر إلا واضعاً كفَّ حائرٍ ... علــى ذِقِنٍ أو قارعاً سِنَّ نادم

وهذا أبو عبد الله الفخر الرازي ينشد قائلا[1]:-

نهـاية إقـدام العقـول عقـال ... وأكـثر سعـي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحـاصـل دنيـانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عـمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

ثم قال: (لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا، ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن....ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي)[2].

والمقصود أن الحيارى من أهل الأهواء، والبدع طلبوا من الوسائط أن يهدوهم لشعائر الطريق، ويصلوا بهم إلى بر الطمأنينة، والأمان، فانحرفوا بهم عن جادة القصد ليزدادوا حيرة، وضياعا، والتمسوا لديهم الحقيقة الضائعة، فزادت الحقيقة على أيديهم بعدا، وضياعا، واتخذوهم وسيلة لتصحيح العقيدة، والشريعة فهدموا العقيدة، والشريعة في قلوب المريدين[3]. نعوذ بالله من الشك، والضياع، والحيرة، والحور بعد الكور.

---

(١) **انظر** مجموع الفتاوى٤/٧٢، وشرح العقيدة الطحاوية ص٢٠٨.

(٢) درء تعارض العقل والنقل١/١٦٠، **وانظر** شرح العقيدة الطحاوية ص٢٠٩.

(٣) **انظر** نظرية الاتصال عند الصوفية ص٢٨٩، والبرهان الساطع في تبرؤ المتبوع من التابع ص١٦.

المبحث الثالث: الذلة والانكسار لغير الله تعالى.

من آثار الواسطة البدعية الذلة، والانكسار لهذه الواسطة، وذلك نتيجة لتعلق المريد بشيخه في الاستمداد منه، والاعتماد عليه.

يقول الأستاذ عبد الرحمن الوكيل: (ما ألحفت الصوفية في شيء إلحافها في الدعوة إلى اتخاذ شيوخها أربابا من دون الله، ففرضت على الدرويش أن يكون وطاء ذليلا لشيخه، مستعبد الفكر، سليب الإرادة كجثة الميت في يد الغاسل، وجعلت هذه العبودية الممتهنة أولى الدلائل على طاعة المريد لشيخه، وعلى حبه له، وعلى أنه يرقى معارج الوصول إلى حظائر القدس..وتحتم الصوفية على المريد أن لا يعصي شيخه في أمر، أو نهي، وإن رآه يخالف السنة المحمدية، ولكي يظل الدرويش تحت قبضة الشيخ يستذل كرامته ويغصبه ماله، وعرضه، قررت الصوفية على لسان الشعراني -أن من أشرك بشيخه شيخا آخر وقع في الشرك بالله، وأن من أخذ الطريقة على غير شيخه كان على غير دين، وكتب الصوفية طافحة بمثل تلك المنكرات التي تهدر الكرامة، والقيم الإنسانية النبيلة، وتجعل من الإنسان لَقىً[2] طريح الذل، والهوان، والصغار، موطئا، مستعبدا لكل نعل نجسة، باغية الوطء..وهذا سر ما ترى عليه الصوفية من انشطارها شطرين: شطر معبود، وآخر عابد)[1].

وقد قررت الصوفية على لسان النبهاني، وغيره في صفة زيارة الأنبياء، والأولياء، والعلماء، والصلحاء، وكل من يتبرك بهم على زعمهم أن الزائر يأتي إليهم، ويتعين عليه قصد الأنبياء من الأماكن البعيدة، (فإذا جاء إليهم فليتصف بالذل، والانكسار،

(١) هذه هي الصوفية ص٩٩.

(٢) اللقى: الشيء الملقى المطروح على الأرض. انظر المصباح المنير ص٥٥٨ مادة «لقيته»

والمسكنة، والفقر، والحاجة، والاضطرار، والخضوع، ويحضر قلبه، وخاطره إليهم، وإلى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره)[1].

ومن آداب المريد مع شيخه –حسب قواعد الصوفية-: أن المريد يجب عليه أن لا يدخل على الشيخ الواسطة من غير إذن، ولا يقعد بين يديه إلا على طهارة، ظاهرا وباطنا، مسلما، مستسلما، متذللا، كجلوس العبد بين يدي سيده، وإن رأى شيخه يخالف الشريعة فلا يعترض عليه، ولو في خاطره[2].

فالتأليف، والمحبة بين المريد، والشيخ هي الواسطة، وعلى قدر هذه الواسطة يكون سراية الحال من الشيخ إلى المريد[3].

وهذا من القواعد العامة التي وضعها الصوفية لتربية المريدين، (وكلها تحوم حول الخضوع التام من المريد للشيخ، بحيث يتحول التلميذ المسكين إلى آلة جوفاء، تردد ما يقال لها بلا تفكير، ولا شخصية مستقلة؛ بل انقياد أعمى، وحتى تتم هذه التربية الذليلة ألزموهم بلبس معين، ومشية معينة، وشيخ معين، وطريقة معينة)[4].

ومن صور الذلة، والانكسار للواسطة التي كان الشيوخ يطلبونها من أتباعهم المريدين: أن شيخا غضب على أحد المريدين؛ لأنه جمع مالا، وجالس بعض الكبراء، فطرده من طريقته، ولم يسمح له بالعودة إلا بعد أن يحلق لحيته، ويسود وجهه، ويركب حمارا منكوسا، ويُعرِّف بنفسه في الأزقة، والأسواق، كسرا لنفسه[5].

---

(١) شواهد الحق ص٨٧.

(٢) **انظر** رماح حزب الرحيم مطبوع بهامش جواهر المعاني١/١٤٤.

(٣) **انظر** المرجع نفسه١/١٦٥.

(٤) دراسات في الفرق الصوفية لمحمد العبدة وآخر ص٧٨، نقلا عن الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين لعلي بخيت الزهراني١/٥٣٠.

(٥) **انظر** حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر لعبد الرزاق البيطار٣/١٥٩٠، نقلا عن الانحرافات العقدية والعلمية لعلي بخيت الزهراني١/٥٣٥.

وقد جرت عادة الصوفية أن الشيخ إذا أراد من الحاضرين الانصراف أنه: (يقف قبل الجميع قرب الباب، ويمد يده، فيشرع الحاضرون بالخروج مارين أمام الشيخ، واحدا بعد واحد يقبلون يده المقدسة، وقد يمرغون جباههم عليها، وقد يقبل بعضهم رجله؛ حيث يمدها الشيخ إلى الأمام، تكرما، ومنة، وعطفا منه، وتفضلا؛ ليُمكِّن المريد من تقبيلها، وتمريغ وجهه، وجبهته عليها)[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأعرف منهم شخصا كان معظما، وكان له حاجة إلى نصراني فذهب إليه، وخضع له، وقبل يده، ورجله، وربما قبل نعله حتى قضى حاجته، ثم جعل يقول: ما رأيت إلا الله، وما كان ذلك الخضوع، والتقبيل إلا لله عز وجل)[(٢)].

ثم إن طلب البركة المنهوم الذي أصيب به أهل الأهواء بسبب بعدهم عن منهج الكتاب والسنة هو الذي تدرج بهم من التبرك بالوسائط المقدسين إلى التذلل أمامهم، والانكسار تعظيما لهم، وقد يصل الأمر ببعضهم إلى الركوع، والسجود لهؤلاء المعظمين، (وكل من تبرك بقبر، أو ضريح، أو مشهد، أو أي شيء له صلة بشخص مقدس عند المتبرك سواء كان ذلك التبرك بالتقبيل، أو الاستلام، أو تمريغ الخد، والوجه، والجسم، فهو سالك مسلك عبدة الأصنام، مشرك بالله مبتدع في الدين ما لم ينزل الله به سلطانا)[(٣)].

ونتيجة لهذا الاعتقاد الفاسد في الواسطة، والممارسات الشاذة من الأتباع للمتبوعين ظهرت هذه الشريحة الضعيفة في المجتمع التي تذل للحجر، والشجر، والأرواح، والأشباح، بكل خضوع، ومسكنة، فأصبحت (لا تستطيع أن تقف أمام الولاة،

---

(١) الكشف عن حقيقة الصوفية ص٣٤٦، **وانظر** مجلة المنار ١/٥٦١.

(٢) تلخيص كتاب الاستغاثة ١/٣٧٧.

(٣) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ٢/١٧٩.

والحكام الظالمين، تأمرهم بمعروف، أو تنهاهم عن منكر، فذلوا للحكام الأغنياء، كما ذلوا للخُشُب، والأحجار، ومازال كل قرن يمر تزداد معه الآلهة عددا، وتزداد النفوس ذلة حتى وصلت الحال بالأمة الإسلامية إلى فقد سيادتها، وانهيار عزتها، ولا يصلح آخر الإسلام إلا بما صلح به أوله، فلا بد من العودة إلى الحياة الإسلامية الأولى؛ حيث التوحيد الصحيح، والعزة الحقة، ولا بد من هدم هذه البدع، والخرفات باللين؛ إن نجح، وبالقوة إن لم ينجح، والله المستعان[1].

وبهذه التعاليم يشل الصوفية إرادة التابع، بحيث لا يبقى له من هذا الاسم إلا بمقدار توجه إرادته إلى متبوعه الواسطة، وتعظيمه، وتقديسه، والتذلل بين يديه، وفي هذا أعلى صورة لتعطيل الفكر، وتخدير الإرادة، وشلل العقل، حيث يصبح المريد بين يدي الواسطة كالميت بين يدي غاسله[2] كما قالوا[3].

وكن عنده كالميت عند مُغَسّل   يقلبه ما شاء وهو مطاع

والذي تولى كبر هذه الأفاعيل، والأباطيل هم شيوخ الصوفية، فأشاعوا بذلك روح الذل والخنوع بين المريدين، وقتلوا فيهم الأنفة، والإباء، والعزة، والكرامة، والرجولة، فخرجت في الأمة جماهير ذليلة قد استناخت للضيم، واستمرأت الهوان[4].

وإظهار المذلة، والافتقار، والانكسار لغير الله اعتراف له بقدرته على قضاء الحوائج، وتحقيق الأماني، وهذا صرف لحق من حقوق الله تعالى لغيره من خلقه، وهو وسيلة للشرك، ومهواة عظيمة[5].

---

(١) زعماء الإصلاح في العصر الحديث لأحمد أمين ص١٧.

(٢) انظر نظرية الاتصال عند الصوفية ص٢٨٥.

(٣) تقدم في ص٧١.

(٤) انظر الانحرافات العقدية والعلمية لعلي بخيت الزهراني ١/٥٣٧.

(٥) انظر نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي لابن عباس لابن رجب ص٦٣.

ولقبح هذا الصنيع فقد كان الإمام أحمد يقول في دعائه: (اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك، فصنه عن المسألة لغيرك)[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والعبد كلما كان أذل لله، وأعظم افتقارا إليه، وخضوعا له كان أقرب إليه، وأعزله، وأعظم لقدره، فأسعد الخلق أعظمهم عبودية لله، وأما المخلوق فكما قيل: احتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره)[2].

وبين العلامة ابن القيم أن تذلل المبتدع عند القبر، وانكسار قلبه للمقبور، وإظهار مسكنته واضطراره من أقوى الشبهات التي أوقعت القبورية في الافتتان بالقبور، والتعلق بالمقبورين؛ وذلك أن الله قد يقضي حاجته، ويجيب دعوته لما قام بقلبه من الاضطرار؛ لا لوقوفه على القبر، ولا لأجل المقبور كما يعتقد أهل الأهواء[3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأين التوحيد للخالق بالرغبة إليه، والرجاء له، والتوكل عليه، والحب له، من الإشراك به بالرغبة إلى المخلوق، والرجاء له، والتوكل عليه، وأن يحب كما يحب الله؟ وأين صلاح العبد في عبودية الله، والذل له، والافتقار إليه، من فساده في عبودية المخلوق، والذل له، والافتقار إليه؟)[4] فالتذلل للمخلوق، والاستعباد له مناقض لمقاصد رسالة الإسلام التي جاءت بعزة العبودية لله تعالى، وتحرير العقول، والأبدان من الاستعباد لغير الله تعالى من أشكال الوسائط البدعية، والطواغيت الشركية، وكل ما فيه مدعاة للوثنية[5]. فمعنى كلمة التوحيد (

---

(١) المرجع نفسه والموضع بعينه.

(٢) مجموع الفتاوى ١/٣٩، **وانظر** جلاء العينين ص٥٥٧.

(٣) راجع ما تقدمت مناقشته من الشبهات في ص٧٣٩

(٤) قاعدة جليلة ص ٧٤.

(٥) **انظر** التفسير القيم ص١٩ هامش (١).

لا إله إلا الله) أنه ليس في هذا الكون واسطة، ولا معبود (جدير بأن يعبده الناس، ويسجدوا له بالطاعة، ويطأطئوا له رؤوسهم في العبادة، ويركنوا إليه عند الشدة، ويستعينوا به عند الحاجة إلا الله تعالى، فهي إذن يتلخص فيها الإيمان الكامل، والخضوع التام، والإقرار الصريح بأن العبودية لا تكون إلا لإله واحد دون سائر الآلهة الباطلة، فيتحقق بها التوحيد الحقيقي بشقيه: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية)[1].

والمقصود أن الذلة من العبد، والانكسار من القلب هو روح العبودية، ومخها، فلا يجوز صرفها إلا لله تعالى. يقول العلامة ابن القيم: (إن عبودية التوبة فيها من الذل، والانكسار، والخضوع، والتملق لله، والتذلل له ما هو أحب إليه من كثير من الأعمال الظاهرة؛ وإن زادت في القدر، والكمية على عبودية التوبة، فإن الذل، والانكسار روح العبودية، ومخها، ولبها)[2].

ولا نجد مظهرا لألوهية المعبود أكبر من أن نجد عابديه واقفين بين يديه، متذللين، منكسرين، ضارعين، خاضعين، خاشعين يلتمسون منه المدد، والمعونة، وهذا هو في الحقيقة ما نلاحظه عند الصوفية في زياراتهم للمقبورين[3]، وما أحسن قول الشاعر[4]:-

نزّه فؤادك من سوانا تَلْقَنَا فجنا بنا حِلٌّ لكل مُنَزَّهِ

(١) مقدمة تحقيق معنى لا إله إلا الله للزركشي تحقيق علي القره داغي ص٤٤.

(٢) مدارج السالكين ١/٢٩٨، **وانظر** تيسير العزيز الحميد ص٦٦، والرد على شبهات المستعينين بغير الله تعالى ص٤٧.

(٣) **انظر** دمعة على التوحيد ص٢١٣.

(٤) **انظر** الفوائد ص٤٠.

وقال العلامة ابن القيم في نونيته -مبينا حال المتذللين، والمنكسرين لغير الله تعالى[1]:-

هَرَبُوا من الرِّقِّ الذي خلقوا له   فَبُلوا برق النفس والشيطان
لا ترضَ ما اختاروه هم لنفوسهم   فقد ارتضوا بالذُّلِّ والحرمان

فمتى كان المسلم بحاجة إلى من يأخذ بيده ليتوسط له عند ربه؟ ومتى كان ربنا محتجبا عن الضعفاء، والزمنى، والغارقين في بحور المعصية؟ فهل في كتاب الله تعالى، أو في سنة نبيه ﷺ ما يدل على ذلك؟ كلا! بل إن الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة طالما وضحت هذا الجانب، وأضاءت هذا الطريق، ومهدت هذا المنحنى الخطر الذي ضل بسببه كثير من أهل الجهل، والأهواء، والبدع؛ حيث ظنوا أن صاحب المعصية غير مؤهل لمناجاة الله، وطلب المغفرة منه، والرحمة، حتى يبحث عن واسطة مصقولة الباطن، نظيفة الظاهر، فيتشبث بها، ويتعلق بأذيالها، خاضعا، متذللا، منكسرا، كل ذلك لتأخذ بيده، حتى يغفر الله حوبته، ويقبل توبته!!

اللهم اجعل عزتنا في التذلل لك وحدك، وراحة قلوبنا في انكسارها لك لا لغيرك، ولا تجعل لسواك فينا نصيبا، يا رب العالمين.

---

(١) انظر متن القصيدة النونية ص٣٠٨.

المبحث الرابع: ضياع العمل لتوزعه بين الوسائط.

يتوجه أهل الأهواء إلى الوسائط البدعية، طلبا لإنجاح الأمور، واستدفاعا لوقوع محذور، فينجم عن ذلك أن النية تتجزأ إلى نيات، والعمل يتوزع بين تلك الوسائط، ويصير إلى شتات، وإذا أردت أن تعرف كيف يضيع عمل المبتدع، وما وجه توزعه بين الوسائط فاسمع إلى ما يقوله إمام الرافضة الخميني، مصرحا بهذه العقيدة الفاسدة: (فيتوسل بأولياء الأمراء، وخفراء الزمان، وشفعاء الإنس، والجان، يعني الرسول، والأئمة المعصومين، ويجعل تلك الذوات الشريفة شفيعا، وواسطة؛ وحيث أن لكل يوم خفيرا[1]، ومجيرا، فيتعلق يوم السبت بالوجود المبارك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ويوم الأحد لأمير المؤمنين ﷺ، ويوم الإثنين للإمامين الهمامين السبطين رضي الله عنهما، ويوم الثلاثاء للحضرات: السجاد، والباقر، والصادق رحمهم الله، ويوم الأربعاء للحضرات: الكاظم، والرضا، والتقي، والنقي رحمهم الله، ويوم الخميس للعسكري رحمه الله، ويوم الجمعة لولي الأمر -عجل الله فرجه الشريف- ويسأل الحق تعالى رفع شر الشيطان، والنفس الأمارة بالسوء، بشفاعتهم؛ فإنهم مقربون لجناب القدس، والمحارم لخلوة الأنس ويجعلهم وسائط في الائتمام، وقبول العبادات الناقصة، والمناسك غير اللائقة، فالحق تعالى كما جعل محمدا، وأهل بيته وسائط الهداية...وعينهم الهداة لنا...فيرحم بشفاعتهم قصورنا، ويتمم نقصنا، ويقبل طاعتنا، وعباداتنا غير اللائقة)[2].

واسمع إلى تعليل أحد الصوفية لتوزيع العمل بين الوسائط؛ حيث يقول: (فلكل شيخ من أهل الله حضرة لا يشترك فيها مع غيره؛ فإذا ورد منها نور بأمر من الأمور

---

(١) الخفير: المجير، والمانع، والاسم الخُفرة: وهي الذمة. انظر مختار الصحاح ص١٨٢ مادة (خ ف ر).

(٢) الآداب المعنوية للصلاة للخميني ص٥٦٩، نقلا عن كتاب العلاقة بين التشيع والتصوف لفلاح بن أحمد ص٣٦٣.

التي ذكرناها، ونسب إلى غير تلك الحضرة من الحضرة الإلهية اغتاظ ذلك النور، وطار، ورجع إلى محله... فمن نسب نورا إلى غير محله من الحضرة الإلهية فقد أساء الأدب في حضرة الحق، وكذب على ا لله، والحضرة لا تحتمل الكذب؛ فلذا يطرد، ويسلب، والعياذ با لله تعالى)[١].

ويقول الشيخ الواسطة الدباغ -عن نفسه عند ما كان مريدا في بداية سلم الولاية-: (ألقى ا لله في قلبي التشوف إلى العبودية الخاصة، فجعلت أبحث عنها غاية البحث، فما سمعت بأحد* يشيخه الناس، ويشيرون إليه بالولاية إلا ذهبت إليه وشيخته؛ فإذا شيخته ودمت على أوراده مدة، يضيق صدري، ولا أرى زيادة، فأتركه، ثم أذهب إلى غيره فأشيخه، فيقع لي معه مثل ما وقع من الأول، فأتركه، ثم أذهب إلى غيرهما فوقع لي مثل ذلك، فبقيت متحيرا في أمري من سنة تسع إلى سنة إحدى وعشرين، وكنت أبيت كل ليلة جمعة في ضريح الولي الصالح سيدي بن حرزهم، وكنت أقرأ البردة مع من يبيت به حتى نختمها كل ليلة جمعة)[٢].

وقد يستغيث بعضهم بعدة وسائط فيقول: يا سيدي فلان، وفلان، وفلان، فمنهم من يخيل إليه أنه رأى واسطته في صورة إنسان، فيكلمه، ومنهم من يرى صورة لطائر، ومنهم من يرى صورة حيوان، وتكون الشياطين هي التي تتصور بتلك الصور؛ لأولئك المشركين الذين يدعون من دون ا لله آلهة أخرى، ويطلبون من هذه الوسائط مالا يطلب إلا من ا لله تعالى[٣]، (ومنهم من يزعم أن معبوده الأدنى يقربه إلى الأعلى الفوقاني، والفوقاني يقربه إلى من هو فوقه، حتى تقربه تلك الآلهة إلى ا لله

(١) ميزاب الرحمة الربانية ص٣٣.

(٢) الإبريز ص٨.

(٣) انظر تلخيص كتاب الاستغاثة٢/٦٢٦، ودمعة على التوحيد ص١٠٩.

سبحانه وتعالى، فتارة تكثر الوسائط، وتارة تقل)[1]. وهذا التصور للوسائط البدعية هو نفسه تصور أهل الجاهلية. لمعبوداتهم، ولكل شيخ من هذه الوسائط المزعومة يوم معروف في شهر معلوم، يؤتى إليه من جميع النواحي لقضاء الحاجات، وتقديم العرائض والخطابات[2].

ولا ريب أن توجه أهل الأهواء، والطرقيين كل إلى شيخه، أو إمامه، وواسطته، سواء توجه إليه طالبا منه التوسيط، أو انقطع إليه بالعبادة، والدعاء، والاستمداد؛ فإنه يشبه بهذا التوجه الشعوب البدائية التي كانت تتيه في ظلام الجهل؛ حيث توجهت هذه الشعوب -لبعدها عن ضياء الوحي، وأنوار الرسالات السماوية- بالعبادة إلى بعض مظاهر الكون فعبدت الشمس،والقمر، وعبدت الإنسان، والبقرة، والفيل، وسجد كل شعب لما يظن أنه الممثل الأكبر لخالق هذا العالم[3]. وهكذا كانت نظرة قدماء اليونان الوثنية لتعدد الآلهة، (فنسبوا لمظاهر الطبيعة صفات الألوهية، وعبدوها من دون الله، فللبحر إله، وللخصب إله، وللرعد، والعواصف إله، وللحب إله، وللجمال إله، حتى إن الآلهة العديدة التي اعتقدوها سلبت الإنسان كل سلطان فما هو إلا ذرة في مهب الرياح الهوجاء لا قدرة له على الثبات، والمواجهة؛ بل هو خاضع للحتميات القاهرة التي تفرضها إرادات الآلهة المتعارضة)[4].

من أجل هاتين النظرتين: نظرة أهل الأهواء البدعية لتعدد الوسائط، ونظرة الوثنيين الشركية لتعدد الآلهة كان العمل الناشئ عن تلك النظرتين هباء منثورا.

---

(١) تجريد التوحيد المفيد ص٢٦.

(٢) نقله عن بعضهم الشيخ حمد بن ناصر آل معمر. **انظر** النبذة الشريفة في الرد على القبوريين ص١٤٩.

(٣) **انظر** مجلة المنار ٢٦٧/١، ومشكلة الألوهية للدكتور محمد غلاب ص٢٢.

(٤) الرسالة والرسول لشيخنا الدكتور أكرم ضياء العمري ص٨، **وانظر** دمعة على التوحيد ص٨٢.

وإذا كنا نطعن في دين النصارى؛ لأنهم يدينون بآلهة ثلاثة، ويشعرون في الوقت نفسه بغرابة هذا التعدد وبعده عن الحقيقة، والعقل، ويحاولون تأويله بكل سبيل، ويقولون إن الثلاثة في حكم الواحد، فبما ذا نحكم على من ينتسبون إلى الإسلام وهم يدينون بآلاف من الآلهة معظمها جذوع أشجار، ورفات أموات، وقطع أحجار، وهم لا يشعرون؟[1].

ومن عجيب أمر الصوفية، وتناقضهم البيِّن أن بعض شيوخهم، وهو تجاني تنبه لشتات العمل، وضياعه؛ بسبب توزعه بين الوسائط، فكان هذا الشيخ ينصح مريده قائلا: (يا فلان: رد روحك لجهة واحدة، خوفا عليه من الشتات، وجمعا له عن الالتفات)[2]. وغني عن القول أنه يقصد بالجهة الواحدة شيخه الواسطة!!

وإذا أصبح لكل واسطة من المقبورين دوره في حياة الناس، وتخصصه الذي يزار من أجله ويستغاث به طلبا لحصوله؛ فإن البدعة تتمكن من القلوب، ويزداد العمل تشتتا، وضياعا، فضريح السيدة فلانة يزار لزواج العوانس، وضريح الشيخ فلان يزوره المعدّمون لبسطة الرزق، والقادرة الشاطرة صاحبة الضريح الفلاني يحج إليها في مشاكل الحب، والهجر، والفراق، والطلاق، ومقبورة أخرى متخصصة في أمراض الأطفال، والعيون، وعسر الهضم...[3] وهكذا، فكل قوم لهم واسطة ينادونه عند الشدائد، فلأهل العراق واسطة، وأهل الهند لهم واسطة، ولأهل تهامة واسطة، وأهل مكة، والطائف لهم واسطة، وأهل مصر لهم واسطة، وأهل اليمن لهم واسطة، وهلم

---

(١) **انظر** النظرات للمنفلوطي٢/٤٧، وهذه هي الصوفية ص١٠٢.

(٢) بغية المستفيد ص٣٠٢.

(٣) **انظر** كنت قبوريا ص ٣٦، ودمعة على التوحيد ص١١٧.

جرا...فلكل قرية أموات يهتفون باسمهم، وينادونهم، وهذا بعينه صنيع المشركين مع أصنامهم[1].

وقد تنبه المستشرق هجرونيه لما أصبح يعانيه المسلمون من تشتت، وضياع بسبب تعدد هذه الوسائط البدعية فقال: (إن شفاعة الصالحين أصبحت من الأمور التي لا يمكن فصلها عن أمة محمد الذي لعن اليهود،والنصارى- حسب ما جاء في الحديث- لعبادتهم قبور أنبيائهم، ويكاد يكون لكل قرية مسلمة إمامها الخاص، ولكل شعب مسلم إمامه القوي، ولكل ناحية في الحياة الإنسانية أمراؤها الإنسانيون، وهم الوسطاء بين الخالق والمخلوق)[2].

فنتيجة عمل المبتدع الضياع، والخسران؛ بسبب البدعة، كما ضيع المشرك عمله بسبب الشرك. قال تعالى:﴿**وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا**﴾[3]، وقال تعالى أيضا:﴿**قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا**﴾[4]؛ لأن أي عمل ديني لم يكن خالصا لله تعالى، ولم يكن صوابا على سنة رسول الله ﷺ فحبوطه مؤكد، وهو مردود على صاحبه، يقول العلامة ابن القيم: (وليس المراد المحبوب لذاته إلا واحد[5] إليه المنتهى، ويستحيل أن يكون المنتهى إلى اثنين، كما يستحيل أن يكون ابتداء المخلوقات من اثنين، فمن كان انتهاء محبته،ورغبته، وإرادته، وطاعته إلى غيره بطل

---

(١) **انظر** الدر النضيد ضمن الرسائل السلفية للشوكاني ص١٦٥، وتطهير الاعتقاد ص٥٨، وتوحيد الألوهية أساس الإسلام ص٣٢١.

(٢) عقيدة الشيعة لهجرونيه ص٣٣٧، نقلا عن الصلة بين التصوف والتشيع للشيبي١/٤٣٠، **وانظر** العقيدة والشريعة لجولد تسيهر ص٢٣٢.

(٣) سورة الفرقان الآية ٢٣.

(٤) سورة الكهف الآيتان (١٠٣- ١٠٤).

(٥) هكذا في النص بالرفع، ولعل الصحيح (واحدا) بالنصب لأنه واقع خبر ليس.

عليه ذلك، وزال عنه، وفارقه أحوج ما كان إليه، ومن كان انتهاء محبته، ورغبته، ورهبته، وطلبه هو سبحانه ظفر بنعيمه ولذته، وبهجته، وسعادته أبدا الآباد)[1].

إن المبتدع الذي تتوزع طاقاته، وتتبدد جهوده ومشاعره، وتتوزع نياته، ويضمحل عمله لتوجهه لوسائط متعددة، مثله كمثل المشرك الذي يشعر بتمزق داخلي، وعدم استقرار، وطمأنينة لدينونته لآلهة متعددة، فهو لا يستطيع إرضاءهم جميعا، (وبين الله حالة المشرك هذه بقوله تعالى:﴿**ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سَلَماً لرجل هل يستويان مثلا**﴾[2].

فمثله كمثل العبد المملوك لعدة أشخاص لا يمكنه أن يبلغ رضاهم كلهم فهو في شقاء دائم؛ لتصارع رغباتهم عليه، ومطالبهم منه....لذا نجد المشرك دائما مصادما لفطرته، مضطربا في وجهته، وغايته، ودوافع عمله، وسلوكه)[3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (والمقصود هنا أن الشيء إذا انقسم ووقعت فيه الشركة نقص ما يحصل لكل واحد؛ فإذا كان جميعه لواحد كان أكمل..كما أن الزرع كلما نقي عنه الدغل كان أزكى له، وأكمل؛ لصفات الكمال الوجودية فيه)[4].

وبالجملة؛ فإن من يتوجه إلى وسائط الأئمة من الرافضة، أو وسائط الشيوخ، والأولياء من الصوفية، سوف يصاب بالحيرة، والدهشة، ويضيع عمله سدى؛ لأنه لا

(١) الفوائد ص١٩٥.

(٢) سورة الزمر الآية ٢٩.

(٣) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ص١٣٢، **وانظر** معارج الألباب ص٢٣٠.

(٤) مجموع الفتاوى١٧/١٤٥، **وانظر**١/٢٤، واقتضاء الصراط المستقيم٢/٦٩٤، وقرة عيون الموحدين شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص٨٤، وتفسير السعدي٦/٤٤.

يدري يرضي من على حساب من؟ فطابور الأئمة طويل، وسلسلة الأولياء لا تنتهي، وسوف يصبح - والحالة هذه- كما قيل:

تكاثرت الظباء على خراش   فما يدري خراش ما يصيد

اللهم اجعل أعمالنا كلها صالحة، واجعلها لك خالصة، ولا تجعل لأحد فيها نصيبا، بمنك يا أكرم الأكرمين.

المبحث الخامس: انتشار الضعف بين المسلمين وانشطار شملهم.

تقدم معنا في بيان آثار الواسطة الشرعية أن التوحيد سبب للألفة، والاجتماع[1] وهنا أثر مقابل يحصل نتيجة للاعتقاد الفاسد في الوسائط البدعية المنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي يوالى عليهم، ويعادى بسببهم، ألا وهو انتشار الضعف بين أبناء الأمة الإسلامية، وانشطار شملهم، وانفطار عقدهم؛ لأن الجنوح إلى البدع، والأهواء سبب للفرقة، والانشطار، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والبدعة مقرونة بالفرقة كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة كما يقال: أهل البدعة والفرقة)[2]، وقال الإمام الشاطبي: (التعدد داعية الفرقة والفرقة سبب للمنازعة المورثة للفشل، والضعف، والوهن، قال الله تعالى:﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾[3])[4].

وقد تفرق أهل الأهواء، وصاروا شيعا وأحزابا، كل طائفة تكفر الأخرى وتبدعها حتى صدق فيهم قول الله تبارك وتعالى:﴿**إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء**﴾[5].

والغريب في مسألة وساطة الشيخ للمريد أن أبناء كل طريقة يتعصبون تعصبا مشينا لشيخهم على حساب الطرق الأخرى، فتراهم يلمزون مشايخ الطرق الأخرى، ويجرحونهم، وينتقصونهم؛ بينما تجدهم في الجانب الآخر يطرحون على شيخهم، وواسطتهم وشاحا من التعظيم، وهالات من التقديس ويدعون اختصاصه

---

(١) **انظر** ص٨٣٧

(٢) الاستقامة ١/٤٢.

(٣) سورة الأنفال الآية ٤٦.

(٤) الاعتصام ١/٨٧، **وانظر** الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية لمحمد رشيد رضا ص هـ.

(٥) سورة الأنعام الآية ١٥٩.

بحلول البركة، وصلاحه وحده للواسطة، (فانتهى الأمر بنوع من التعصب الطائفي يذكرنا بالحزبية السياسية أو التعصب القروي، وإن كان أخطر كثيرا من كلا التعصبين؛ لأنه تعصب باسم الدين، وهو في الوقت ذاته خروج آثم على مبادئ الدين)[1].

واسمع إلى بعضهم -وهو تجاني- كيف يزرع في نفوس المريدين من أتباعه بذور العداوة، والفرقة، والانشطار بقوله: (ويجب على الشيخ أن لا يترك أصحابه يزورون شيخا آخر، ولا يجالسون أصحابه؛ فإن المضرة سريعة للمريدين؛ لأن لكل شيخ طريقة، تخصه، لا يتعداها، ولا يخلطها بغيرها، فيسمع المريد أصحاب ذلك الشيخ يذكرون عن شيخهم خلاف ما أمره به شيخه فيختلف عليه الأمر فيوقعه، فوجب على الشيخ سد هذا الباب على المريدين)[2].

وقديما نقل أبو القاسم القشيري عن بعض الصوفية ـ في تعريف التصوف ـ قوله: (ما تزال الصوفية بخير ما تنافروا فإذا اصطلحوا فلا خير فيهم)[3].

والاعتقاد في هذه الوسائط البدعية الذي فرق أهل الأهواء من هذه الأمة، هو نفسه الذي فرق أمة العرب في جاهليتهم، وذلك أن كل قبيلة كانت تزعم أن صنمها هو الواسطة بينها وبين الله تعالى، فتواليه، وتعادي غيره من الأصنام، والآلهة، وكان بعض عقلائهم في الجاهلية ينهى عن عبادة هذه الأصنام ويقول للعرب: إنما تفرقتم بسبب هذه الآلهة المتعددة، والوسائط الوهمية، ولا سبيل إلى جمع كلمتكم إلا بعبادة

---

(١) نظرية الاتصال عند الصوفية ص٢٨٩، **وانظر** دمعة على التوحيد ص٢١٣.

(٢) رماح حزب الرحيم مطبوع بهامش جواهر المعاني ١/١٤٧.

(٣) الرسالة القشيرية ص٢٨٢.

إله واحد، فأطيعوني ترشدوا، واعبدوا الله وحده[1]. وكان بعض شعرائهم في الجاهلية يقول -في صنم له اسمه سعد-[2]:-

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا   فشتّتَنَا سعدٌ فلا نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرة بتَنُوفَةٍ[3]   من الأرض لا يدعو لغيٍّ ولا رشد

وهكذا تعددت الطوائف في هذه الأمة بسبب هذه الوسائط البدعية، وتعصبت كل طائفة لواسطتها، وتفرقوا، وخَطَّأَ كل فريق الفريق الآخر.

يقول محمود شكري الألوسي: (وهكذا تجد الغلاة من أهل الطرائق المبتدعة، فالرفاعي يقول: ليس القادري على شيء، والقادري يقول: ليس الرفاعي على شيء، وهذا يقول: شيخي أخذ زنبيل[4] الأرواح من عزرائيل، وأعاد كل روح إلى جسدها، وهذا يقول مر شيخي على جهنم فأراد أن يطفئها ببزاقه فحالت الملائكة بينها وبينه!! ومن اتبع العيدروسي[5] يقول:-

العيدروسي كان يُحيي   من الأموات من ماتَ دَهْرَاَ

وهكذا تجدهم يتضاربون بالأقوال، و لم يزالوا قائمين على ساق المخاصمة والجدال)[6].

---

(١) انظر الملل والنحل٢/٢٤٨.

(٢) انظر بلوغ الأرب للألوسي٢/٢٠٨، والمسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية١/١٢٤.

(٣) التنوفة: المفازة، والصحراء. انظر مختار الصحاح ص٧٩ مادة (ت ن ف).

(٤) الزنبيل: القفة، أو الجراب، والوعاء. انظر القاموس المحيط٣/٣٩٩ مادة (الز بل).

(٥) في كتب التراجم كثيرون بهذا اللقب، ولعل المراد صاحب الترجمة؛ لأنه كان معظما عند الناس.

وهو محمد بن عبدالله بن شيخ العيدروس، صوفي من أهل تريم باليمن، ولد سنة ٩٣٥هـ، وتوفي سنة ١٠٠٥هـ، كان معظما عند الملوك، والأمراء، له كتاب ((إيضاح أسرار علوم المقربين)).

انظر: الأعلام ١١٧/٧، ومعجم المؤلفين٣/٤٤٢.

(٦) غاية الأماني١/٢٦.

فالاختلاف مع العداوة،والفرقة عادة أهل الأهواء، والاختلاف مع التوالي، والتصويب عادة أهل السنة والجماعة[1].

فأهل الأهواء في شقاق دائم ونفرة، ونزاع، هذه حالهم وإن تقاربت ديارهم، واجتمعت أبدانهم (يكفر الابن أباه والرجل أخاه، والجار جاره، تراهم أبدا في تنازع، وتباغض، واختلاف، تنقضي أعمارهم، ولم تتفق كلمتهم:﴿**تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون**﴾[2]، أَوَمَا سمعت أن المعتزلة مع اجتماعهم على هذااللقب يكفر البغداديون منهم البصريين، والبصريون منهم البغداديين؟...إذا تدبرت أقوالهم رأيتهم متفرقين....يتبرأ بعضهم من بعض...وهل على الباطل دليل أظهر من هذا؟)[3].

وهذه الفرق، والطوائف التي تنتشر في طول العالم الإسلامي، وعَرضه ما سبب تفرقها وانشطارها عن جماعة أهل السنة؟ إن السبب في ذلك هو تلك النظرة البدعية للوسائط، وترك منهج أهل السنة في طلب الحق، فكل طائفة تزعم أن الواسطة بينها، وبين الله عز وجل هو شيخها الذي تنتسب إليه؛ ولهذا كثرت الطرق الصوفية كثرة فاحشة، حتى إن عَدّها، وحصرها بأسمائها، دون ذكر مقالاتها يعد من قبيل المستحيل فأتباع أحمد البدوي واسطتهم البدوي، والقادرية واسطتهم عبد القادر الجيلاني، والرفاعية واسطتهم الرفاعي، والشاذلية واسطتهم الشاذلي، والنقشبندية واسطتهم النقشبندي، والتجانية واسطتهم أحمد التجاني، والبريلوية واسطتهم أحمد البريلوي...وهلم جرا، فالقائمة لا تنتهي، والوسائط في تزايد، ونتج عن تعدد هذه الطرق بعدد الوسائط البدعية، (تقسيم أمة الإسلام بين مشايخ ضلال جهال،

(١) **انظر** مجموع الفتاوى٢٤/١٧٢، وإيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص١٦٠.

(٢) سورة الحشر الآية ١٤.

(٣) الحجة في بيان المحجة٢/٢٢٦، **وانظر** مجموع الفتاوى٤/٥١، ومعارج الألباب ص٢٧٠.

يستغلونهم، ويتحكمون فيهم، ويحرمونهم من نعمة الوحدة الإيمانية، والأخوة؛ إذ المعروف أن العداوة متأصلة بين طوائف الطرق إلى حد أن بعضهم لا يجالس البعض، ولا يؤاكله، ولا يشاربه؛ بل ولا يزوجه، ولا يتعاون معه، ويقول: هذا ليس بأخي من الشيخ، وكفى بهذه التفرقة بين المسلمين باطلا، وشرا، وفسادا، وتفريق أمة الإسلام، وتمزيق وحدتها؛ إذ ما قامت الطرق إلا على أساس تفرقة المسلمين، وتجزئتهم، وتفكيك عرى وحدتهم الروحية، والسياسية ليسهل قهرهم، والتسلط عليهم، كما حصل لهم في عهود الاستعمار البائدة، وهاهي ذي آثار ذلك باقية إلى اليوم فأمة الإسلام أمم ودولتهم دول، بهذا مضت فترة غير قصيرة على أمة الإسلام،وهي جماعات متباينة، لا يعطف بعضها على بعض، هذا قادري، وهذا شاذلي، وهذا نقشبندي، وهذا رفاعي، وهذا درقاوي، وذاك هبري، وعليوي، وتمسك كل فريق بشيخ، وورد، وطريقة، وجماعة، ومن هنا سهل على أعداء الإسلام الاستيلاء على ديار الإسلام، فوضعوا المسلمين قاطبة تحت حكمهم، واستعمروهم، واستغلوهم،وهم الذين وضعوا الطرق، والتصوف لتفرقتهم، وإذهاب ريحهم)[1].

وهكذا كثرت الفرق، والجماعات التي تنتسب إلى الإسلام بشكل متزايد، وكل طائفة تتميز عن الطوائف الأخرى بلبس معين، أو شارة معينة، أو لقب معين، كل ذلك بسبب انتساب كل طائفة إلى واسطة من الوسائط البدعية فحجرت واسعا، وضيقت على نفسها بالتحزب، وتركت شرف الانتساب لجماعة المسلمين الرحبة أهل السنة، والاجتماع، فانتشر بسبب الواسطة البدعية - الضعف في أوساط المسلمين، وانشطر شملهم إلى فرق وجماعات متناحرة، متباغضة، متحاسدة، يجمع بينها التعصب، كل فرقة تتعصب لشيخها، وواسطتها، ويدعون أنه هو القطب

(١) إلى التصوف يا عباد الله للشيخ أبي بكر الجزائري ص١١، **وانظر** مجموعة الرسائل الكبرى١/٣٠٩.

الغوث، الواسطة، ولا أحد يدانيه، فيرد عليهم أتباع شيخ آخر بالمنطق نفسه، فيصبح كل حزب بما لديهم فرحين، فينتج عن هذا التعصب الفرقة وانتشار الحقد بين طوائف أهل الأهواء[1].

يقول الشيخ بكر أبوزيد: (هذه الجماعات متعددة؛ بل الجماعة في نفسها متعددة إلى جماعات غالبا، والتعدد دليل على الاختلاف، وتعدد التعدد دليل على ضراوة الخلاف، والاختلاف نتيجة حتمية لاضطراب الأصول التي تنفرد بها كل جماعة، وتدعو إليها، وتقيم جماعتها عليها، وهذا يناقض قاعدة الشرع المطردة من أن الحق واحد، لا يتعدد، وكل واحدة تقيم حزب التشكيك بمالدى الأخرى، مدعية أن مالديها هو الحق، وما لدى الأخرى هو الباطل كلا، أو بعضا، وعليه فلا يَقْضِي على هذا السبب العظيم للتفرق، وتمزيق الجماعة، بله الأمة إلا الالتزام بمنهاج النبوة، كما درج عليه الصدر الأول، ومن تبعهم بإحسان، فدع أيها المسلم بُنيّاتِ الطريق)[2].

وللأسف الشديد فإن تفرق الأمة الإسلامية إلى جماعات وأحزاب، وطوائف معناه أن هذه الأمة جهلت حقيقة دينها الذي يدعو إلى الوحدة، والائتلاف، وجمع الكلمة[3]. ولقد صدق فيهم قول الشاعر[4]:-

يا أمةً جهلتْ حقيقة دينها فتفرقتْ فيها إلى أشياع

ولا ريب أن عاقبة هذا التفرق وخيمة رغم كونه واقعا في الأمة، وحقيقة أليمة. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ونتيجة الفرقة عذاب الله، ولعنته، وسواد الوجوه، وبراءة الرسول منهم)[5].

---

(١) انظر حكم الانتماء إلى الفرق ص١١٥، وانظر هذه مفاهيمنا ص٢٢٥.

(٢) حكم الانتماء إلى الفرق ص١١٥.

(٣) راجع أثر الواسطة الشرعية في معتقد أهل السنة والجماعة في ص٨٠٤

(٤) للشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة. انظر رسالة الشرك للميلي ص١٠.

وكفى بهذا زاجرا عن التفرق، والاختلاف، ودافعا إلى التجمع، والائتلاف.

والله تعالى أعلم.

---

(٥) مجموع الفتاوى١/١٧.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته، وتوفيقه تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتمة الوسائط في التبليغ نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فأحمد الله عز وجل، وأشكره على أن وفقني إلى كتابة هذه الرسالة، وأعانني على إتمامها، وإنجازها، وفي نهايتها يسعدني أن أشير إلى بعض الجوانب من معالمها، وأعرض لأهم النتائج، والثمرات التي توصلت إليها على النحو الآتي:-

١- إن المعنى اللغوي للواسطة: هو الشيء الذي يقع بين أمرين، ولذلك سميت واسطة القلادة واسطةً؛ لأنها الجوهرة التي تكون وسط العقد المنظوم، وأن الواسطة في لغة هذا العصر أصبحت شائعة من حيث الإطلاق على الجاه، والمنزلة، والمكانة.

٢- إن الواسطة في اصطلاح أهل السنة والجماعة ترادف الوسيلة، والشفاعة، والتعريف المختار للواسطة هو أن الواسطة: هي الوسائل، والأسباب الشرعية، المقربة إلى الله، الواردة في الكتاب، والسنة، بمعرفتها، والإيمان بها، والعمل بمقتضاها يتقرب العبد إلى الله تعالى لقبول أعماله، وأن الواسطة عند أهل السنة تطلق على أمرين:

أ - واسطة من الحق إلى الخلق، وهي الرسالة.

ب - وواسطة من الخلق إلى الخالق، وهي العبادة.

٣- إن الواسطة عند أهل الأهواء، والبدع ليست مضبوطة بضابط معين، وليس لها مصطلح محدد، فهي عالم خيالي، وباب مفتوح جلبوا إليه كل شيء ظنوه سببا وواسطة، فالواسطة عند الفلاسفة: هي الكواكب، والروحانيات، والعقول المدبرة، وهي عند الرافضة تختص بالأئمة من آل البيت -رحمهم الله-، وهي عند الصوفية شيخ الحقيقة، وإمام الطريقة، والإنسان الكامل.

٤- إن المراد بأهل السنة: هم المتبعون للسنة، المتمسكون بها، وهم الصحابة - رضي الله عنهم- ومن تبعهم بإحسان من هذه الأمة إلى يوم الدين، وإنهم يلقبون

بأهل السنة والجماعة، والفرقة الناجية، والسلفية، أو أتباع السلف، وأهل الحديث، وأهل الأثر، والطائفة المنصورة.

٥- إن أهل الأهواء ينبزون أهل السنة بألقاب شنيعة، وأسماء مبتدعة، ومن ذلك تسميتهم لهم: حشوية، ونابتة، وناصبة، وجبرية، ومشبهة، وعامة، ووهابية.

٦- إن الهوى تدور معانيه اللغوية حول السقوط، والميل عن الحق، والموت، والحيرة، وأنه في الاصطلاح: خلاف الهدى، وهو ميل الإنسان إلى رغبات نفسه، ومحاب قلبه، وأنه لص وخطره على ابن آدم كبير، وهو السبب في ضلال أهل الأهواء، وفساد عقائدهم.

٧- إن الضابط لمعرفة أهل الأهواء: أن كل من خرج عن موجب الكتاب والسنة يعد من أهل الأهواء؛ وإن كان منسوبا إلى العلم، والعبادة.

٨- إن العلامات التي تميز أهل الأهواء هي:-

أ - اتباع الهوى.

ب - الفرقة، والاختلاف.

جـ - التقليد المذموم للآباء،والمشايخ في العادات الفاسدة، والمعتقدات الباطلة.

د - تكفيرهم لمخالفيهم بغير دليل.

هـ - الذلة؛ بسبب طاعتهم لأهوائهم، وانكسارهم لوسائطهم،

و - اتباعهم للمتشابه المنهي عنه.

ز - معارضة السنة، وبغض أهلها.

حـ - التعصب لآرائهم.

ط - مصادر التلقي عندهم غير مضبوطة بضوابط الشريعة.

٩- تعريف الفلاسفة، وأن الفيلسوف مأخوذ من (فيل) وهو محب، و(سوفا) وهي الحكمة، وأنهم ثلاثة أقسام:-

أ- دهريون.

ب- وطبيعيون.

ج - وإلهيون.

وعلومهم ستة:

- علم رياضة.

- وعلم طبيعة.

- وعلم سياسة.

- وعلم إلاهيات.

- وعلم أخلاق.

- وعلم منطق.

١٠- تعريف الرافضة: وأن الرفض في اللغة: يعني الترك، والمنع، وأن الرافضة في الاصطلاح: هم الغلاة من الشيعة في حب علي ﷺ وبنيه من بعده، وبغض أبي بكر، وعمر رضي الله عنهما على الخصوص، ومعظم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وأن طائفة الإمامية الاثني عشرية رافضة، وقد انصبت فيها جميع عقائد الغلاة، وأن هذا اللقب محمود عندهم؛ فهو لقب تشريف، وتكريم، وليس لقب شتم، وتذميم كما هو المشهور عند الناس.

١١- تعريف الصوفية: وأن كلمة (صوف) تطلق في اللغة على عدة معان: منها الصوف المعروف، كما تطلق على الميل، والعدل، ومن أصحاب المعاجم من يرى أنها كلمة مولدة.

وأن الصوفية في الاصطلاح: كثرت التعريفات لها حتى بلغت ألفي تعريف عند الصوفية أنفسهم، ومدارها على أن الصوفية هم الجماعة المتصفة بالصفات المحمودة في الشرع، والمتخلقة بالأخلاق الممدوحة في الطبع، معرضة عن الدنيا، ومقبلة على الأخرى.

وهذا يصدق على الصوفية في طورها الأول، أما التصوف في عرف المتأخرين فقد

صار في أغلب الأحيان صناعة لكسب العيش، وتتطلب هذه الصناعة عمامة خضراء، وسبحة غليظة، وتظاهرا بالذكر، ودعوى مخاطبة الأولياء، والاتصال بهم عن طريق الروح، إلى غير ذلك من وسائل وأحكام هذه الصناعة.

١٢- إن الحكمة من بعثة الرسل (الواسطة)، وحاجة الناس إلى بعثتهم تتلخص في الآتي:-

أولا: تحقيق عبادة الله تعالى وحده، وإخلاص العمل له.

ثانيا: إقامة الحجة على الخلائق.

ثالثا: تعريف الناس بالعالم الغيبي، وما أعده الله للمؤمنين به من جنانه، وللكافرين به من نيرانه.

رابعا: القدوة الصالحة، والأسوة الحسنة.

خامسا: جمع الأمة على دين واحد، ورجل واحد.

سادسا: توجيه الناس، وإرشادهم لما فيه الخير، والصلاح في دينهم، ودنياهم.

١٣- إن الملائكة في اللغة جمع ملك: وأصله مألك من الألوكة، وهي الرسالة. وفي الاصطلاح: هم أجسام علوية، قائمة بأنفسها، قادرة على التشكل بقدرة الله، لا حصر لهم، لا يأكلون، ولا يشربون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء. وإنهم أصناف كثيرة، ولهم وظائف عديدة، وهم سفراء الله بينه وبين عباده، ينزلون بالأمر من عنده في أقطار العالم، ويصعدون إليه بالأمر.

١٤- إن الواسطة بين الله تعالى، والملائكة هو جبريل عليه السلام.

١٥- إن الواسطة بين الله ورسله في إبلاغ الوحي هو جبريل عليه السلام أمين الوحي، وأما نزول غيره من الملائكة لهذا الغرض، إنما كان في حالات نادرة، وحوادث مخصوصة، ليست على سبيل الاستقلال، وإنما كانت على سبيل التبعية، والمشاركة لجبريل عليه السلام.

١٦- إن النبي ﷺ رأى الواسطة الملكي على صورته التي خلق عليها مرتين: مرة عند سدرة المنتهى، ومرة في أجياد بمكة له ستمائة جناح، وإن نزول الواسطة الملكي على الواسطة البشري بالوحي يأتي على عدة أشكال: فمرة يأتيه على صورة غير مرئية، ومرة يراه على صورته، ومرة يتمثل له في صورة رجل إنسي، فيكلمه.

١٧- إنه ثبت -بطريق الوحي- أن جبريل، وبعض الملائكة عليهم السلام كانوا واسطة بين الله تعالى وبعض الأشخاص من غير الأنبياء، تشريفا لهؤلاء الأشخاص، وتكريما لهم.

١٨- الوحي في اللغة: الإعلام في خفاء. وفي الشرع: إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع، بواسطة، أو بغير واسطة. وإن الوحي يأتي على الأحوال التالية:-

أ - تكليم الله نبيه من وراء حجاب.

ب - الإلهام، والقذف في القلب.

ج - رؤيا الأنبياء في المنام.

د - تكليم الله أنبياءه بواسطة الملك.

١٩- إن الحكمة في كون الواسطة بين الناس من البشر أنفسهم تكمن في الآتي:-

١- للتناسب بين الطبيعتين؛ لأن الجنس إلى الجنس أميل.

٢- أن البشر لا يطيقون رؤية الملك.

٣- لأجل تمام القدوة، والأسوة.

٤- أن الملك لا يصلح أن يكون رسولا بين الناس؛ لبعد الفجوة، وتباين الخصائص بين الملائكة، والبشر.

٥- أن النبوة فضل من الله يختص بها من يشاء من عباده، سواء كان ملكا، أو بشرا.

٢٠- يتميز منهج أهل السنة والجماعة في فهم الواسطة بالتقيد بالكتاب والسنة،

فبحكم سيرهم على هذا المنهج البين، والصراط المستقيم نظروا إلى نصوص الكتاب والسنة، فوجدوها تثبت نوعا من الواسطة: وهو الواسطة من الملائكة، والأنبياء عليهم السلام في التبليغ، وواسطة العبادة؛ مثل الدعاء، والتوسل المشروع، والعمل الصالح، والشفاعة، وغير ذلك من أنواع العبادات الشرعية، والأعمال الصالحة، ثم وجدوها تنفي أنواعا أخرى من الوسائط ما أنزل الله بها من سلطان، يتشبث بها أهل الأهواء، والبدع، دون أن يسعفهم في إثباتها شيء من الأدلة المنقولة الصحيحة، أو يوافقهم عليها أهل العقول السليمة، الصريحة، فأثبت أهل السنة والجماعة ما أثبته الكتاب والسنة، ونفوا ما عدا ذلك؛ سيرا مع الكتاب، والسنة، ووقوفا مع النص، وجودا، وعدما.

٢١- مما يوضح صورة الواسطة في التبليغ في الدنيا أن الله تعالى يوحي بالأمر إلى الواسطة من الملائكة وهو جبريل أمين الوحي، فينزل به جبريل على الواسطة من الرسل، ثم يقوم الرسول بالبلاغ المبين في قومه، مبينا لهم العقيدة، والشريعة، والحلال، والحرام، ثم يقوم من سوى الأنبياء، والرسل، من حوارييهم، وأنصارهم، وصحابتهم، وكذلك مشايخ العلم، والدين بالبلاغ لما جاءت به الرسل، ونشر محاسن الرسالات السماوية، فيكونون وسائط بين الأنبياء، وأممهم في تبليغ الرسالات في الدنيا.

٢٢- إن الله تعالى يرسل جبريل عليه السلام في عرصات يوم القيامة واسطة بينه، وبين خاتم النبيين -صلوات الله وسلامه عليه-؛ وذلك حين يقوم نبينا ﷺ مقامه في الشفاعة العظمى، حينما يعتذر عنها جميع الأنبياء، والرسل، فيقول صلى الله عليه وسلم: (أنا لها) كما ورد في السنة أن أصحاب الأعذار الأربعة، وهم: رجل أصم، لا يسمع شيئا وقت البعثة، ورجل أحمق، مجنون لا يعقل شيئا، ورجل هرم، لا يدري شيئا، ورجل مات في الفترة، لم يدرك رسالة، ولم يأته رسول، هؤلاء المعذورون يرسل الله إليهم رسولا، واسطة بينه وبينهم في التبليغ في الآخرة، لإقامة الحجة

عليهم، والإعذار إليهم.

٢٣- إن الرسالة، أو النبوة سفارة بين الله، وبين الناس؛ لإرشادهم، ووعدهم، ووعيدهم، وهي اصطفاء محض من الله، واختيار؛ لأن الله يصطفي من الملائكة رسلا، ومن الناس رسلا، فمقام هذه الرسالة عند أهل السنة والجماعة في ذروة الاهتمام، ومن الأهمية بمكان؛ لأنها روح العالم، ونوره، وحياته، ولا صلاح للعالم إذا عدم الروح، والنور، والحياة.

٢٤- من الخصائص التي تميزت بها رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم:-

أ - كونها رسالة عالمية، وليست خاصة، كما هو حال الرسالات السماوية السابقة.

ب - كونها خاتمة للرسالات السماوية.

جـ - شمولها، واستيعابها لشئون الإنسان، والكون الذي يعيش فيه، والدار الآخرة، التي هو صائر إليها.

د - الوسطية، والتوازن.

هـ - كون المؤمنين بها يشهدون يوم القيامة على سائر الأمم أصحاب الرسالات السابقة.

و - حفظ الله لها من التبديل.

٢٥- من الحقوق التي أوجب الله على الأمة لصاحب هذه الرسالة صلى الله عليه وسلم: الإيمان به، ومحبته، وطاعة أمره، واتباع سنته، وتعزيره، وتوقيره، وتعظيمه، والصلاة والسلام عليه، والإيمان بعصمته صلى الله عليه وسلم في التبليغ، وفي الأمور التي يتعلق بها إثبات نبوته. وهذه الحقوق كلها واجبة، وهي مترابطة، ومتلازمة، ولا ينفك بعضها عن بعض، حيث لا يتصور في شخص واحد وجود بعضها، وتخلف حق منها.

٢٦- الهداية للحق، وإلى الطريق المستقيم هي أعظم نعمة يوفق الله عبده لنيلها،

وهي أنواع:-

أ - الهداية العامة المشتركة بين الخلق.

ب - هداية البيان، والدلالة، والإرشاد، والتبليغ، وهذه الهداية هي التي شرف الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم، وأعطاه إياها، وكرم الله بها كل من آمن به، وبرسوله، وأطاعه، واتبع النور الذي أنزل معه.

جـ - هداية التوفيق والإلهام . د - هداية المؤمنين إلى الجنة، والكافرين إلى النار .

٢٧- إن الرسول صلى الله عليه وسلم واسطة في التبليغ، والبيان، لا في العبادة وجزاء الإنسان؛ لأن التبليغ، والإرشاد من عمل الرسول ﷺ وواجباته، وأما العبادة، وما يتعلق بها كجزاء الإنسان، والحكم على مصيره هل هو إلى الجنة، أم إلى النار؟ فهذا من حقوق الله تعالى، فليس بين الله تعالى وبين خلقه واسطة حال الدعاء، والتضرع، والرجاء، من الملائكة، والأنبياء، بله غيرهم.

٢٨- إن الوسطية سمة بارزة في منهج أهل السنة والجماعة؛ وذلك في جميع مسائل الاعتقاد، ومن تلك المسائل وسطيتهم في باب تعظيم النبي ﷺ؛ حيث يرون أن تعظيمه ﷺ أمر زائد على المحبة؛ لكنه تعظيم شرعي، يحفظ للنبي ﷺ مكانته في قلب المؤمن بعيدا عن الغلو في حقه، أو إعطائه شيئا من خصائص الألوهية، أو الربوبية، كما يفعل الغلاة من أهل البدع، وبمعرفة حدود هذا التعظيم الشرعي يقف المسلم في سياج منيع، وحصن حصين، يقيه التردي في إحدى حفرتين: ألا وهما: غلو الغالين، أو جفاء المتنقصين.

٢٩- العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله، ويرضاه من الأقوال، والأعمال، الباطنة، والظاهرة، وكل عبادة استوفت شرطي قبول العمل، وهما:-

أ - الإخلاص لله تعالى.

ب - ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم، فهي عبادة صحيحة، وعمل صالح، وواسطة شرعية لحصول ثواب الله تعالى، ومحبته، ورضوانه، فالعبادات الصالحة هي الوسيلة التامة إلى سعادة الدنيا، والآخرة، فالصلاة واسطة، والصيام واسطة، والصدقة

واسطة، والحج واسطة، وقل مثل ذلك في سائر أنواع العبادات، وأصناف القربات.

٣٠- الدعاء هو العبادة، وهو رابطة قوية بين العبد، وربه، فيتقرب به المخلوق من خالقه جل شأنه، وهو وسيلة صحيحة، وواسطة شرعية، يتم فيه اطراح العبد بباب ربه الكريم، يتجلى فيه من مظاهر العبودية، والتذلل، والانكسار لله تعالى ما لا يظهر في كثير من صور العبادات الأخرى.

٣١- إن صورة الواسطة في التوسل المشروع تتضح بمعرفة أنواعه الثلاثة: وهي:-

أ - التوسل بأسماء الله الحسنى، وصفاته العلى.

ب - التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائه.

جـ - التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح، فالاقتصار على هذه الأنواع هو الواجب على المسلم من التوسلات البدعية المخترعة، التي شغل بها أهل الأهواء أنفسهم عن الثابت من التوسل.

٣٢- العمل الصالح واسطة صحيحة بين العبد وخالقه، والأعمال الصالحة التي تنفع المؤمن وتقربه من مولاه متنوعة؛ لكنها ترجع في الأساس إلى ثلاثة أضرب: منها: ما يختص بالقلب، ومنها ما يختص بالبدن، ومنها ما يشترك فيه البدن، والقلب.

٣٣- الشفاعة في الاصطلاح هي: التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة، وهي ثابتة للنبي ﷺ يوم القيامة، وللنبي ﷺ شفاعات في الآخرة، بعضها خاص به صلى الله عليه وسلم، ويشاركه الملائكة، والنبيون في بعضها الآخر، وهذه الشفاعات هي:-

أ - الشفاعة العظمى.

ب - الشفاعة في استفتاح باب الجنة لأهلها.

جـ - الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه.

د - الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة.

هـ - الشفاعة في دخول الجنة بلا حساب.

و - الشفاعة لأهل الكبائر.

٣٤- ومع ثبوت الشفاعة لنبينا ﷺ إلا أنه لا يجوز أن نتوجه إليه الآن بطلبها منه، وإنما نتوجه إلى المولى عز وجل بطلبها، فنقول: اللهم شفع فينا نبيك، وخاتمة رسلك محمدا صلى الله عليه وسلم، واجعلنا نرد حوضه، ونشرب منه شربة، لا نظمأ بعدها أبدا.

٣٥- وأما الشفعاء الذين دلت الأدلة على شفاعتهم، غير النبي ﷺ فهم: الملائكة، والنبيون، وأفراط المسلمين، والشهداء من هذه الأمة، فيجب على المسلم أن يعتقد شفاعتهم.

٣٦- ينبغي في الرد على أهل الأهواء بنفي الواسطة البدعية، والتوسل البدعي بذوات الأنبياء، والأئمة، والأولياء، أن نركز على مسألة مهمة، وهي أن العبادة الشرعية واسطة مقبولة بنفسها، وهذه المسألة يتفق عليها الجميع، فينبغي بيانها وتوضيحها للعوام، وأهل الأهواء والبدع، الذين جرفهم تيار التوسل البدعي وشغلهم التعلق بذوات المخلوقين، عن الاستغناء بالثابت من التوسل واعتبار العبادة الشرعية واسطة مقبولة عند الله تعالى.

٣٧- يتميز مذهب أهل الأهواء في فهم الواسطة بخروجه عن دائرة الكتاب والسنة، ومن ثم بنوه على الأمور التالية:-

أولا: تعلقهم بكل شيء ظنوه سببا، وإن لم يكن سببا.

ثانيا: دعوتهم الصريحة إلى التعلق بالواسطة، والالتفات إليها أكثر من المتوسط إليه.

ثالثا: فلسفتهم الخاصة في منع العصاة، والمذنبين من التوجه إلى الله مباشرة، والبحث عن واسطة مصقولة الباطن، نظيفة الظاهر.

رابعا: اعتمادهم على الأخبار الواهية، والأحاديث المكذوبة.

خامسا: قياسهم الواسطة في العبادة على الواسطة في التبليغ.

سادسا: زعمهم أن كل من عظمه الله تعالى واسطة بذاته، فيرون أن من تعظيمه اعتقاد وساطته، وأن ذلك من تعظيم الله تعالى.

٣٨- تبين لي من خلال دراسة هذا الموضوع وقوع أهل الأهواء في تناقض عجيب؛ وذلك أنهم وقعوا في الغلو الفاحش في الواسطة الصحيحة نبينا محمد ﷺ فرفعوه فوق مرتبة النبوة، ومنزلة الرسالة، ثم جمعوا مع ذلك تنقيصه صلى الله عليه وسلم، والحط من رتبته، والطعن في مقام النبوة، فزعموا أن لبعض الشخصيات منزلة أعلى من منزلته، ومكانة أسمى من مكانته صلى الله عليه وسلم، وأن هذا التنقيص موجود في مقالات الفلاسفة، والرافضة، والصوفية.

٣٩- إن نظرة الرافضة للرسول ﷺ تتميز بالغلو حينا، والتنقيص أحيانا أخرى، فحينما يتحدثون عن النبي ﷺ يقولون إنه خلق من نور، فإذا ما تحدثوا عن علي ﷺ، والأئمة من بنيه رحمهم الله وقعوا في تنقيص النبي ﷺ، والحط من قدره، والرفع من شأن الإمام.

٤٠- إن عقيدة الرافضة في الملائكة الكرام الطعن فيهم، والتطاول على مقامهم المقرب، وإنكار وظائفهم، وخصائصهم التي شرفهم الله بها، وكأنهم ملائكة الأئمة، لا ملائكة الله.

٤١- تتميز نظرة الرافضة لأئمتهم "وسائطهم" بالغلو الفاحش، والتقديس المرفوض مع التنقيص الفاضح لمقام النبوة، ومنزلة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٤٢- إن الشبهات التي تدافع بها الرافضة عن عقيدتهم في ادعاء وساطة الأئمة شبهات واهية تتمثل في روايات باطلة، وأخبار مختلقة، وأن هذه الشبهات مخالفة للطبع، والعادة، والشريعة.

٤٣- لقد وقع الصوفية في الإطراء المنهي عنه؛ بل وقعوا في الغلو الزائد في الرسول صلى الله عليه وسلم حتى طفحت عباراتهم بالشرك، ومعاني الزندقة، فزعموا أنه خلق من نور، وأنه أصل مادة الوجود، وأن الكون انبجس من نوره، وأن الكائنات خلقت من أجله، وأنه لا ظل له، ومن ثم ادعوا جواز صرف شيء من أنواع العبادة له صلى الله عليه وسلم.

٤٤- وجدت أن مقام الولاية عند الصوفية مزاحم لمقام النبوة؛ بل هو أعلى منها كما يصرحون بذلك، وبسبب ادعائهم وساطة الأولياء لازمهم أمران:-

أحدهما: رفع مقام الولاية فوق مقام النبوة، والغلو في الولي.

وثانيهما: خدش مقام النبوة، والحط من منزلة الرسالة، وتنقيص الأنبياء، وربما فضلوا خاتم الأولياء على جميع الأنبياء.

٤٥- إن أجلى ما تتضح به صورة الواسطة البدعية عند الصوفية في الأحياء هو دعوتهم الصريحة إلى تعلق المريدين بوسائطهم حال الحياة؛ حيث يصرح المتبوعون من الشيوخ لأتباعهم أن بيدهم الخلاص، والفلاح لمن توجه إلى الله تعالى بواسطتهم، وتعلق بهم، وآوى إلى جنابهم، ودخل ساحتهم.

٤٦- ثم تتأكد هذه العلاقة، وتتوطد بين الشيخ، والمريد بعد وفاة الشيخ، وبعد أن يصبح في عالم البرزخ، واتضح أن الصوفية في صورة الواسطة البدعية في الأموات اتبعوا سنن الرافضة في التعلق بالمقبورين، والعكوف على قبورهم.

٤٧- اتضح أن نظرة الصوفية لشيوخهم "وسائطهم" عموما تتميز بالغلو الزائد، والتقديس المشين، فادعوا عصمتهم، وهولوا من قدراتهم، وطاقاتهم، وادعوا أن الشيخ يطرح عن المريد الخطايا، والمعاصي، فأصبحوا يحلفون بهم، ويحكون عنهم حكايات، وقصص خرافية بعيدة عن الحقيقة والواقع، وأصبح الشيخ عند الصوفية عالما خرافيا تنسج حوله الأساطير، والتصورات الخاطئة.

٤٨- إن الشبهات التي تتشبث بها الصوفية لتبرير التعلق بالوسائط البدعية أنواع:-

فمنها شبهات عامة، بعضها آيات ليس فيها دليل لهم، وآحاديث ضعيفة أو موضوعة لا حجة فيها، أو أحاديث صحيحة ليس فيها مستند لهم.

ومنها شبهة التسبب، والكسب، وشبهة المجاز العقلي.

ومنها شبهات تتعلق بالأنبياء عليهم السلام: كالتوسل بهم، وقياس وساطتهم في

العبادة على وساطتهم في التبليغ، وقياس حياتهم البرزخية على حياتهم الدنيوية، وقياس جواز التوجه إلى النبي ﷺ بالطلب قياسا على شفاعته يوم القيامة.

ومنها شبهات تتعلق بالأولياء، والصالحين: مثل شبهة الولاية، والكرامة، وشبهة البركة.

ومنها حكايات، ومنامات يروونها عن شيوخهم، ووسائطهم.

٤٩- ومن النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث اكتشاف أن رسالة الواسطة التي تنسب للعز بن عبد السلام رحمه الله هي نفسها رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية " الواسطة بين الحق والخلق" كما سبقت الإشارة إلى ذلك في المقدمة[1].

٥٠- وجدت أن السبب في تعلق الصوفية بالمقبورين، والتماس المدد منهم سببه هو تلك التصريحات التي كانت تصدر من الوسائط المزعومة للمريدين في حياتهم، كتخليص المريد من المآزق، وتثبيته عند القلق، ونفعه، أو ضره -كما وضحته صورة الواسطة البدعية عندهم في الأحياء- مما مهد للكثير من الممارسات البدعية عند قبور هؤلاء الوسائط -كما وضحته صورة الواسطة البدعية عندهم في الأموات-.

٥١- [illegible] هذه الرسالة [illegible] تأخذ بيد [illegible] كي يصفي العلاقة بينه وبين ربه عز وجل من الشوائب، والمكدرات، ولكي يتخلى عن العلائق، والعوائق، والشواغل، والحوائل التي تحول بين العبد وربه؛ لإخلاص العبادة لله تعالى، وعدم صرف شيء منها لغيره تعالى، لا لنبي مرسل، ولا لملك مقرب، ولا لإمام منصوب، ولا لولي محبوب.

٥٢- إن التناقض عند أهل الأهواء في باب الواسطة أمر عجيب فبينما نجد كثيرا منهم يدعون المريدين إلى التعلق بالله تعالى، ونكران الخلق، وعدم الالتفات إلى

(١) **انظر** ص ٩.

الأسباب،ويدعون إلى التوحيد الخالص، كقول أبي يزيد البسطامي: (استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق) نجدهم في الجانب الآخر يصفون أنفسهم بما لا يوصف به إلا رب العزة، والجلال، كقول أبي يزيد نفسه (سبحاني ما أعظم شأني)، ويتطاولون على مقام النبوة، كقول أبي يزيد نفسه: (وقع في خاطري أني أشفع لك إلى ربي)...إلى غير ذلك من التناقضات.

٥٣- اتضح لي من خلال هذا البحث وقوع الرافضة، والصوفية في الكذب؛ حيث كذبت الرافضة على الأئمة من آل البيت -رحمهم الله- فادعت أنهم واسطة بينهم، وبين الله تعالى، والأئمة بريئون من هذا الزعم الكاذب، بينما كذب غلاة أئمة الصوفية، ومشايخها الضالون على المريدين من أتباعهم، فادعى كثير من مشايخهم أنهم واسطة بينهم، وبين الله تعالى، فكذب التابع على المتبوع عند الطائفة الأولى، وكذب المتبوعون على أتباعهم عند الطائفة الثانية، وفي الصوفية قد يكذب التابع على المتبوع فيجتمع فيهم النوعان.

٥٤- أن المرء الموحد الذي أنقذه الله من مهاوي البدع، وخصوصا التعلق بغير الله تعالى من العبيد المخلوقين، والوسائط المزعومين، والتذلل لهم، والانكسار أمامهم هذه النعمة توجب عليه الفرح بالتوحيد، والخوف من سلبه.

٥٥- أثمرت الواسطة الشرعية لأهل السنة آثارا مباركة ذاقوا حلاوتها: ومن تلك الآثار: طلب نيل رضوان الله تعالى، ودخول جنته، وتحقيق التوحيد الخالص، وحازوا الطمأنينة، والثبات، وشعروا بالعزة، والقوة، والنصر، وعلموا أن حصول السيادة، والاستخلاف في الأرض سببه التوحيد، وأن الالتزام بالواسطة الشرعية يحقق الوحدة بين المسلمين.

٥٦- كما نجم عن القول بالواسطة البدعية آثار سيئة في عقائد أهل الأهواء: مثل وقوعهم في التشبيه، والشرك، والحيرة، والشك، والضياع، كما نتج عن القول بالواسطة البدعية الذلة، والانكسار لغير الله تعالى، وضياع عمل المبتدع لتوزعه بين

الوسائط، كما سببت الواسطة البدعية انتشار الضعف بين المسلمين، وانشطار شملهم.

التوصيات المقترحة:

أوصي نفسي، وإخواني المسلمين بالتمسك بالإسلام روحا، ومظهرا، فهي وصية إبراهيم، ويعقوب على نبينا وعليهما السلام:﴿**يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾[1].

ثم أرى أن هناك مسألة جديرة بالتحقيق، والتتبع في بحث مستقل ألا وهي: أن معظم شيوخ الطرق، والوسائط المزعومين- إن لم يكونوا كلهم- يسطو المتأخر منهم على دعاوى المتقدم، فدعوى أن من نظر إليه الولي الفلاني يموت في الحال، وأن من نظر إليه الكامل الفلاني يدخل الجنة، وكون الواسطة الفلاني ختمت به الولاية، وأن القطب الفلاني هو واسطة الفيض إلى غيره من الأولياء، والصالحين كل هذه الدعاوى، وغيرها كثير يوجد عند بعض المتأخرين، ويوجد من سبقهم إلى القول به من أقطاب التصوف المتقدمين.

كما أرى أنه ينبغي أن تفرد رسالة علمية في بيان شبهات أهل الأهواء، فهي كثيرة ومتناثرة.

وأخيرا: أرى أن الأسلوب الأمثل لمعالجة مسألة الواسطة البدعية عند أهل الأهواء، وغيرها من الأخطاء العقدية ينبغي أن يكون بالحكمة، واختيار الأسلوب النافع المؤثر.

ومن جميل ما وقفت عليه في هذا المجال ما ذكره الشيخ عطية محمد سالم عن منهج الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمهما الله تعالى- في الدعوة إلى الله، وأنه ألقى محاضرة في نيجيريا حول الغلو في الأشخاص، فكان من حكمته، وبصره بالدعوة أن أخذ يحث على العمل الصالح، ويبين للناس أن يوم القيامة لا ينفع مال، ولا بنون،

---

(١) سورة البقرة الآية ١٣٢.

وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، ثم أخذ يمثل بالرسل﴿**ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتا هما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين**﴾(١).

(فهذان نبيان كريمان لم يغنيا عن زوجتيهما شيئا، وولد نوح يبتلعه الطوفان، وهو ينظر إليه، ولم يملك له شيئا، وهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام لم يغن عن أبيه من الله شيئا، فقد ألح في دعوته إلى الله، ولكن أصر وعاند، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، وهذا سيد الخلق صاحب الشفاعة العظمى حين يقول كل نبي (نفسي نفسي) ويتقدم هؤلاء قائلا: (أنا لها) يقول لابنته التي هي بضعة منه: (يا فاطمة اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئا)...وهكذا كانت محاضرته رحمه الله، ولم يتعرض لشخص بعينه، ولا إلى عمل معين، ولما انصرفنا جاء رجل يتوكأ على عصا، فسلم على الشيخ، وقال له: لقد حطمت الأصنام التي كانت هنا، فقال له: متجاهلا: أي أصنام في بلد مسلم؟ فقال: إذا كان الرسل: نوح، ولوط، وإبراهيم، ومحمد صلوات الله، وسلامه عليهم لم يستطيعوا مساعدة أقرب الناس إليهم من أب، أو ابن، أو زوجة، فهل هؤلاء الذين يدعون أنهم شيوخ يستطيعون نفع أتباعهم يوم يقول كل نبي: نفسي، نفسي، ولا شك أن هذا المفهوم وجد عند الكثيرين)(٢).

اللهم رب جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السموات، والأرض، عالم الغيب، والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق، بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

رجاء:

---

(١) سورة التحريم الآية ١٠.

(٢) ضرورة الدعوة إلى الله وأثرها، تأليف الشيخ عطية محمد سالم ص٥٤.

أوجه رجائي لكل من يتصفح هذا العمل البشري، ويقرأ هذه الرسالة إن وجد صوابا أن يدعو لي، وإن وجد خطأ أن يصلحه، ويلتمس لي العذر فيه، وأقول له:-

يا من يراها منصفا يقرأها مغتبطًا

أهديتكم صوابها فاهدي إلينا الغلطًا

وادع لنا عقبها وأوّلاً ووسطًا

وبذكر هذه التوصيات وبعد هذا الرجاء أكون قد انتهيت من هذه الرسالة المباركة إن شاء الله، فالحمد لله أولا وآخرا، وظاهرا، وباطنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليما كثيرا، وجزاه الله عنا أفضل ما جزى نبيا عن أمته.



الفهارس العلمية:ـ

فهرس الآيات القرآنية

سورة الفاتحة

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة التوبة

سورة يونس

سورة هود

سورة يوسف

سورة الرعد

سورة إبراهيم

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة لقمان

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة ص

سورة الزمر

سورة غافر

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة الجاثية

سورة الأحقاف

سورة محمد ﷺ

سورة الفتح

سورة الحجرات

سورة الذاريات

سورة النجم

سورة القمر

سورة الرحمن

سورة الحديد

سورة الحشر

سورة المنافقون

سورة التغابن

سورة التحريم

سورة الملك

سورة القلم

سورة الحاقة

سورة الجن

سورةالمدثر

سورة القيامة

سورة الإنسان

سورة النازعات

سورة عبس

سورة التكوير

سورة الأعلى

سورة الغاشية

سورة الفجر

سورة الشمس

سورة الليل

سورة الضحى

سورة الشرح

سورة العلق

سورة القدر

سورة البينة

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس المصطلحات العلمية

فهرس الكلمات الغريبة

فهرس الفرق والمذاهب

فهرس البلدان والأماكن

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الآثار الواردة عن أئمة السـنة في أبـواب الاعتقاد من كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي — د/جمال بشـير بـادي ــ دار الوطـن ــ الرياض ــ ١٤١٦هـ.

الآداب الشرعية والمنح المرعية — لابن مفلح ــ مكتبة الرياض ــ الرياض ــ ١٣٩١هـ.

الآيات البينات في عدم سماع الأموات عنـد الحنفية السادات — نعمان الألوسي ــ تحقيق: الشيخ الألباني ــ المكتب الإسـلامي ــ بـيروت ــ ط٤ــ ١٣٩١هـ.

آيات الهداية والاستقامة في كتاب الله تعالى — الشيخ عطية محمد سـالم ــ مكتبـة دار الـتراث ــ المدينـة المنـورة ــ ط١ــ ١٤١٤هـ.

الأئمة الاثنا عشر — لابن طولون ــ تحقيق:صلاح الدين المنجـد ــ دار صادر ــ ١٩٥٨م.

أئمة المسجد الحرام ومؤذنـوه في العـهد السعودي — عبدالله سعيد الزهراني ــ ط١ــ الرياض ــ ١٤١٩هـ.

أبو حامد الغزالي والتصوف — عبدالرحمن دمشقية ــ دار طيبة ــ الريـاض ــ ١٤٠٦هـ.

أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضـد الأفكار الهدامة — د/عبدالله الجربوع ــ رسالة ماجستير غـير منشورة ــ بالجامعة الإسلامية.

أثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع — د/عبدالعال مكرم ــ مؤسسة الرسـالة ــ بيروت ــ ١٤٠٨هـ.

أثر علامة القصيم الشيخ عبدالرحمـن بـن سعدي على الحركة العلمية المعاصرة — د/عبدالله الطيار ــ دار العاصمة ــ الرياض ــ ١٤١٦هـ.

الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة — للشيخ عبدالرحمن الدوسـري ــ مكتبـة الرشد ــ الرياض ــ ط٢ــ ١٤٠٣هـ.

العلمية

الأحاديث الواردة في فضائل المدينة جمعـا ودراسة — د/صالح الرفاعي — مركز خدمـة السـنة بالجامعة الإسلامية — ط١ — ١٤١٣هـ.

أحكام أهل الذمة — لابن قيم الجوزية — تحقيق:صبحي الصـالح — دار العلـم للملايـين — بـيروت — ١٤٠١هـ.

أخبار القرامطة — د/سهيل ركار — طبعة دار الكوثر.

أخبار القضاة — وكيع بن حيان — تحقيق: عبدالعزيز المراغي — عالم الكتب — بيروت — ١٣٩٩هـ.

أدب العبودية — محمد مصطفـى عبدالرحمـن — مكتبـة الكليـات الأزهريـة — القـاهرة — ١٤٠٤هـ.

الأدب المفرد — للإمام البخاري — دار الكتب العلميـة — بيروت — ١٣٩٨هـ.

أدب الوزير — للماوردي — مكتبة الخانجي — مصـر — ١٣٩٨هـ.

أدبيات الشاي والقهوة — محمد طاهر الخطاط الكردي

الأركان الأربعة: الصلاة، الزكاة، الصـوم، الحج. — لأبي الحسـن النـدوي — دار القلـم — الكويت — ١٣٩٨هـ.

أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض — أحمد المقري — تحقيق: مصطفـى السـقا، وآخرين — مطبعة لجنة التأليف والترجمـة ١٩٣٩م.

أساس البلاغة — للزمخشري — تحقيق: الكوثري — دار إحياء التراث — بيروت — ١٣٥٨هـ.

أسباب النزول — للواحدي — مطبعة مصطفى البابي الحلبي — مصر — ١٣٧٩هـ.

الأسس العقدية التشريعية والأخلاقية كمـا تصورها سورة النجم — د/محمد عمر حوية الشنقيطي — دار القبلـة — جدة ت ١٤١٢هـ.

الأسماء والصفات — للبيهقي — تحقيق: الكوثري — دار إحيـاء

	الإمام بالرياض - ١٤١٣هـ.
أصل الدين عند الأئمة وسلف الأمة	عبد المحسن الشاذلي - دار طيبة - الرياض - ١٤١١هـ.
أصل الشيعة وأصولها	محمد الحسيني الكاشف الغطاء - مكتبة النجاح - القاهرة - ط١٠ - ١٣٧٧هـ.
الأصمعيات	للأصمعي - تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخر - دار المعارف - القاهرة - ط٤ - ١٩٧٦م.
الأصنام	لابن الكلبي - تحقيق: أحمد زكي - المطبعة الأميرية.
أصول الحديث: علومه ومصطلحه	محمد عجاج الخطيب - دار المعارف - دمشق - ١٤٠٨هـ.
أصول الدين	عبدالقاهر البغدادي - طبعة مدار الفنون - استنبول - ١٣٤٦هـ.
أصول الدين	للبزدوي - تحقيق: هانز بيتر لنس - ط دار إحياء الكتب العربية - مصر - ١٣٨٣هـ.
أصول الدين الإسلامي	محمد إبراهيم التويجري
أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة	د/محمد بن عبدالرحمن الخميس - دار الصميعي - ط١ - ١٤١٦هـ.
أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد	د/ناصر بن عبدالله القفاري - دار الرضا - مصر - ط٣ - ١٤١٨هـ.
أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٧هـ.
أعلام السنة المنشورة	للحكمي - تعليق: مصطفى الشلبي - مكتبة السوادي - جدة - ط٢ - ١٤٠٨هـ
أعلام العراق في تراجم نوابغ الألوسيين	محمد بهجة الأثري - ط السلفية ١٣٤٥هـ.
أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث	أحمد تيمور باشا - تقديم: السيد محمد يوسف - لجنة نشر المؤلفات التيمورية -

القاهرة ـ ١٣٨٧هـ.

أعلام الموقعين عن رب العالمين — لابن قيم الجوزية ـ تعليق: طه عبدالرؤوف سعد ـ دار الجيل ـ بيروت

أعلام النبوة — للماوردي ـ مراجعة: طه عبدالرؤوف سعد ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ـ ١٣٩١هـ.

الأعلام قاموس تراجم — خير الدين الزركلي ـ ط ٣+ ط ٥ ١٩٨٠م دار العلم للملايين ـ بيروت.

أعمال القلوب وأثرها في الإيمان — محمد دوكوري ـ رسالة دكتوراه ـ غير منشورة بالجامعة الإسلامية.

الأغاني — لأبي فرج الأصفهاني ـ ط دار الكتب المصرية.

الأم — للإمام الشافعي المطلبي ـ تصحيح: محمد النجار ـ مكتبات الكليات الأزهرية ـ القاهرة.

الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع — للسيوطي ـ تحقيق: مشهور حسن سلمان ـ دار ابن القيم ـ الدمام ١٤١٠هـ.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر — لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ تعليق: محمد بن رسلان ـ دار العلوم الإسلامية ـ القاهرة ـ ١٤٠٩هـ.

الأمنية في إدراك النية — أحمد بن إدريس الصنهاجي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٠٤هـ.

الأنساب — للسمعاني ـ مصور بالأوفست

أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) — للبيضاوي ـ دار الطباعة المعمورة ـ القاهرة ـ ١٣٨٥هـ.

أنوار الحق في الصلاة على سيد الخلق — عبدالمقصود سالم مكتبة شركة الشمرلي بالقاهرة ط١٨ سنة ١٤٠٦هـ

الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة — للمعلمي ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة ـ ١٣٧٨هـ.

الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية	يوسف النبهاني ـ طبعة ١٣١٢هـ.
الأنوار النعمانية	نعمة الله الجزائري الرافضي ـ مطعبة شركة جاب ـ إيران.
أنيس الفقهاء	للقونوي ـ تحقيق: د/أحمد بن عبدالله الكبيسي ـ دار الوفاء ـ جدة ـ ١٤٠٦هـ.
أهل الصفة وأحوالهم	شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق: مجدي فتحي السيد ـ دار الصحابة ـ مصر ـ ١٤١٠هـ.
أهل الفترة ومن في حكمهم	موفق شكري ـ مؤسسة علوم القرآن بعجمان ـ ١٤٠٩هـ.
أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة	أحمد بن يحيى النجمي ـ ط الرئاسة العامة للبحوث العلمية والدعوة والإرشاد ـ الرياض ـ ط١ ـ ١٤٠٥هـ.
الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة	لابن بطة العكبري ـ تحقيق: رضا بن نعسان معطي ـ ط دار الراية ـ الرياض ـ ١٤٠٩هـ.
الإبريز من كلام سيدي عبدالعزيز	أحمد بن مبارك اللطمي ـ مطبعة عبدالحميد حنفي ـ مصر.
إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين	للزبيدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٠٩هـ.
إتحاف النبلاء بسير العلماء	راشد عثمان الزهراني ـ دار الصيمعي ـ الرياض ـ ط١ـ ١٤١٦هـ.
الإتقان في علوم القرآن	للسيوطي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ الهيئة المصرية ـ للكتاب ـ القاهرة ـ

١٩٧٤م.

إثبات الشفاعة للذهبي ـ تحقيق: إبراهيم باحس ـ أضواء السلف ـ ط١ـ ١٤٢٠هـ.

الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ـ تحقيق: محمد عنان ـ مكتبة الخانجي ـ ط١ـ ١٩٧٤م.

الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ـ مطبعة دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٣٣٢هـ.

إحياء الشريعة في مذهب الشيعة محمد بن مهدي الكاظمي ـ الخالصي ـ مطبعة المعارف ـ بغداد ط١ـ ١٣٧٠هـ.

إحياء علوم الدين الغزالي ـ المطبعة العثمانية ـ مصر ـ ١٣٥٢هـ.

الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد د/صالح الفوزان ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ ١٤١١هـ.

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود) لأبي السعود ـ دار إحياء التراث العربي

إرشاد الفحول إلى معرفة الحق من علم الأصول محمد بن علي الشوكاني ـ مكتبة محمد علي صبح

إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين عبدالباقي اليماني ـ تحقيق: عبدالمجيد دياب ـ مركز الملك ـ فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ـ الرياض ـ ١٤٠٦هـ.

الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر الهيتمي ـ مطبعة منصور محمد ـ ١٢٩٣هـ.

الإعلام بوفيات الأعلام للذهبي ـ تحقيق: رياض مراد، وآخر ـ ط دار الفكر المعاصر ـ بيروت.

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن قيم الجوزية ـ تحقيق:مجدي فتحي السيد ـ ط دار الحديث ـ القاهرة.

إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكذبة والعرافين لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية

	والإفتاء ـ الرياض ـ ١٤٠٤هـ.
الإكليل في استنباط التنزيل	للسيوطي ـ تصحيح: الغماري ـ دار الكتاب العربي ـ القاهرة.
إلى التصوف يا عباد الله	للشيخ أبي بكر الجزائري ـ مطبعة المدني ـ مصر ـ ط١ـ ١٤٠٨هـ.
الإمام الصادق حياته وعصره	محمد أبو زهرة ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ بدون تاريخ ـ
الإمام محمد بن نصر المروزي وجهوده في بيان عقيدة السلف والدفاع عنها	لموسم النفيعي دار الوطن بالرياض ـ
الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية	جلال الدين صالح ـ رسالة ماجستير ـ غير منشورة بالجامعة الإسلامية .
إنباه الرواة على أنباء النحاة	جمال الدين القفطي ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي ـ ط١ ـ ١٩٨٦م.
الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف	للصنعاني ـ تحقيق: مجموع من طلبة العلم بإشراف د/حسن بن علي العواجي ـ ط١ـ ١٤١٧هـ.
إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد	محمد بن المرتضى اليماني المشهور بابن الوزير ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط٢ـ ١٤٠٧هـ.
إيضاح الدلالة في عموم الرسالة	لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ـ إدارة الطباعة المنيرية ـ القاهرة ـ ١٣٤٣هـ.
إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون	للبغدادي تصحيح محمد شرف الدين ـ المكتبة الإسلامية بطهران ط الثالثة ١٣٧٨هـ
ابن هاني الأندلسي متنبي المغرب	أبو القاسم كرو ـ الدار العربية للكتاب ١٩٨٤م.
اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء	للمقريزي ـ تحقيق: د/جمال الدين الشيال ـ

ط القاهرة - ١٩٦٧م.

اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية — لابن قيم الجوزية - مكتبة ابن تيمية - ١٩٨٨م.

الاستقامة — لشيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق: د/محمد رشاد سالم - ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ط١- ١٤٠٣هـ.

استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس — لابن رجب الحنبلي - تحقيق: أحمد عبدالرحمن الشريف - دار الخاني - الرياض - ١٤١١هـ.

الاعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة — للبيهقي - تصحيح:أحمد موسى - ١٩٦١م.

اعتقادات فرق المسلمين والمشركين — للفخر الرازي - تحقيق: عبدالرؤوف، وآخر - مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٨م.

الاقتصاد في الاعتقاد — للغزالي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٣هـ.

الاقتصاد في الاعتقاد — للحافظ عبدالغني المقدسي - تحقيق: د/أحمد عطية الغامدي - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - ١٤١٤هـ.

اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم — لشيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق: د/ناصر العقل - مكتبة الرشد - ط٤- ١٤١٤هـ.

الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد — عبدالرحيم الخياط المعتزلي - المطبعة الكاثوليكية - بيروت - ١٩٧٥م.

الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء — لابن عبدالبر - مكتبة القدس - القاهرة - ١٣٥٠هـ.

الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين — علي بخيت الزهراني - تقديم: محمد قطب - مكتبة دار طيبة - مكة المكرمة - ط٢- ١٤١٨هـ.

الباعث على إنكار البدع والحوادث — لأبي شامة المقدسي - تحقيق:عثمان أحمد عنبر - ط دار الهدى - القاهرة -١٣٩٨هـ.

بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار	محمد باقر المجلسي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت
بحر الدموع	لابن الجوزي ـ تحقيق: إبراهيم عبدالمجيد ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤١٤هـ.
بد العارف	لابن سبعين ـ تحقيق: د/جورج كتورة ـ دار الأندلس ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٧٨م.
البدء والتاريخ	للبلخي ـ وينسب للمقدسي ـ مكتبة المثنى ـ بغداد
بدائع الفوائد	لابن قيم الجوزية ـ ط دار الفكر.
البداية والنهاية	لابن كثير ـ تحقيق: د/أحمد أبو ملحم، وآخرين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٩٨٥م.
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع	الشوكاني ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة.
البدعة وأثرها السيء في الأمة	سليم الهلالي ـ المكتبة الإسلامية ـ الأردن ـ ١٤٠٤هـ.
البدور السافرة في أمور الآخرة	جلال الدين السيوطي ـ خرج أحاديثه: أبو محمد المصري ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ـ ط١ـ ١٤١١هـ.
البرهان الساطع في تبرؤ المتبوع من التابع	محمد سلطان المعصومي ـ دار الراية ـ ط١ـ ١٤١٢هـ.
البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان	للسكسكي ـ تحقيق: بسام العموش ـ مكتبة المنار ـ الأردن ـ ١٤٠٨هـ.
بروتوكولات آيات قم حول الحرمين المقدسين	د/عبدالله القفاري ـ ١٤١١هـ.
البريلوية عقائدة وتاريخ	إحسان إلهي ظهير ـ الناشر إدارة ترجمان السنة ـ لاهور ـ ط١ـ ١٤٠٣هـ.
بستان الواعظين ورياض السامعين	لابن الجوزي ـ مراجعة: السيد الجميلي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ١٤١٠هـ.

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز — للفيروزآبادي ـ تحقيق: محمد النجار، وآخر ـ ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٩٣هـ.

بطلان عقائد الشيعة — للتونسوي ــ دار العلوم للطباعة ــ ١٤٠٨هـ.

البغوي ومنهجه في التفسير — عفاف عبدالغفور ـ دار الفرقان ــ عمان ــ ١٤٠٢هـ.

بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد — لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق: د/موسى الدويش ــ مكتبة العلوم والحكم ــ ط١ــ ١٤٠٨هـ.

بغية المستفيد لشرح منية المريد — محمد العربي السائح التجاني ـ دار الجيل ــ بيروت

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة — للسيوطي ـ تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم دار الفكر ـ ط٢ـ ١٩٧٩م.

بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب — محمود شكري الألوسي ــ تحقيق: محمد بهجت الأثري ــ دار الكتب الحديثة ــ القاهرة ـ ط٣.

بيان الشرك ووسائله عند أئمة الحنفية — د/محمد الخميس ــ دار الفتح ــ الشارقة ــ ط١ـ ١٤١٤هـ.

بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل و دحض الشبهات التي أثيرت حوله — الشيخ صالح الفوزان ــ ط مركز شؤون الدعوة بالجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة ــ ط١ـ ١٤١٣هـ.

التأدب مع الرسول ﷺ في ضوء الكتاب والسنة — حسن نور حسن ــ دار المجتمع ــ جدة ــ ١٤١٢هـ.

تأويل مختلف الحديث — لابن قتيبة ــ تحقيق: عبدالقادر عطاــ دار الكتب الإسلامية ــ القاهرة ــ ط١ــ ١٤٠٢هـ.

تاج العروس — للزبيدي ـ تحقيق: عبدالكريم العزباوي ــ ط

حكومة الكويت.

تاريخ ابن خلدون (المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) لابن خلدون ـ تصحيح: خليل شحادة، وآخر ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط١ـ ١٩٨١م.

تاريخ الأمم والملوك الطبري ـ تحقيق: محمدأبو الفضل إبراهيم ـ دار السويدان ـ بيروت.

تاريخ الشعوب الإسلامية كارل بروكلمان ـ تعريب: نبيه فارس، وآخر ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٦٨م.

تاريخ اليعقوبي طبعة دار صادر

تاريخ بغداد أو دار السلام للخطيب البغدادي ـ ط دار الكتاب العربي ـ بيروت.

تاريخ حكماء الإسلام ظهير الدين البيهقي ـ تحقيق: محمد كرد علي ـ مطبعة الترقي ـ دمشق ـ ط٢ـ ١٩٧٧م.

تاريخ دمشق لابن عساكر ـ مصور بالأوفست من نسخة المكتبة الظاهرية ـ دمشق ـ نشر مكتبة الدار المدينة المنورة.

تبديد الظلام وتنبيه النيام إلى خطر التشيع على المسلمين والإسلام إبراهيم الجبهان ـ ط٣ـ ١٤٠٨هـ.

التبرك أنواعه وأحكامه د:ناصر بن عبدالرحمن الجديع ـ مكتبة الرشد ـ الرياض ـ ط٣ـ ١٤١٥هـ.

التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة أبو المظفر الأسفراييني ـ تعليق: الكوثري ـ مطبعة الأنوار ـ ط١ـ ١٩٤٠م.

التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ـ تحقيق: تيسير محمد عيون ـ مكتبة المؤيد ـ الطائف ـ ١٤١٢هـ.

تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبدالجبار الهمداني ـ تحقيق: د/عبدالكريم عثمان ـ دار العرب ـ بيروت ـ

١٣٨٦هـ.

التجانية دراسة لأهم عقائدها على ضوء الكتاب والسنة — د:علي بن محمد آل دخيل الله — دار العاصمة ـ الرياض ـ ط٢ـ ١٤١٩هـ.

تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد — لابن عبدالبر القرطبي ـ دار الكتب العلمية — بيروت.

تجريد التوحيد المفيد — للمقريزي ـ تصحيح : طه الزيني — مركز شؤون الدعوة بالجامعة الإسلامية — ط٣ـ ١٤٠٩هـ.

تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي — المباركفوري — مراجعة: عبداللطيف عبدالوهاب ـ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ـ ١٣٨٣هـ.

التحفة السنية بتوضيح الطريقة التجانية — محمد البرناوي — مركز شؤون الدعوة بالجامعة الإسلامية ـ ط١.

تحفة الطالب والجليس في الرد على المفتري داود بن جرجيس — الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ.

التحفة العراقية في أعمال القلوب — لشيخ الإسلام ابن تيمية — تحقيق: سليمان الحرشي ـ دار الهدى ـ الرياض ـ ١٤٠٧هـ.

تخريج أحاديث إحياء علوم الدين — للعراقي — دار العاصمة — الرياض — ١٤٠٨هـ.

تذكرة الحفاظ — للذهبي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط٧.

التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة — لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي — دار الريان للتراث ـ القاهرة ـ ط٢ـ ١٤٠٧هـ.

ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير في غريب الشرح الكبير — للطاهر الزاوي ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ مصر ـ ط٢ـ ١٣٩٠هـ.

ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي — د/عبدالرحمن السديس دار الآجرة بالرياض ط أولى ١٤١٢ هـ.

الترغيب في الدعاء — للحافظ عبدالغني المقدسي — تحقيق: فالح الصغير — دار العاصمة — الرياض —

١٤١٧هـ.
الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك — لابن شاهين ـ تحقيق: صالح الوكيل ـ دار ابن الجوزي ـ الدمام ـ ١٤١٥هـ.
الترغيب والترهيب — للمنذري ـ إدارة الطباعة المنيرية ـ القاهرة ـ بدون تاريخ.
التشيع ظاهرة طبيعية في إطار الدعوة الإسلامية — محمد باقر الصدر ـ تعليق: طالب الحسيني ـ
التصوف بين الحق والخلق — محمد شقفة ـ الدار السلفية ـ ط٣ـ ١٤٠٣هـ.
التصوف في ميزان البحث والتحقيق — عبدالقادر السندي ـ مكتبة ابن القيم ـ المدينة المنورة ـ ١٤١٠هـ.
التصوف منشأه ومصطلحاته — د/أسعد السحمراني ـ دار النفائس ـ بيروت ـ ١٤٠٧هـ.
تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد — محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ـ بتعليق: علي بن محمد بن سنان ـ مكتبة دار الكتاب الإسلامي ـ المدينة المنورة ـ ١٤١٠هـ.
التعرف إلى مذهب التصوف — للكلاباذي
تعريف الخلف بمنهج السلف — إبراهيم بن محمد البريكان ـ دار ابن الجوزي ـ الدمام ـ ١٤١٨هـ.
تعظيم قدر الصلاة — محمد بن نصر المروزي ـ تحقيق: عبدالرحمن عبدالجبار الفيريوائي ـ مكتبة الدار بالمدينة المنورة ـ ١٤٠٦هـ.
تفسير آيات القرآن عن علاقة الملائكة بالإنسان — عبدالعزيز بن صالح السلمي ـ رسالة دكتوراه غير منشورة ـ بالجامعة الإسلامية .
تفسير البغوي معالم التنزيل — للحسين بن مسعود البغوي ـ تحقيق: عثمان جمعة، وآخرين ـ دار طيبة ـ الرياض ـ ١٤٠٩هـ.
تفسير القرآن العظيم — لابن كثير ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط١ـ

	١٤٠٧هـ.
التفسير القيم	لابن قيم الجوزية ـ جمع: محمد أويس الندوي ـ تحقيق: حامد محمد ـ لجنة التراث العربي ـ بيروت ـ ١٣٦٧هـ.
التفسير الكبير	الفخر الرازي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط ٣.
التفسير الكبير	لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق: د/عبدالرحمن عميرة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
تفسير الماوردي النكت والعيون	للماوردي ـ مراجعة ـ عبدالرحيم عبدالمقصود ـ دار الكتب العلمية.
تفسير النسفي	عبدالله بن أحمد النسفي ـ ط دار الفكر
التفسير والمفسرون	د/محمد حسين الذهبي ـ ط١ـ ١٣٩٦هـ.
تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين	لابن المفضل ـ تحقيق: د/عبدالمجيد النجار ـ دار الغرب الإسلامي ـ ط١ـ ١٤٠٨هـ.
تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي	د/محمد لوح ـ دار الهجرة ـ الرياض ـ ١٤١٦هـ.
تقريب التهذيب	لابن حجر العسقلاني ـ تحقيق: محمد عوامة ـ دار الرشيد ـ حلب.
تلبيس إبليس	لابن الجوزي ـ تحقيق: لجنة من كبار العلماء ـ ط دار إحياء الكتب العربية.
تلخيص كتاب الاستغاثة (المعروف بالرد على البكري)	شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق: محمد بن علي عجال ـ مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة المنورة ـ ط١ـ ١٤١٧هـ.
التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد	لابن عبدالبر ـ طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب ـ ١٤١١هـ.
تنبيه أولى الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار	الشيخ صالح السحيمي ـ دار ابن حزم ـ الرياض ـ ١٤١٠هـ.

تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبدالرزاق	محمد أحمد عبدالقادر الشنقيطي ـ مركز شؤون الدعوة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ ط٢.
التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام	د: عبدالمجيد سالم المشعبي ـ مكتبة الصديق ـ الطائف ـ ط ١ـ ١٤١٤هـ.
تنقيح المقال في علم الرجال	للمامقاني- عبدالله ـ المطبعة المرتضوية النجف ١٣٤٨هـ
تنوير الأذهان من تفسير روح البيان	إسماعيل حقي البروسوي ـ اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط١ـ ١٤٠٨هـ.
تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك	للسيوطي ـ دار الندوة الجديدة ـ بيروت
تهذيب الأسماء واللغات	للنووي ـ ط دار الكتب العلمية
تهذيب الكمال في أسماء الرجال	للمزي ـ تحقيق: د/بشار عواد معروف ـ مؤسسة الرسالة ـ ط١ـ ١٤١٣هـ.
تهذيب اللغة	للأزهري ـ تحقيق: عبدالسلام هارون ـ الدار المصرية ـ ١٩٦٤م.
التوحيد	لابن خزيمة ـ تصحيح: عزت العطار ـ مطبعة إنواز ـ مصر ـ ١٣٥٦هـ.
توحيد الألوهية أساس الإسلام	حامد عبدالقادر الأحمدي ـ رسالة ماجستير غير منشورة ـ بالجامعة الإسلامية.
التوسل أنواعه وأحكامه	للشيخ الألباني ـ جمع: محمد عيد عباسي ـ الدار السلفية ـ الكويت ـ ط٣ـ ١٤٠٥هـ.
التوسل حكمه وأقسامه	للشيخين محمد ناصر الدين الألباني، ومحمد بن صالح العثيمين ـ جمع: علي ابن حسين أبي لوز ـ دار ابن خزيمة ـ الرياض ـ ط١ـ ١٤١٨هـ.
التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع	محمد نسيب الرفاعي ـ طبع في بيروت ـ ط١ـ ١٣٩٤هـ.

التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق — للشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ ـ دار طيبة ـ ط١ـ ١٤٠٤هـ.

التوضيح والبيان لشجرة الإيمان — الشيخ السعدي ـ مكتبة دار الأقصى ـ الكويت ـ ١٤٠٦هـ.

تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد — الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط٧ـ ١٤٠٨هـ.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان — الشيخ عبدالرحمن السعدي ـ مطابع الجامعة الإسلامية ـ ١٣٩٨هـ.

ثلاثون سنة بين الموتى — كارل ويكلاند ـ ترجمة: د/علي راضي ـ دار النهضة العربية ـ ط٢.

الثمرات الزكية في العقائد السلفية — جمع: أحمد فريد ـ مكتبة التوعية الإسلامية ـ مصر ـ ١٤٠٩هـ.

ثواب الأعمال الصالحة — حسين الجمل ـ دار المعراج ـ الرياض ـ ١٤١٥هـ.

جامع الرسائل — لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق: د/محمد رشاد سالم ـ مطبعة المدني ـ القاهرة ـ ط١ـ ١٣٨٩هـ.

جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم — لابن رجب الحنبلي ـ مكتبة طيبة ـ المدينة المنورة ـ ط٢ـ ١٤١٠هـ.

جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله — لابن عبدالبر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٣٩٨هـ.

جامع كرامات الأولياء — يوسف النبهاني ـ تحقيق: إبراهيم عطوة ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤١٢هـ.

جامعة الجامعة من تراث إخوان الصفا — تحقيق: عارف تامر

الجرح والتعديل — للرازي ـ طبعة مجلس دائرة المعارف بحيدآباد الدكن ـ ١٣٧١هـ.

الجعديات (حديث علي بن الجعد — لأبي القاسم البغوي ـ تحقيق:رفعت فوزي ـ

الجوهري) مكتبة الخانجي - مصر- ١٤١٥هـ.

حلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام لابن قيم الجوزية - تحقيق: محي الدين مستو - مكتبة دار التراث بالمدينة المنورة - ط٣- ١٤١٣هـ.

حلاء العينين في محاكمة الأحمدين للسيد نعمان خير الدين الألوسي - مطبعة المديني - القاهرة - ودار المدني بجدة.

جمهرة أنساب العرب لابن حزم - تحقيق: عبدالسلام هارون - دار المعارف - مصر - ط٤- ١٩٧٧م.

جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح توحيد العبادة د/أحمد الغنيمان - رسالة دكتوراه غير منشورة - بالجامعة الإسلامية.

جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية د/شمس الدين الأفغاني - دار الصميعي - الرياض - ط١- ١٤١٦هـ.

الجواب الباهر في زوار المقابر لشيخ الإسلام ابن تيمية - شرح: د/محمود مطرجي - دار القلم - بيروت - ط١- ١٤٠٦هـ.

الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية - مطابع المجد التجارية.

الجواب الفائق في الرد على مبدل الحقائق الشيخ عبدالله الجبرين - مطبعة سفير - الرياض - ١٤١٠هـ.

الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم - تحقيق: سعيد اللحام - دار إحياء العلوم - بيروت - ط ٣- ١٤١١هـ.

جواهر البحار في فضائل النبي المختار للنبهاني - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - ١٣٧٩هـ.

جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني علي حرازم بن العربي الفاسي - دار الكتاب العربي - بيروت - ط٢- ١٩٧٣م.

الجواهر والدرر مما استفاده الشعراني من شيخه على الخواص مطبوع بهامش الإبريز لأحمد بن المبارك اللمطي - مطبعة عبدالحميد حنفي - مصر.

حاشية البناني على شرح المحلي لمتن جمع مطبعة عيسى البابي الحلبي.

الجوامع للسبكي

حاشية القوشجي على شرح التجريد — للطوسي ـ مطبوعة بهامش المواقف

حاشية كتاب التوحيد — عبدالرحمن بن قاسم ـ ط٣ـ بدون تاريخ

الحبائك في أخبار الملائك — للسيوطي ـ تحقيق: محمد بسيوني زغلول ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٩٨٥م.

حجة الله البالغة — شاه دهلوي ـ مراجعة: محمد شريف ـ نشر دار إحياء العلوم ـ بيروت ـ ١٤١٠هـ.

الحجة في بيان المحجة — لأبي القاسم الأصبهاني المعروف بقوام السنة ـ تحقيق: د/محمد ربيع المدخلي، وآخر ـ دار الراية ـ الرياض ـ ط١ـ ١٤١١هـ.

الحجج الباهرة في إفحام الطائفة الكافرة الفاجرة في الرد على الرافضة — جلال الدين الدواني ـ تحقيق: د/عبدالله حاج علي منيب ـ مكتبة الإمام البخاري ـ القاهرة ـ ط١ـ ١٤٢٠هـ.

الحد الفاصل بين الإيمان والكفر — عبدالرحمن عبدالخالق ـ الدار السلفية ـ الكويت ـ ١٤٠٨هـ.

الحداثة في منظور إيماني — د/عدنان علي رضا النحوي دار النحوي بالرياض ط ثالثة ١٤١٠هـ

حديث الإفك — للحافظ عبدالغني المقدسي ـ تحقيق: هشام السقا ـ دار عالم الكتب ـ الرياض ـ ١٩٨٥م.

الحركات الباطنية في الإسلام — د/مصطفى غالب ـ دار الكتاب العربي

الحركة الصوفية في الإسلام — د/محمد أبو ريان ـ دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ـ ١٩٩٤م

حرية الاعتقاد في ظل الإسلام — د/تيسير العمر ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ١٤١٩هـ.

حقائق عن التصوف — عبدالقادر عيسى ـ مطبعة البلاغة ـ بحلب ـ ط٢ـ ١٣٩٠هـ.

حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة — د/محمد خليفة التميمي ـ مكتبة أضواء السلف ـ الرياض ـ ١٤١٨هـ.

حقيقة البدعة وأحكامها	سعيد بن ناصر الغامدي ـ مكتبة الرشد ـ الرياض ـ ط١ـ ١٤١٢هـ.
حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية	بكر عبدالله أبي زيد ـ دار ابن الجوزي ـ الإحساء ـ ط٢ـ ١٤١٠هـ.
حكمة التشريع وفلسفة	لعلي الجرجاوي ط خامسة بدون ناشر ١٣٨١هـ.
الحكمة من إرسال الرسل	للشيخ عبدالرزاق عفيفي دار الصميعي بالرياض ط ثالثة ١٤٢٠هـ.
الحكومة الإسلامية (ولاية الفقيه)	للخميني ـ ط ١٣٨٩هـ.
الحِلاّج	د/حلال شرف ـ مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية ١٩٧٠م.
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء	لأبي نعيم الأصفهاني ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط٣ـ ١٩٨٠م.
حماية الرسول ﷺ حمى التوحيد	د/محمد بن رزبان الغامدي ـ رسالة ماجستير ـ غير منشورة بالجامعة الإسلامية.
الحوادث والبدع	للطرطوشي ـ تحقيق: علي بن حسن الأثري ـ دار الأصفهاني ـ جدة.
حوار مع المالكي	عبدالله بن منيع ـ ط الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية ـ ط١ـ ١٤٠٣هـ.
الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار	د/غالب بن علي العواجي ـ دار لينة ـ مصر ـ ط١ـ ١٤١٧هـ.
الحياة الدينية عند العرب بين الجاهلية والإسلام	محمد حامد الناصر، وآخرى دار عالم الكتب ـ الرياض ـ ١٤١٧هـ.
حياة القلوب بدعاء علام الغيوب	لأبي السمح الفقيه طبعة دار نشر الثقافة ط ثالثة ١٣٨٠هـ.
الحياة في ظل العقيدة الإسلامية	زيد المدخلي ـ دار العلم ـ جدة ـ ١٤٠٥ه
الخشوع في الصلاة	لابن رجب الحنبلي ـ خرّج أحاديثه: علي حسن عبدالحميد ـ دار عمّار ـ الأردن ـ ١٩٨٨م.
الخشوع وأثره في بناء الأمة	سليم عيد الهلالي ـ دار ابن الجوزي ـ الدمام ط٢ ـ ١٤١٢هـ.

الكتاب	المؤلف والنشر
خصائص الدعوة الإسلامية	محمد أمين حسن ـ مكتبة المنار ـ الأردن ـ ط١ ـ ١٤٠٣هـ.
خصائص الرسالة المحمدية	د/أحمد مرعي العمري ـ رسالة ماجستير غير منشورة ـ بالجامعة الإسلامية.
خصائص القرآن الكريم	د/فهد الرومي ـ ط٣ـ ١٤٠٩هـ.
الخصائص الكبرى أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب	للسيوطي ـ تحقيق: محمد خليل هراس ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ـ ١٣٨٧هـ.
خصائص المصطفى بن الغلو والجفا	الصادق بن إبراهيم ـ رسالة ماجستير غير منشورة ـ بالجامعة الإسلامية.
خطط المقريزي (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)	تقي الدين المقريزي ـ مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة.
الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية	محب الدين الخطيب ـ المطابع الأهلية للأوفست ـ الرياض ـ ط٣ـ ١٤٠٣هـ.
خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر	محمد أمين المحبي ـ المطبعة الوهبية ـ القاهرة ـ ١٣٨٤هـ.
الخميني وتفضيل الأئمة على الأنبياء	محمد مال الله ـ مكتبة ابن تيمية ـ ط٤ـ ١٣٠٩هـ.
دائرة المعارف المسماة بمقتبس الأثر ومجدد ما دثر	الأعلمي الشيعي ـ طبعة دار المعارف.
دائرة معارف القرن الرابع عشر	محمد فريد وجدي ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط٣ـ ١٩٧١م.
دارسات في الفرق	د/صابر طعيمة ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ١٤٠١هـ.
الداعي والمدعي في الدعاء	لابن عبدالهادي ـ تحقيق:عبدالباسط إبراهيم ـ رسالة ماجستير غير منشورة بالجامعة الإسلامية
الدر الثمين في معالم دار الرسول الإمين ﷺ	للشيخ غالي محمد الأمين الشنقيطي ـ دار القبلة الإسلامية ـ جدة ـ ط٣ـ ١٤١١هـ.
الدر المختار في الفقه الحنفي شرحه	للحصكفي مكتبة صبيح وأولاده بمصر بدون تاريخ

الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ـ مطبعة محمد دمج ـ مصر.

درء تعارض العقل والنقل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق: د/محمد رشاد سالم ـ مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ـ ط١ـ ١٤٠٠هـ.

دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها د/ناصر بن عبدالكريم العقل ـ مركز الدراسات والإعلام ـ دار إشبيليا ـ الرياض ـ ط١ـ ١٤١٨هـ.

دراسات في التصوف إحسان إلهي ظهير ـ تقديم الشيخ صالح اللحيدان ـ إدارة ترجمان السنة ـ باكستان ١٤٠٩هـ.

الدرر السنية في الرد على الوهابية أحمد زيني دحلان ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ ط٥ـ ١٤٠٥هـ.

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ـ تحقيق: محمد جاد الحق ـ دار الكتب الحديثة ـ مصر ـ ط٢ ـ١٩٦٦م.

دروس في العقيدة مستفادة من الحج د/عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر ـ ط جمية دار البر ـ دبي.

الدعاء للطبراني ـ تحقيق: سعيد محمد البخاري ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ ١٤٠٧هـ.

الدعاء في الإسلام وأثره في العقيدة والحياة سعيد البستاني ـ دار المعرفة ـ دمشق ـ ١٤١٤هـ.

الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية جيلان بن خضر العروسي ـ مكتبة الرشد ـ الرياض ـ ط١ـ ١٤١١هـ.

دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب سلفية لا وهابية أحمد بن عبدالعزيز الحصين ـ دار عالم الكتب ـ الرياض ـ ط١ـ ١٤٢٠هـ.

دعوة الرسل إلى الله تعالى محمد أحمد العدوي ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ ١٣٥٤هـ.

دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين	محمد الغزالي المصري ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ـ ط٢ـ ١٣٨٣هـ.
دلائل الخيرات	محمد بن سليمان الجزولي ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.
دلائل النبوة	لقوام السنة ـ تحقيق: مساعد الحميد ـ دار العاصمة ـ الرياض ـ ١٤١٢هـ.
دلائل النبوة	لأبي نعيم الأصبهاني ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف بحيدر آباد ـ الهند.
دمعة على التوحيد حقيقة القبورية وآثارها في واقع الأمة	من منشورات المنتدى الإسلامي ـ ط١ـ ١٤٢٠هـ
الديانات والعقائد في مختلف العصور	أحمد عبدالغفور عطار ـ مكة المكرمة ـ ١٤٠١هـ.
الديباج المذهب في ذكر أعيان المذهب	لابن فرحون المالكي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
الدين الخالص	للسيد محمد صديق حسن القنوجي ـ دار التراث ـ القاهرة
ديوان شموخ في زمن الانكسار	د/عبدالرحمن صالح العشماوي مكتبة العبيكان ـ بالرياض ط٢ ١٤١٢هـ
ديوان أبي العتاهية	لأبي العتاهية ـ ط دار صادر ـ بيروت ـ ١٣٨٤هـ.
ديوان أبي نواس	لأبي نواس ـ بشرح وتحقيق: أحمد الغزالي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ١٤٠٤هـ.
ديوان الأعشى	للأعشى ـ ط دار صادر ـ بيروت
ديوان الإمام الشافعي	جمع وتعليق: محمد عفيف الزغبي ـ درا المطبوعات الحديثة ـ جدة ـ ط٥ـ ١٩٨٨م.
ديوان البرعي	شرح محمد سعيد كمال ـ مكتبة المعارف بالطائف ـ ط أولى ١٤٠٤هـ.
ديوان البوصيري	تحقيق: محمد سيد كيلاني ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ ١٣٩٣هـ.
ديوان الشماخ	شرح أحمد بن الأمين الشنقيطي ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ـ ١٣٢٧هـ.

ديوان المتنبي — بشرح العكبري ـ تصحيح: مصطفى السقا، وآخرين.

ديوان المتنبي — للمتنبي ـ بشرح عبدالرحمن البرقوقي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ.

ديوان حافظ إبراهيم — تصحيح: أحمد أمين، وآخرين ـ الناشر: محمد أمين دمج ـ بيروت ـ ١٩٦٩م.

ديوان ذي الرمة بشرح أبي النصر الباهلي — تحقيق: عبدالقدوس أبي صالح ـ مجمع اللغة العربية بدمشق ـ ١٣٩٢هـ.

ديوان طرفة بشرح الأعلم الشنتمري — تحقيق: درية الخطيب، ولطفي الصقال ـ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ـ ١٣٩٥هـ.

ديوان عنترة العبسي — طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤١٦هـ.

ديوان عنترة العبسي — ط دار صادر ـ بيروت

ديوان لبيد بن ربيعة العامري — ط دار صادر ـ بيروت

ذكريات مشاهير رجال المغرب — عبدالله كنون الحسني ـ مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ بدون تاريخ

ذم الهوى — لابن الجوزي ـ تحقيق: مصطفى عبدالواحد ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ـ ١٣٨١هـ.

الذيل على النهاية في غريب الحديث — لابن علوش ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ ط١ـ ١٤١٧هـ.

رجال الشيعة في الميزان — عبدالرحمن الزرعي ـ ط١ـ ١٩٨٣م.

رحلة الحج إلى بيت الله الحرام — الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـ دار ابن تيمية ـ مصر.

الرد الكافي على مغالطات د/عبدالواحد وافي — إحسان إلهي ظهير ـ إدارة ترجمان السنة ـ بدون تاريخ

الرد على الأخنائي — مطبوع بهامش كتاب الاستغاثة لشيخ

	الإسلام.
الرد على الرافضة	لأبي حامد المقدسي ـ تحقيق: عبدالوهاب خليل الرحمن ـ الدار السلفية بالهند ـ ط١ـ ١٩٨٣م.
الرد على شبهات المستعينين بغير الله تعالى	أحمدبن عيسى النجمي ـ تصحيح: عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم ـ مطابع دار طيبة ـ الرياض ـ ١٤٠٩هـ.
رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا	تصحيح: خير الدين الزركلي ـ المطبعة العربية ـ مصر ـ ١٣٧٤هـ.
الرسائل السلفية في إحياء سنة خير البرية	محمد بن علي الشوكاني ـ بتعليق: خالد عبداللطيف العلمي ـ دا رالكتاب العربي ـ بيروت ـ ط١ـ ١٤١١هـ.
رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي	تحقيق: د/موسى الدويش ـ ط١ـ ١٤١٠هـ.
رسالة الأبدال والغوث	للعز بن عبدالسلام ـ ضمن كتاب شجرة الإرشاد ـ جمع: وفاء حسن ـ مطبعة الصحف ـ ١٤٠٣هـ.
رسالة الإسلام نور بدد الظلام	للسيد عبدالحليم الخطيب ـ تصحيح: حسنين مخلوف ـ دار المعرفة ـ حلب ـ بدون تاريخ.
الرسالة التبوكية	لابن قيم الجوزية ـ تحقيق: أشرف عبدالمقصود ـ دار الرضوان ـ ١٤١١هـ.
الرسالة الخالدة	عبدالرحمن عزام ـ طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ مصر ـ ط٢ـ ١٣٨٤هـ.
رسالة الشرك ومظاهره	مبارك بن محمد الميلي ـ ط مركز شؤون الدعوة بالجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة ـ ط٢ـ ١٤٠٨هـ.
الرسالة القشيرية في علم التصوف	ابو القاسم القشيري ـ تحقيق: معروف

	زريق، وآخر ـ دار الخير ـ بيروت ـ ط١ـ ١٤١٢هـ.
رسالة الملائكة	أبو العلاء المعري ـ تحقيق: محمد سليم الجندي ـ مطبعة الترقي ـ دمشق ـ ١٣٦٣هـ.
الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات	لأبي عمرو الداني ـ تحقيق: د/محمد بن سعيد القحطاني ـ دار ابن الجوزي ـ الدمام ـ ط١ـ ١٤١٩هـ.
رسالة في الرد على الرافضة	للشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ تحقيق: د/ناصر بن سعد الرشيد ـ ط٢
الرسالة والرسول	د/أكرم ضياء العمري ـ ط١ـ ١٤١٠هـ.
الرسل والرسالات	د/عمر سليمان الأشقر ـ دار النفائس ـ الأردن ـ ط٥ـ ١٤١٤هـ.
الرسول والوحي	د/محمد المسير ـ دار ابن كثير ـ دمشق ـ ط١ـ ١٤٠٧هـ.
رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم	عمر الفوتي ـ مطبوع بهامش جواهر المعاني لعلي حرازم ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط٢ـ ١٩٧٣م.
الروح	لابن قيم الجوزية ـ تحقيق: د/بسام العموش ـ دار ابن تيمية ـ الرياض ـ ط١ـ ١٤٠٦هـ.
روح الإسلام	للسيد أمير علي ترجمة: أمين الشريف ـ مكتبة الآداب ـ القاهرة ـ ١٩٦١م.
روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني	شهاب الدين محمود الألوسي ـ ط دار إحياء التراث ـ بيروت ـ ط ٢.
الروحية الحديثة دعوة هدامة ـ تحضير الأرواح وصلته بالصهيونية العالمية	د/محمد محمد حسين ـ دار الإرشاد ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٦٩م.
الروحية عند محي اليدين ابن عربي	د/علي راضي ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة

روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات — محمد باقر الموسوي الخونساري ـ ط دار المعرفة ـ بيروت
روضة المحبين ونزهة المشتاقين — لابن قيم الجوزية ـ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت
روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين — محمد عثمان القاضي ـ دار البخاري ـ القصيم ـ ط٢ـ ١٤٠٢هـ.
رياض الصالحين — للنووي ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٣ـ ١٤٢٠هـ.
زاد المسير في علم التفسير — لابن الجوزي ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق ـ ١٣٨٤هـ.
زاد المعاد من هدي خير العباد — لابن قيم الجوزية ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخر ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ.
زعماء الإصلاح في العصر الحديث — أحمد أمين المصري ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ بدون تاريخ.
الزهد — للإمام أحمد ـ دار الريان ـ القاهرة ـ ١٤٠٨هـ.
الزهد — للحسن البصري ـ تحقيق: محمد عبدالرحيم محمد ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٩٩١م.
الزهد والرقائق — لابن المبارك ـ تحقيق: أحمد فريد ـ دار المعراج الدولية ـ الرياض ـ ١٤١٥هـ.
الزيارة الشرعية والشركية — محي الدين البركوي ـ تخريج: د/محمد بن عبدالرحمن الخميس ـ دار العاصمة ـ الرياض ـ ط١ـ ١٤١٤هـ.
زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور — شيخ الإسلام ابن تيمية ـ مطابع دار طيبة ـ الرياض.
سجع الحمام في حكم الإمام — علي الجندي، وآخرين ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٦٧م.

سُفراء النبي ﷺ — محمود شيت خطاب ـ دار الأندلس الخضراء ـ جدة ـ ط١ـ ١٤١٧هـ.

سفير الأرواح العليا أو مقتطفات من تعاليم السيد سلفربرش — ترجمة: د/علي راضي ١٩٧٥م.

سلاح المؤمن في الدعاء والذكر — لابن الإمام ـ تحقيق: محي الدين مستو ـ دار ابن كثير ـ دمشق ـ ١٤١٤هـ.

سلسلة الأحاديث الصحيحة — للألباني ـ طبعة المكتب الإسلامي ـ ١٣٧٨هـ.

السلفية وأعلامها في موريتانيا — للشيخ الطيب بن عمر بن الحسين ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ ١٤١٦هـ.

سمط اللآلي في شرح أمالي القالي — للوزير البكري الأوني ـ تحقيق: عبدالعزيز الميمني ـ دار الحديث ـ بيروت ـ ط٢ـ ١٩٨٤م.

السنة — للخلال ـ تحقيق: د/عطية بن عتيق الزهراني ـ دار الراية ـ ط١ـ ١٠٨٩م.

السنة — لابن أبي عاصم ـ تحقيق: الشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ ط١ـ ١٤٠٠هـ.

السنة — لعبدالله بن الإمام أحمد ـ تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٠٥هـ.

السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي — د/مصطفى السباعي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط٢ـ ١٣٩٨هـ.

سنن أبي داود — بتعليق: عزت الدعاس، وآخر ـ طبعة دار الحديث ـ سورية.

سنن ابن ماجه — تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ـ دار الريان للتراث.

سنن الترمذي — تحقيق: أحمد محمد شاكر ـ مطبعة مصطفى البابي ـ الحلبي ـ مصر ـ ط١ـ ١٣٥٦هـ.

السنن الكبرى	للبيهقي ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف الثمانية ـ الهند ـ ١٣٤٤هـ.
السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات	محمد عبدالسلام خضر الشقيري ـ ط دار الفكر.
السيد صديق حسن خان القنوجي وآراؤه الاعتقادية	د/اختر لقمان ـ دار الهجرة ـ الرياض ـ ط١ـ ١٤١٧هـ.
سير أعلام النبلاء	للذهبي ـ تحقيق: محمد العرقسوس ـ مؤسسة الرسالة ـ ط١ـ ١٩٨٢م.
سيف الله على من كذب على أولياء الله	صنع الله الحلبي ـ تحقيق: علي رضا بن عبدالله ـ دار الوطن ـ الرياض ـ ط١ ـ ١٤٢٠هـ.
السيف المسلول في الذب عن الرسول ﷺ	د/عويد المطرفي ـ مكة المكرمة ـ ١٤١٤هـ.
شأن الدعاء	للخطابي ـ تحقيق: أحمد الدقاق ـ دار المأمون ـ دمشق ـ ١٤٠٤هـ.
شجرة الإرشاد	جمع: وفاء بنت حسن بن علي ـ مطبعة الصحف ـ ١٣٠٤هـ.
شخصية الرسول ﷺ في ضوء المقاييس الإنسانية	د/عبدالحليم عويس ـ ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٣هـ.
شذرات الذهب في أخبار من ذهب	لابن العماد الحنبلي ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت.
شرح الأصول الخمسة	القاضي عبدالجبار ـ تعليق: أحمد بن الحسين ـ تحقيق: د/عبدالكريم عثمان ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط١ـ ١٩٦٥م.
شرح السنة	للبغوي ـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخر ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق ١٣٩١هـ.
شرح الشفا	مُلاّ علي القاري دار الكتب العلمية بيروت ١٣١٩ هـ.
شرح العقائد النسفية	سعد الدين التفتازاني ـ طبعة دار سعادت ـ ١٣٢٦هـ.

شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز الحنفي ـ حققها: جماعة من العلماء ـ خرّج أحاديثها: الشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ ط٩ـ ١٤٠٨هـ.

شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز الحنفي ـ تحقيق: د/عبدالله التركي، وشعيب الأرناؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٨هـ.

شرح العقيدة الأصفهانية: لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ تقديم: حسنين مخلوف ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ـ ١٣٨٦هـ.

شرح العقيدة الواسطية: للهراس ـ مراجعة: عبدالرزاق عفيفي ـ ١٤٠٧هـ.

شرح القصيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية: لابن قيم الجوزية ـ شرح وتحقيق: د/محمد خليل هراس ـ دار الفاروق ـ مصر.

شرح المواقف: للشريف الجرجاني ـ بهامش المواقف في علم الكلام للإيجي ـ دار الطباعة العامرة بالأستانة ـ ١٣١١هـ.

الشرح الميسر للفقه الأكبر: د/محمد عبدالرحمن الخميس ـ طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف ـ الرياض ـ ١٤١١هـ.

شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ﷺ: وضعه: عبدالرحمن البرقوقي ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ـ ١٣٤٨هـ.

الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة: لابن بطة العكبري ـ تحقيق: رضا بن نعسان معطي ـ ط٢ـ ١٤١١هـ.

الشرك في القديم والحديث: لأبي بكر زكريا محمد ـ رسالة دكتوراه ـ غير منشورة ـ الجامعة الإسلامية

الشرك وأنواعه: حفري وهاب ـ رسالة ماجستير غير منشورة ـ بالجامعة الإسلامية.

الشريعة — للآجري ـ تحقيق: محمد حامد الفقي ـ مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة ـ ١٣٦٩هـ.

شعب الإيمان — للبيهقي ـ تحقيق: محمد بسيوني زغلول ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ.

الشعر والشعراء — لابن قتيبة ـ ط دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٩٦٤م.

الشيعة والتصحيح الصراع بين الشيعة والتشيع — د/موسى الموسوي ـ طبعة لوس إنجلوس

شفاء السقام في زيارة خير الأنام — عبدالوهاب السبكي ـ لجنة التراث العربي ـ بيروت ـ ١٣٧١هـ.

شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل — لابن قيم الجوزية ـ تحقيق: الحساني حسن عبدالله ـ مكتبة التراث بالقاهرة.

الشفاعة — للشيخ مقبل بن هادي الوادعي ـ دار الأرقم ـ الكويت ـ ط٢ ـ ١٤٠٣هـ.

الشفاعة في الإسلام — د/عائش بن عياش الحبيشي ـ رسالة ماجستير غير منشورة

الشفيع — عمر باشميل ـ دار طويق ـ الرياض ـ ١٤١٤هـ.

شم العوارض في ذم الروافض — مُلاَّ علي القاري ـ مخطوط في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ـ برقم ١٣/أ.

شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق — يوسف النبهاني ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط الأخيرة ـ ١٤٠٣هـ.

الشوقيات (ديوان أحمد شوقي) — لأحمد شوقي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

الشيخ إبراهيم انياس السنغالي وآراؤه وتعاليمه — محمد الطاهر ميغري ـ دار العربية ـ بيروت ـ ١٤٠١هـ.

الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في — د/عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد ـ مكتبة

توضيح العقيدة — الرشد ـ الرياض ـ ١٤١١هـ.

الشيعة في التاريخ — محمد بن حسين الزين العاملي ـ طبعة دار الآثار ـ بيروت

الشيعة في الميزان — د/محمد يوسف النجرامي ـ دار المدني جدة ـ ١٤٠٧هـ.

الشيعة وأهل البيت — إحسان إلهى ظهير ـ طبعة إدارة ترجمان السنة بباكستان ـ ط٧ـ ١٤٠٤هـ.

الشيعة والتشيع — إحسان إلهى ظهير ـ طبعة إدارة ترجمان السنة بباكستان ـ ط٢ـ ١٤٠٤هـ.

الشيعة وتحريف القرآن — محمد مال الله ـ تقديم : محمد أحمد النجفي ـ دار الوعي الإسلامي ـ بيروت ـ ١٤٠٢هـ.

الصابئون حرانيين ومندائيين — د: رشدي عليان مطعبة دار السلام ـ بغداد ـ ١٩٧٦م.

الصارم الحديد في عنق صاحب سلاسل الحديد — تحقيق: د/فهد ضويان السحيمي ـ رسالة دكتوراه غير منشورة ـ بالجامعة الإسلامية.

الصارم المسلول على شاتم الرسول — لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ ط عالم الكتب.

الصارم المنكي في الرد على السبكي — محمد بن عبدالهادي ـ تحقيق: عقيل بن محمد المقطري اليماني ـ مؤسسة الريان ـ بيروت ـ ط١ـ ١٤١٢هـ.

الصحاح في اللغة والعلوم (تجديد صحاح العلامة الجوهري) — نديم مرعشلي، وآخر دار الحضارة العربية بيروت ١٩٧٤م

صحيح الجامع الصغير وزيادته — الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط٣ـ ١٤٠٨هـ.

صحيح سنن ابن ماجة — للشيخ الألباني ـ مكتب التربية العربي الدولي الخليج ـ الرياض ـ ١٤٠٨هـ.

صحيح سنن الترمذي — للشيخ الألباني ـ مكتب التربية العربي الدولي الخليج ـ الرياض ـ ١٤٠٨هـ.

صحيح مسلم بشرح النووي	ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط١ـ ١٩٢٩م.
الصحيفة السجادية	للسجاد زين العابدين تقديم محمد باقر الصدر ط شركة المصطفى للتوزيع ـ المنامة ـ البحرين ط١ ـ ١٤١٣هـ.
صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات	للخوئي ـ تعليق: جواد التبريزي ـ انتشارات فؤاد طهران ١٣١٤هـ.
الصراع بين الإسلام والوثنية	عبدالله القصيمي ـ مصنع القاهرة للطباعة ـ ١٤٠٢هـ.
صراع مع الباطل	محمد أحمد باشميل (بدون ناشر) بيروت ط٢ ـ ١٣٨٠هـ.
صعود الأقوال ورفع الأعمال إلى الكبير المتعال	عبدالله سراج الدين مكتبة طيبة بالمدينة المنورة ـ بدون تاريخ.
صفة الجنة في القرآن الكريم	عبد الحليم السلفي ـ رسالة ماجستير ـ غير منشورة ـ بالجامعة الإسلامية
صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم	للشيخ عبدالرحمن الدوسري ـ شركة العبيكان للطباعة ـ ١٤٠٤هـ.
صلاة التراويح	الشيخ الألباني ـ دمشق ـ ١٣٧٧هـ.
الصلاة المشيشية	مطبوعة بحاشية دلائل الخيرات ـ للجزولي ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت .
الصلاة وصف مفصل للصلاة	عبدالله الطيار ـ دار الوطن ـ الرياض ـ ١٤١٦هـ.
الصلاة ومقاصدها	الحكيم الترمذي ـ تحقيق: حسني زيدان ـ دار الكتاب العربي ـ مصر ـ ١٩٦٥م.
الصلات والبُشر في الصلاة على خير البشر	للفيروز آبادي ـ تحقيق: محمد نور الدين الجزائري، وآخر ـ دار التربية ـ دمشق ـ ١٤٨٥هـ.
الصلة بين التصوف والتشيع	د/مصطفى الشيبي ـ دار الأندلس ـ بيروت ـ ط٣ـ ١٩٨٢م.
الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم	لابن بشكوال ـ تصحيح: عزت العطار

وفقهائهم وأدبائهم	مكتبة المثنى ـ بغداد ـ ١٩٥٥م.
الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية	سليمان بن سحمان النجدي ـ تحقيق: عبدالسلام ابن برجس آل عبدالكريم ـ دار العاصمة ـ الرياض ـ ط١ـ ١٤٠٩هـ.
الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعطلة	لابن قيم الجوزية ـ تحقيق: الشيخين د/أحمد عطية الغامدي، ود/علي ناصر فقيهي ـ مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ ١٤٠٧هـ.
صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الإمامية	لأبي الحسن الندوي ـ دار البشر ـ جدة ـ ١٤١٠هـ.
الصوفية في نظر الإسلام دراسة وتحليل	سميح عاطف الزين ـ دار الكتاب اللبناني ومكتبة بيروت ـ بيروت ـ ط٣ـ ١٤٠٥هـ.
الصوفية معتقدا ومسلكا	د/صابر طعيمة ـ الرياض ١٤٠٥هـ.
صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان	محمد بشير السهسواني ـ تعليق: الشيخ إسماعيل الأنصاري ـ مطابع نجد التجارية ط٥ـ ١٣٩٥هـ.
الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين	الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ دار الثقة ـ مكة المكرمة ـ ط١ـ ١٤١٢هـ.
ضرورة الدعوة إلى الله وآثارها	عطية محمد سالم طبعة وزارة الشؤون [illegible] بالرياض ١٤١٩هـ
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع	للسخاوي ـ مكتبة القدس ـ القاهرة ـ ١٣٥٣هـ.
الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق	للشيخ سلمان بن سحمان ـ تحقيق: عبدالسلام بن برجس ـ دار العليان ـ بريدة ـ ط٤ـ ١٤١٢هـ.
طبقات الحنابلة	لأبي يعلى ـ دار المعرفة ـ بيروت
طبقات الشافعية الكبرى	للسبكي ـ تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو ـ دار إحياء الكتب العربية ـ بدون بيانات.
طبقات الصوفية	للسلمي ـ ترتيب : أحمد الشرباصي ـ مطابع الشعب ـ القاهرة ـ ١٣٨٠هـ.

الطبقات الكبرى — لابن سعد ـ ط دار صادر ـ بيروت.

الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار — عبدالوهاب الشعراني ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط١ـ ١٤٠٨هـ.

طبقات المفسرين — للسيوطي ـ تحقيق: علي عمر ـ مكتبة وهبة ـ ١٣٩٦هـ.

طبقات المفسرين — للداوودي ـ تحقيق: على عمر ـ مكتبة وهبة ـ ١٣٩٢هـ.

طريق الهجرتين وباب السعادتين — لابن قيم الجوزية ـ نشر قصي محب الدين الخطيب ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة ـ ١٣٧٦هـ.

ظاهرة الغلو في الدين الأسباب والمظاهر والعلاج — عبود علي درع ـ دار الصميعي ـ الرياض ـ ط١ـ ١٤١٩هـ.

ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث — محمد عبدالكريم حامد ـ رسالة ماجستير ـ غير منشورة ـ الجامعة الإسلامية.

العاقبة في ذكر الموت والآخرة — للأشبيلي ـ تحقيق:محمد خضر ـ دار الأقصى بالكويت ـ ١٤٠٦هـ.

عالم الجن والشياطين — د/عمر سليمان الأشقر ـ دار النفائس ـ الأردن ـ ط٨ ـ ١٤١٤هـ.

عالم الملائكة أسراره وخفاياه — مصطفى عاشور مكتبة القرآن بالقاهرة ـ بدون تاريخ.

عالم الملائكة الأبرار — عمر سليمان الأشقر ـ مكتبة الفلاح بالكويت ـ ط٤ـ ١٤٠٥هـ.

عالمية الإسلام وإعداد المواطن الصالح — أحمد علي الملا ـ دار قتيبة ـ دمشق ـ ١٤٠٤هـ.

العبادة والعباد — محمد بن نمر الخطيب ـ مطبعة الإرشاد ببغداد ـ ١٣٩٨هـ.

عبدالله بن المبارك الإمام القدوة — محمد عثمان جمال ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط٢ـ ١٣٩٩هـ.

العبر في خبر من غبر	للذهبي ـ تحقيق: محمد بسيوني زغلول ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ـ ١٩٨٥م.
العبودية	لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط٦ـ ١٤٠٣هـ.
العتبية في مسائل الإمام مالك	محمد بن أحمد العتبي ـ مطبوع ضمن البيان والتحصيل لابن رشد ـ تحقيق: الحاج أحمد الجبالي ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ١٤٠٤هـ.
[illegible]	[illegible]
العزلة	للخطابي ـ تحقيق: ياسين السواس ـ دار ابن كثير ـ دمشق ـ ١٤٠٧هـ.
عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم	د/محمد الحديدي ـ مطبعة الأمانة ـ القاهرة ـ ١٣٩٩هـ.
العصمة عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية	علي البار ـ رسالة ماجستير ـ غير منشورة بالجامعة الإسلامية.
العظة والاعتبار آراء في حياة السيد البدوي الدنيوية وحياته البرزخية	أحمد محمد حجاب ـ مكتبة تاج للتراث ـ طنطا ـ مصر ـ بدون تاريخ.
العقائد الإسلامية	سيد سابق ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ١٤٠٦هـ.
عقائد الإمامية	محمد رضا المظفر ـ مطبعة النجاح ـ القاهرة ـ ١٣٩١هـ.
العقد النفيس في نظم جوهر التدريس	أحمد بن إدريس المغربي ـ المكتبة الثقافية ـ بيروت
العقل والغيب	د/محمد حسن هيتو ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ ط١ـ ١٤١٤هـ.
العقيدة الإسلامية الميسرة وأثرها في حياة المسلم	عبدالعزيز فتحي ندا١٤٢٠هـ ـ بدون بيانات أخرى.

العقيدة الإسلامية وأثرها في بناء المجتمع: عزام سلهب ـ رسالة ماجستير ـ غير منشورة بالجامعة الإسلامية.

العقيدة الإسلامية وأسسها: الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ـ دار العلم ـ دمشق ـ ط٥ـ ١٤٠٨هـ.

عقيدة التوحيد في القرآن الكريم: د/محمد أحمد ملكاوي ـ دار ابن تيمية ـ الرياض ـ ط١ـ ١٤٠٥هـ.

عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي: د/صالح العبود ـ مطابع الجامعة الإسلامية ـ المجلس العلمي لإحياء التراث.

عقيدة المؤمن: لأبي بكر الجزائري ـ دار الشرق ـ جدة ـ ط٣ـ ١٤٠٢هـ.

عقيدة المسلم: محمد الغزالي المصري ـ دار العلم ـ دمشق ـ ط٧ـ ١٤٠٩هـ.

عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية: د/أحمد سعد حمدان الغامدي ـ دار طيبة ـ الرياض ـ ١٤٠٥هـ.

العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع: د/محمد بيصار ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ط٤ـ ١٩٧٣م.

العقيدة والشريعة في الإسلام: جولد تسيهير ـ ترجمة: محمد يوسف موسى ، وآخرين ـ دار الكتاب العربي ـ القاهرة ـ ١٩٤٦م.

العلاقة بين التشيع والتصوف: فلاح بن أحمد ـ رسالة دكتوراه غير منشورة بالجامعة الإسلامية.

علل الشرائع: للصدوق ـ تقديم: محمدصادق بحر العلوم ـ المكتبة الحيدرية بالنجف ـ ١٣٨٢هـ.

العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ: صالح بن مهدي المقبلي ـ دار الحديث ـ ط٢ـ ١٤٠٥هـ.

علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم: صالح السليمان العمري ـ ط١ـ ١٤٠٥هـ.

علماء نجد خلال ستة قرون: للبسام ـ مكتبة النهضة الحديثة ـ مكة المكرمة ـ ١٣٩٨هـ.

العلو للعلي الغفار — للذهبي ـ تحقيق: عبدالله البراك ـ دار الوطن ـ الرياض ـ ١٤٢٠هـ.

عوارف المعارف — للسهروردي ـ المكتبة العلامية ـ مصر ـ ١٣٥٨هـ.

عيون الأنباء في طبقات الأطباء — لابن أبي أصيبعة ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ١٣٧٦هـ.

غاية الأماني في الرد على النبهاني — لأبي المعالي محمود شكري الألوسي ـ مطابع نجد التجارية ـ الرياض.

غاية السول في خصائص الرسول ﷺ — لابن الملقن ـ تحقيق: عبدالله بحر الدين ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ ١٤١٤هـ.

غاية المرام في علم الكلام — للآمدي ـ تحقيق: حسن محمود عبداللطيف ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث ـ القاهرة ـ ١٣٩١هـ.

الغدير في الكتاب والسنة والأدب — عبدالحسين الأميني النجفي ـ مطبعة الحيدري بطهران ـ ط٢ـ ١٣٧٢هـ.

غريب الحديث — لابن الجوزي ـ تخريج: عبدالمعطي أمين قلعجي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٠٥هـ.

غريب الحديث — لأبي عبيد القاسم بن سلام ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٠٦هـ.

الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة — د/عبدالرحمن اللويحق ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٢ـ ١٤١٣هـ.

الغلو في الدين نشأته ـ موقف الإسلام منه ـ مسائله آثاره — علي بن عبدالعزيز الشبل ـ دار الوطن ـ الرياض ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ.

الغلو وأثره في عقائد الرافضة — د/حازي بخيت الجهني ـ رسالة دكتوراه ـ غير منشورة بالجامعة الإسلامية.

الغنية لطالبي طريق الحق — الشيخ عبدالقادر الكيلاني ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ ط٣ـ ١٣٧٥هـ.

الغياثي غياث الأمم في التياث الظلم	للجويني ـ تحقيق: د/عبدالعظيم الديب ـ طبعة الشؤون الدينية بقطر ـ ط١ـ ١٤٠٠هـ.
الغيبة	محمد بن إبراهيم النعماني ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ ط١ـ ١٩٨٣م.
فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء	جمع الشيخ أحمد بن عبدالرزاق الدويش ـ دار العاصمة ـ الرياض ـ ط٣ـ ١٤١٩هـ.
الفتاوى الهندية أو العالمكيرية	جماعة من علماء الهند ـ المكتبة الإسلامية ـ بتركيا ـ ط٣ـ ١٣٩٣هـ.
فتاوى سلطان العلماء العز بن عبدالسلام	تحقيق: مصطفى عاشور ـ مكتبة الساعي ـ الرياض ـ ١٩٨٧م.
فتاوى للموظفين والعمال	سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ محمد بن صالح العثيمين، والشيخ عبدالله الجبرين ـ جمع: محمد بن عبدالعزيز المسند
فتح الباري شرح صحيح البخاري	ابن حجر العسقلاني ـ تحقيق وتعليق: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي ـ ط دار الفكر.
فتح الباري شرح صحيح البخاري	لابن رجب الحنبلي ـ تحقيق: محمود شعبان ، وآخر ـ مكتبة الغرباء ـ المدينة المنورة ـ ١٤١٧هـ.
فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير	محمد بن علي الشوكاني ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ مصر ـ ط٢ـ ١٩٦٤م.
فتح المجيد شرح كتاب التوحيد	للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ـ تحقيق: محمد حامد الفقي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
فتح المغيث بشرح ألفية الحديث	للحافظ العراقي ـ شرح السخاوي ـ تصحيح : حبيب الرحمن الأعظمي ـ المكتبة

العلمية بالمدينة المورة ـ بدون تاريخ.

الفتوحات المكية: لابن عربي الصوفي ـ تحقيق: د/عثمان يحيى ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٣٩٢هـ.

الفتوى الحموية الكبرى: لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ تقديم : محمد عبدالرزاق حمزة ـ مطبعة المدني ـ مصر ـ ١٤٠٣هـ.

فرق الشيعة: للنوبختي ـ دار الأضواء ـ بيروت ـ ط٢ـ ١٩٨٤م.

الفرق بين الفِرق: أبو منصور البغدادي ـ تحقيق: محمد عثمان الخشت ـ مكتبة ابن سينا ـ القاهرة.

الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ مطبعة المعارف ـ الرياض ـ طبعة جديدة ١٤٠٢هـ.

الفصل في الملل والأهواء والنحل: لابن حزم ـ تحقيق: د/محمد إبراهيم نصر، وآخر ـ ط دار الجيل ـ ١٩٨٥م.

فصوص الحكم: لابن عربي الصوفي ـ بتعليق: أبي العلا عفيفي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط٢ـ ١٤٠٠هـ.

الفصول المهمة في أحوال الأئمة: للحر العاملي ـ مكتبة بصيرني بقم ـ ط٣ .

فضائح الباطنية: للغزالي ـ تحقيق: عبدالرحمن بدوي ـ الدار القومية ـ القاهرة ـ ١٣٨٣هـ.

فضل الصلاة على النبي ﷺ: إسماعيل القاضي ـ تحقيق: الشيخ ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق ـ ط٢ـ ١٣٨٩هـ.

فضل علم السلف على الخلف: لابن رجب الحنبلي ـ تحقيق: محمد عبدالحكيم القاضي ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤٠٨هـ.

فقه العبادات: للشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ إعداد:

	الطيار- دار الوطن - الرياض - ١٤١٦هـ.
الفقيه والمتفقه	الخطيب البغدادي ـ تصحيح: إسماعيل الإنصاري ـ دار إحياء السنة النبوية ـ ١٣٩٥هـ.
الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري	د/مصطفى الشيبي - مكتبة النهضة - بغداد - ط١- ١٣٨٦هـ.
الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة	عبدالرحمن عبدالخالق ـ مكتبة ابن تيمية بالكويت ـ ط٢.
فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام	صالح العبود - دار طيبة ـ الرياض ـ ط١ـ ١٤٠١هـ.
فلسفة النبوة والأنبياء في ضوء القرآن والسنة	آدم الألوري - مكتبة وهبة - مصر ـ ط١ ـ ١٤٠٣هـ.
الفهرست	لابن النديم - تحقيق: رضا - تجدد - طهران - ١٣٩١هـ.
الفوائد	لابن القيم ـ تحقيق: أيت سعيد ـ ط دار الفكر ـ ودار المعرفة ـ الدار البيضاء بالمغرب.
الفوائد البهية في تراجم الحنفية	العلامة اللكنوي ـ تعليق: النعساني ـ دار المعرفة ١٣٢٤هـ.
الفوائد الكفيلة بمعرفة الوسيلة	محمد بن الحسن الخديم - ط١- ١٤١٦هـ.
الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة	للشوكاني - تحقيق: عبدالرحمن المعلمي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط٢ـ ١٣٩٢هـ.
الفوائد المنتقاة من فتح الباري وكتب أخرى	للشيخ عبدالمحسن العباد ـ مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة - ١٤١٣هـ.
الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة	مرعي بن يوسف الكرمي تحقيق محمد بن لطفي الصباغ دار الوراق بالرياض ط ثالثة ١٤١٩هـ.
في التصوف الإسلامي وتاريخه	نيكولسون - ترجمة : أبي العلا عفيفي ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة بالقاهرة ـ

١٣٦٦هـ.

فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة — مطبوع ضمن القصور العوالي ـ تحقيق: محمد مصطفى أبو العلا ـ مكتبة الجندي بالقاهرة ـ ط٢ـ ١٣٩٠هـ.

فيض القدير — للمناوي

القائد إلى تصحيح العقائد — للمعلمي تصحيح الشيخ الألباني المكتب الإسلامي بيروت ط ثانية ١٤٠٢هـ.

القاديانية — إحسان إلهي ظهير إدارة ترجمان السنة لاهور ط ثالثة ١٣٩٥هـ

قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة — لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق: د/ربيع بن هادي المدخلي ـ مكتبة لينة ـ مصر ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ.

قاعدة في الرد على الغزالي في التوكل — لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق علي الشبل دار الصميعي ١٤١٦هـ

قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية — أحمد أمين مطبعة لجنة التأليف المصرية بالقاهرة ١٩٥٣م

القاموس المحيط — للفيروزآبادي مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ط٢ـ ١٣٧١هـ.

القرامطة — عارف تامر دار مكتبة الحياة. بيروت بدون تاريخ.

قصيدة البردة — كعب بن زهير ﷺ ـ شرح ابن الأنباري ـ تحقيق: محمود حسن زيني ـ دار تهامة ـ جدة ـ ١٤٠٠هـ.

قصيدة البردة — مطبوعة بآخر دلائل الخيرات للجزولي ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت

قطر الولي على حديث الولي — للشوكاني تحقيق إبراهيم هلال دار الكتب الحديثة بمصر ١٩٧٩م.

قواعد الأحكام في مصالح الأنام — للعز بن عبدالسلام المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة

قواعد الأديان — لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق إبراهيم العلي دار الرياض ١٤١٠هـ

قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث — للقاسمي تحقيق محمد بهجة البيطار مطبعة الحلبي بمصر ط ثانية ١٣٨٠هـ

القواعد الحسان لتفسير القرآن — للسعدي مكتبة الرشد بالرياض ١٤٢٠هـ.

قواعد عقائد آل محمد الباطنية — لمحمد الديلمي تصحيح السيد عزت العطار مطبعة السعادة بمصر ١٣٦٩هـ

قوت القلوب في معاملة المحبوب — للشيخ أبي طالب المكي ـ ط دار الفكر

القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع — للسخاوي ـ المكتبة العلمية ـ المدينة المنورة ـ

	ط٣ـ ١٣٩٧هـ.
القول الجلي في حكم التوسل بالنبي والولي	لمحمد بن عبد السلام الشقيري بعناية يوسف السعيد دار الملس الرياض ١٤٢٧هـ.
القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع	سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز
القومية في نظر الإسلام	محمد أحمد باشميل بيروت ١٩٦٠م. بدون ناشر
القياس الفاسد وأثره في الانحراف في العقيدة	د/أحمد بن شاكر الحذيفي ـ رسالة دكتوراه غير منشورة بالجامعة الإسلامية.
الكافي	للكليني ـ تصحيح: علي أكبر الغفاري ـ مكتبة الصدوق بطهران ـ ط٢ـ ١٣٨١هـ.
الكامل في ضعفاء الرجال	لابن عدي تحقيق صبحي البدري مطبعة الأعظمي العراق ١٩٧٧م.
الكامل في التاريخ	لابن الأثير ـ علق عليه: نخبة من العلماء ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط٤ـ ١٩٨٣م.
كتاب البعث والنشور	أحمد بن حسين البيهقي ـ تحقيق: محمد بسيوني زغلول ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ـ ط١ـ ١٤٠٨هـ.
كتاب التعريفات	للشريف الجرجاني ـ تحقيق: إبراهيم الأبياري ـ دار الريان للتراث
كتاب الدرة فيما يجب اعتقاده	لابن حزم تحقيق أحمد بن ناصر آل حمد مكتبة التراث بمكة ١٤٠٨هـ
كتاب الدعاء المأثور	للطرطوشي
كتاب الرد على المنطقيين	لشيخ الإسلام ابن تيمية مكتبة الدار بالمدينة ٢ ١٤٠٢هـ
كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى	القاضي عياض اليحصبي ـ تقديم وتخريج: كمال بسيوني زغلول ـ مؤسسة الكتاب للثقافة ـ ط١ـ ١٤٠٦هـ.
كتاب العظمة	لابن أبي الشيخ

كتاب الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني	محمد بن عبدالله الطصفاوي
كتاب المنهاج في شعب الإيمان	الحسين بن الحسن الحليمي ـ تحقيق: حلمي فودة ـ دار الفكر ـ ط١ـ ١٩٧٩م.
كتاب تصفية القلوب	للإمام يحيى بن حمزة اليماني ـ تحقيق: حسن الأهدل ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ـ ١٤١٢هـ.
كتاب معرفة علوم الحديث	للحاكم تحقيق معظم حسين المكتبة العلمية بالمدينة ١٣٩٧هـ
كسر الصنم نقض كتاب أصول الكافي	للبرقعي ترجمة عبد الرحيم البلوشي دار البيارق عمان ١٤١٩هـ
كشاف اصطلاحات الفنون	للتهانوي تحقيق لطفي عبد البديع وآخر المؤسسة المصرية العامة ١٩٧٧م.
كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة	للهيثمي ـ تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ.
كشف الأسرار	للخميني ـ تقديم:د/محمد أحمد الخطيب ـ دار عمار ـ الأردن ت ط١ـ ١٤٠٨هـ.
كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبدالوهاب	محسن الأمين العاملي ـ دار الغدير ـ بيروت ـ ط٣
كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب	أحمد بن الحاج سكيرج ـ المكتبة الشعبية ـ بيروت
كشف الخفا ومزيل الإلباس	للعجلوني تصحيح أحمد القلاش مكتبة التراث بحلب.
كشف الشبهات في التوحيد	الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ دار الوطن ـ الرياض ـ ١٤١٤هـ.
كشف الغمة ببيان خصائص الرسول ﷺ والأئمة	مصطفى بن إسماعيل ـ تقديم: الشيخ مقبل بن هادي الوادعي ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ ١٤١٤هـ.
كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة	لابن رجب الحنبلي تحقيق يسري البشري مكتبة السلامي بالرياض ١٩٨٩م.

الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ — محمد عبدالرؤوف القاسم ـ دار طيبة ـ مكة المكرمة ـ ط٢ـ١٤١٣هـ.

الكشكول — للعاملي تحقيق الطاهر الزاوي دار إحياء الكتب بمصر ١٣٨٠هـ.

الكليات — للكفوي ـ تحقيق: د/عدنان درويش، وآخر ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ دمشق ـ ١٩٧٦م.

كليات مفاتيح الجنان — عباس القمي ـ الناشر انتشارات أسوة

كنت قبوريا — عبدالمنعم الجداوي ـ مطبعة المدني ـ القاهرة ـ ط٥ـ ١٤٠٧هـ.

الكنى والألقاب — عباس القمي ـ المطبعة الحيدرية ـ النجف ـ ط٢ـ ١٩٦٩هـ.

الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة — للغزي ـ تحقيق: جبرائيل جبور ـ مطبعة محمد أمين دمج ـ بيروت ـ ١٩٤٥م.

الكواكب النيرات في المنجيات والمهلكات — عبدالله الجار الله مكتبة ابن خزيمة بالرياض ١٤١٢هـ.

لسان العرب — لابن منظور تصحيح أمين عبدالوهاب دار إحياء التراث بيروت ١٤١٧هـ.

لسان الميزان — ابن حجر مؤسسة الأعلمي بيروت ١٣٩٠هـ.

لطائف المنن — لابن عطاء الله السكندري ـ تحقيق: د/عبدالحليم ـ محمود ـ مطبعة حسان

اللمع — لأبي نصر الطوسي ـ تحقيق: د/عبدالحليم محمود، وآخر ـ دار الكتب الحديثة ـ مصر ـ ١٣٨٠هـ.

لمع برق المقامات العوالي في زيارة سيدي حسن الراعي وولده عبدالعالي — مصطفى البكري ـ مطبوع بآخر شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق للنبهاني

الله في العقيدة الإسلامية — أحمد بهجت مكتبة المختار [illegible] بمصر ط ثانية ١٣٩٩هـ.

لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية — للسفاريني ـ تعليق: الشيخ عبدالرحمن أبابطين، والشيخ سليمان بن سحمان ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط٣ـ ١٤٠٥هـ.

مباحث العقيدة في سورة الزمر — ناصر بن علي الشيخ ـ مكتبة الرشد ـ الرياض ـ ١٤١٥هـ.

مباحث العقيدة في سورة مريم — د/محمد عبدالرحمن الشظيفي ـ رسالة ماجستير ـ غير منشورة بالجامعة الإسلامية.

مباحث في علوم القرآن — مناع القطان ـ دار غريب ـ القاهرة ـ ط٥ـ ١٤٠١هـ.

المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح — للدمياطي تخريج عبدالله حجاج مكتبة التراث بمصر ١٤٠٨هـ

متن القصيدة النونية — لابن القيم الجوزية ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ ط٢ـ ١٤١٧هـ.

مجلة البحوث الفقهية المعاصرة — السنة ٧ ـ العدد٢٨ ـ ١٤١٦هـ.

مجلة المنار — محمد رشيد رضا مطبعة المنار ١٣١٥هـ

مجلة الهادي الشيعية — العدد الرابع

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد — للهيثمي مكتبة القدسي بالقاهرة ١٣٥٢هـ.

مجمل اللغة — لابن فارس تحقيق هادي حسن

المجموع المفيد في تقض القبورية ونصرة التوحيد — د/محمد عبدالرحمن الخميس ـ دار أطلس ـ الرياض ـ ط١ـ ١٤١٨هـ.

المجموع المفيد من رسائل وفتاوى الشيخ سعد بن حمد بن عتيق — جمع وترتيب: إسماعيل بن سعد بن عتيق ـ ط دار الهداية ـ ط ٤ـ ١٤١٥هـ.

مجموع رحلات الشيخ إبراهيم انياس

مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية — جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم النجدي ـ بإشراف الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

مجموعة التوحيد النجدية — لمحمد بن عبدالوهاب مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٩١هـ.

مجموعة الرسائل الكبرى — شيخ الإسلام ابن تيمية ـ دار إحياء التراث

العربي - بيروت

مجموعة الرسائل الكمالية — صلاح الدين ... مكتبة المعارف بالطائف بدون تاريخ.

مجموعة الرسائل المنيرية — إدارة الطباعة المنيرية بالقاهرة ١٣٤٣ هـ.

مجموعة الرسائل والمسائل النجدية — جمع عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم دار العاصمة بالرياض لبعض علماء نجد الأعلام ط ثانية ١٤٠٩ هـ.

مجموعة المناهل العذاب فيما على العبد لرب — صالح السعوي ط ثانية بدون ناشر.

الأرباب

المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين — لابن حبان تحقيق محمود إبراهيم زايد دار الوعي بحلب ١٣٩٦هـ.

محاضرات الجامعة الإسلامية — في موسمها الثقافي ٩٨-١٣٩٩هـ.

محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع — عبدالرؤوف محمد عثمان - مكتبة الضياء - جدة - ١٤١٢هـ.

مخازي الولي الشيطاني الملقب بالتيجاني الجاني — لإبراهيم القطان مطبوع آخر مشتهى الخافي الجاني

مختار الصحاح — محمد بن أبي بكر الرازي - ط دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠١هـ.

مختصر التحفة الاثني عشرية — للدهلوي اختصار الألوسي مكتبة إيشيق استنبول ١٣٩٩هـ

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين — لابن قيم الجوزية - دار الفكر - ط الأخيرة - ١٤٠٨هـ.

المدخل — لابن الحاج الفاسي - المطبعة المصرية - القاهرة - ١٣٤٨هـ.

مراقي السعود بشرح محمد الأمين الجكني الشنقيطي مطبعة المدني بالقاهرة ١٣٧٨هـ.

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح — مُلاّ علي القاري تقديم محمد عبدالحليم دار المعارف ١٣٩٠هـ.

مروج الذهب — للمسعودي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٩٦٨م.

مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة — د: ناصر بن عبدالله القفاري دار طيبة - الرياض - ط٢ - ١٤١٣هـ.

مسألة القضاء والقدر وموقف المؤمن منها — محمد متولي السداوي مطبعة المدني بالقاهرة ١٣٧٧هـ

الكتاب	المؤلف / الطبعة
مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية	الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ شرحها: محمود شكري الألوسي المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٧هـ
المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة	تحقيق: د/عبدالإله بن سلمان الأحمدي ـ دار طيبة ـ الرياض ـ ط١ـ ١٤١٢هـ.
المستدرك على الصحيحين في الحديث	للحاكم ـ ط دار الفكر ـ ١٩٧٨م.
المسلك الأذخر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر	محمود شكري الألوسي ـ تحقيق د:عبدالله الجبوري ـ دار العلوم ـ الرياض١٩٨٢م.
مسند الإمام أحمد	للإمام أحمد بن حنبل المكتب الإسلامي بيروت ط ثانية ١٣٩٨هـ
مشارق أنوار اليقين	رجب البرسي ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.
المشاهدات المعصومية عند قبر خير البرية	محمد سلطان المعصومي الحنفي ـ اعتنى بطبعه: د/محمد عبدالرحمن الخميس، ط دار العاصمة ـ الرياض ـ ط١ـ ١٤١٤هـ.
مشاهير علماء نجد وغيرهم	للشيخ عبدالرحمن آل الشيخ دار اليمامة ١٣٩٤هـ.
مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني	للشيخ محمد الخضر الجكني الشنقيطي ـ دار البشير ـ عمّان ـ ط١ـ ١٤٠٥هـ.
مشكاة المصابيح	للتبريزي ـ تحقيق: الشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق ـ ١٣٨٠هـ.
مشكلة الألوهية	د/محمد غلاب دار إحياء الكتب بالقاهرة ط ثانية ١٣٧١هـ
المصايد المطارد	للكشاجم تحقيق محمد أسعد طلس مطبعة دار المعرفة بغداد.
المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي	أحمد بن محمد المقري الفيومي ـ المكتبة العلمية ـ بيروت.
مصرع الشرك والخرافة	لخالد محمد علي تحقيق عبدالله الأنصاري مطابع الدوحة ١٣٩٨هـ
المصنف	عبدالرزاق ـ تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ١٩٧٠م.
المصنوع في معرفة الحديث الموضوع	للقاري ـ تحقيق: عبدالفتاح أبي غدة ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٢ـ ١٣٩٨هـ.
المضنون به على غير أهله	مطبوع ضمن رسائل القصور العوالي ـ

الكتاب	المؤلف والنشر
	للغزالي ــ مكتبة الجندي ــ القاهرة ط٢ــ ١٣٩٠هـ.
مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية	إدريس محمود إدريس ـ رسالة ماجستير غير منشورة
معارج الألباب في مناهج الحق والصواب	حسين بن مهدي النعمي ـ تحقيق: أحمد بن سعيد الأشهبي ـ دار الأرقم ـ برمنجهام ت ط١ـ ١٤٠٨هـ.
معارج القبول	للحكمي ـ الدار البيضاء للنشر والتوزيع
المعارف	لابن قتيبة ــ تحقيق: ثروت عكاشة ــ دار المعارف ـ مصر ـ ط٢ـ ١٩٦٩م.
المعارف الحسينية	حسين بن آل حيدر الكاظمي ــ المطبعة الحيدرية بالنجف ـ ١٣٥٠هـ.
معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم	عبدالوهاب الديلمي [illegible] الثانية ١٤١٩هـ
معالم غائبة عن حياة المسلمين	ربيع بن محمد السعودي ـ دار معاذ بالرياض ـ ١٤٠٩هـ.
معاني القرآن	للزجاج ـ تحقيق: عبدالجليل شلبي ــ عالم الكتب بيروت ـ ١٤٠٨هـ.
المعجزة وكرامات الأولياء	لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ـ ١٤٠٥هـ.
معجم ألفاظ الصوفية	د/حسن الشرقاوي ـ مؤسسة مختار ـ مصر ـ ط٢ـ ١٩٩٢م.
معجم ألفاظ العقيدة	عامر فالح ــ مكتبة العبيكان بالرياض ــ ١٤١٧هـ.
[illegible]	[illegible]
معجم الأدباء	ياقوت الحموي دار المأمون بالقاهرة ١٣٥٧هـ.
معجم البلدان	ياقوت الحموي ـ دار إحياء التراث العربي ـ

الكتاب	المؤلف / النشر
	بيروت ـ ١٩٧٩.
معجم الشعراء	د/عفيف عبدالرحمن ـ دار المناهل ـ بيروت ـ ١٤١٧هـ.
المعجم الصوفي الحكمة في حدود الكلمة	د/سعاد الحكيم ـ دار دندرة ـ بيروت ـ ط١ـ ١٤٠١هـ.
المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية	د/ جميل صليبا دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٧٩م .
المعجم الكبير	وضعه مجمع اللغة العربية بالقاهرة مطبعة دار الكتب الكويت ١٩٧٠
المعجم الكبير	للطبراني ـ تحقيق: الشيخ حمدي السلفي ـ الدار العربية ـ بغداد.
معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية	عمر كحالة ـ مكتبة المثنى لبنان.
[illegible]	[illegible]
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ بحاشية المصحف الشريف ـ	محمد فؤاد عبدالباقي ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط١ـ ١٤٠٧هـ.
معجم مصطلحات الصوفية	د/عبدالمنعم الحنفي ـ دار المسيرة ـ بيروت ـ ط١ـ ١٤٠٠هـ.
معجم مقاييس اللغة	لابن فارس ـ تحقيق: عبدالسلام هارون ـ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ـ ١٣٦٦هـ.
معرفة أخبار الرجال	للكشي ـ مطبوعات الجديدة ـ ١٣١٧هـ
المعرفة والتاريخ	يعقوب البسوي ـ تحقيق: د/أكرم ضياء العمري ـ مطبعة الإرشاد ـ بغداد ـ ١٣٩٦هـ.
معنى لا إله إلا الله	للزركشي ـ تحقيق: علي القره داغي
المغني في ضبط أسماء الرجال ومعرفة كنى الرواة وألقابهم وأنسابهم	لمحمد طاهر الفتني دار نشر الكتب بباكستان.
مفاهيم يجب أن تصحح	محمد علوي المالكي ـ ط وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات ـ ط٤ـ ١٤١٠هـ.

مفتاح العلوم	للسكاكي ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ ١٣٥٦هـ.
مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة	لابن قيم الجوزية ـ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت
المفرادات في غريب القرآن	للأصفهاني ـ تحقيق: محمد سعيد كيلاني ـ دار المعرفة ـ بيروت
المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم	أحمد بن عمر القرطبي ـ تحقيق: محي الدين مستو ـ دار ابن كثير ـ دمشق ـ ١٤١٧هـ.
مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد	الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ مؤسسة النور بالرياض ـ بدون تاريخ.
مقارنة الأديان	د/أحمد شلبي ـ مكتبة النهضة المصرية ـ مصر ـ ١٩٦٦هـ.
المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة	للسخاوي ـ تصحيح: عبدالله الصديق ـ مكتبة الخانجي ـ مصر ـ ١٣٧٥هـ.
مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين	أبو الحسن الأشعري ـ تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ط٢ـ ١٩٦٩م.
المقالات والفرق	سعد الأشعري القمي ـ مطبعة حيدري ـ طهران.
مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها	جابر إدريس ـ رسالة دكتوراه غير منشورة بالجامعة الإسلامية.
مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع	د/ناصر العقل ـ دار الوطن ـ الرياض ـ ط٢ـ ١٤١٧هـ.
المقدمة	عبدالرحمن بن خلدون ـ ضبط: د/محمد الإسكندراني ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط١ـ ١٤١٧هـ.
الملل والنحل	للشهرستاني ـ تحقيق: محمد سيد كيلاني ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٩٨٠م.

من عقائد الشيعة   عبدالله بن محمد السلفي

[illegible]

من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة   د/محمد السيد الجلينيد ـ دار اللواء ـ الرياض ـ ط٣ـ ١٤١٠هـ.

المنار المنيف في الصحيح والضعيف   لابن القيم ـ تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة ـ مكتبة المطبوعات الإسلامية ـ حلب ـ ١٣٩٠هـ.

مناسك حج   لآية الله العظمى فاضل النكراني

مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا   للسيوطي تحقيق: سمير القاضي ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ـ ١٤٠٨هـ.

مناهل العرفان في علوم القرآن   محمد عبدالعظيم الزرقاني ـ المكتبة الفيصلية ـ مكة المكرمة ـ بدون تاريخ

المنتخبات من المكتوبات   أحمد السرهندي ـ جمع: حسين حلمي استانبولي ـ مكتبة إيشيق ـ ١٩٧٤م.

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك   لابن الجوزي ـ تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، وآخر ـ دار الكتب العلمية ـ ط١ـ ١٩٩٢م.

المنتقى شرح الموطأ   للباجي ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ـ ١٣٣١هـ.

المنتقى وهو مختصر منهاج السنة النبوية   لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ اختصار الذهبي

المنخل لغربلة خرافات ابن الحاج في المدخل   د/محمد عبدالرحمن الخميس ـ مطبوع ضمن المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد ـ دار أطلس ـ الرياض ـ ط١ـ ١٤١٨هـ.

المنطلق   محمد أحمد الراشد ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٢ـ ١٣٩٦هـ.

المنفرجة   لابن النحوي ـ بشرح البوصيري ا المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر ١٣٩٨هـ.

المنقذ من الضلال — الغزالي ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ـ ١٤٠٨هـ.

منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية — شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق: د/محمد رشاد سالم ـ جامعة الإمام محمد بن سعود ـ ١٤٠٦هـ.

المنهاج في شعب الإيمان — للحليمي ـ تحقيق: حلمي محمود فودة ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ.

منهج الإمام مالك رحمه الله في إثبات العقيدة — سعود بن عبدالعزيز الدعجان ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ ط١ـ ١٤١٦هـ.

منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة — عثمان بن علي بن حسن ـ مكتبة الرشد ـ الرياض ـ ط١ـ ١٤١٢هـ.

منهج الحافظ ابن رجب الحنبلي في العقيدة — د/علي بن عبدالعزيز الشبل ـ دار الصميعي ـ الرياض.

منهج الرسل الكرام في الدعوة إلى الله في القرآن — د/أحمد عبيد رسالة دكتوراه ـ غير منشورة ـ الجامعة الإسلامية.

المجاز

منهج السلف في العقيدة وأثره في وحدة المسلمين — الشيخ صالح السحيمي ـ دار ابن حزم ـ الرياض ـ ط١ـ ١٤٠٩هـ.

منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل والنقل وأثر المنهجين في العقيدة — جابر إدريس ـ مكتبة أضواء السلف ـ الرياض ـ ط١ـ ١٤١٩هـ.

المهند على المفند — خليل أحمد إلياس

موارد الظمآن في علوم القرآن — للشيخ أبي سليمان الدار السلفية الهند ١٤٠٤هـ.

المواقف في علم الكلام — عضد الدين الإيجي ـ مطبعة العلوم ـ ١٣٥٧هـ.

الموجز في تاريخ الصابئة المندائيين — عبدالفتاح الزهيري ـ مطبعة أركان بغداد ـ ط ١ـ ١٩٨٣م.

موارادة الظمآن إلى زوائد ابن حبان الهيثمي — تحقيق: محمد عبدالرزاق حمزة ـ دار الكتب

	العلمية - بيروت.
موسوعة أهل السنة في نقد أصول فرقة الأحباش	عبدالرحمن دمشقية - دار المسلم - الرياض - ط١ - ١٤١٨هـ.
الموسوعة العربية الميسرة	بإشراف محمد شفيق غربال - دار النهضة - بيروت - مصورة عن الأصل من طبعة ١٩٦٥م.
الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة	الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض - ط٢ - ١٤٠٩هـ.
الموافقات في أصول الأحكام	للشاطبي تعليق محمد الخضر حسين، آخر المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤١هـ.
الموفي بمعرفة التصوف والصوفي	للأدفوي المصري تحقيق محمد رضا الحسيني مكتبة دار العروبة بالكويت ١٤٠٨هـ
موقف الإسلام من السحر	حياة بن محمد با أخضر - دار المجتمع - جدة - ١٤١٥هـ.
موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية	د/أحمد بناني - دار العلم - جدة - ط١ - ١٤٠٦هـ.
موقف الرافضة من القرآن الكريم	مامادو كارامبيري - رسالة ماجستير - غير منشورة - الجامعة الإسلامية.
موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة عرضا ونقدا	د/سليمان الغصن - دار العاصمة - الرياض - ١٤١٦هـ.
موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم حوله	سارة حامد العبادي - رسالة دكتوراه - غير منشورة - جامعة أم القرى
ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية	عبيدة بن انبوجة الشنقيطي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - ١٣٤٨هـ.
ميزان الاعتدال	للذهبي - تحقيق: علي البجاوي - دار المعرفة - بيروت - ١٣٨٢هـ.
النبذة الشريفة في الرد على القبوريين	محمد بن ناصر آل معمر - تحقيق: عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم - دار العاصمة - الرياض - ط١ - ١٤٠٤هـ.
النبوات	لشيخ الإسلام ابن تيمية - مكتبة الرياض

	الحديثة ـ ١٣٤٦هـ.
النبوات	لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق: د/عبدالعزيز الطويان ـ رسالة دكتوراة غير منشورة بالجامعة الإسلامية.
نبوة محمد ﷺ من القرآن	حسن عتر ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ ١٤١٠هـ.
النبوغ المغربي في الأدب العربي	عبدالله كنون ـ مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ط ٣ـ ١٩٧٥م.
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة	لابن تغري بردي ـ طبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة
نخبة المطلوب من شرح مطهرة القلوب	محمد الحسن بن أحمد الخديم ـ شرح مطهرة القلوب لمحمد مولود بن أحمد فال اليعقوبي ـ ط١ـ ١٩٩٦م.
نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر	عبدالحي العياشي الحسني ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف ـ العثمانية ـ باكستان ـ ١٣٥٠هـ.
نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض	للشهاب الخفاجي ـ المطبعة الأزهرية ـ القاهرة ـ ١٣٢٥هـ.
نشر الطوالع	للمرعشي ـ مكتبة العلوم العصرية ـ مصر ـ ١٣٤٢هـ.
النظرات	للمنفلوطي ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ـ بدون تاريخ.
نظرية الاتصال عند الصوفية	سارة بنت عبدالمحسن بن جلوي آل سعود ـ دار المنارة ـ جدة ـ ط١ـ١٤١١هـ.
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب	أحمد المقري ـ تحقيق:إحسان عباس ـ ط دار صادر ـ ١٩٦٨م.
نقباء البشر في القرن الرابع عشر	آغا بزرك الطهراني ـ مطبعة سفيد بمشهد ـ إيران ـ ط٢ـ ١٤٠٤هـ.

نكت الهميان في نكت العميان	صلاح الدين الصفدي ـ مطبعة أحمد زكي بك ـ المطبعة الجمالية ـ مصر ـ ١٩٧١م.
نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب	للقلقشندي ـ تحقيق: على الخاقاني ـ مطبعة النجاح ـ بغداد ـ ١٣٧٨هـ.
نهاية الإقدام في علم الكلام	للشهرستاني ـ تصحيح : الفرد جيوم ـ مكتبة المثنى ـ بغداد ـ بدون تاريخ.
النهاية في الفتن والملاحم	لابن الكثير ـ تعليق: محمد خير طعمة ـ تخريج: خليل مأمون ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٤١٩هـ.
النهاية في غريب الحديث والأثر	لابن الأثير ـ تحقيق: طاهر أحمد الراوي، ومحمود الطناحي ـ المكتبة العلمية ـ بيروت
نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف	د/محمد عبدالله الوهيبي ـ دار المسلم ـ الرياض ـ ط١ـ ١٤١٦هـ.
نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي لابن عباس	لابن رجب الحنبلي ـ تحقيق: تشير عيون ـ مكتبة المؤيد ـ الطائف ـ ١٤١٢هـ.
الهادي إلى لغة العرب	حسن الكرمي ـ دار لبنان ـ بيروت ـ ١٤١٢هـ.
هجر المبتدع	بكر أبو زيد ـ دار ابن الجوزي ـ ط٢ـ ١٤١٠هـ.
هدى الفرقان في علوم القرآن	د/غازي عناية ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ١٤١٦هـ.
هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين	إسماعيل باشا البغدادي ـ المكتبة الإسلامية بطهران ١٣٧٨هـ.
الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية	د/محمد تقي الدين الهلالي ـ ط١ـ ١٣٩٣هـ.
هذه مفاهيمنا	الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ دار البخاري بالقصيم ١٤٠٧هـ.
هذه نصيحتي إلى كل شيعي	للشيخ أبي بكر الجزائري مكتبة أضواء المنار

	جدة ـ ط٢ـ ١٤٠٧هـ
هذه هي الصوفية	عبدالرحمن الوكيل دار الكتب العلمية بيروت ـ ط٤ـ ١٩٨٤م.
هي السلفية نسبة وعقيدة ومنهجا	محمد إبراهيم شقرة ـ مكتبة ابن تيمية ـ مكة المكرمة ـ ط١ـ ١٤١٣هـ.
الوابل الصيب من الكلم الطيب	لا بن القيم تصحيح محب الدين الخطيب المكتبة السلفية بالقاهرة ١٣٧٥هـ.
الواسطة بين الحق والخلق	شيخ الإسلام ابن تيمية ـ تحقيق: محمد بن جميل زينو ـ مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق	د/جمال بادي دار الوطن بالرياض ط ثانية ١٤١٦هـ.
الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية	محمد رشيد رضا دار المنار بمصر ط ثالثة ١٣٦٧هـ
الوحي المحمدي	محمد رشيد رضا المكتب الإسلامي بدمشق ط ثالثة ١٣٥٤هـ
الورثة الصالحة للحضارة المعاصرة	د/فاروق حمادة
وسائل الشيعة ومستدركاتها	جمع: محمد آية الله الشيرازي ـ دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ـ القاهرة ـ ط١ـ ١٣٧٧هـ.
وسطية أهل السنة بين الفرق	د/محمد با كريم دار الراية بالرياض ١٤١٥هـ.
الوسطية في القرآن الكريم	علي بن محمد الصلابي دار النفائس بالأردن ١٤١٩هـ
الوسطية في ضوء القرآن الكريم	ناصر بن سليمان العمر ـ دار الوطن ـ الرياض ـ ١٤١٣هـ.
الوسيط في تراجم أدباء شنقيط	أحمد بن الأمين الشنقيطي ـ تصحيح: فؤاد سيد ـ مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة ـ ط٢
الوسيلة	لأبي الوفاء محمد درويش ـ دار القاسم ـ الرياض ـ ط١ـ ١٤١٧هـ.
الوظائف كتاب أدعية وسور قرآنية	محمدي آبيري البنجلاديشي بدون بيانات
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى	للسمهودي ـ تحقيق: محي الدين عبدالحميد ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط٤ـ ١٤٠٤هـ.

وفيات الأعيان	لابن خلكان ـ تحقيق: إحسان عباس ـ طبعة دار صادر ١٩٦٩م.
يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر	للثعالبي تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة التجارية بمصر ١٣٧٧هـ
اليمانيات المسلولة على الرافضة المخذولة	زين العابدين بن يوسف الكوراني ـ تحقيق: المرابط محمد يسلم المجتبى ـ مكتبة الإمام البخاري ـ القاهرة ـ ط١ـ ١٤٢٠هـ.
اليوم الآخر القيامة الكبرى	د/عمر سليمان الأشقر ـ مكتبة الفلاح ـ الكويت ـ ط٢ـ ١٤٠٨هـ.

فهرس المواضيع